

طبقات الشافعية الكبرى

لِإِمَامِ الدِّينِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي السُّبْكِيِّ

٧٢٧ - ٧٧١ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الفتاح محمد راحلو الدكتور محمود محمد الطناحي

الجزء الثاني

طبعة مصححة منقحة

مجتمعة الفهارس

الطبعة الأولى
في دار إحياء الكتب العربية
١٣٨٣ - ١٣٩٦ هـ = ١٩٦٤ - ١٩٧٦ م

الطبعة الثانية
في هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

جميع الحقوق محفوظة

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

الطبقة الأولى

في الذين جالسوا الشافعي رضي الله عنه

وتملّوا بمعاينة وجهه الكريم ، وتخلّوا إلا عن معاناة فضله العظيم ،
وتخلّوا من صحبته بحلّى لا يزيّنه العقد الفريد ، ولا الدرّ النظيم ،
إنما هو نور سطع ضياؤه وأشرق ، ولمع سناؤه وأبرق ، وخلع عليهم
ملابس السندس والإستبرق

أحمد بن خالد الخلال
أبو جعفر البغداديّ العسكريّ*

قاضى الثَّغر .

روى عن الشافعيّ ، وسفيان بن عُيينة ، وغيرهما .
حدّث عنه الترمذيّ ، والنسائيّ ، وغيرهما ، وقالوا : لا بأس به .
قال أبو حاتم الرازيّ : كان خيرا ، فاضلا ، عدلا ، ثقة ، صدوقا ، رضا .
وقال الحاكم : كان من جِلَّة^(١) الفقهاء والمحدّثين .
مات سنة ست ، وقيل : سبع وأربعين ومائتين .

أحمد بن سنان بن أسد بن حبان القطان
أبو جعفر الواسطيّ الحافظ**

له مُسْنَدٌ مُخَرَّجٌ على الرُّجال .
روى عن الشافعيّ ، وأبي معاوية ، ووَكيع ، وعبد الرحمن بن مَهْدِيّ ، وخلق .
روى عنه البخاريّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائيّ ، وابن ماجه ، ويحيى بن
صاعد ، وابن خزيمة ، وابنه جعفر بن أحمد بن سنان ، وعليّ بن عبد الله بن مُبَشَّر ،
وعبد الرحمن بن أبي حاتم .
وقال فيه ابن أبي حاتم : هو إمام أهل زمانه .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٤ / ١٢٦ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢٧ .

(١) في الأصول : أجلة .

** له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٩٣ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٧ ، شذرات

الذهب ٢ / ١٣٧ ، العبر ٢ / ١٦ .

وقال أبوه أبو حاتم : ثقة ، صدوق .
 وقال ابن مأكولا ، والدَّارْقُطْنِي : كان من الثَّقَاتِ الأَثْبَاتِ .
 وقال أبو عُبيدٍ الأَجْرِيُّ : سألتُ أبا داود عن أحمد بن سنان وبُندار ، فقدّم ابن سنان على بُندار .
 وقال أبو عبد الله الحاكم في « فضائل الشافعي » : إن بعض مشايخه بَمَرُّو حَدَّثَهُ :
 أن ابن سنان كان يُقاس بابن المُبارك في زمانه .
 قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : تُوفِّي سنة ست ، ويقال : سنة ثمان ،
 ويقال : سنة تسع وخمسين ومائتين .
 قال جعفر بن أحمد بن سنان : سمعت أبي ، يقول : ليس في الدنيا مُبتَدِع إلا
 ييغض أصحاب الحديث ، وإذا ابتَدَعَ الرجل نُزِعَتْ^(١) حلاوة الحديث من قلبه .
 قال ابن أبي حاتم : سمعت ابن سنان ، يقول : رأيت الشافعيّ أحمر الرأس
 واللّحية . يعني أنه استعمل الخِضاب أثبَاعًا للِسُنَّةِ .

٣

أحمد بن صالح المصري

أبو جعفر الطَّبْرِيُّ الحافظ ، أحد أركان العلم ، وجهابذة الحُفَظاء *

قال أبو سعيد بن يونس : كان أبوه جنديا من أجناد طَبْرِسْتان ، فوُلد له أحمد
 بمصر سنة سبعين ومائة .
 قلتُ : سمع سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، وعبد الله بن وَهْب ، وحرَمِيُّ بن عُمارة ، وعَنْبَسَةُ
 ابن سعيد ، وابن أبي فُذَيْك ، وعبد الرزّاق ، وعبد الله بن نافع ، والشافعيّ .

(١) في الأصول : نزع . والمثبت من ترجمته في تذكرة الحفاظ .
 * له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٩/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٠ ، شذرات
 الذهب ١١٧/٢ ، طبقات القراء ٦٢/١ ، العبر ٤٥٠/١ . النجوم الزاهرة ٣٢٨/٢ .

وروى عنه البخاريّ ، وربما روى عن رجل عنه ، وروى عنه أيضاً أبو داود ،
وعَمَرُو النَّاقِد ، وَالذُّهْلِيّ ، ومحمد بن عبد الله بن ثُمَيْر ، ومحمود بن غَيْلان ،
وأبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيّ ، وصالح جَزْرَة ، وأبو إسماعيل التَّرمِذِيّ ، وأبو بكر بن أبي
داود ، وخلق .

ودخل بغداد ، وناظر بها أحمد بن حنبل .

قال أبو زُرْعَة : سألتُ أحمد بن حنبل : مَنْ بمصر ؟ فقلت : أحمد بن صالح .
فسرّ بذكره ، ودعا له .

وقال البخاريّ : هو ثقة ، ما رأيتُ أحدا يتكلم فيه بحُجَّة .

وقال يعقوب الفَسَوِيّ^(١) : كتبْتُ عن ألف شيخ وكَسَر^(٢) ، حجتى فيما بينى
وبين الله رجلاً : أحمد بن حنبل ، وأحمد بن صالح .

وقال ابن وَاَرَة الحافظ : أحمد بن حنبل ببغداد ، وأحمد بن صالح المصريّ بمصر ،
والتَّنْفِيلِيّ^(٣) بحرّان ، وابن ثُمَيْر بالكوفة ، هؤلاء أركان الدين .

وقد تكلم النَّسَائِيّ في أحمد بن صالح ، فقال : ليس بثقة ، ولا مأمون ، تركه
محمد بن يحيى ، ورماه يحيى بن مَعِين بالكذب .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب : يقال : كان آفة أحمد بن صالح الكبير ، وشراسة
الخلق ، ونال النَّسَائِيّ منه جفاءً في مجلسه ، فذلك الذى أفسد بينهما .

قال ابن عَدِيّ : سمعت محمد بن هارون البرقيّ ، يقول : حضرتُ مجلس أحمد بن
صالح ، وطرد النَّسَائِيّ من مجلسه ، فحمّله على أن تكلم فيه .

قال ابن عدى : وكان النَّسَائِيّ يُتَكْرَر عليه أحاديث منها :

(١) في المطبوعة : العتوى ، وهو خطأ صوابه من ج ، والعبر ٤٥٠/١ . وهو بفتح الفاء والسين ، وفي آخره
واو ، نسبة إلى فسا مدينة من بلاد فارس . الباب ٢١٥/٢ .

(٢) في المطبوعة : وكبير . والمثبت من ج ، ومن ترجمته في تذكرة الحفاظ ، وتهذيب التهذيب .

(٣) بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء تحتهما نقطتان وبعدها لام ، نسبة إلى الجلد . الباب ٢٣٤/٣ .

عن ابن وهب ، عن مالك ، عن سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

والحديث فقد رواه يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب .

قال ابن عدى : وأحمد من حفاظ الحديث ، وكلام ابن معين فيه تحامل . وأراد بكلام ابن معين ما ذكره معاوية بن صالح عنه ، أنه سأله عن أحمد بن صالح فقال : رأيته كذابا يخطر في جامع مصر .

قلت : وقد ذكر أن الذى ذكر فيه ابن معين هذه المقالة هو أحمد بن صالح الشُّومى^(١) ، وهو شيخ بمكة ، كان يضع الحديث ، وأنه لم يعن أحمد بن صالح هذا ؛ فإن هذا كان من أقرانه فى الحفظ والإتقان ، ويطرح عليه فى حديث أهل مصر والحجاز . وذكر أيضًا أنه كانت بينه وبينه منافرة دنيوية .

قال ابن عدى : وأما سوء ثناء النسائي عليه فلما تقدم . قال : ولولا أنى شرطت أن أذكر فى كتابى كل من تكلم فيه متكلم ، لكنت أجل أحمد بن صالح أن أذكره . وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي فى كتاب « الإرشاد » : ابن صالح ثقة حافظ ، واتفق الحفاظ على أن كلام النسائي فيه تحامل ، ولا يقدح كلام أمثاله فيه ، وقد نقم على النسائي كلامه فيه .

وقال ابن العربى فى كتاب « الأحوذى » : إمام ثقة من أئمة المسلمين ، لا يؤثر فيه تجريح ، وإن هذا القول يحط من النسائي أكثر مما حط من ابن صالح . قلت : وكذا قال الباجي .

قلت : أحمد بن صالح ثقة إمام ، ولا التفات إلى كلام من تكلم فيه . ولكننا ننهك هنا على :

(١) يقال أيضًا : الشُّومى ، بالميم قبل الياء . انظر تهذيب التهذيب ٤٢/١ .

(قاعدة في الجرح والتعديل)

● ضرورة نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول ، فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدّم على التعديل ، ورأيت الجرح والتعديل ، وكنت غرّاً بالأمر أو قدما مقتصرًا على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه ، فإياك ثم إياك ، والحذر كل الحذر من هذا الحسبان ، بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكّوه ، ونذر جارحه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ، من تعصّب مذهبيّ أو غيره ، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب ، أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلّم لنا أحد من الأئمة ؛ إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون .

وقد عقد الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الكتاب « العلم »^(١) بابًا في حكم قول العلماء بعضهم في بعض ، بدأ فيه بحديث الزبير رضى الله عنه : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَأُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » الحديث . وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : استمعوا علم العلماء ولا تُصَدِّقُوا بعضهم على بعض ، فوالذى نفسى بيده لهم أشدُّ تغايرًا من التُّيُوسِ في زُرُوبِهَا .

وعن مالك بن دينار : يؤخذ بقول العلماء والقُرّاء في كل شيء ، إلا قول بعضهم في بعض .

قلت : ورأيت في كتاب « معين الحكام » لابن عبد الرفيّع من المالكية : وقع في المبسوطة من قول عبد الله بن وهب أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ - يعنى العلماء - لأنهم أشدّ الناس تحاسدًا وتباغيًا .

وقاله سفيان الثوريّ ، ومالك بن دينار . انتهى .

ولعل ابن عبد البر يرى هذا ، ولا بأس به ، غير أننا لا نأخذ به على إطلاقه . ولكن نرى أن الضابط ما نقوله من أن ثابت العدالة لا يُلتفت فيه إلى قول من تشهد القرائن بأنه متحامّل عليه ؛ إما لتعصّب مذهبيّ أو غيره .

(١) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله . وهذا الكلام في الجزء الثاني منه ١٥٠ .
هذا وقد نشر شيخنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، هذه القاعدة ، وحرّرها تحريرا عاليا .

ثم قال أبو عمر بعد ذلك : الصحيح في هذا الباب أن من ثبتت عدالته وصحّت في العلم إمامته وبالعلم عنايته لم يلتفت فيه إلى قول أحد ، إلا أن يأتى في جرحته بيّنة عادلة ، تصح بها جرحته على طريق الشهادات . واستدل بأن السلف تكلم بعضهم في بعض بكلام ؛ منه ما حمل عليه الغضب^(١) أو الحسد ، ومنه ما دعا إليه التأويل واختلاف الاجتهاد فيما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه . وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف ؛ تأويلا واجتهادا .

ثم اندفع ابن عبد البر في ذكر كلام جماعة من النظراء بعضهم في بعض ، وعدم الالتفات إليه لذلك ؛ إلى أن انتهى إلى كلام ابن معين في الشافعي ، وقال : إنه مما نُقِمَ على ابن معين وعيب به . وذكر قول أحمد بن حنبل : من أين يعرف يحيى بن معين الشافعي ؟ هو لا يعرف الشافعي ، ولا يعرف ما يقوله الشافعي ، ومن جهل شيئا عاداه .

قلت : وقد قيل إن ابن معين لم يرد الشافعي ، وإنما أراد ابن عمه ، كما سنحكيه إن شاء الله تعالى في ترجمة الأستاذ أبي منصور ، وبتقدير إرادته الشافعي فلا يلتفت إليه وهو عارٌّ عليه ، وقد كان في بكاء ابن معين على إجابته المأمون إلى القول بخلق القرآن ، وتحسّره على ما فرط منه ما ينبغي أن يكون شاغلا له عن التعرّض إلى الإمام الشافعي ، إمام الأئمة ، ابن عمّ المصطفى ﷺ .

ثم ذكر ابن عبد البر كلام ابن أبي ذيب ، وإبراهيم بن سعد^(٢) في مالك بن أنس ، قال : وقد تكلم أيضا في مالك عبد العزيز بن أبي سلمة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومحمد بن إسحاق ، وابن أبي يحيى ، وابن أبي الزناد ، وعابوا أشياء من مذهبه ، وقد برأ الله عزّ وجلّ مالكا عما قالوا ، وكان عند الله وجيها .

قال : وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظائرها إلا كما قال الأعشى^(٣) :

كناطح صخرةً يوماً ليقلّعها فلم يضرّها وأوهى قرنه الوعل

(١) في المطبوعة : التعصب . والمثبت من ج ، د . وجامع بيان العلم . وفيه بعض اختلاف .

(٢) وهكذا في جامع بيان العلم . ويرى شيخنا أبو غدة أن الصواب « سعد بن إبراهيم » وذكر تحقيقا طويلا في القاعدة ١٧ - ٢٠ .

(٣) ديوانه ٦١ . وفيه : ليقلقها . وفي الأصول : قرنها ، وأثبتنا رواية الديوان .

أو كما قال الحسن بن حميد :

يا ناطحَ الجبلِ العالى ليكلّمه أشفقُ على الرأس لا تُشفقُ على الجبلِ
ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول^(١) :

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالماً وللناسِ قال بالظنون وقيل
وقيل لابن المبارك : فلان يتكلم فى أبى حنيفة فأنشد :

حسدوك أن رأوك فضلك الله بما فضّلت به التّجباء^(٢)

وقيل لأبى عاصم النبيل : فلان يتكلم فى أبى حنيفة ، فقال : هو كما قال نُصَيْب :
* سلمت وهل حى على الناس يسلم *

وقال أبو الأسود الدؤلى :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
ثم قال ابن عبد البر : فمن أراد قبول قول العلماء الثّقات بعضهم فى بعض فليقبل
قول الصحابة بعضهم فى بعض ، فإن فعل ذلك فقد ضلّ ضلالاً بعيداً . وخسر
خسراً مبيناً .

قال : وإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه [رشده]^(٣) فليقف عندما
شرطناه ، فى أن لا يقبل فى صحيح العدالة المعلوم بالعلم عنايته قولَ قائل لا برهان
له .

قلت : هذا كلام ابن عبد البر ، وهو على حسنه غير صافٍ عن القذى والكدر ،
فإنه لم يزد فيه على قوله : إن من ثبتت عدالته ومعرفته لا يُقبل قول جارحه إلا
برهان . وهذا قد أشار إليه العلماء جميعاً ، حيث قالوا : لا يُقبل الجرح إلا مفسراً .
فما الذى زاده ابن عبد البر عليهم ؟ وإن أوماً إلى أن كلام النظر فى النظر ، والعلماء
بعضهم فى بعض مردود مطلقاً ، كما قدمناه عن « المبسوطة » فليفصح به ، ثم هو مما
لا ينبغى أن يؤخذ هذا على إطلاقه ، بل لابد من زيادة على قولهم : إن الجرح مقدم
على التعديل . ونقصانٍ من قولهم : كلام النظر فى النظر مردود .

(١) ديوانه ١٢١ .

(٢) لابن قيس الرقيات . فى ديوانه ٩١ .

(٣) زيادة من ج ، د .

والقاعدة معقودة لهذه الجملة ، ولم يَنْحُ ابن عبد البر فيما يظهر سواها ، وإلا
لصرّح بأن كلام العلماء بعضهم في بعض مردود ، أو لكان كلامه غير مفيد فائدة
زائدة على ما ذكره الناس ، ولكن عبارته كما ترى قاصرة عن المراد .

فإن قلت : فما العبارة الوافية بما ترون^(١) ؟

قلت : ما عرّفناك أولاً من أن الجارح لا يُقبل منه الجرح ؛ وإن فسّره^(٢) في حق
من غلبت طاعاته على معاصيه ومادحوه على ذاميه ، ومزكّوه على جارحيه ، إذا
كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الواقعة في الذى جرحه ؛ من
تعصّب مذهبي ، أو منافسة دنيوية ، كما يكون من النظراء ، أو غير ذلك ، فنقول
مثلاً : لا يُلتفت إلى كلام ابن أبي ذيب في مالك ، وابن معين في الشافعيّ ، والنسائيّ
في أحمد بن صالح ، لأن هؤلاء أئمة مشهورون ، صار الجارح لهم كالاتى بخبر
غريب ، لو صح لتوفّرت الدواعي على نقله ، وكان القاطع قائماً على كذبه .

ومما ينبغي أن يُتفقّد عند الجرح حالُ العقائد واختلافها ، بالنسبة إلى الجارح
والمجروح ، فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرّحه لذلك ، وإليه أشار
الرافعيّ بقوله : وينبغي أن يكون المزكّون بُرّاء من الشّحناء والعصبيّة في المذهب ،
خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تركية فاسق ، وقد وقع هذا لكثير من
الأئمة ، جرّحوا بناءً على معتقدهم وهم المخطئون ، والمجروح مصيب . وقد أشار
شيخ الإسلام سيد المتأخرين تقي الدين ابن دقيق العيد في كتابه « الاقتراح » إلى
هذا ، وقال : أعراض المسلمين حُفرة من حُفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من
الناس ، المحدثون والحكّام^(٣) .

قلت : ومن أمثلة ما قدمنا قول بعضهم في البخاريّ : تركه أبو زُرعة وأبو حاتم ، من
أجل مسألة اللفظ . فيالله والمسلمين ! أيجوز لأحد أن يقول البخاريّ متروك ! وهو حامل

(١) في المطبوعة : الواقية مما ترون . وأثبتنا ما في ج ، د .

(٢) في ج : قسره . والمثبت من : المطبوعة ، د .

(٣) الاقتراح ٣٤٤ .

لواء الصناعة ، ومقدّم أهل السنة والجماعة ! ثم يا الله والمسلمين ، أتجعل ممدحه مدام ! فإن الحق في مسألة اللفظ معه ، إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أن تُلْفِظَه من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى ، وإنما أنكرها الإمام أحمد رضى الله عنه لبشاعة لفظها .

ومن ذلك قول بعض المجسّمة^(١) في أبي حاتم ابن حبان : لم يكن له كبير دين ، نحن أخرجناه من سيجستان ، لأنه أنكر الحدّ لله . فياليت شعري من أحق بالإخراج ؟ من يجعل ربه محدودا أو من ينزّهه عن الجسمية ؟ !

وأمثله هذا تكثر ، وهذا شيخنا الذهبي رحمه الله من هذا القبيل ، له علم وديانة ، وعنده على أهل السنة تحمّل مفرط ، فلا يجوز أن يعتمد عليه .

ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلى العلائى رحمه الله ما نصه : الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله الناس ، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ، ومنافرة التأويل ، والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه ، وميلا قويا إلى أهل الإثبات ، فإذا ترجم واحدا منهم يُطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ، ويبالغ في وصفه ، ويتغافل عن غلطاته ، ويتأول له ما أمكن ، وإذا ذكر أحدا من الطّرف الآخر كما مام الحرمين ، والغزالي ونحوهما ، لا يبالغ في وصفه ، ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذلك ويبيده ، ويعتقده دينا ، وهو لا يشعر ، ويُعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ؛ وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها . وكذلك فعله في أهل عصرنا ، إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته : والله يصلحه ، ونحو ذلك . وسببه المخالفة في العقائد . انتهى .

والحال في حق شيخنا الذهبي أزيد مما وصف ، وهو شيخنا ومعلّمنا ، غير أن الحق أحقُّ أن يُتَّبَعَ . وقد وصل من التعصّب المفرط إلى حدّ يُسخر منه . وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين ، وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية ، فإن غالبهم أشاعرة ، وهو إذا وقع بأشعري لا يئقى ولا يذر . والذي أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند

(١) هو يحيى بن عمار . وسيأتى في الجزء الثالث ١٣٢ .

مَنْ لعل أدناهم عنده أوجه منه . فالله المسئول أن يخفف عنه ، وأن يلهمهم العفو عنه ، وأن يشفعهم فيه .

والذى أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه ، وعدم اعتبار قوله ، ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يُعاب عليه .

وأما قول العلائي رحمه الله : « دينه وورعه وتحريه فيما يقوله » ، فقد كنت أعتقد ذلك ، وأقول عند هذه الأشياء [إنه ^(١)] ربما اعتقدها ديناً ، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب ، وأقطع بأنه لا يختلقها ، وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لتنتشر ، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها ، بغضا للمتحدث فيه ، وتنفيرا للناس عنه ، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ، ومع اعتقاده أن هذا مما يوجب نصر العقيدة التي يعتقدها هو حقاً ، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة ، غير أني لما أكثر بعد موته النظر في كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه ، توقفت في تحريه فيما يقوله ، ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه ، فليُنظر كلامه من شاء ، ثم يبصر هل الرجل متحرر عند غضبه أو غير متحرر ، وأعني بغضبه : وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين ، من الحنفية ، والمالكية ^(٢) والشافعية ، فإني أعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة أحدهم غضب غضباً مفرطاً ، ثم قرطم ^(٣) الكلام ومزقه ، وفعل من التعصب ما لا يخفى على ذي بصيرة ، ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي ، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها ، ودائماً أتعجب من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب « الميزان » في الضعفاء ، وكذلك السيف الأميدي ، وأقول : يا الله العجب ! هذان لا رواية لهما ، ولا جرحهما أحد ، ولا سُمع من أحد أنه ضعفهما فيما ينقلانه من علومهما ، فأتى مدخل لهما في هذا الكتاب ؟

ثم إننا لم نسمع أحداً يسمى الإمام فخر الدين بالفخر ، بل إماماً الإمام ، وإماماً الخطيب ، وإذا تُرجم كان في المحمدين ، فجعله في حرف الفاء ، وسماه الفخر ، ثم حلف في آخر الكتاب

(١) زيادة من ج ، د .

(٢) من هنا سقط في ج .

(٣) قرطم الكلام : قطعه .

أنه لم يتعمد فيه هوى نفسه ، فأى هوى نفس أعظم من هذا ؟ فإما أن يكون ورى في يمينه ، أو استثنى غير الرواة ، فيقال له : فلم ذكرت غيرهم ؟ وإما أن يكون اعتقد أن هذا ليس هوى نفس ، وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله فهو مطبوع على قلبه .

ولنعد إلى ما كنا بصده فنقول :

● فإن قلت : قولكم لا بد من تفقد حال العقائد هل تعنون به أنه لا يُقبل قول مخالف عقيدة فيمن خالفه مطلقا ؛ سواء السنّي على المبتدع وعكسه ، أو غير ذلك ؟ قلت : هذا مكان مُعضل ، يجب على طالب التحقيق التوقف عنده لفهم ما يُلقى عليه ، وأن لا يبادر لإنكار شيء قبل التأمل فيه .

واعلم أنا عينا ما هو أعمّ من ذلك ، ولسنا نقول : لا تُقبل شهادة السنّي على المبتدع مطلقا ، معاذ الله ؛ ولكن نقول : مَنْ شهد على آخر ، وهو مخالف له في العقيدة أوجب مخالفته له في العقيدة ريةً عند الحاكم المنتصر ، لا يجدها إذا كانت الشهادة صادرة من غير مخالف في العقيدة ، ولا ينكر ذلك إلا فذمّ أخرق .

ثم المشهود به يختلف باختلاف الأحوال والأغراض ، وربما وضع غرض الشاهد على المشهود عليه إيضاحا لا يخفى على أحد ، وذلك لقربه من نصر معتقده ، أو ما أشبه ذلك ، وربما دقّ وغمض ، بحيث لا يدركه إلا الفطن من الحكام ، ورُبَّ شاهدٍ من أهل السنة ساذج ، قد مقت المبتدع مقتا زائدا على ما يطلبه الله منه ، وأساء الظنّ به إساءةً أوجب له تصديق ما يبلغه عنه ، فبلغه عنه شيء ، فغلب على ظنه صدقه ؛ لما قدمناه فشهد به ، فسيبيل الحاكم التوقف في مثل هذا إلى أن يتبين له الحال فيه ، وسيبيل الشاهد الورع - ولو كان من أصلب أهل السنّة - أن يعرض على نفسه ما نُقل له عن هذا المبتدع وقد صدّقه وعزم على أن شهد عليه به ، أن يعرض على نفسه مثل هذا الخبر بعينه ، وهذا المخبر بعينه لو كان عن شخص من أهل عقيدته هل كان يصدّقه ؟ وبتقدير أنه كان يصدّقه فهل كان يبادر إلى الشهادة عليه به ؟ وبتقدير أنه كان يبادر فليوازن ما بين المبادرتين ، فإن وجدهما سواء فدونه ، وإلا فليعلم أنّ حظ النفس داخله ، وأزيد من ذلك أن الشيطان استولى عليه ،

فخيّل له أن هذه قرّبة وقيام في نصر الحق ، وليعلم من هذه سبيله أنه أتى من جهل وقلة دين .

وهذا قولنا في سنّي يجرّح مبتدعا ، فما الظنّ بمبتدع يجرّح سنّيّا ! كما قدمناه . وفي المبتدعة لا سيّما المجسّمة زيادة لا توجد في غيرهم ، وهو أنهم يرون الكذب لنصرة مذهبهم ، والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب ، تأييدا لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقربهم إلى الله بالكذب عليه ، بمقدار زيادته في النيل منهم ، فهو لاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم .

فإن قلت : أليس أن الصحيح في المذهب قبول شهادة المبتدع إذا لم نكفّره ؟ قلت : قبول شهادته لا يوجب دفع الرّية عند شهادته على مخالفه في العقيدة ، والرّية توجب الفحص والتكشّف والتثبت ، وهذه أمور تُظهر الحق إن شاء الله تعالى إذا اعتمدت على ما ينبغي .

وفي تعليقه القاضي الحسين : لا يجوز أن يُغض الرجل لأنه من مذهب كذا ، فإن ذلك يوجب ردّ الشهادة ، انتهى .

ومراده لأنه من مذهب من المذاهب المقبولة ، أما إذا أبغضه لكونه مبتدعا فلا تردّ شهادته .

واعلم أن ما ذكرناه من قبول شهادة المبتدع هو ما صححه النووي ، وهو مصادم لنص الشافعيّ على عدم قبول الخطّائية ، وهي طريقة الأصحاب ، وأصحاب هذه الطريقة يقولون : لو شهد خطّائي ، وذكر في شهادته ما يقطع احتمال الاعتماد على قول المدّعي ، بأن قال سمعت فلانا يقرّ بكذا لفلان ، أو رأيته أقرّضه قبلت شهادته . وهذا منهم بناء على أن الخطّائي يرى جواز الشهادة لصاحبه إذا سمعه يقول : لي على فلان كذا فصّدقه ، وإليه أشار الشافعيّ .

وقد تزايد الحال بالخطّائية ، وهم المجسّمة في زماننا هذا ؛ فصاروا يرون الكذب على مخالفهم في العقيدة ، لا سيّما القائم عليهم بكل ما يسوءه في نفسه وماله . وبلغني أن كبيرهم استفتى في شافعيّ ؛ أيشهد عليه بالكذب ؟ فقال : ألسّ تعتقد أن دمه حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه ! فاشهد وادفع فسادة عن المسلمين .

فهذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون ، وأنهم أهل السنة ولو عُدّوا عددا لما بلغ علماءهم - ولا عالم فيهم على الحقيقة - مبلغا يعتبر . ويكفّرون غالب علماء الأمة ، ثم يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وهو منهم برىء ! ولكنه كما قال بعض العارفين ، ورأيتُه بخط الشيخ تقى الدين ابن الصلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما وهما بريّان منهم ؛ أحمد ابن حنبل ابتلى بالمجسّمة ، وجعفر الصادق ابتلى بالرافضة .

ثم هذا الذى ذكرناه هو على طريقة النووى رحمه الله . والذى أراه أن لا تُقبل شهادتهم على سنّى^(١) .

فإن قلت : هل هذا رأى الشيخ أبى حامد ومَن تابعه ، أن أهل الأهواء كلّهم لا تُقبل لهم شهادة ؟

قلت : لا ، بل هذا قول بأن شهادتهم على مخالفهم فى العقيدة غير مقبولة ، ولو كان مخالفهم فى العقيدة مبتدعا ، وهذا لا أعتقد أن النووى ولا غيره يخالف فيه . والذى قاله النووى قبول شهادة المبتدع إذا لم نكفره على الجملة ، أما أن شهادته تُقبل بالنسبة إلى مخالفه فى العقيدة مع ما هناك من الرّيبة ، فلم يقل النووى ولا غيره ذلك . فإن قلت : غاية المخالفة فى العقيدة أن توجب عداوة ، وهى دينية ، فلا توجب رد الشهادة .

قلت : إنما لا توجب ردّ الشهادة من الحق على المبطل ، كما قال الأصحاب : تُقبل شهادة السنّى على المبتدع ، وكذا من أبغض الفاسق لفسقه ، ثم سأعرفك ما فيه ، وأما عكسه وهو المبتدع على السنّى فلم يقله أحد من أصحابنا .

ثم أقول فى ما ذكره الأصحاب من قبول شهادة السنّى على المبتدع : إنما ذلك فى سنّى لم يصل فى حق المبتدع وبغضه له إلى أن يصير عنده حظّ نفس قد يحمله على التعصّب عليه ، وكذا الشاهد على الفاسق . فمن وصل من السنّى والشاهد على الفاسق إلى هذا الحد

(١) فى د : على شيء .

لم أقبل شهادته عليه ؛ لأن عندهما زيادةً على ما طلبه الشارع منهما أوجبت عندي الرّيبة في أمرهما ، فكّم من شاهد رأيته يُبغض إنساناً ويشهد عليه بالفسق تدبّرنا ، وجاءني وأدّى الشهادة عندي باكيًا وقت تأديته الشهادة على الدّين ، فرّقًا خائفًا أن يُخسف بالمسلمين ؛ لوجود المشهود عليه بين أظهرنا . وأنا والذي نفسى بيده أعتقد وأتيقّن أن المشهود عليه خيرٌ منه . ولا أقول إنه كذب عليه عامدًا ، بل إنه بنى على الظن ، وصدّق أقوالاً ضعيفةً أبغض المشهودَ عليه بسببها ، فمَنذ أبغضه لحقه هوى النفس ، واستولى عليه الشيطان ، وصار الحامل له في نفس الأمر حظّ نفسه وفيما يخطر له الدين .

هذا ما شاهدته وأبصرته ولى في القضاء سنين عديدة ، فليتق الله امرؤ وقف على حفرة من حُفَر النار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، قد جعلنى الله قاضياً ومحدّثاً ، وقد قال ابن دَقِيق العِيد : أعراض الناس حفرة من حُفَر النار ، وقف عليها المحدّثون والحكام .

● ومما يؤيد ما قلته أن أصحابنا قالوا : مَنْ استباح دم غيره من المسلمين ولم يقدر على قتله فشَهِد عليه بقتل^(١) لم يُقتل . ذكره الرّوياني في « البحر » في باب « مَنْ تجوز شهادته » نقلًا عن بعض أصحابنا ساكتًا عليه ، ولا يُعرف في المذهب خلافه . فإن قلت : قد قال عقبيه : ومن شتم متأولاً ثم شهد عليه ، قُبِل ، أو غير متأول ، فلا .

قلت : يعنى بالقبول بعد الشتم متأولاً الشهادة بأمر معين ، ونحن نعلم أنه لا يحملها عليها بغضٌ ، فليس كمن وصفناه .

ومما ينبغى أن يُتفقّد عند الجرح أيضاً حال الجراح في الخبرة بمدلولات الألفاظ ، فكثيراً ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها . والخبرة بمدلولات الألفاظ ، ولا سيّما الألفاظ العُرفية التى تختلف باختلاف عرف الناس ، وتكون في بعض الأزمنة مدحاً ، وفي بعضها ذمّاً ، أمر شديد لا يدركه إلا قعيّد بالعلم . ومما ينبغى أن يُتفقّد أيضاً حاله في العلم بالأحكام الشرعية ، فربّ جاهل ظنّ الحلال حراماً فجرح به . ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتوضح الحال .

(١) في المطبوعة : فقتل . والمثبت من د .

وقال الشافعي رضي الله عنه : حضرت بمصر رجلا مزكيا يجرح رجلا ، فسئل عن سببه وألح عليه فقال : رأيته يبول قائما . قيل : وما في ذلك ؟ قال : يردّ الريح من رشاشه على يده وثيابه فيصلّي فيه . قيل : هل رأيته قد أصابه الرشاش وصلّي قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ، ولكن أراه سيفعل .

قال صاحب « البحر » : وحكى أن رجلا جرح رجلا وقال : إنه طين سطحه بطين استخرج من حوض السبيل .

ومما ينبغي أيضا تفقده ، وقد نبّه عليه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، الخلاف الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث ، فقد أوجب كلام بعضهم في بعض^(١) ، كما تكلم بعضهم في حق الحارث المحاسبي وغيره ، وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد ، وإن عده ابن دقيق العيد غيره .

والطامة الكبرى إنما هي في العقائد المثيرة للتعصب والهوى ، نعم وفي المنافسات الدنيوية على حطام الدنيا ، وهذا في المتأخرين أكثر منه في المتقدمين ، وأمر العقائد سواء في الفريقين .

وقد وصل حال بعض المجسّمة في زماننا إلى أن كتب شرح « صحيح مسلم » للشيخ محيي الدين النووي ، وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات ، فإن النووي أشعريّ العقيدة ، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنّفه مصنّفه .

وهذا عندي من كبائر الذنوب ؛ فإنه تحريف للشرعة ، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من المصنفات ، فقبح الله فاعله وأخزاه ، وقد كان في غنية عن كتابة هذا الشرح ، وكان الشرح في غنية عنه .

ولنعد إلى الكلام في الجارحين على النحو الذي عرّفناك .

فإن قلت : فهذا يعود بالجرح على الجارح ؛ حيث جرح لا في موضعه .

قلت : أما من تكلم بالهوى ونحوه فلا شك فيه ، وأما من تكلم بمبلغ ظنه ، فهنا

(١) الاقتراح ٣٣٨ .

وقفه محتومة على طالب التحقيقات ، ومَزَلَّة تأخذ بأقدام من لا يبرأ عن حوله وقوّته ،
ويكِل أمره إلى عالم الخفّيات .

فنقول : لا شك أن من تكلم في إمام استقر في الأذهان عظمتُه ، وتناقلت الرواة
مَمادحه ، فقد جر الملام إلى نفسه ، ولكننا لا نقضى أيضاً على من عُرفت عدالته إذا
جرح من لم يُقبل منه جرحه إياه بالفسق ، بل نجوّز أموراً :

أحدها : أن يكون واحما ، ومن ذا الذي لا يَهم ؟

والثاني : أن يكون مُؤوّلاً ، قد جرح بشيء ظنه جارحاً ، ولا يراه المجروح
كذلك ؛ كاختلاف المجتهدين .

والثالث : أن يكون نقلَه إليه من يراه هو صادقاً ، ونراه نحن كاذباً . وهذا
لاختلافنا في الجرح والتعديل ، فربّ مجروح عند عالم مُعدّل عند غيره ، فيقع
الاختلاف في الاحتجاج حسب الاختلاف في تركيته ، فلم يتعين أن يكون الحامل
للجراح على الجرح مجرد التعصّب والهوى حتى يجرحه بالجرح .

ومعنا أصلان نستصحهما إلى أن نتيقن خلافهما : أصل عدالة الإمام المجروح
الذي قد استقرت عظمتُه ، وأصل عدالة الجارح الذي يُثبِت ، فلا يُلغى إلى
جرحه ، ولا نُجرّحه بجرحه . فاحفظ هذا المكان فهو من المهمات .

فإن قلت : فهل ما قررتموه مخصّص لقول الأئمة إن الجرح مقدّم ؛ لأنكم
تستثنون جارحاً لمن هذا شأنه ، قد نذر بين المعدّلين ؟

قلت : لا ، فإن قولهم : الجرح مقدّم ، إنما يعنون به حالة تعارض الجرح والتعديل ، فإذا
تعارضاً ، لأمر من جهة الترجيح قدمنا الجرح ؛ لما فيه من زيادة العلم ، وتعارضهما هو
استواء الظن عندهما ؛ لأن هذا شأن المتعارضين ، أما إذا لم يقع استواء الظن عندهما فلا
تعارض ، بل العمل بأقوى الظنّين من جرح أو تعديل . وما نحن فيه لم يتعارض ؛ لأن غلبة
الظن بالعدالة قائمة ، وهذا كما أن عدد الجارح إذا كان أكثر قدّم الجرح

إجماعاً ، لأنه لا تعارض والحالة هذه . ولا يقول منا أحد بتقديم التعديل ؛ لا من قال بتقديمه عند التعارض ولا غيره .

وعبارتنا في كتابنا « جمع الجوامع » وهو مختصر جمعناه في الأصلين ، جمع فأوعى : والجرح مقدّم إن كان عدد الجراح أكثر من المعدّل إجماعاً ، وكذا إن تساوى ، أو كان الجراح أقل . وقال ابن شعبان^(١) بطلب الترجيح . انتهى .

وفيه زيادة على ما في مختصرات أصول الفقه ، فإننا نبهنا فيه على مكان الإجماع ، ولم ينبهوا عليه ، وحكيّا فيه مقالة ابن شعبان من المالكية ، وهى غريبة لم يشيروا إليها ، وأشرنا بقولنا يُطلب الترجيح إلى أن النزاع إنما هو في حالة التعارض ، لأن طلب الترجيح إنما هو في تلك الحالة .

وهذا شأن كتابنا « جمع الجوامع » - نفع الله به - غالباً ظننا أن في كل مسألة فيه زيادات لا توجد مجموعة في غيره ، مع البلاغة في الاختصار . إذا عرفت هذا علمت أنه ليس كلّ جرح مقدماً .

وقد عقد شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى فصلاً في جماعة لا يُعبأ بالكلام فيهم ، بل هم ثقات على رغم أنف من تفوّه فيهم بما هم عنه بُرّاء ، ونحن نورد في ترجمته محاسن ذلك الفصل^(٢) ، إن شاء الله .

ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين ، لا يراها الناظر أيضاً في غير كتابنا هذا . إحداهما : أن قولهم : لا يُقبل الجرح إلا مفسّراً ، إنما هو أيضاً في جرح من ثبتت عدالته واستقرت ، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له : أثبت ببرهان على هذا . أو فيمن لم يُعرف حاله ولكن ابتدره جارحان ومزكيان ، فيقال إذ ذاك للجرحين : فسّر ما رميتاه به . أما من ثبت أنه مجروح فيُقبل قول من أطلق جرحه ؛ لجريانه على الأصل المقرر عندنا ، ولا نطالبه بالتفسير ، إذ لا حاجة إلى طلبه .

والفائدة الثانية : أننا لا نطلب التفسير من كل أحد ، بل إنما نطلبه حيث يحتمل الحال شكاً إمّا لاختلاف في الاجتهاد ، أو لتهمة يسيرة في الجراح ، أو نحو ذلك مما لا يوجب

(١) هو أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان . فقيه مالكي . توفي سنة ٣٥٥ . الديباج المذهب ٢ / ١٩٤ .

(٢) ٩ / ١١١ .

سقوط قول الجراح ، ولا ينتهى إلى الاعتبار به على الإطلاق ، بل يكون بَيِّنٌ بَيِّنٌ ،
أما إذا انتفت الظنون واندفعت التهم ، وكان الجراح حَبْرًا من أحبار الأمة مبرأ عن
مظانّ التهمة ، أو كان المجروح مشهورا بالضعف ، متروكا بين النقاد ، فلا نتلعم عند
جرحه ، ولا نخوج الجراح إلى تفسير ، بل طلبُ التفسير منه والحالة هذه طلبُ لَغِيبة
لا حاجة إليها .

فنحن نقبل قول ابن مَعِين في إبراهيم بن شعيب المدني ، شيخ روى عنه ابن
وهب : إنه ليس بشيء . وفي إبراهيم بن يزيد المدني : إنه ضعيف ، وفي الحسين بن
الفرج الخياط : إنه كذاب يسرق الحديث . وعلى هذا ، وإن لم يبيِّن الجرح ؛ لأنه
إمام مقدّم في هذه الصناعة ، جرح طائفة غير ثابتة العدالة والثبّت . ولا نقبل قوله
في الشافعيّ ، ولو فسّر وأتى بألف إيضاح ؛ لقيام القاطع على أنه غير محق بالنسبة
إليه .

فاعتبر ما أشرنا إليه في ابن مَعِين وغيره ، واحتفظ بما ذكرناه تنتفع به .
ويقرب من هذه القاعدة التي ذكرناها في الجرح والتعديل :

(قاعدة في المؤرخين)^(١)

نافعة جدا . فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ، ورفعوا أناسا ؛ إما لتعصّب
أو لجهل ، أو لمجرد اعتاد على نقل من لا يوثق به ، أو غير ذلك من الأسباب .
والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل . وكذلك التعصّب قلّ أن
رأيت تاريخا خاليا من ذلك .

وأما تاريخ شيخنا الذهبيّ غفر الله له ، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصّب
المفرط ، لا واخذه الله ، فلقد أكثر الوقعة في أهل الدين ، أعنى الفقراء الذين هم
صفوة الخلق ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ، ومال فأفرط
على الأشاعرة ، ومدح فزاد في المجسّمة . هذا وهو الحافظ المِدْرَه والإمام المبجل ؛
فما ظنك بعوالم المؤرخين !

فالرأى عندنا ألا يُقبل مدح ولا ذم من المؤرخين إلا بما اشترطه إمام الأئمة وحب
الأئمة ، وهو الشيخ الإمام الوالد رحمه الله حيث قال ، ونقلته من خطه في مجاميعه :

(١) حكاهما عنه السخاوى ، في الإعلان بالتوبيخ ١٣١ .

يشترط في المؤرخ الصدق^(١) ، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى ، وألا يكون ذلك الذى نقله أخذه في المذاكرة ، وكتبه بعد ذلك ، وأن يسمّى المنقول عنه . فهذه شروط أربعة فيما ينقله .

ويشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يُطَوَّل في التراجم من المنقول ويقصّر ، أن يكون عارفا بحال صاحب الترجمة ؛ علما ودينا وغيرهما من الصفات ، وهذا عزيز جدا ، وأن يكون حسن العبارة ، عارفا بمبدلولات الألفاظ ، وأن يكون حسن التصور ، حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، وأن لا يغلبه الهوى فيخيّل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره ، بل إما أن يكون مجردا عن الهوى وهو عزيز ، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف .

فهذه أربعة شروط أخرى ، ولك أن تجعلها خمسة ؛ لأن حسن تصويره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف ، فيجعل حضور التصور زائدا على حسن التصور والعلم . فهي تسعة شروط في المؤرخ ، وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم ، فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه ، حتى يعرف مرتبته . انتهى . وذكر أن كتابته لهذه الشروط كانت بعد أن وقف على كلام ابن معين في الشافعيّ ، وقول أحمد بن حنبل : إنه لا يعرف الشافعيّ ، ولا يعرف ما يقول .

قلت : وما أحسن قوله : ولما عساه يُطَوَّل في التراجم من المنقول ويقصّر . فإنه أشار به إلى فائدة جليّة ، يغفل عنها كثيرون ، ويحترز منها الموفقون ، وهي تطويل التراجم وتقصيرها ؛ فربّ محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجده منقولا ، ثم يأتي إلى من يُيغضه فينقل جميع ما ذكر من مدامه ، ويحذف كثيرا مما نقل من ممداحه ، ويحيى إلى من يحبه فيعكس الحال فيه ، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب ؛ لأنه ليس يجب عليه تطويل ترجمة أحد ، ولا استيفاء ما ذكر من ممداحه ، ولا يظن المغترّ أن تقصيره لترجمته بهذه النية ، استزاء به ، وخيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين في تأدية ما قيل

(١) حكاه عنه الصفدى ، في الوافى بالوفيات ٤٦ / ١ .

في حقه ؛ من حمد وذم ، فهو كمن يُذكر بين يديه بعض الناس فيقول : دعونا منه ، وإنه عجيب ، أو الله يصلحه ، فيظن أنه لم يغتبه بشيء من ذلك ، وما يظن أن ذلك من أقبح الغيبة .

ولقد وقفت في تاريخ الذهبي رحمه الله على ترجمة الشيخ الموفق بن قدامة الحنبلي ، والشيخ فخر الدين بن عساكر ، وقد أطال تلك وقصر هذه ، وأتى بما لا يشك ليب أنه لم يحمله على ذلك إلا أن هذا أشعري وذاك حنبلي ، وسيقفون بين يدي رب العالمين .

وكذلك ما أحسن قول الشيخ الإمام : وأن لا يغلبه الهوى . فإن الهوى غلاب ، إلا لمن عصمه الله .

وقوله : فإما أن يتجرد عن الهوى ، أو يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه . عندنا فيه زيادة ، فنقول :

قد لا يتجرد عن الهوى ، ولكن لا يظنه هوى ، بل يظنه لجهله أو بدعته حقا ، وذلك لا يتطلب ما يقهر هواه ؛ لأن المستقر في ذهنه أنه محق ؛ وهذا كما يفعل كثير من المتخالفين في العقائد بعضهم في بعض ، فلا ينبغي أن يُقبل قول مخالف في العقيدة على الإطلاق ، إلا أن يكون ثقة ، وقد روى شيئا مضبوطا عاينه أو حققه .
وقولنا : مضبوطا . احترزنا به عن رواية ما لا ينضبط من الترهات ، التي لا يترتب عليها عند التأمل والتحقيق شيء .

وقولنا : عاينه أو حققه . ليخرج ما يرويه عن غلا أو رخص ؛ ترويجا لعقيدته .

وما أحسن اشتراطه العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ ، فلقد وقع كثيرون لجهلهم بهذا . وفي كتب المتقدمين جرح جماعة بالفلسفة ، ظنا منهم أن علم الكلام فلسفة ، إلى أمثال ذلك مما يطول عدده .

فقد قيل في أحمد بن صالح الذي نحن في ترجمته : إنه يتفلسف . والذي قال هذا لا يعرف الفلسفة .

وكذلك قيل في أبي حاتم الرازي^(١) ، وإنما كان رجلا متكلميا .

(١) يرجح شيخنا عبد الفتاح أبو غدة أن المقول فيه هو « أبو حاتم بن جيان البستي » المترجم في ١٣١/٣ ، فهو الذي ينسب إلى الفلسفة وعلم الكلام . قاعدة في الجرح والتعديل ٨٠ .

وقريب من هذا قول الذهبي في المِزِّي ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة المِزِّي في الطبقة السابعة أنه يعرف مَضايق المعقول ، ولم يكن المِزِّي ولا الذهبي يدريان شيئاً من المعقول .

والذي أفتى به ، أنه لا يجوز الاعتماد على كلام شيخنا الذهبي في ذم أشعري ولا شكر حنبلي . والله المستعان .

توفي أحمد بن صالح سنة ثمان وأربعين ومائتين .

٤

أحمد بن أبي سُرَيْج الصَّبَّاح النَّهْشَلِيّ

وقيل : أحمد بن عمر بن الصباح . أبو جعفر الرازي البغدادي *

سمع شعيب بن حرب ، وأبا معاوية الضرير ، وابن عُليّة ، ووكيعا ، والشافعي ، وجماعة .

روى عنه البخاري ، والنسائي ، وأبو داود ، وأبو بكر بن أبي داود ، وأبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

قال النسائي : ثِقَة .

وقال أبو حاتم : صدوق .

* * *

* له ترجمة في تهذيب التهذيب ٤٤/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٠ ، طبقات القراء ٦٣/١ . وقد ذكر صاحب طبقات القراء أن ابن سريج توفي سنة ٢٣٠ ، بينما ينقل ابن حجر في التهذيب من خط الذهبي أنه مات بعد الأربعين ومائتين .

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي
أبو عبيد الله المصري ، الملقب بـيَحْشَل*

روى عن عمه عبد الله بن وهب ، وعن الشافعي ، وجماعة .
حدّث عنه مسلم في الصحيح ، وأبو حاتم الرازي ، وابن خزيمة ، وابن جرير .
توفي سنة أربع وستين ومائتين .

أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح القرشي الأموي
مولاهم أبو الطاهر المصريّ الفقيه**

روى عن سفيان بن عُيينة ، والشافعي ، وابن وهب ، وغيرهم .
وعنه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وطائفة آخرهم أبو بكر بن أبي
داود .
وكان من جلة العلماء ، شرح « موطأ مالك » ، وتفرّد عن ابن وهب بحديث ،
فقال :

حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة ، قال :
قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ ، وَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ ، وَالْمَرْأَةُ سَيِّدَةُ
بَيْتِهَا » .

هذا حديث صحيح غريب .
توفي أبو الطاهر لأربع عشرة خلت من ذى القعدة ، سنة خمسين ومائتين .

* له ترجمة في : تهذيب التهذيب ١/ ٥٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٤ ، شذرات الذهب ٢/ ١٤٧ ، العبر ٢٨/٢ .

وَبَحْشَل : بفتح الموحدة وسكون المهملة بعدها شين معجمة ، لقب له . انظر التهذيب .
** له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٩ ، تهذيب التهذيب ١/ ٦٤ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١٤ ، شذرات
الذهب ٢/ ١٢٠ ، العبر ١/ ٤٥٥ . وفيه : البصري ، وفي سائر المصادر : المصري .

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان
ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهَل
ابن ثعلبة بن عُكَّابة^(١) بن صعب بن علي بن بكر بن وائل *

هكذا نسبه ولده عبد الله ، واعتمده الحافظ أبو بكر الخطيب وغيره ، وأما قول
عباس الدُّورِيّ ، وأبي بكر بن أبي داود : إن الإمام أحمد كان من بني ذُهَل بن
شيبان . فغلطهما الخطيب ، وقال : إنما كان من بني شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة ، قال :
وذُهَل بن ثعلبة هو عم ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة .

هو الإمام الجليل أبو عبد الله الشَّيبَانِيّ المُرُوزِيّ ، ثم البغدادِيّ ، صاحب
المذهب ، الصَّابِرُ على المحنة ، الناصر للسُّنَّة ، شيخ العصابة ، ومقتدى الطائفة ، ومن
قال فيه الشافعيّ فيما رواه حَرَمَلَة : خرجت من بغداد ، وما خلّفت بها أفقّة ولا
أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد .

وقال المُرَزيّ : أبو بكر يوم الرُّدّة ، وعمر يوم السَّقِيفَة ، وعثمان يوم الدار ،
وعليّ يوم صِفِّين ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زُرْعَة يقول : كان أبوك يحفظ ألف ألف
حديث ، فقلت : وما يدريك ؟ فقال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .

وعن أبي زُرْعَة : حزر كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حِمْلًا وعِدْلًا ، ما
كان على ظهر كتاب منها : حديث فلان ، ولا في بطنه : حدثنا فلان ، وكل ذلك
كان يحفظه على ظهر قلبه .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٤ / ٤١٢ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٧ ، تهذيب التهذيب ١ / ٧٢ . الجمع بين رجال
الصحيحين ٥ ، حلية الأولياء ٩ / ١٦١ ، شذرات الذهب ٢ / ٩٦ ، طبقات الحنابلة ١ / ٤ . طبقات الشيرازي
٧٥ ، طبقات القراء ١ / ١١٢ ، العبر ١ / ٤٣٥ . مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي . النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٤ ،
وفيات الأعيان ١ / ٤٧ .

(١) عكابة كدخانة . القاموس (ع ك ب) .

وقال قُتَيْبَةُ بن سعيد : كان وكيع إذا كانت الْعَتَمَةُ ينصرف معه أحمد بن حنبل ، فيقف على الباب فيذاكره ، فأخذ ليلة بَعْضَادَتِي^(١) الباب ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، أريد أن ألقى عليك حديث سفيان ، قال : هاتِ ، قال : تحفظ عن سفيان ، عن سَلَمَةَ بن كُهَيْل كذا ؟ قال : نعم ، حدثنا يحيى ، فيقول : سَلَمَةُ كذا وكذا ، فيقول : حدثنا عبد الرحمن ، فيقول : وعن سَلَمَةَ كذا وكذا ، فيقول : أنت حدثتنا ، حتى يفرغ من سَلَمَةَ .

ثم يقول أحمد : فتحفظ عن سَلَمَةَ كذا وكذا ؟ فيقول وكيع : لا ، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ .

قال : فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية ، فقالت : قد طلع الكوكب ، أو قالت الرُّهْرَةُ .

وقال عبد الله : قال لى أئى : خذ أئى كتاب شئت من كتب وكيع ، فإن شئت أن تسألنى عن الكلام ، حتى أخبرك بالإسناد ، وإن شئت بالإسناد ، حتى أخبرك عن الكلام .

وقال الحَلَّال : سمعت أبا القاسم بن الجُبَلِيِّ^(٢) - وكفاك به - يقول : أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأنَّ علمَ الدنيا بين عينيه .

وقال إبراهيم الحربى : رأيت أحمد كأنَّ الله جمع له علم الأولين والآخرين .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقَّة من أحمد بن حنبل ، ولا أورع .

وقال عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ : ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثَّوْرِيَّ .

وقال قُتَيْبَةُ : خير أهل زماننا ابن المبارك ، ثم هذا الشاب ، يعنى أحمد بن حنبل .

وقال أيضاً : إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سُنَّة .

وقال أيضاً ، وقد قيل له : تضم أحمد إلى التابعين ؟ فقال : إلى كبار التابعين .

وقال أيضاً : لولا الثَّوْرِيَّ لمات الورع ، ولولا أحمد لأحدثوا فى الدين .

(١) عضاداتا الباب - بكسر العين - : ناحيته . اللسان ٢٩٤/٣ .

(٢) بفتح الجيم وضم الباء المشددة : نسبة إلى « جَبَل » بلدة بين بغداد وواسط . واسمه : إسحاق بن إبراهيم . المشبه ١٣٦ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٣٧٨ .

وقال أيضًا : أحمد إمام الدنيا .

وقال أيضًا ، كما رواه الدارقطني في أسماء من روى عن الشافعي : مات الثوري ومات الورع ، ومات الشافعي ومات السنن ، وموت أحمد ابن حنبل وتظهر البدع .

وقال أبو مسهر ، وقد قيل له : هل تعرف أحدًا يحفظ على هذه الأمة أمر دينها ؟ قال : لا أعلمه ، إلا شاب في ناحية المشرق ، يعني أحمد بن حنبل .

وعن إسحاق : أحمد حجة بين الله وخلقه .

وقال أبو ثور ، وقد سئل عن مسألة : قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا .

فهذا يسير من ثناء الأئمة عليه ، رضى الله عنه .

ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد ، جرى به إليها من مرو حملاً .

● وتفقه على الشافعي وهو الحاكي عنه أنه جَوَزَ بيع الباقيلاء في قِشْرِيهِ^(١) .

● وأن السيد يلاعن أمته . وكان يقول : ألا تعجبون من أبي عبد الله يقول : يلاعن السيد عن أم ولده .

واختلف الأصحاب في هذا ؛ فمنهم من قطع بخلافه ، وحمل قول أحمد على أن مراده بأبي عبد الله إما مالك ، وإما سفيان .

وضَعَفَ الروياني هذا بأنه رَوَى عنه أنه قال : ألا تعجبون من الشافعي .

ومنهم من تأوله بتأويل آخر .

قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : طلبت الحديث سنة تسع وسبعين .

قلت : ومن شيوخه هُشَيْمٌ ، وسفيان بن عُيَيْنَةَ ، وإبراهيم بن سعد ، وجريز بن عبد الحميد ، ويحيى القَطَّان ، والوليد بن مسلم ، وإسماعيل بن عُليَّة ، وعلي بن هاشم بن البريد^(٢) ، ومُعْتَمِر بن سليمان ، وعُغْدَر ، وبشر بن الفضل ، وزيد البَكَّائِي ، ويحيى بن

(١) في د : قشرته . والمثبت من المطبوعة والطبقات الوسطى .

(٢) بفتح الباء الموحدة . المشته ٦٦٨ .

أبى زائدة ، وأبو يوسف القاضي ، ووَكيع ، وابن نُمير ، وعبد الرحمن بن مهدي ،
ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ، والشافعي ، وخلق .

ومن روى عنه : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابناه صالح وعبد الله .
ومن شيوخه : عبد الرزاق ، والحسن بن موسى الأشيب . قيل : والشافعي في
بعض الأماكن التي قال فيها : أخبرنا الثقة .

وقد كنت أنا لما قرأت « مسند الشافعي » على شيخنا أبي عبد الله الحافظ سألتُه في كل
مكان من تلك ، فكان بعضها يتعين أن يكون مراده به يحيى بن حسان ، كما قيل إنه
المقصود به دائما ، وبعضها يتعين أنه يريد به إبراهيم بن أبي يحيى ، وبعضها يتردد .
وذلك معلقٌ عندي في مجموع مما علقتُه عن شيخنا رحمه الله ، وأكثرها لا يمكن أنه
يريد به أحمد بن حنبل ، مثل قوله : أخبرنا الثقة عن أبي إسحاق ، فلا يمكن أن يريد
به أحمد ، بل إما إبراهيم بن سعد ، أو غيره .

ومثل قوله : أخبرنا الثقة عن ابن شهاب ، يحتمل مالكا ، وابن سعد ، وسفيان
ابن عُيينة ، ولا ثالث لهم في أشياخ الشافعي .

ومثل قوله : الثقة عن مَعْمَر ، فهو إما هشام بن يوسف الصُّغاني ، أو عبد
الرزاق .

ومثل قوله : الثقة من أصحابنا عن هشام بن حسان ، قال شيخنا أبو عبد الله
محمد بن أحمد الحافظ : لعله يحيى القَطَّان .

ومثل قوله : الثقة عن زكريا بن إسحاق ، عن يحيى بن عبد الله ، قال لي محمد
ابن أحمد الحافظ : إنه يحيى بن حسان التُّنيسي .

ومثل مواضع أخر تركتها اختصارا .

وروى عنه من أقرانه ، علي بن المَدِيني ، ويحيى بن مَعِين ، ودُحَيْم الشامي ،
وغيرهم .

قال الخطيب : ولد أبو عبد الله ببغداد ، ونشأ بها [وبهامات] ^(١) وطلب العلم ، ثم رحل

(١) زيادة من الطبقات الوسطى ، عن نسخة محفوظة بمعهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مصورة عن مكتبة
رضا رامبور ، نسخت في القرن الثامن بخط نسخ نفيس ، وعدد لوحاتها ٤٤٥ .

إلى الكوفة والبصرة ، ومكة والمدينة ، واليمن ، والشام ، والجزيرة .

قلت : وألف « مسنده » ، وهو أصل من أصول هذه الأمة .

قال الإمام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المَدِينِي رضى الله عنه : هذا الكتاب - يعنى مسند الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيبَانِي ، قدس الله روحه - أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقى من أحاديث كثيرة ، ومسموعات وافرة ، فجعل إماما ومعتمدا ، وعند التنازع ملجأ ومستندا . على ما أخبرنا والدى وغيره رحمهما الله أن المبارك بن عبد الجبار أبا الحسين كتب إليهما من بغداد ، قال :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي ، قراءة عليه ، أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن بطّة ، قراءة عليه ، حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجا ، حدثنا موسى بن حمدون البزار ، قال : قال لنا حنبل بن إسحاق : جمعنا عمى - يعنى الإمام أحمد - لى ولصالح ولعبد الله وقرأ علينا المسند ، وما سمعته منه - يعنى تاما - غيرنا ، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا ، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه ، فإن كان فيه وإلا ليس بحجة^(١) .

وقال عبد الله بن أحمد رضى الله عنهما : كتب أبى عشرة آلاف ألف حديث ، لم يكتب سوادا فى بياض إلا حفظه .

وقال عبد الله أيضا : قلت لأبى : لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماما ، إذا اختلف الناس فى سنة عن رسول الله ﷺ رجع إليه .

وقال أيضا : خرّج أبى المسند من سبعمائة ألف حديث .

قال أبو موسى المدينى : ولم يخرج إلا عمّن ثبت عنده صدقه وديانته ، دون من طعن فى أمانته .

ثم ذكر بإسناده إلى عبد الله ابن الإمام أحمد ، رضى الله عنهما ، قال : سألت أبى

(١) خصائص المسند ، لأبى موسى المدينى ٩ - ١٣ .

عن عبد العزيز بن أبان ، فقال : لم أُخْرِجْ عنه في المسند شيئا ، لما حدث بحديث المواقيت تركته .

قال أبو موسى : فأما عدد أحاديث المسند فلم أزل أسمع من أفواه الناس أنها أربعون ألفا ، إلى أن قرأت على أبي منصور بن زُرَيْق ببغداد ، قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب ، قال : وقال ابن المنادى : لم يكن في الدنيا أحدٌ أَرَوَى عن أبيه منه ، يعني عبد الله ابن الإمام أحمد ابن حنبل ؛ لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفا ، والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفا ، سمع منها ثلاثين ألفا^(١) ، والباقي زيادة ، فلا أدري هذا الذى ذكر ابن المنادى أراد به مالا مكرّر فيه ، أو أراد غيره مع المكرر ، فيصح القولان جميعا ، والاعتماد على قول ابن المنادى دون غيره .

قال : ولو وجدنا فراغا لعددناه إن شاء الله تعالى . فأما عدد الصحابة رضى الله عنهم فيه فنحو من سبعمائة رجل .

قال أبو موسى : ومن الدليل على أن ما أودعه الإمام أحمد رضى الله عنه مسنده قد احتاط فيه إسنادا ومتنا ، ولم يورد فيه إلا ما صح سنده ما أخبرنا به أبو علي الحداد . قال : أخبرنا أبو نُعَيْم ، وأخبرنا ابن الحُصَيْن ، أخبرنا ابن المُذْهِب ، قالا : أخبرنا القَاطِيعِي ، حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن أبي التَّيَّاح ، قال : سمعت أبا زُرْعَةَ يحدّث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَرَلُوهُمْ » .

قال عبد الله : قال لى أبى فى مرضه الذى مات فيه : اضرب على هذا الحديث ، فإنه خلاف الأحاديث^(٢) عن النبي ﷺ ، يعنى قوله ﷺ « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » .

(١) الذى فى خصائص المسند : « ثمانين ألفا والباقي وجادة وذكره » .

(٢) فى د : الحديث .

وهذا مع ثقة رجال إسناده حين شذّ لفظه عن الأحاديث المشاهير أمر بالضرب عليه ، فكان على ما قلناه . آخر ما ذكره أبو موسى المديني رحمه الله مختصرا .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب رحمه الله تعالى : أخبرنا الحسين بن شجاع الصوفي ، قال : أخبرنا عمر بن جعفر بن محمد بن سلم^(١) ، حدثنا أحمد بن عليّ الأبار^(٢) ، قال : سمعت سفيان بن وكيع يقول : أحمد عندنا محنة . من عاب أحمد عندنا فهو فاسق .

وقال الخطيب أيضا : حدثني الحسن بن أبي طالب ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، حدثنا محمد بن عليّ المقرئ ، قال : أنشدنا أبو جعفر محمد بن بدينا الموصلي ، قال : أنشدني ابن أعين في الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وأرضاه :
أضحى ابنُ حنبلٍ محنةً مأمونةً وبحبِّ أحمدٍ يُعرف المتنسكُ
وإذا رأيتَ لأحمدٍ متنقِصًا فاعلم بأنَّ ستوره ستُهتَكُ

روى كلام سفيان بن وكيع وهذين البيتين الإمام الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر رحمه الله في بعض تصانيفه ، فقال :

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن منصور الفقيه ، وأبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، قالا : أخبرنا الخطيب . فذكرهما .

وأما زهد الإمام أحمد رضى الله عنه ، وورعه ، وتقلّله من الدنيا ، فقد سارت بأخباره الرُّكبان .

وقد أفرد جماعة من الأئمة التصنيف في مناقبه ، منهم البيهقي ، وأبو إسماعيل الأنصاري ، وأبو الفرج بن الجوزي .

(١) في المطبوعة : مسلم . والمثبت من د . ومن طبقات القراء ٤٤/١ في ترجمة أخيه . وقال : سلم ، بسكون اللام

(٢) بفتح الألف وتشديد الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها الراء نسبة إلى عمل الإبر التي يخاط بها الثياب . الباب ١٧/١ .

توفى رحمه الله سنة إحدى وأربعين ومائتين ، لا ثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وقد غلط ابن قانع وغيره فقالوا : ربيع الآخر .

قال المَرُودِيّ : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء ، لليلتين خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا يسلمون عليه ويردّ عليهم ، وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل ببابه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار ، ثم أغلق باب الزقاق ، فكان الناس في الشوارع والمساجد ، حتى تعطلّ بعض الباعة ، وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور ، وطرز الحاكّة^(١) ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقعّدوا على الأبواب ، وجاء حاجب ابن طاهر ، فقال : إن الأمير يقرئك السلام ، وهو يشتهي أن يراك ، فقال : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين أعفاني مما أكره . وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر ، والبرّد تختلف كلّ يوم . وجاء بنو هاشم ، فدخلوا عليه وجعلوا ييكون عليه ، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤدّن لهم . ودخل عليه شيخ فقال : اذكر وقوفك بين يدي الله ، فشهِق أبو عبد الله ، وسالت الدموع على خَدَّيه .

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال : ادعوا لى الصبيان ؛ بلسان ثقيل ، فجعلوا ينضمون إليه ، فجعل يشمّهم ويمسح بيده على رؤوسهم ، وعينه تدمع ، وأدخلت الطّست تحته ، فرأيت بوله دما غبيطا^(٢) ، ليس فيه بول ، فقلت للطبيب فقال : هذا رجل قد فتّت الحزن والغمّ جوفه .

واشتدّت علّته يوم الخميس ، ووضّأته فقال : خلّل الأصابع . فلما كانت ليلة الجمعة ثقل وقُبِض صدرَ النهار . فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأنّ الدنيا قد ارتجّت ، وامتأّت السُّكك والشوارع .

قال المَرُودِيّ : أخرجت الجنازة بعد مُنصَرَف الناس من الجمعة .

(١) في المطبوعة : وطور الحالة . وأثبتنا ما في د . والطرز : هو الموضع الذي تُنسَج فيه الثياب .

(٢) أى طريا .

قال موسى بن هارون الحافظ : يقال : إن أحمد لما مات مُسحت الأرض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها ، فحُصر مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر ، سوى ما كان في الأطراف والأماكن المتفرقة .

قلت : وقيل في عدد المصلين عليه كثير ، قيل : كانوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، سوى مَنْ كان في السفن في الماء . كذا رواه خُشْنَام^(١) بن سعيد .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زُرْعَةَ يقول : بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف عليه الناس حيث صَلَّى على أحمد ، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف .

وعن الْوَرْكَانِيِّ^(٢) ، وهو رجل كان يسكن إلى جوار الإمام أحمد ، قال : أسلم يوم مات أحمد من اليهود والنصارى والمجوس عشرون ألفاً ، وفي لفظ : عشرة آلاف .

قال شيخنا الذهبي : وهي حكاية مُنْكَرَةٌ تَفَرَّدَ بها الْوَرْكَانِيُّ وَالرَّأَوِيُّ عنه . قال : والعقل يُحِيلُ أن يقع مثل هذا الحادث في بغداد ، ولا يرويه جماعة تتوفّر دواعيهم على نقل ما هو دونه بكثير ؛ وكيف يَقَعُ مثل هذا الأمر ولا يذكره الْمَرْوَزِيُّ ، ولا صالح ابن أحمد ، ولا عبد الله ، ولا حنبل ، الذين حكوا من أخبار أبي عبد الله جزئيات كثيرة ؟

قال : فوالله لو أسلم يوم موته عشرة أنفس لكان عظيماً ، ينبغي أن يرويه نحو من عشرة أنفس .

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر بقراءتي عليه ، أخبرنا عبد الواسع بن عبد الكافي الْأُبْهَرِيُّ إجازة ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن عليّ الْقُرْطُبِيُّ^(٣) سماعاً ، أخبرنا القاسم بن الحافظ أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عليّ بن عساكر ، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الْخَوَارِزْمِيُّ ، إجازة ، وحدثنا عنه به أبي سماعاً .

(١) بضم الخاء والشين المعجمتين . الباب ٣٧٥/١ .

(٢) بفتح الواو وسكون الراء وفتح الكاف وسكون الألف وبعدها نون ، نسبة إلى محلة بأصبهان ، وقرية من قرى قاشان عند قم . الباب ٢٦٩/٣ .

(٣) في د . القرطبي . وانظر الباب ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ .

ح : قال ابن المظفر : وأخبرنا يوسف بن محمد المصري ، إجازة ، أخبرنا إبراهيم بن بركات الخشوعي ، سماعاً ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم ، إجازة ، أخبرنا عبد الجبار الخوارزي ، حدثنا الإمام أبو سعيد القشيري ، إملأء ، حدثنا الحاكم أبو جعفر محمد بن محمد الصفار ، أخبرنا عبد الله بن يوسف قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازي ، قال : سمعت أبا جعفر محمد الملقى^(١) ، يقول : قال الربيع بن سليمان : إن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى مصر فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به ، وسلمه إلى أبي عبد الله ، واثنتي بالجواب .

قال الربيع : فدخلت بغداد ومعى الكتاب ، فصادفت أحمد ابن حنبل في صلاة الصبح ، فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب ، وقلت : هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فقال لي أحمد : نظرت فيه ؟ فقلت : لا ، فكسر الختم وقرأ ، وتفرغت عيناه ، فقلت له : أيش فيه أبا عبد الله ؟ فقال : يذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله فاقراً عليه السلام ، وقل له : إنك ستمتحن وتُدعى إلى خلق القرآن ، فلا تجههم فيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، قال الربيع : فقلت له : البشارة يا أبا عبد الله ، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده فأعطانيه ، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر ، وسلمته^(٢) إلى الشافعي رضي الله عنه فقال : أيش الذي أعطاك ؟ فقلت : قميصه ، فقال الشافعي : ليس نفجعك به ، ولكن بله وادفع إلى الماء لأتبرك به .

قال العباس بن محمد الدوري . سمعت أبا جعفر الأنباري يقول : لما حُمل أحمد يُراد به المأمون ، اجتزت فعبرت الفرات إليه ، فإذا هو في الحان ، فسلمت عليه فقال : يا أبا جعفر ، تعنيت . فقلت : ليس هذا عناء . قال ، فقلت له : يا هذا أنت اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فو الله إن أجبت إلى خلق القرآن ليجيئ بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنع خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ،

(١) بفتح الميم واللام وفي آخرها طاء مهملة . نسبة إلى مدينة ملطية . كانت من ثغور الروم . الباب ١٧٦/٣ .

(٢) في الأصول : وسلمت .

ولا بدّ من الموت ، فاتق الله ولا تجهم إلى شيء . فجعل أحمد يكي وهو يقول : ما شاء الله ما شاء الله ! قال : ثم قال لى أحمد : يا أبا جعفر أعِدْ على ما قلت ، قال : فأعدت عليه ، قال : فجعل أحمد يقول : ما شاء الله ما شاء الله .

وقال دَعْلَج بن أحمد السَّجِسْتَانِي : حدثنا أبو بكر السُّهْرَوْرْدِي بِمَكَّة قال : رأيت أبا ذَرٍّ بِسُهُرَوْرْد ، وقد قدم مع واليها ، وكان مُقَطَّعاً بِالْبَرْص ، يعنى وكان ممن ضُرب أحمد بين يدي المعتصم . قال : دُعينا في تلك الليلة ونحن خمسون ومائة جَلَاد ، فلما أمرنا بضربه كنا نغدوا على ضربه ونمر ، ثم يجيء الآخر على أثره ، ثم يضرب .

وقال دَعْلَج أيضاً : حدثنا الخضر بن داود : أخبرني أبو بكر النَّحَّامِي^(١) قال : لما كان في تلك الغداة التي ضُرب فيها أحمد بن حنبل زُلْزِلْنَا ونحن بَعْبَادَان .

وقال البخاري : لما ضُرب أحمد كنا بالبصرة ، فسمعت أبا الوليد يقول : لو كان هذا في بنى إسرائيل لكان أحدىثة .

ذكر الداهية الدهياء ، والمصيبة الصماء

وهي محنة علماء الزمان ، ودعاؤهم إلى القول بخلق القرآن ، وقيام الأحمدين :

ابن حنبل الشَّيْبَانِي وابن نصر الخُزَاعِي ، رضى الله عنهما ،

مقام الصَّدِّيقَيْن . وما اتفق في تلك الكائنة من أعاجيب

تتناقلها الرواة على ممر السنين

كان القاضي أحمد بن أبي دُؤاد ممن نشأ في العلم ، وتضلَّع بعلم الكلام ، وصحب فيه هَيَّاج بن العلاء السلمِي ، صاحب واصل بن عطاء أحد رءوس المعتزلة ، وكان ابن أبي دُؤاد رجلاً فصيحاً . قال أبو العِيناء : ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق منه ، وكان كريماً مُمدِّحاً . وفيه يقول بعضهم^(٢) :

(١) بفتح النون والحاء المشددة وبعد الألف ميم ، نسبة إلى النعمة ، وهي السعلة ، وقيل النحنة . انظر الباب ٢١٧/٣ .

(٢) هو أبو تمام . ديوانه ١ / ٣٧٤ .

لقد أُنسِتْ مساوِي كلِّ دهر محاسنُ أحمد بن دُؤادِ
وما طَوَّفْتُ في الآفاقِ إلَّا ومن جَدُواكِ راحلتى وزادى
يُقيمُ الظَّنُّ عندك والأمانى وإن قَلِيتِ ركاكِي في البلادِ
وكان معظمًا عند المأمون أمير المؤمنين ، يقبل شفاعاته ، ويصفى إلى كلامه .
وأخباره في هذا كثيرة .

فدس ابن أبى دُؤاد له القول بخلق القرآن ، وحسنه عنده ، وصيره يعتقدُه حقًا
مبينًا ، إلى أن أجمع رأيه في سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء إليه ، فكتب إلى نائبه
على بغداد ، إسحاق بن إبراهيم الخُزاعى ، ابن عم طاهر بن الحسين ، في امتحان
العلماء ، كتابًا يقول فيه :

وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر ، من حَشَوُ الرعيَّة
وسِفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا رويَّة ، ولا استضاء بنور العلم وبرهانه ، أهل
جهالة بالله وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه ، وقصور أن يَقْدُرُوا الله حقَّ
قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرِّقوا بينه وبين خلقه ، وذلك أنهم ساووا بين الله
وبين خلقه ، وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا على أنه قديم ، لم يخلقه الله ويخترعه ،
وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) فكلَّ ما جعله الله فقد خلقه ، كما
قال : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ
سَبَقَ ﴾ ^(٣) فأخبره أنه قَصَصَ لأُمور أحدثه بعدها . وقال : ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ
فُصِّلَتْ ﴾ ^(٤) والله محكم كتابه ومفصله ، فهو خالقه ومبتدعه ، ثم انتسبوا إلى
السنة ، وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا
بذلك وغرَّوا ^(٥) به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السُّنَّتِ الكاذب ، والتخشُّع لغير
الله إلى موافقتهم ، فنزعوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم .
إلى أن قال : فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شرُّ الأمة ، المنقوصون من التوحيد حظًا ،

(١) سورة الزخرف ٣ .

(٢) سورة الأنعام ١ .

(٣) سورة طه ٩٩ .

(٤) سورة هود ١ .

(٥) في د : وغرروا . والمثبت من المطبوعة .

أوعية الجهالة ، وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه من أهل دين الله . وأحقُّ أن يُتَّهم في صدقه ، وتُطرح شهادته ، ولا يوثق به مَنْ عمى عن رشده وحظه من الإيمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضلَّ سبيلا ، ولَعَمْرُ أمير المؤمنين إنَّ أكذب الناس مَنْ كذب على الله وروحه ، وتخرَّص الباطل ، ولم يعرف الله حقَّ معرفته ، فاجمع مَنْ بحضرتك من القضاة فاقراً عليهم كتابنا ، وامتنحهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وإحداثه ، وأعلمهم أنى غير مستعين في عمل ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه .

فإذا أقرأوا بذلك ووافقوا ، فمُرهم بنَصَّ من بحضرتهم من الشهود ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك .

وكتب المأمون إليه أيضاً في إشخاص سبعة أنفس ، وهم :

محمد بن سعد ، كاتب الواقدي ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، وأبو مسلم ، مستمل يزيدي بن هارون ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن إبراهيم الدؤرقى .

فأشخصوا إليه ، فامتنحهم بخلق القرآن ، فأجابوه ، فردهم^(١) من الرقة إلى بغداد ، وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولاً ، ثم أجابوه تقيّة .

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ، ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة . ففعل ذلك ، فأجابه طائفة ، وامتنع آخرون .

فكان يحيى بن معين وغيره يقولون : أجبنا خوفاً من السيف .

ثم كتب المأمون كتاباً آخر من جنس الأول إلى إسحاق ، وأمره بإحضار من امتنع ، فأحضر جماعة ، منهم أحمد ابن حنبل ، وبشر بن الوليد الكندي ، وأبو حسان الزياتي ،

(١) في د : فردوهم . والمثبت من المطبوعة .

وعلى بن أبى مُقاتل ، والفضل بن غانم ، وعبيد الله بن عمر القواريرى ، وعلى بن الجعد ، وسجادة ، والذّيال بن الهيثم ، وقتيبة بن سعيد ، وكان حينئذ ببغداد ، وسعدوية الواسطى ، وإسحاق بن أبى إسرائيل ، وابن الهَرش^(١) ، وابن عُليّة الأكبر^(٢) ، ومحمد بن نوح العجلى ، ويحيى بن عبد الرحمن العُمري ، وأبو نصر التمار ، وأبو مَعمر^(٣) القطيعى ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، وغيرهم ، وعرض عليهم كتاب المأمون ، فعرضوا وورّوا^(٤) ، ولم يجيبوا ولم ينكروا .

فقال لبشر بن الوليد : ما تقول ؟ قال : قد عرفت أمير المؤمنين غير مرّة . قال : والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب . قال : أقول كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ! أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلّم فيه .

ثم قال لعلى بن أبى مُقاتل : ما تقول ؟ قال : القرآن كلام الله ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا .

وأجاب أبو حسان الزّيادى بنحو من ذلك .

ثم قال لأحمد ابن حنبل : ما تقول ؟ قال : كلام الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد على هذا .

ثم امتحن الباقيين ، وكتب بجواباتهم .

وقال ابن البكاء الأكبر : أقول : القرآن مجعول ومحدّث ؛ لورود النص بذلك . فقال له إسحاق بن إبراهيم : والمجعول مخلوق ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق .

(١) بفتح الهاء وسكون الراء . انظر اللباب ٢٨٧/٣ .

(٢) يلاحظ أن ابن عليّة ، الإمام أبا بشر إسماعيل توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وأن فتنة خلق القرآن بدأت على يد المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين ، كما ذكره ابن السبكي . انظر العبر ٣١٠/١ ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ٣٨٥ . لكنه جاء أيضًا « ابن عليّة الأكبر » هكذا في تاريخ الطبرى ٦٣٧/٨ .

(٣) في المطبوعة ، د : أبو معتمر . والمثبت من المناقب ، ومن ترجمته في العبر ٤٢٣/١ .

(٤) في المطبوعة : فرضوا وولوا ووروا . وأثبتنا ما في د .

ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون ، فورد عليه كتاب المأمون :
بلغنا ما أجب به متصنعة أهل القبلة ، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل ،
فمن لم يُجب أنه مخلوق ، فامنع من الفتوى والرواية .

ويقول في الكتاب : فأما ما قال بشر ، فقد كذب ، ولم يكن جرى بين أمير
المؤمنين وبينه في ذلك عهد ، أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة
الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ؛ فادع به إليك ، فإن تاب فأشهر أمره ، وإن
أصر على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده فاضرب عنقه ،
وابعث إلينا برأسه .

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتنعه ، فإن أجب وإلا فاضرب عنقه .
وأما علي بن أبي مقاتل فقل له : ألسنت القائل لأمر المؤمنين إنك تحلل وتحرم .
وأما الذئال فأعلمه أنه كان في الطعام الذي سرقه من الأنبار ما يشغله .
وأما أحمد بن يزيد أبو العوّام ، وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه
صبي في عقله ، لا في سنّه ، جاهل سيّحسّن^(١) الجواب إذا أدّب ، ثم إن لم يفعل كان
السيف من وراء ذلك .

وأما أحمد بن حنبل فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته ، واستدل على
جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان فيه بمصر ، وما
اكتسب من الأموال في أقل من سنة ، يعنى في ولايته القضاء .

وأما الزيّادي فأعلمه أنه كان متحلا ولاء دعيّ ، فأنكر أبو حسان أن يكون مولى
لزياد بن أبيه . وإنما قيل له الزيّادي لأمر من الأمور .

قال : وأما أبو نصر التّمّار ، فإن أمير المؤمنين شبهه خساسة عقله بخساسة متّجره .

وأما ابن نوح وابن حاتم^(٢) ، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الرباع عن الوقوف على التوحيد ،

(١) في المطبوعة : يستحسن . وأثبتنا ما في د .

(٢) في تاريخ الطبري ٨ / ٦٤٢ ، زيادة : « والمعروف بأبي معمر » .

وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله إلا لإزبائهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا ، وصاروا للنصارى شبا .

وأما ابن شُجاع فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه ما استخرجته^(١) من المال الذي كان استحلّ من مال الأمير على بن هشام .

وأما سَعْدُويّة الواسطيّ فقل له : قَبَحَ الله رجلا بلغ به التصنّع للحديث ، والحرص على الرياسة فيه ، أن يتمنى وقت المحنة .

وأما المعروف بسجّادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من العلماء القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أن في شغله بإعداد التّوى ، وحكّه لإصلاح سجّادته ، وبالودائع التي دفعها إليه على بن يحيى وغيره ، ما أذهله عن التوحيد .

وأما القوّاريريّ ففيما تكتشف من أحواله وقبوله الرّشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه .

وأما يحيى العُمريّ ، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم ، فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النّحلة التي حُكِيت عنه ، وأنه بعد صبي يحتاج إلى أن يُعلّم .

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبى مُسنهر ، بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن ، فجُمِجَم عنها ولجلج فيها ، حتى دعاه أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذميما ، فانصّصه عن إقراره ، فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره .

ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت بعد بشر وابن المهديّ ، فاحملهم موثوقين إلى عسكر أمير المؤمنين ؛ ليسألمهم ، فإن لم يرجعوا حملهم على السيف .

قال: فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد بن حنبل، وسجّادة، ومحمد بن نوح، والقوّاريريّ، فأمر بهم إسحاق فقيّدوا، ثم سألمهم من الغد؛ وهم في القيود، فأجاب سجّادة، ثم عاودهم ثالثا، فأجاب القوّاريريّ، ووجّه بأحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح المضروب إلى طرسوس. ثم بلغ المأمون أنهم أجابوا مكرهين، فغضب وأمر بإحضارهم

(١) في الأصول: « أنه صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه استخرجه ... » وصحنا العبارة من تاريخ الطبري ٨ / ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

إليه ، فلما صاروا إلى الرَّقَّة بلغتهم وفاة المأمون ، وكذا جاء الخبر بموت المأمون إلى أحمد ولطف الله وفرّج .

وأما محمد بن نوح فكان عديلاً لأحمد بن حنبل في المَحْمَل ، فمات فغسله أحمد بالرَّحْبَة ، وصلى عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى .

وأما المأمون فمرض بالروم ، فلما اشتد مرضه طلب ابنه العباس ليقدم عليه ، وهو يظن أنه لا يدركه ، فأتاه وهو مجهود .

وقد نفذت الكتب إلى البلدان فيها : من عبد الله المأمون وأخيه أنى إسحاق الخليفة من بعده ؛ بهذا النص . فقل إن ذلك وقع بأمر المأمون ، وقيل بل كتبوا ذلك وقت غشي أصابه ، فأقام العباس عنده أياما حتى مات .

وكان المأمون قد كتب وصية تطول حكايتها ، ضمَّنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن . ثم توفي في رجب ، ودفن بطرسوس ، واستقل أمير المؤمنين المعتصم بالخلافة . فكان من سعادة المأمون موته قبل أن يحضر أحمد بن حنبل إلى بين يديه ، فلم يكن ضربه على يديه .

وكانت هذه الفتنة عظيمة الموقع . وأول من امتحن فيها من العلماء عَفَّان بن مسلم الحافظ ، ولما دُعي وعرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع ، قيل : قد رسمنا بقطع عطائك ، وكان يُعطى ألف درهم في كل شهر ، فقال ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾^(١) وكانت عنده عائلة كبيرة ، قيل : فدق عليه الباب داق في ذلك اليوم لا يُعرف ، وقال : خذ هذه الألف ، ولك كل شهر عندي ألف يا أبا عثمان ، ثبتك الله كما ثبت الدين ، ثم امتحن الناس بعده .

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : تبيئتُ الإجابة في دعوتين ؛ دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون ، ودعوته أن لا أرى المتوكل ، فلم أر المأمون ، مات بالبَذْدُون^(٢) وهو نهر الروم ، وأحمد محبوس بالرَّقَّة ، حتى بويع المعتصم بالروم ، ورجع فرَّد أحمد إلى بغداد .

(١) سورة الذاريات ٢٢ .

(٢) بفتحين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون ، قرية ببلاد الثغور ، بينها وبين طرسوس يوم .

معجم البلدان ٥٣٠/١ .

وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولده ، فقد له المتوكل في حَوْثَة^(١) حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد .

قال صالح : لما صَدَرَ^(٢) أُنَى ومحمد بن نوح إلى طَرْسُوس رُدّا في أقيادهما ، فلما صارا إلى الرِّقَّة حُملا في سفينة ، فلما وصلا إلى عانات^(٣) توفي محمد ، فأطلق عنه قيده ، وصلى عليه أُنَى .

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، وإني لأرجو أن يكون قد نُحِمَ له بخير . قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقْتَدَى بك ، قد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله ؛ أو نحو هذا . فمات وصليت عليه ودفنته ، أظنه قال : بعانة .

قال صالح : صار أُنَى إلى بغداد مقيدا ، فمكث بالياسرية^(٤) أياما ، ثم حُبس بدار اكْثَرَيْتَ له^(٥) عند دار عُمارة ، ثم نُقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية ، فقال : إني كنت أصلى بأهل السجن وأنا مقيّد ، فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حُوِّلْتُ إلى دار إسحاق بن إبراهيم .

[وأما حنبل بن إسحاق]^(٦) فقال : حُبس أبو عبد الله في دار عُمارة ببغداد ، في إسطنبول لمحمد بن إبراهيم ، أخى إسحاق بن إبراهيم ، وكان في حبس ضيق ، ومرض في رمضان ، فحُبس في ذلك الحبس قليلا ثم حُوِّلَ إلى حبس العامة ، فمكث في السجن نحوًا من ثلاثين شهرا ، فكنا نأتيه ونقرأ عليه كتاب الإرجاء^(٧) وغيره في الحبس ، فرأيتَه يصلي بأهل الحبس

(١) الحَوْثَة : كوة تؤدي الضوء إلى البيت . القاموس (خ و خ) .

(٢) في المطبوعة « صار » والمثبت من د .

(٣) عانات : قرى بالفرات وجزائر . مراصد الاطلاع ٩١٢ .

(٤) في المطبوعة ، د : بالناصرية . وهو خطأ صوابه من المناقب ٣١٧ . قال ياقوت : الياسرية ، منسوبة إلى ياسر ، اسم رجل : قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان . معجم البلدان ١٠٠٢/٤ .

(٥) في المطبوعة ، د : بدار التريب عند . والتصويب من المناقب ٣١٧ .

(٦) ساقط من المطبوعة ، وهو من : د .

(٧) في الأصول « الأرجاء » وكتاب الإرجاء لبشر المريسقي .

وعليه القيد ، وكان يُخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم .
وكان^(١) يوجه إلى كل يوم برجلين ، أحدهما يقال له أحمد بن رباح ، والآخر أبو
شعيب الحجاج ، فلا يزالان يناظراني^(٢) ، حتى إذا أرادا الانصراف دُعي بقيد فزيد
في قيودي ، قال : فصار في رجله أربعة أقياد .

قال أبى : فلما كان في اليوم الثالث دخل على أحد الرجلين ، فناظرني ، فقلت
له : ما تقول في علم الله ؟
قال : علم الله مخلوق .
فقلت له : كفرت .

فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم : إن هذا رسول أمير
المؤمنين .

فقلت له : إن هذا قد كفر .

فلما كان في الليلة الرابعة وجه - يعنى المعتصم - بيغا الذي كان يقال له الكبير إلى
إسحاق فأمره بحمل إلى ، فأدخلت على إسحاق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله
نفسك ، إنه لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب ،
وأن يلقيك^(٣) في موضع لا ترى فيه شمس ولا قمر ، أليس قد قال الله عز وجل :
﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(٤) ، أف يكون مجموعاً إلا مخلوقاً^(٥) ؟

قلت : فقد قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾^(٦) أفخلقهم ؟
قال : فسكت .

فلما^(٧) صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان ، أخرجت [وجيء^(٨)] بدابة ، فحملت
عليها وعلى الأقياد ، ما معى أحد يمسكنى ، فكدت غير مرة أن أحرّ على وجهى ؛

(١) القائل هو الإمام أحمد . انظر المناقب ٣١٩ .

(٢) في المطبوعة ، د : ولا نرى لأن لناظر أبى . والتصويب من المناقب .

(٣) في المطبوعة ، د : يقتلك . والمثبت من المناقب . وفيها : في موضع لا ترى فيه الشمس .

(٤) سورة الزخرف ٣ .

(٥) في المطبوعة : لا مخلوقاً ، والمثبت من : د ، المناقب .

(٦) سورة الفيل ٥ .

(٧) قبل هذا في المناقب : ثم قال : اذهبوا به .

(٨) زيادة من المناقب .

لِيُقَلَّ القيود ، فجئني إلى دار المعتصم ، فأدخلت حجرة ، وأدخلت إلى بيت ، وأقفل الباب عليّ ، وذلك في جوف الليل ، وليس في البيت سراج ، فأردت أن أتمسّح للصلاة ، فمددت يدي ، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع ، فتوضأت وصليت .

فلما كان من الغد أخرجت تَكْتِي من سراويلي ، وشددت بها الأقياد أحملها ، وعظفت سراويلي . فجاء رسول المعتصم فقال : أجب ؛ فأخذ بيدي ، وأدخلني عليه ، والتكّة في يدي أحمل بها الأقياد ، وإذا هو جالس ، وابن أبي دُؤاد حاضر ، وقد جمع خلقا كثيرا من أصحابه ، فقال له ، يعني المعتصم : أذنه أذنه ، فلم يزل يدينيني حتى قربت منه ، ثم قال لي : اجلس . فجلست وقد أثقلتني الأقياد ، فمكثت قليلا ، ثم قلت : أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : تكلم .

فقلت : إلى ما دعا الله ورسوله ؟
فسكت هنيئة^(١) ثم قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله .
فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله .

ثم قلت : إن جدك ابن عباس يقول : لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ سألوه عن الإيمان ، فقال : « أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ » .

قال أبي : قال ، يعني المعتصم : لولا أنني وجدتكَ في يد مَنْ كان قبلي ما عرضت لك ، ثم قال : يا عبد الرحمن بن إسحاق : ألم آمرك برفع المحنة ؟ فقلت : الله أكبر ، إن في هذا لفرجا للمسلمين .

ثم قال لهم : ناظروه ، كلموه ، يا عبد الرحمن كلمه .
فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟

(١) هكذا في الأصول . قال صاحب القاموس : والهنيئة في صحيح البخاري : أي شيء يسير وصوابه ترك الهمة . القاموس (ه ن ء ، ه ن و) .

قلت له : ما تقول في علم الله ؟
فسكت .

فقال لى بعضهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(١) والقرآن
أليس هو شيء ؟

فقلت : قال الله : ﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ ^(٢) فدمرت إلا ما أراد الله .
فقال بعضهم : [قال الله عز وجل] ^(٣) ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾ ^(٤)

أفيكون محدثا إلا مخلوقا ؟

فقلت : قال الله ﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ^(٥) فالذكر هو القرآن ، وتلك
ليس فيها ألف ولا لام .

وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين : أن الله عز وجل خلق الذكر .
فقلت : هذا خطأ . حدثنا غير واحد أن الله كتب الذكر .

واحتجوا بحديث ابن مسعود : « مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ
أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ » .

فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على
القرآن ^(٦) .

فقال بعضهم : حديث حجاب ^(٧) « يَا هَتَّاهُ ، تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّكَ
لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ » .
فقلت : هكذا هو .

قال صالح بن أحمد : فجعل أحمد بن أبي دؤاد ينظر إلى أبي كالمغضب .
قال أبي : وكان يتكلم هذا فأرد عليه ، ويتكلم هذا فأرد عليه ، فإذا انقطع الرجل
منهم اعترض ابن أبي دؤاد ، فيقول : يا أمير المؤمنين ، هو والله ضالٌّ مضلٌّ مبتدع ، فيقول :

(١) سورة الزمر ٦٢ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٣) زيادة من المناقب ٣٢٢ .

(٤) سورة الأنبياء ٢ .

(٥) سورة ص ١ .

(٦) الذي في المناقب ٣٢٢ : إنما يوقع الخلق ... ولم يقع على حرف القرآن .

(٧) في المناقب ٣٢٢ : حدثنا حديث حجاب .

كَلِّمُوهُ ، نَظَرُوهُ ، فَيَكَلِّمُنِي هَذَا فَأَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَيَكَلِّمُنِي هَذَا فَأَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَإِذَا انْقَطَعُوا يَقُولُ لِي الْمُعْتَصِمُ : وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ ! مَا تَقُولُ ؟ فَأَقُولُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى أَقُولَ بِهِ . فَيَقُولُ ابْنُ أُمَيٍّ دُوَادُ : أَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ !

فَقُلْتُ لَهُ : تَأَوَّلْتُ تَأَوِيلًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، وَمَا تَأَوَّلْتُ مَا يُحْبَسُ عَلَيْهِ وَمَا يُقَيَّدُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ دَعَا أَحْمَدَ مَرَّتَيْنِ فِي مَجْلِسَيْنِ يَطُولُ شَرْحُهُمَا ، وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْبِدْعَةِ ، وَأَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِي عَلَيْهِ أَشَدَّ الْإِبَاءِ .

قَالَ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةُ قُلْتُ : خَلِيقٌ أَنْ يَحْدُثَ غَدَا مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ ، فَقُلْتُ لِبَعْضٍ مِنْ كَانَ مَعِيَ الْمُوَكَّلُ لِي : ارْتَدُّ لِي ^(١) خِيَطًا ، فَجَاءَنِي بِخِيَطٍ فَشَدَدْتُ بِهِ الْأَقْيَادَ ، وَرَدَدْتُ التُّكَّةَ إِلَى سِرَاوِلِي مُحَافَةً أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أَمْرِي شَيْءٌ فَأَتَعَرَّى .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَجَّهَ إِلَيَّ ، فَأَدْخَلْتُ فَإِذَا الدَّارُ غَاصَّةٌ ، فَجَعَلْتُ أَدْخُلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّیُوفُ ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السَّيَاطُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَوْمِينَ الْمَاضِيَيْنِ كَثِيرٌ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ : اقْعُدْ ، ثُمَّ قَالَ : نَظَرُوهُ ، كَلِّمُوهُ ، فَجَعَلُوا يَنَظُرُونِي ، وَيَتَكَلَّمُ هَذَا فَأَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ صَوْتِي يعلو أصواتهم ، فَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ عَلَى رَأْسِهِ قَائِمٌ يُؤْمِي إِلَيَّ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا طَالَ الْمَجْلِسُ نَحَانِي ، ثُمَّ خَلَا بِهِمْ ، ثُمَّ نَحَاهُمْ وَرَدَّنِي إِلَى عِنْدِهِ ، وَقَالَ : وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ ! أَجْبِنِي حَتَّى أَطْلُقَ عَنْكَ بِيَدِي ، فَרَدَدْتُ عَلَيْهِ نَحْوًا مِمَّا كُنْتُ أَرُدُّ ، فَقَالَ لِي : عَلَيْكَ ، وَذَكَرَ اللَّعْنَ ، وَقَالَ : خَذُوهُ وَاسْحَبُوهُ وَاخْلَعُوهُ . قَالَ : فَسُحِبْتُ ثُمَّ تُخْلَعْتُ .

قَالَ : وَقَدْ كَانَ صَارَ إِلَيَّ شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَمِّ قَمِيصِي ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ : مَا هَذَا الْمَصْرُورُ فِي كَمِّكَ ؟ قُلْتُ : شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ ، د : أَرِيدُ لِي . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَنَاقِبِ .

قال : وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علىّ ، فقال لهم ، يعنى المعتصم : لا تخرقوه . فنزع القميص عنى ، قال : فظننت أنه إنما دُرِي عن القميص الخرق ، بسبب الشعر الذى كان فيه .

قال : وجلس على كرسيّ ، يعنى المعتصم ، ثم قال : العُقَايِن^(١) والسّيّاط ، فجاء بالعُقَايِن ، فمدّت يداى ، فقال بعض من حضر خلفى : خذ بأى^(٢) الخشبين بيديك ، وشد عليهما ، فلم أفهما ما قال ، فتخلعت يداى .

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجيّ : ذكروا أن المعتصم لَانَ في أمر أحمد ، لما علّق في العُقَايِن ، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره ، حتى أغراه ابن أبى دُوَاد وقال له : إن تركته قيل إنك تركت مذهب المأمون وسخّطت قوله ، فهاجه ذلك على ضربه .

قال صالح : قال أبى : لما جاء بالسّيّاط نظر إليها المعتصم وقال : ائتوني بغيرها ، ثم قال للجلّادين : تقدّموا ، فجعل يتقدّم إلىّ الرجل منهم فيضربنى سوطين ، فيقول له : شدّ ، قطع الله يدك . ثم يتنحّى ، ويتقدّم الآخر فيضربنى سوطين ، وهو يقول فى كل ذلك : شدّ ، قطع الله يدك . فلما ضربت تسعة عشر سوطا قام إلىّ ، يعنى المعتصم ، فقال : يا أحمد ، علام تقتل نفسك ؟ إني والله عليك لشفيق .

قال : فجعل عُجَيف ينخسنى بقائمة سيفه ، ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلّهم .

وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفة على رأسك قائم . وقال بعضهم : يا أمير المؤمنين دمه فى عنقى اقتله ، وجعلوا يقولون : يا أمير المؤمنين أنت صائم ، وأنت فى الشمس قائم ، فقال لى : ويحك يا أحمد ! ما تقول ؟ فأقول : أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أقول به ، فرجع وجلس وقال للجلّاد : تقدّم وأوجع ، قطع الله يدك . ثم قام الثانية ، فجعل يقول : ويحك يا أحمد ! أجنبنى . فجعلوا يقبلون علىّ ويقولون : يا أحمد

(١) العقابان : خشبتان يشيع الرجل بينهما الجلد . اللسان ١ / ٦٢١ .

(٢) فى المطبوعة ، د : فأنى . والصواب من المناقب .

إمامك على رأسك قائم . وجعل عبد الرحمن يقول : من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟ وجعل المعتصم يقول : ويحك ! أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج ، حتى أطلق عنك يدي ، فقلت : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله . فرجع وقال للجلادين : تقدموا ، فجعل الجلاد يتقدم ، ويضربني سوطين ، ويتنحى ، في خلال ذلك يقول : شدّ ، قطع الله يدك .

قال أبى : فذهب عقلى ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني . فقال لى رجل ممن حضر : إنا كبيناك على وجهك وطرحناك على ظهرك ودُسنّاك . قال أبى : فما شعرت بذلك . وأتوني بسويق ، فقالوا لى : اشرب وتقيّاً ، فقلت : لا أفطر .

ثم جىء بى إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، فحضرت صلاة الظهر ، فتقدم ابن سَماعة فصلى ، فلما انفتل من الصلاة قال لى : صليتَ والدم يسيل في ثوبك ، فقلت : قد صلى عمر وجرحه يُثَعَّب دما .

قال صالح : ثم خلّى عنه ، فصار إلى منزله ، وكان مكثه في السجن مذ أخذ وحُمِل إلى أن ضُرب وخلّى عنه ثمانية وعشرين شهراً .

ولقد أخبرنى أحد الرجلين اللذين كانا معه قال : يا ابن أخى ، رحمة الله على أبى عبد الله ، والله ما رأيت أحداً يشبهه ، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يوجّه إلينا بالطعام : يا أبا عبد الله أنت صائم ، وأنت في موضع تَقِيّة^(١) ؛ ولقد عطش فقال لصاحب الشراب : ناولنى . فناوله قدحاً فيه ماء وتلج ، فأخذه ونظر إليه هنيئة ، ثم رده ولم يشرب ، فجعلت أتعجب من صبره على الجوع والعطش ، وهو فيما هو فيه من الهول .

قال صالح : كنت أتمس وأحتال أن أوصّل إليه طعاماً أو رغيفاً في تلك الأيام فلم أقدر .

وأخبرنى رجل حضره أنه تفقده في هذه الأيام الثلاثة وهم يناظرونه ، فما لحن في كلمة . قال : وما ظننت أن أحداً يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه .

(١) في المطبوعة ، د : تعبة . والمثبت من المناقب .

وروى أنه لما ضُرب سوطا قال : بسم الله ، فلما ضُرب الثاني قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . فلما ضُرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق . فلما ضُرب الرابع قال ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾^(١) فضربه تسعة وعشرين سوطا .

وكانت نكة أحمد حاشية ثوب ، فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته ، فرمى بطرفه إلى السماء وحرك شفتيه ، فما كان بأسرع من ثبوت السراويل على حاله ، لم تنزح .

قال الراوى^(٢) : فدخلت على أحمد بعد سبعة أيام ، فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك وقد انحل سراويلك فرفعت طرفك نحو السماء فثبت ، ما الذى قلت ؟ قال قلت : اللهم إني أسألك باسمك الذى ملأت به العرش ، إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترًا .

وفى رواية : لما أقبل الدم من أكتافه انقطع خيط السراويل ونزل ، فرفع طرفه إلى السماء ، فعاد من لحظته ، فسئل أحمد فقال ، قلت : إلهى وسيدى ، وقفتنى هذا الموقف فلا تهتكنى على رءوس الخلائق .

وروى أنه كان كلما ضُرب سوطا أبرأ ذمة المعتصم ، فسئل فقال : كرهت أن آتى يوم القيامة فيقال : هذا غريم ابن عم النبى ﷺ ، أو رجل من أهل بيت النبى ﷺ .

فهذا مختصر من حال الإمام أحمد فى المحنة رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وأما الأستاذ أحمد بن نصر الحُزاعى ، ذو الجَنان واللسان والثبات ، وإن اضطرب المهْنَد والسَّنَان والثُّبَات ، وإن ملأت نار الفتنة كل مكان ، فإنه كان شيخا جليلا ، قَوّالا بالحق ، أَمّارا بالمعروف ، نَهّاء عن المنكر ، وكان من أولاد الأمراء ، وكانت محتته على يد الوثائق .

(١) سورة التوبة ٥١ .

(٢) هو ميمون بن الأصغ ، كما فى المناقب ٣٣٠ .

قال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله ، وأصرّ على ذلك غير متلعم ، فقال بعض الحاضرين : هو حلال الدم ، فقال ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، شيخ محتّل لعل به عاهة أو تغير عقل ، يؤخّر أمره ويؤسّتاب ، فقال الواثق : ما أراه إلا مؤديا لكفره ، قائما بما يعتقد منه ، ثم دعا بالصمصامة ، وقال : إذا قمت إليه فلا يقوم أحد معي ، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربّا لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنّطع فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر أن يُشدّ رأسه بجبل ، وأمرهم أن يمدّوه ، ومشى إليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فنصبت بالجانب الشرق أياما ، وفي الجانب الغربى أياما ، وتتبع رؤوس أصحابه فسُجّنوا .

وقال الحسن بن محمد الخرقى^(١) : سمعت جعفر بن محمد الصائغ يقول : رأيت أحمد بن نصر حيث ضُربت عنقه قال رأسه : لا إله إلا الله .

قال المروزي^(٢) : سمعت أبا عبد الله ، وذكر أحمد بن نصر فقال : رحمه الله ، ما كان أسخاه ، لقد جاد بنفسه .

وقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، في ترجمة أبي العباس أحمد بن سعيد المروزي ، وهو في الطبقة الخامسة ، من تاريخ نيسابور : سمعت أبا العباس السياري يقول : سمعت أبا العباس بن سعد^(٣) يقول : لم يصبر في المحنة إلا أربعة ، كلهم من أهل مرو ؛ أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب ، ونعيم بن حماد ، وقد مات في السجن مقيدا .

فأما أحمد بن نصر فُضُرت عنقه ، وهذه نسخة الرّقعة المعلقة في أذن أحمد بن نصر بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله الإمام

(١) في المطبوعة : الحرقى . وأثبتنا ما في د : وانظر لكتنا النسبتين : اللباب ٢٩٠/١ ، ٣٥٦ .

(٢) في المناقب ٣٩٩ : أبو بكر المروزي .

(٣) في المطبوعة : سعيد . واعتمدنا ما في د : .

هارون ، وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ، ونفى التشبيه ، فأبى إلا المعاندة ، فجعله الله إلى ناره . وكتب محمد بن عبد الملك .
ومات محمد بن نوح في فتنة^(١) المأمون .

والمعتصم ضرب أحمد ابن حنبل .
والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك ، وكذلك نُعيم بن حمّاد .

ولما جلس المتوكل دخل عليه عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِي فقال : يا أمير المؤمنين مارؤى أعجب من أمر الواثق ! قتل أحمد بن نصر ، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دُفن ، قال : فوجد^(٢) المتوكل من ذلك ، وساء ما سمعه في أخيه ، إذ دخل عليه محمد بن عبد الملك الزيات فقال له : يا ابن عبد الملك ، في قلبي من قتل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا .

قال : ودخل عليه هَرَثْمَة فقال : يا هَرَثْمَة في قلبي من قتل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين قطعني الله إِرْبًا إِرْبًا ، إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا .

قال : ودخل عليه أحمد بن أبي دُوَاد ، فقال : يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ضربني الله بالفالج ، إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرًا .

قال المتوكل : فأما الزيات فأنا أحرقتُه بالنار ، وأما هَرَثْمَة فإنه هرب وتبدى ، واجتاز بقبيلة خُزاعة فعرفه رجل من الحى فقال : يا محشر خزاعة ، هذا الذى قتل أحمد بن نصر ، فقطعوه إِرْبًا إِرْبًا .

وأما أحمد بن أبي دُوَاد فقد سجنه الله في جلده .

قلت : وبلغنى ، وما أراه إلا في تاريخ الحاكم أن بعض الأمراء خرج يتصيد ، فألقاه السير على أرض فنزل بها ، فبحث بعض غلمانه في التراب ، فحفر حتى رأى ميتا في قبره طريًا ، وهو في ناحية ورأسه في ناحية ، وفي أذنه رقعة عليها شيء مكتوب ، فأحضر

(١) في المطبوعة : قبة . والمثبت من : د .

(٢) في المطبوعة : فوجل . وأثبتنا ما في د .

من قرأه فإذا هو : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا رأس أحمد بن نصر ... الكلمات السابقة ، فعلموا أنه رأس أحمد الخزاعي ، فذُفن ورُفِعَ سَنَامُ قبره ، وكان هذا في زمن الحاكم أبي عبد الله الحافظ ، وهو على طراوته ، وكيف لا وهو شهيد ؟ رحمه الله ورضى عنه .

وقد طال أمر هذه الفتنة وطار شررها ، واستمرت من هذه السنة التي هي سنة ثمان عشرة ومائتين إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فرفعها المتوكل في مجلسه ، ونهى عن القول بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وتوفّر دعاء الخلق له ، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له ، حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة ؛ أبو بكر الصديق يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز في ردّ المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة .

وسكت الناس عن ذنوب المتوكل ، وقد كانت العامة تنقم عليه شيئين ؛ أحدهما أنه ندب لدمشق أفريدون التركي ، أحد مماليكه ، وسيّره واليا عليها ، وكان ظالما فاتكا ، فقدم في سبعة آلاف فارس ، وأباح له المتوكل القتل في دمشق والنهب ، على ما نقل إلينا ، ثلاث ساعات ، فنزل ببيت لَهَا^(١) ، وأراد أن يُصَبِّحَ البلد ، فلما أصبح نظر إلى البلد وقال : يا يومَ تَصْبُحُكُ منى ، فقدّمت له بغلة ، فضربتة بالزوج فقتلته ، وقبره ببيت لَهَا ، وردّ الجيش الذي معه خائبين ، وبلغ المتوكل فصلحت نيته لأهل دمشق .

والثاني أنه أمر بهدم قبر الحسين رضى الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يُعْمَلَ مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وحُرت وبقي صحراء ، فتألم المسلمون لذلك . وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه دِغْبِلَ وغيره من الشعراء ، وقال قائلهم :

بالله إن كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمرك قبره مهودما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتبّعوه رَمِيمَا

(١) بكسر اللام وسكون الهاء وياء وألف مقصورة : قرية مشهورة بغوطة دمشق . الراصد ٢٣٨ .

قلت : لقد كانت هاتان الواقعتان الفظيعتان في سنة ست وثلاثين ومائتين ، ورفع المحنة قبلها بسنتين ، فهي ذنوب لاحقة لرفع الفتنة ، لا سابقة عليها .

وكان من الأسباب في رفع الفتنة أن الواثق أتى بشيخ مقيّد ، فقال له ابن أبي دؤاد : يا شيخ ما تقول في القرآن ، أمخلوق هو ؟

فقال له الشيخ : لم تنصفني المسألة ! أنا أسألك قبل الجواب : هذا الذي تقوله يا ابن أبي دؤاد من خلق القرآن ، شيء علمه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعليّ رضي الله عنهم ، أو جهلوه ؟
فقال : بل علموه .

فقال : فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت ، أو سكتوا ؟
قال : بل سكتوا .

قال : فهلاً وسِعَك ما وسعهم من السكوت ؟ !

فسكت ابن أبي دؤاد ، وأعجب الواثق كلامه ، وأمر بإطلاق سبيله ، وقام الواثق من مجلسه ، وهو على ما حُكي يقول : هلاً وسِعَك ما وسعهم ! يكرر هذه الكلمة . وكان ذلك من الأسباب في خمود الفتنة ، وإن كان رفعها بالكلية إنما كان على يد المتوكل .

وهذا الذي أوردناه في هذه الحكاية هو ما ثبت من غير زيادة ولا نقصان ، ومنهم من زاد فيها ما لا يثبت ، فاضبط ما أثبتناه ودع ما عدها ، فليس عند ابن أبي دؤاد من الجهل ما يصل به إلى أن يقول : جهلوه . وإنما نسبة هذا إليه تعصّب عليه . والحق وسط ، فابن أبي دؤاد مبتدع ضالّ مبطل لا محالة ، ولا ينتهي أمره إلى أن يدّعي أن شيئاً ظهر له وخفى على رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، كما حُكي عنه في هذه الحكاية ! فهذا معاذ الله أن يقوله أو يظنه أحد يتزَيّ بزَيّ المسلمين ، ولو فاه به ابن أبي دؤاد لفرّق الواثق من ساعته بين رأسه وبدنه .

وشيخنا الذهبي وإن كان في ترجمة ابن أبي دؤاد حكي الحكاية على الوجه الذي لا نرضاه ، فقد أوردتها في ترجمة الواثق من غير ما وجه على الوجه الثابت .

ولنقطع عِنان الكلام فى هذه الفتنة ، ففيما أوردناه فيها مَقْنَع وبلاغ . وقد أعلمناك أنها لبثت شَطْرا من خلافة المأمون ، واستوعبت خلافة المعتصم والواثق ، وارتفعت فى خلافة المتوكل . وقد كان المأمون الذى افتُتحت فى أيامه :

وهو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، ممن عُنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ، ومَهَر فيها ، واجتمع عليه جمع من علمائها ، فجَرَّه ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وذكر المؤرخون أنه كان بارعا فى الفقه والعربية وأيام الناس ، ولكنه كان ذا حزم وعزم وحلم وعلم ، ودهاء وهيبة وذكاء وسماحة ، وفطنة وفصاحة ودين .

قيل : ختم فى رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة ، وصعد فى يوم منبرا ، وحَدَّث فأورد بسنده نحوا من ثلاثين حديثًا ، بحضور القاضى يحيى بن أَكْثَم ، ثم قال له : يا يحيى كيف رأيت مجلسنا ؟ فقال : أَجَلَّ مجلس ، يُفَقِّه الخاصَّة والعامة . فقال : ما رأيتُ له حلاوة ! إنما المجلس لأصحاب الخُلَفاء والمحابر .

وقيل : تقدَّم إليه رجل غريب بيده مِخْبَرَة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، صاحب حديث منقطع به السُّبُل . فقال : ما تحفظ فى باب كذا ؟ فلم يذكر شيئا . قيل : فما زال المأمون يقول : حدثنا هُشَيْم ، وحدثنا يحيى ، وحدثنا حَجَّاج ، حتى ذكر الباب . ثم سأله عن باب آخر ، فلم يذكر فيه شيئا ، فقال المأمون : حدثنا فلان ، وحدثنا فلان ، إلى أن قال لأصحابه : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ، ثم يقول أنا من أصحاب الحديث ! أعطوه ثلاثة دراهم !

قلت : وكان المأمون من الكرم بمكان مَكِين ، بحيث إنه فَرَّق فى ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم ، وحكايات مكارمه تستوعب الأوراق ، وإنما اقتصر فى عطاء هذا السائل فيما نراه ، والله أعلم ، لما رأى منه من التعلُّم ، وليس هو هناك ، ولعلَّه فهم عنه التعاضم بالعلم عليه ، كما هو شأن كثير ممن يدخل إلى الأمراء ويظنهم جهلة ، على العادة الغالبة .

وكان المأمون كثير العفو والصفح .

ومن كلامه : لو عرف الناس حَبِي للعفو لتَقَرَّبوا إلَيَّ بالجرائم ، وأخاف أن لا أُؤْجر فيه ؛ يعنى لكونه طبعًا له .

قال يحيى بن أكرم : كان المأمون يحلم حتى يغيظنا .
وقيل : إن ملاحا مر والمأمون جالس ، فقال : أتظنون أن هذا ينبل في عيني ،
وقد قتل أخاه الأمين ؟ يشير إلى المأمون . فسمعه المأمون ، وظن الحاضرون أنه
سيقضى عليه ، فلم يزد المأمون على أن تبسم ، وقال : ما الحيلة حتى أنبل في عين
هذا السيد الجليل ؟

ولسنا نستوعب ترجمة المأمون ، فإن الأوراق تضيق بها ، وكتابنا غير موضوع
لها ، وإنما غرضنا أنه كان من أهل العلم والخير ، وجره القليل الذي كان يدره من
علوم الأوائل إلى القول بخلق القرآن ، كما جره اليسير الذي كان يدره في الفقه إلى
القول بإباحة متعة النساء ، ثم كان ملكا مطاعا ، فحمل الناس على معتقده . ولقد
نادى بإباحة متعة النساء ، ثم لم يزل به يحيى بن أكرم رحمه الله حتى أبطلها . وروى
له حديث الزهري عن ابني الحنفية ، عن أبيهما محمد ، عن علي رضي الله عنه ، أن
رسول الله ﷺ نهي عن متعة النساء يوم خيبر ، فلما صحح له الحديث رجع إلى
الحق ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها .

وكان قد ابتدأ بالكلام فيها في سنة اثنى عشرة ، ولكن لم يصمم ويحمل الناس إلا
في سنة ثمان عشرة ، ثم عوجل ولم يمهل ، بل توجه غازيا إلى أرض الروم ، فمرض
ومات في سنة ثمان عشرة ومائتين .

واستقل بالخلافة بعده أخوه المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بعهد منه ،
وكان ملكا شجاعا بطلا مهيبا ، وهو الذي فتح عُمُورِيَّة^(١) ، وقد كان المنجمون
قضوا بأنه يُكسر ، فانتصر نصرًا مؤزرًا . وأنشد فيه أبو تمام الطائي قصيدته السائرة
التي أولها^(٢) :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب في حِدهُ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ
والعلمُ في شُهْبِ الأرماجِ لامعةٌ بين الحميسينِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٣)

(١) بفتح أوله وتشديد ثانيه : بلد ببلاد الروم . المراد ٩٦٣ .

(٢) ديوانه ٤٥/١ - ٤٨ .

(٣) قال الخطيب التبريزي : يعنى بشهب الأرماج : أسنتها . ويعنى بالسبعة الشهب : الطوالع التي أرفعها زحل ،
وأدناها القمر ، وبعضها الشمس . والحميسان : الجيشان ، ويقال : إن الجيش سمي خميسا في زمان كانت الملوك
إذا غزت أخذت خمس الغنيمة لأنفسها ، فالخميس إذا في معنى الخموس . ولامعة : نصب على الحال من شهب
الأرماج .

أَيْنَ الرِّوَايَةِ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرِفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفَقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبٍ^(١)

ولقد تضيق الأوراق عن شرح ما كان عليه من الشجاعة والمهابة والمكارم
والأموال ، والجِئِل والدهاء ، وكثرة العساكر والعَدَد والعُدَد .

قال الخطيب : ولكثرة عساكره وضيق بغداد عنه بنى سُرَّ مَنْ رَأَى . وانتقل
بالعساكر إليها ، وسميت العسكر .

وقيل : بلغ عدد غلمانهِ الأتراك فقط سبعة عشر ألفا .

وقيل : إنه كان غَرِيًّا من العلم ، مع أنه رويت عنه كلمات تدل على فصاحته
ومعرفته .

قال أبو الفضل الرِّياشِيُّ : كتب ملك الروم لعنه الله ، إلى المعتصم يهدده ، فأمر
بجوابه ، فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه ، وقال للكاتب : اكتب : بسم الله الرحمن
الرحيم ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما
تسمع ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ﴾^(٢) .

ومن كلامه : اللهم إنك تعلم أني أخافك من قِبَلِي ، ولا أخافك من قِبَلِكَ ،
وأرجوك من قِبَلِكَ ، ولا أرجوك من قِبَلِي .

قلت : والناس يستحسنون هذا الكلام منه ، ومعناه أن الخوف^(٣) من قِبَلِي ؛ لما
اقترفته من الذنوب ، لا من قِبَلِكَ ، فإنك عادل لا تظلم ، فلو لا الذنوب لما كان
للخوف معنى . وأما الرجاء فَمِنْ قِبَلِكَ ، لأنك متفضل ، لا من قِبَلِي ؛ لأنه ليس
عندي من الطاعات والمحاسن ما أرتجيك بها .

والشُّقُّ الثاني عندنا صحيح لا غبار عليه . وأما الأول فإننا نقول : إن الرب تعالى نخاف

(١) في المطبوعة ، د : سبيع . والتصويب من الديوان . قال التبريزي : النبع : شجر صلب ينبت في رءوس
الجلال وتخذ منه القسي ، وإذا وصف الرجل بالجلادة والصبر شبه بالنبع ، أي أنه صلب لا يقدر على كسره .

(٢) سورة الرعد ٤٢ . و « الكافر » بالافراد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو .

(٣) إلى هنا انتهى سقط نسخة ج الذي بدأ في ص ١٤ .

مِنْ قَبْلِهِ كَمَا نَخَافُ مِنْ قَبْلِنَا ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْقَهَّارُ ، يَخَافُهُ الطَّائِعُونَ وَالْعَصَاةُ ، وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

قال المؤرخون : ومع كونه كان لا يدري شيئاً من العلم حمل الناس على القول بخلق القرآن .

قلت : لأن أخاه المأمون أوصى إليه بذلك ، وانضم إلى ذلك القاضي أحمد بن أبي دؤاد وأمثاله من فقهاء السوء ، فإنما يُتلف السلاطين فسقةُ الفقهاء ؛ فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح ، فالصالح غالباً لا يتردد إلى أبواب الملوك ، والطالح غالباً يترامى عليهم ، ثم لا يسعه إلا أن يجرى معهم على أهوائهم ، ويهون عليهم العظام ، ولهُوَ على الناس شر من ألف شيطان ، كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد ، ولولا اجتماع فقهاء السوء على المعتصم لنجّاه الله مما فرط منه ، ولو أن الذين عنده من الفقهاء على حق لأروه الحق أبلج واضحاً ، ولأبعدوه عن^(١) ضرب مثل الإمام أحمد ، ولكن ما الحيلة والزمان بُنى على هذا ! وبهذا تظهر حكمة الله في خلقه .

ولقد كان شيخ الإسلام والمسلمين الوالد رحمه الله يقوم في الحق ، ويفوه بين يدي الأمراء بما لا يقوم به غيره ، فيذعنون لطاعته ، ثم إذا خرج من عندهم دخل إليهم من فقهاء السوء من يعكس ذلك الأمر ، وينسب الشيخ الإمام إلى خلاف ما هو عليه ، فلا يندفع شيء من المفاسد ، بل يزداد الحال . ولقد قال مرة لبعض الأمراء وقد رأى عليه طُرّاً من ذهب عريضاً على قباء حرير : يا أمير أليس في الثياب الصوف ما هو أحسن من هذا الحرير ؟ أليس في السكندرية ما هو أظرف من هذا الطُرّ ؟ أئى لذة لك في لبس الحرير والذهب ؟ وعلى أى شيء يدخل المرء جهنم ؟ وعذله في ذلك ، حتى قال [له ذلك]^(٢) الأمير : اشهد علىّ أنى لا ألبس بعدها حريراً ولا طُرّاً ، وقد تركت ذلك لله على يديك . فلما فارقه جاءه من أعرفه من الفقهاء ، وقال له : أما الطُرّ فقد جَوّز أبو حنيفة ما دون أربعة أصابع ، وأما الحرير

(١) في المطبوعة : ولا يغروه على . واعتمدنا ما في : ج ، د .

(٢) ساقط من المطبوعة ، وهو من : ج ، د .

فقد أباحه فلان ، وأما وأما ، ورخص له ، ثم قال له : لم لا نهى عن المُكُوس ؟ لم لا نهى عن كذا وكذا ؟ وذكر ما لو نهى الشيخ الإمام أو غيره عنه لما أفاد ، وقال له : إنما قصد بهذا إهانتك ، وأن يبين للناس أنك تعمل حراما ! فلم يخرج من عنده حتى عاد إلى حاله الأول ، وحقق على الشيخ الإمام ، وظنه قصد تنقيصه عند الخلق ، ولم يكن قصد هذا الفقيه إلا إيقاع الفتنة بين الشيخ الإمام والأمير ، ولا عليه أن يُفتى بمحرّم في قضاء غرضه .

وهذا المسكين لم يكن يخفى عليه أن ترك^(١) النهى عما لا يفيد النهى عنه من المفاسد لا يوجب الإمساك عن غيره ، ولكن حمله هواه على الوقوع في هذه العظائم ، والأمير مسكين ليس له من العلم والعقل ما يميز به .

والحكايات في هذا الباب كثيرة ، ومسك اللسان^(٢) أولى ، والله المستعان .

ومات المعتصم في سنة سبع وعشرين ومائتين ، وولى الواثق بالله أبو جعفر هارون ابن المعتصم بن الرّشيد ، وكان مليح الشّعْر ، يروى أنه كان يحب خادما أهدى له من مصر فأغضبه الواثق يوما ، ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم : والله إنه ليروم أن أكلمه من أمس ، فما أفعل ؟ فقال الواثق :

يا ذا الذى بعداى ظلّ مفتخرًا ما أنت إلا مَلِيكٌ جارٍ إذ قَدَرا
لولا الهوى لتجارينا على قَدَرٍ وإن أُفِقَ منه يوما مآفسوف ترى

وقد ظرّف عبادة الملّقب بعبادة المَخْنَث ، حيث دخل إليه وقال : يا أمير المؤمنين ، أعظم الله أجرك في القرآن . قال : ويلك ! القرآن يموت ؟ قال : يا أمير المؤمنين كلّ مخلوق يموت ، بالله يا أمير المؤمنين مَنْ يُصَلِّي بالناس التراويح إذا مات القرآن ؟ فضحك الخليفة وقال : قاتلك الله ! أمسك .

قال الخطيب : وكان ابن أبى دُواد قد استولى عليه ، وحمله على التشديد في المحنة .

(١) في الأصول : أن يترك .

(٢) في المطبوعة : والإمساك . والمثبت من : ج ، د .

قلت : وكيف لا يشدّد المسكين فيها ؟ وقد أقرّوا في ذهنه أنها حق ، يقرّبه إلى الله ، حتى إنه لما كان الفداء في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، واستفكّ الواثق من طاغية الروم أربعة آلاف وستائة نفس ، قال ابن أبي دؤاد ، على ما حُكي عنه ، ولكن لم يثبت عندنا : من قال من الأسارى القرآن مخلوق ؛ خلّصوه وأعطوه دينارين ، ومن امتنع دعوه في الأسر . وهذه الحكاية إن صحّت عنه ، دلّت على جهل عظيم ، وإفراط في الكُفر .

وهذا من الطّراز الأول ، فإذا رأى الخليفة قاضيا يقول هذا الكلام ، أليس يوقعه ذلك في أشدّ مما وقع منه ؟ فنعوذ بالله من علماء السوء ، ونسأله التوفيق والإعانة ، ونعود إلى الكلام في ترجمة الإمام أحمد .

(مناظرة بين الشافعيّ وأحمد ابن حنبل رضى الله عنهما)

● حُكي أن أحمد ناظر الشافعيّ في تارك الصلاة ، فقال له الشافعيّ : يا أحمد أتقول إنه يكفر ؟

قال : نعم .

قال : إذا كان كافرا فبم يُسلم ؟

قال : يقول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .

قال الشافعيّ : فالرجل مستديم لهذا القول ، لم يتركه .

قال : يُسلم بأن يصلّي .

قال : صلاة الكافر لا تصح ، ولا يحكم بالإسلام بها . فانقطع أحمد وسكت .

حكى هذه المناظرة أبو عليّ الحسن بن عمّار من أصحابنا ، وهو رجل موصليّ ، من تلامذة فخر الإسلام الشاشيّ .

● رأيت في تاريخ نيسابور للحاكم في ترجمة الحافظ محمد بن رافع :

أخبرنا أبو الفضل ، حدثنا أحمد بن سلّمة ، قال : سمعت محمد بن رافع يقول : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : إذا قال المؤدّن في أذانه : صلّوا في الرّحال ، فلك أن تتخلف ، وإن لم يقل فقد وجب عليك إذا قال : حتّى على الصلاة ، حتّى على الفلاح .

وأُسند الرفاعي في « أماليه » أن أبا الوليد الجَرَّار^(١) قال : أنشدت بين يدي الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله ورضي عنه :

وَأُخَوَّرَ مُحَمَّدٍ عَلَى حَسَنِ وَجْهِهِ يَزِيدُ كَمَا لَا حِينَ يَبْدُو عَلَى الْبَدْرِ
دَعَانِي بِعَيْنِيهِ فَلَمَّا أَجَبْتُهُ رَمَانِي بِنُشَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْهَجْرِ
وَكَلَّفَنِي صَبْرًا عَلَيْهِ فَلَمْ أُطِقْ كَمَا لَمْ يُطِقْ مُوسَى اصْطِبَارًا عَلَى الْخِضْرِ
شَكُوْتُ الْهُوَى يَوْمًا إِلَيْهِ فَقَالَ لِي مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّابُ جَاءَ مِنَ الْقَبْرِ
أَطَعْتُ الْهُوَى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْهُوَى فَأَنْزَلَنِي دَارَ الْمَذَلَّةِ وَالصُّغْرِ

فقال أحمد بن حنبل : صدق الشاعر ، لا بارك الله في الهوى .

وروى الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور ، في ترجمة محمد بن نصر الفراء - وهو في الطبقة الخامسة - أنه سمع أحمد بن حنبل يقول : حدثنا الشافعي ، عن مالك بن أنس ، عن ابن عجلان ، قال : إذا أغفل العالم « لا أدري » أصيبت مقاتله ، وإن أحمد بن حنبل قال : لم يسمع مالك من ابن عجلان إلا هذا . قلت : هذه فائدة .

أخبرنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن الميزي ، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي اليسر ، قراءة عليهما وأنا أسمع ، قال الأول : أخبرنا علي بن أحمد بن البخاري ، وأحمد بن شيبان بن ثعلب ، والمسلم بن علان ، وزينب بنت مكي ابن كامل الحراني ، وقال الثاني : أخبرني جدِّي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر سماعا ، قالوا : أخبرنا حنبل بن عبد الله ، أخبرنا هبة الله بن محمد ، أخبرنا أبو علي ابن المذهب : أخبرنا أبو بكر بن حمدان ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي رضي الله عنه ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، أخبرنا مالك رضي الله عنه ، عن نافع رضي الله عنه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَبِيعُ

(١) في المطبوعة : الجزار . وفي د : الخراز . واخترنا ما في ج .

بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ» ونهى عن النَّجَشِ^(١) ، ونهى عن بيع حَبْلِ الْحَبْلَةِ^(٢) ، ونهى عن الْمَزَابَنَةِ . والمزابنة : بيع التَّمَرِ بالتَّمَرِ كَيْلًا ، وبيع الكَرْمِ بالزَّيْبِ كَيْلًا .

هذا الحديث مستحسن الإسناد ؛ لرواية الأكابر فيه بعضهم عن بعض . وسيأتى إن شاء الله تعالى مثله في ترجمة الْمُزْنِيِّ ؛ وأنا أسمى هذا الإسناد عقد الجواهر ، وإذا سَمِيَ مالك عن نافع عن ابن عمر ، سلسلة الذهب ، فقل إذا شئت في أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، والمُزْنِيِّ عن الشافعي هكذا ؛ والبُؤْيُطِيُّ عن الشافعي هكذا ، هذا عقد الجواهر ، ولا حرج عليك .

وليس في مسند أحمد رواية أحمد عن الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، غير هذا الحديث^(٣) .

٨

أحمد بن محمد بن سعيد بن جبلة
أبو عبد الله الصِّيرْفِيُّ البغدادِيَّ*

سمع الشافعي ، وغيره .

(١) في المطبوعة : الفحش . وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د . قال صاحب القاموس : النجش أن تواطىء رجلا إذا أراد بيعا أن تمدحه ، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بضمن كثير لينظر إليك ناظر فيقع فيها ، أو أن ينفر الناس عن الشيء إلى غيره . القاموس (ن ج ش) .

(٢) قال ابن الأثير : الحبل - بالتحريك - : مصدر سمي به المحمول ، كما سمي بالحمل ، وإنما دخلت عليه التاء للإشعار بمعنى الأنوثة فيه . فالحبل الأول يراد به ما في بطون النوق من الحمل ، والثاني حبل الذى فى بطون النوق ، وإنما نهي عنه لمعينين : أحدهما أنه غرر ويبيع شيء لم يخلق بعد ، وهو أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذى فى بطن الناقة ، على تقدير أن تكون أنثى ، فهو يبيع نتاج التناج . وقيل : أراد بحبل الحيلة أن يبيعه إلى أجل ينتج فيه الحمل الذى فى بطن الناقة ، فهو أجل مجهول ولا يصح . النهاية ٣٣٤/١ .

(٣) مسند أحمد ٢ / ١٠٨ .

* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٥ / ١١ .

أحمد بن محمد بن الوليد

ويقال : عَوْن بن عُقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شَيمِر الأزرقى
القَوَّاس المَكِّي ؛ أبو الوليد . وقيل أبو محمد . وقيل : أبو الحسن*

وهو جد صاحب « تاريخ مكة » .

روى عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى ، ومالك ، وعبد الجبار بن الورد ،
وإبراهيم بن سعد ، وفُضَيْل بن عياض ، ومسلم بن خالد الزُّنْجِي ، وجماعة .
روى عنه البخارى ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو حاتم ، وحنبل بن
إسحاق ، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذى شيخ الشافعية ، ولعله آخر من
روى عنه .

توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، على ما حرره شيخنا الذهبي ، ووهب بعضهم
فقال : سنة ثنتى عشرة ، وأظن الوهم سرى إلى هذا القائل من قول البخارى :
فارقته حياً سنة ثنتى عشرة ، وقد صح أنه كان حياً سنة سبع عشرة ، ومن ثم قال ابن
عساكر : مات سنة سبع عشرة أو بعدها .
قلت : الصحيح سنة اثنتين وعشرين .

١٠

أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادى

أبو عبد الرحمن الشافعى المتكلم**

حدّث عن الشافعى ، والوليد بن مسلم الثَّقَفَى .

روى عنه أبو جعفر الحَضْرَمِى ، مُطَيَّن .

* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٧٩/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ١١ ، طبقات الفقهاء للعبادى ٢٦ .
النجوم الزاهرة ٢٣٧/٢ .

** له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٢٠٠/٥ ، طبقات الشيرازى ٨٤ .

قال الدارقطني : كان من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد ، ثم صار من أصحاب ابن أبي دؤاد ، واتبعه على رأيه ، وكذلك قال الشيخ أبو إسحاق^(١) .
وقال أبو عاصم : هو أحد الحفاظ النسك المفتين^(٢) . قال : والشافعي منعه من قراءة كتبه ؛ لأنه كان في بصره سوء .

وقال زكريا الساجي : قلت لأبي داود السجستاني : من أصحاب الشافعي ؟ فقال : الحميدي ، وأحمد ، والبويطي ، والربيع ، وأبو ثور ، وابن الجارود ، والزعفراني ، والكرايسي ، والمزني ، وحرملة ، ورجل ليس بالحمود : أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الذي يقال له الشافعي ؛ وذلك أنه بدّل وقال بالاعتزال .
قلت : وقال أيضًا بمنكرات من المسائل :

● فذهب فيما نقله أبو الحسن الجوزي^(٣) في [كتابه المرشد]^(٤) شرح مختصر المزني إلى أن الطلاق لا يقع بالصفات ، محتجًا بأنه لما لم يجرز نكاح المتعة ؛ لأنه عقد معلق بصفة فكذلك الطلاق بصفة عقد معلق . وهذا قول باطل ، هاجم على خرق الإجماع ، وهو مثل قول الظاهرية ، كما صرح به ابن حزم في « المحلى » وغيره .

● أن من قال : إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق ، أو ذكر وقتًا ما ، فلا تكون طالقًا بذلك ؛ لا الآن ولا إذا جاء رأس الشهر . ولعل هذا من مفردات الظاهرية .

وقد أطلال الشيخ الإمام الوالد الكلام على هذا ، وحرر مخالفته للإجماع في كتابه « الرد على ابن تيمية في مسألة الطلاق » كتاب « التحقيق » ، الذي هو من أجل تصانيف الشيخ الإمام .

(١) في الطبقات الوسطى : واعلم أن أبا عبد الرحمن هذا إنما ذكرناه تبعًا للشيخ ، وإلا فهو حقيق بألا يذكر مع أصحابنا ، كيف وقد صرح الشيخ برجوعه عن رأى الشافعي ، وهو غير مرض !

(٢) في طبقات الفقهاء للعبادي : « والنسك والمفتين » .

(٣) في الطبقات الوسطى بضم الجيم ، ضبط قلم . وانظر الباب ٢٥٢/١ .

(٤) من الطبقات الوسطى .

قرأت على المسند أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَبَّاز ، أخبرك المسلم بن عَلَّان كتابة ، أخبرنا أبو اليُمْن الكِنْدِي ، أخبرنا أبو منصور القَرَّاز ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، كتب إلَيَّ محمد بن أحمد بن عبد الله الجوالقي من الكوفة ، فذكر أن إبراهيم بن أحمد بن أبى حَصِين^(١) الهَمْدَانِي أخبرهم ، ثم أخبرني القاضي أبو عبد الله الصَّيْمَرِي ، قراءةً ، حدثنا أحمد بن محمد بن علي الصَّيْرَفِي ، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبى حَصِين ، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحَضْرَمِي ، حدثنا أحمد بن يحيى أبو عبد الرحمن الشافعي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا أبو التَّجَاشِي ، مولى رافع ، عن رافع قال : كنا نصلى مع النبي ﷺ [العصر]^(٢) ثم ننحر الجزور فتُجْزَأُ عشرة أجزاء ، ثم تُطْبَخُ ، فنأكل لحماً نَضِيجاً ، قبل أن نصلَّى المغرب .
رواه البخاري ومسلم^(٣) .

١١

أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان بن المهاجر التُّجِيبِي
أبو عبد الله المصري الحافظ النحوي*

مولاهم . أحد الأئمة .
روى عن عبد الله بن وهب ، وشُعَيْب بن اللَّيْث ، وأَصْبَغ بن الفرج ، وجماعة .
روى عنه التَّنَائِي ، وقال : ثِقَّة ، والحسين بن يعقوب المصري ، وأبو بكر بن أبي داود ، وآخرون .

(١) في ج : حصر . والمثبت في المطبوعة ، د ، تاريخ بغداد ، وانظر المشتبه ٢٤٠ .

(٢) زيادة من الصحيحين .

(٣) البخاري في (باب الشركة في الطعام من كتاب الشركة) ١٨٠/٣ . ولفظه : كنا نصلى مع النبي ﷺ العصر فننحر جزوراً ، فتقسم عشر قسم ، فنأكل لحماً نَضِيجاً قبل أن تغرب الشمس .
ورواه مسلم في (باب استحباب التذكير بالعصر) من كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٣٥/١) . ولفظه : كنا نصلى العصر مع رسول الله ﷺ ثم تنحر الجزور ، فتقسم عشر قسم ، ثم تطبخ ، فنأكل لحماً نَضِيجاً قبل مغيب الشمس .

* له ترجمة في : إنباه الرواة ، ١٥٢/١ ، بغية الوعاة ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ٨٩/١ .

وُلد سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب والغريب وأيام الناس ، وصحب الشافعيّ وتفقه له ، وكان يتقبّل فيما ذكر بعضهم ، أى يستأجر الأراضى للزراع ، ويعمل الفلاحة ، فانكسر عليه بعض الخراج ، فحبسه أحمد بن محمد بن المدبر على ما انكسر عليه ، فمات في السجن لست خلون من شوال سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فيما ذكر بعضهم ، وذكر آخرون أنه إنما مات سنة خمسين ومائتين في الشهر المذكور ، في السجن بمصر .

قال زكريا الساجي : بلغني عن محمد بن الوزير أنه قال : ما شرب الشافعيّ من كوز مرتين ، ولا عاد في جماع جارية مرتين . ذكر ذلك الحاكم في مناقب الشافعيّ ، ورأيت كذا بخط بعض المحدثين : محمد بن الوزير ، وإنما هو أحمد بن يحيى ابن الوزير .

١٢

أحمد بن أبي شريح الرازيّ

● ذكر العباديّ أنه قال : سمعت الشافعيّ يقول : ما تخلل الإنسان^(١) بخلال من بين أسنانه فليقدفه ، وما أخرجه بأصبعه فليأكله . قال أبو عاصم : وفيه أثر : « كُلُّوا الْوَغْمَ وَاطْرَحُوا الْفَغْمَ »^(٢) . والْوَغْم : ما تساقط من الطعام . والفَغْم : ما تعلّق بين الأسنان منه ، أى كلوا فُتات الطعام ، وارموا ما يُخرجه الخلال .

١٣

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث الإمام أبو عبد الله المصريّ*

أخو عبد الرحمن وسعد .
وُلد سنة اثنتين وثمانين ومائة .

(١) في ج : الأسنان . والمثبت في المطبوعة ، د ، آداب الشافعي ٢٧٢ .
* له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١١٥ / ٢ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٢٦٠ ، الديباج المذهب ٢٣١ ، شذرات الذهب ١٥٤ / ٢ ، طبقات الشيرازي ٨١ ، طبقات الفقهاء للعبادي ٣٦ ، وفيه : « أحمد بن أبي شريح » ، طبقات القراء ١٧٩ / ٢ ، وفيات الأعيان ٣٣٣ / ٣ .
(٢) في طبقات العبادي : قال ﷺ : « لا تأكلوا الفغم ، ولا ترموا الوغم » .

وروى عن عبد الله بن وهب ، وابن أبي فديك ، وأبي ضمرة أنس بن عياض ،
وأشهب بن عبد العزيز ، والشافعي وبه تفقه ، وطائفة .

روى عنه النسائي ، وأبو حاتم الرازي ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ، وابن
خزيمة ، وأبو العباس الأصم ، وابن صاعد ، وأبو بكر بن زياد النيسابوري ،
وجماعة .

ولازم الشافعي رضي الله عنه مدة . وقيل : إن الشافعي كان معجبا به لفرط
ذكائه ، وحرصه على الفقه .

قال أبو عمر^(١) الصديقي : رأيت أهل مصر لا يعدلون به أحدا ، ويصفونه بالعلم
والفضل والتواضع .

وقال النسائي : ثقة . وقال في موضع آخر : صدوق لا بأس به . وقال في
موضع ثالث : هو أظرف^(٢) من أن يكذب .

وقال أبو بكر بن خزيمة : ما رأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة
والتابعين من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . وقال مرة : كان محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم أعلم من رأيت على أديم الأرض بمذهب مالك وأحفظهم له ، سمعته
يقول : كنت أتعجب ممن يقول في المسائل : لا أدري ! قال : وأما الإسناد فلم يكن
يحفظه .

قلت : إنما ذكرنا ابن عبد الحكم في الشافعيين تبعا للشيخ أبي عاصم العبادي ،
وللشيخ أبي عمرو بن الصلاح ، وكان الحامل لهما على ذكره حكاية الأصحاب عنه
مسائل رواها عن الشافعي ، وإلا فالرجل مالكي ، رجع عن مذهب الشافعي .

قال ابن خزيمة فيما رواه الحاكم عن الحافظ حُسَيْنُكَ التَّمِيمِي ، عنه : كان ابن عبد
الحكم من أصحاب الشافعي . فوقعت بينه وبين البُوَيْطِيُّ وحشة في مرض الشافعي .

فحدثني أبو جعفر السَّكَّرِيُّ ، صديق الربيع قال : لما مرض الشافعي جاء ابن عبد
الحكم يُنَازِعُ البُوَيْطِيَّ في مجلس الشافعي ، فقال البُوَيْطِيُّ : أنا أحقُّ به منك ، فجاء

(١) في المطبوعة : أبو عمرو . وأثبتنا ما في : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : أصدق . والمثبت من : ج ، د ، الطبقات الوسطى .

الْحُمَيْدِيُّ وَكَانَ بِمَصْرَ ، فَقَالَ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِمَجْلِسِي مِنَ الْبُؤَيْطِيِّ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَمُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : كَذَبْتَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُمَيْدِيُّ : كَذَبْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَأَمْكُ . وَغَضِبَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ ، فَتَرَكَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ .

فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ قَالَ : كَانَ الْحُمَيْدِيُّ مَعِيَ فِي الدَّارِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ ، وَأَعْطَانِي كِتَابَ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، ثُمَّ أَبُوا إِلَّا أَنْ يَوْقِعُوا بَيْنَنَا مَا وَقَعَ .

قُلْتُ : ثُمَّ انْتَهَتْ حَالُ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ إِلَى أَنْ صَنَفَ كِتَابًا سَمَاهُ « الرَّدُّ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِيمَا خَالَفَ فِيهِ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ » وَهُوَ اسْمُ قَبِيحٍ ، وَلَقَدْ نَالَتْهُ بَعْدَ هَذَا التَّصْنِيفِ مَحَنَةٌ صَعْبَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا .

تُوفِيَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي النِّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ^(١) .

وَفِي الْمَحْدَّثِينَ^(٢) : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ غَيْرُهُ^(٣) .

رَجُلٌ رَوَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَسْعُودٍ الْمَقْدِسِيِّ .

رَوَى الْخَافِضُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ حَدِيثَهُ فِي « الْحَلِيَةِ » فَقَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ^(٤) .

● أَخْبَرَنَا أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيِّ ، قَرَأَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ بِمَصْرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ ظَافِرٍ بْنُ رَوَاجٍ إِجَازَةً .

ح : وَحَدَّثَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْوَالِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَانِي عَشَرَ

(١) فِي الطَّبَقَاتِ الْوُسْطَى :

قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ : حَكَى عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ صَاحِبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَمْضَانَ بْنِ شَاكِرِ الزِّيَّاتِ الْمَالِكِيَّ أَنَّهُ سَثَلَ عَنِ الْجُنِّ : هَلْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ وَأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « صَوْمُكُمْ يَوْمَ نَحْرَمُ » . هَذَا مِنْ حَدِيثِ الْكَذَّابِينَ . وَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ يَصَحُّ الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ فِيهِ : « مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ... » .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ : مُحَمَّدِينَ . وَالثَّبِتُ مِنْ : ج ، د .

(٣) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ٩ / ٢٦٢ .

(٤) رَاجِعِ الْحَلِيَّةَ ٩ / ٦٨ .

ذى الحجة ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بالمدرسة العادلية الكبرى بدمشق ، أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة ، سماعا عليه ، أخبرنا بن رواج ، سماعا ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي ، أخبرنا علي بن محمد بن علي [بن محمد]^(١) العلاف ، أخبرنا علي بن أحمد بن عمر الحمامي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مسلم الخثلي ، حدثنا أبو سليمان محمد بن علي الحراني ، حدثنا الحسين بن محمد ، يعني ابن الضحاك بن يحيى ، بمصر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت الشافعي يحكي عن إنسان سمّاه أنه سئل عن العدل ، فقال : ليس أحد يطيع الله عز وجل حتى لا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله عز وجل حتى لا يطيعه ، ولكن إذا كان أكثر أمر^(٢) الرجل الطاعة لله عز وجل ، ولم يُقدم على كبيرة فهو عدل . قلت : كذا جاء في هذه الرواية مقيدا بقوله « ولم يُقدم على كبيرة » وجاء في روايات أخر مطلقا ، والمطلق محمول على المقيّد .

● قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : حدثنا الشافعي قال : ذكرت لمحمد بن الحسن الدعاء في الصلاة ، فقال لي : لا يجوز أن يُدعى في الصلاة إلا بما في القرآن ، وما أشبهه .

قلت له : فإن قال رجل : اللهم أطعمني قنّاء^(٣) وبصلا وعدسا ؛ أو ارزقني ذلك أو أخرجه لي من أرض ، أيجوز ذلك ؟ قال : لا .

قلت : فهذا في القرآن ، فإن كنت إنما تميز ما في القرآن خاصة فهذا فيه ، وإن كنت تميز غير ذلك ، فلم حظرت شيئا وأبحت شيئا ؟ قال : فما تقول أنت ؟

قلت : كل ما جاز للمرء أن يدعو الله به في غير صلاة فجائز أن يدعو به في الصلاة ، بل أستحب ذلك ؛ لأنه موضع يُرجى سرعة الإجابة فيه ، والصلاة : القراءة والدعاء . والنهي عن الكلام في الصلاة هو كلام الآدميين بعضهم لبعض في غير أمر بصلاة .

(١) زيادة في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : أمور . وأثبتنا ما في : ج ، د .

(٣) في د : ثوما .

قلت : فى المناظرة رد على دعوى الشيخ أبى محمد فى منع الدعاء بـجارية حسناء .
قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث^(١) ، وقال : سمعت الشافعى يقول : ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة : الحماقة والطاعون والهَرَم .

قلت : وفى آخر كتاب « آداب الشافعى »^(٢) لعبد الرحمن بن أبى حاتم : سمعت ابن عبد الأعلى يقول : قال لى الشافعى : لم أر شيئاً أنفع للوباء من البَنْفَسَج يُدَهَن به ويُشرب .

قلت : والوباء غير الطاعون ، فلا منافاة بين الأمرين .

١٤

محمد بن الشافعى

إمامنا الإمام الأعظم المطَّلِبى أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن

قصى الشيخ أبو عثمان القاضى *

وهو أكبر أولاد الشافعى ، ولما توفى والده كان بالغاً مقيماً بمكة ، وهو الذى قال له الإمام أحمد بن حنبل : إني لأحبك لثلاثِ حلال ؛ أنك ابن أبى عبد الله ، وأنتك رجل من قريش ، وأنتك من أهل السنة .

سمع أباه ، وسفيان بن عُيينة ، وعبد الرزاق ، وأحمد بن حنبل .

قال الخطيب : وذكر لى الحسن بن أبى طالب أنه ولى القضاء ببغداد ، وحدث عن عبد الرزاق ، وهذا القول عندى غير صحيح ، إنما ولى القضاء بالجزيرة وأعمالها ، وهناك أيضاً حدث ، وللجزيين عنه رواية .

(١) فى المطبوعة : إلا ستمائة حديث . والمثبت من : ج ، د .

(٢) آداب الشافعى : ٣٢٤

* له ترجمة فى تاريخ بغداد ٣ / ١٩٧ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٦ ، الوافى بالوفيات ١ / ١١٤ ، حواشى آداب الشافعى ٨٥ .

وولى أيضا القضاء بمدينة حلب ، وبقي بها سنين كثيرة ، وأعقب ثلاثة بنين ، منهم العباس بن محمد بن محمد بن إدريس ، وأبو الحسن ، مات رضيعا ، وفاطمة لم تُعقب .

وقيل للشافعي رضي الله عنه : ما اسم أبي عثمان ؟ فقال : سميت أحب الأسماء إليّ ؛ محمدا .

ولأبي عثمان مناظرة مع الإمام أحمد بن حنبل في جلود الميتة إذا دُبغت .

وقد ذكر شيئا من حديثه الحافظ أبو عبيد الله ابن أبي زيد المعروف بابن المُقرئ في كتابه في « مناقب الشافعي » ، وأسند حديثه عن عبد الرزاق وسفيان بن عُيينة وغيرهما . انتهى .

وروى الحاكم في ترجمة أبي بكر محمد بن عبد الله الصَّبْغِيّ ، أحد أئمة أصحابنا ، عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : أخبرني أبو محمد ابن بنت الشافعي ، قال : حدثنا أبي قال : عاتب محمد بن إدريس ابنه أبا عثمان ، فكان فيما قال له في وعظه : يا بُنى ، والله لو علمتُ أن الماء البارد يثقل من مروعتي ما شربتُ إلا حارًّا .

أخبرنا عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة ، بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو العز يوسف ابن يعقوب بن الجاور إجازة ، أخبرنا أبو اليُمْن الكِنْدِيّ ، أخبرنا أبو منصور القَزَّاز ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، قال : حدثني الحسن بن محمد الحَلَّال ، حدثنا علي ابن الحسن الجَرَّاحِيّ ، حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد ، قال : حدثنا الميمونيّ ، قال : قال لي محمد بن محمد بن إدريس الشافعيّ القاضي ، قال : قال لي أحمد ابن حنبل : أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في السَّحَر^(١) .

وبه إلى الخطيب قال : وأخبرنا علي بن طلحة المُقرئ ، حدثنا محمد بن العباس ، حدثني جعفر بن محمد الصَّنْدَلِيّ ، حدثنا خَطَّاب بن بِشر ، قال : جعلت أسأل أبا عبد الله أحمد ابن حنبل ، فيجيبني ويلتفت إلى ابن الشافعيّ ، ويقول : هذا مما علّمتنا أبو عبد الله . يعني الشافعيّ .

(١) في المطبوعة : السجود . وأثبتنا ما في : ج ، د ، وتاريخ بغداد ٣ / ١٩٨ .

قال خطّاب : وسمعت أحمد بن حنبل يذكر أبا عثمان أمر أبيه ، فقال أحمد :
يرحم الله أبا عبد الله ، ما أصلى صلاة إلا دعوت فيها لخمسة ، هو أحدهم ، وما
يتقدمه منهم أحد .

قال الخطيب : توفي بالجزيرة بعد^(١) سنة أربعين ومائتين .
وللشافعي ولد آخر يُسمى محمدا أيضا ، وكنيته أبو الحسن ، وهو من جارية
اسمها دنانير . ذكر أبو سعيد بن يونس أنه قدم مصر مع أبيه وهو صغير فتوفي بها في
شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ومن روايات أبي عثمان عن أبيه رضى الله عنه :

روى البيهقي في « أحكام القرآن » عن الحاكم أن أبا أحمد بن أبي الحسن أخبره ،
قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنظلي ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الملك بن عبد
الحميد الميموني قال : حدثني أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي ، قال :
سمعت أبي يقول ليلة للحميدي : ما تحتج عليهم - يعني على أهل الإرجاء - بأية أحج
من قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٢) .

ومن الرواية عن أبي عثمان رحمه الله :

أخبرنا شيخ الشافعية أبو إسحاق إبراهيم ابن شيخ الشافعية أبي محمد عبد الرحمن
ابن إبراهيم الفزاري في كتابه إليّ ، والمسند أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
ابن الحَبَّاز سماعا عليه ، قالا : أخبرنا المسلم بن محمد بن عَلَّان القيسي ، قال أبو
إسحاق : سماعا ، وقال ابن الحَبَّاز : إجازة .

ح : وأخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن المَراغي ، بقراءتي عليه ، قال : أخبرنا يوسف بن
يعقوب بن الجاور ، إجازة ، قالا : أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِندي ، أخبرنا أبو
منصور عبد الرحمن بن محمد القَرَّاز ، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب ، حدثني محمد بن
يوسف التَّيسَابُوري ، قال : حدثنا يحيى بن علي الصَّواف بمصر ، من لفظه ، حدثنا أبو بكر

(١) في الطبقات الوسطى : توفي بالجزيرة سنة أربعين ومائتين .

(٢) سورة البينة ٥ .

محمد بن علي النقّاش ، حدثنا نُعمان بن مدرك الرّسّعني ، حدثنا أبو عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعيّ ، إملاءً ، برأس العين^(١) ، أخبرنا أبي ، محمد بن إدريس الشافعيّ رضي الله عنه ، قال : سمعت محمد بن علي بن شافع عمي يحدث ، عن عبد الله بن علي بن السائب ، عن عمرو بن أُحَيحة بن الجُلّاح ، عن خُزَيْمة بن ثابت قال : سأَل رجل رسول الله ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهنّ ، فلما ولىّ دعاه أو أمر فدعى ، فقال : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ فِي أَيِّ الْخُرُزَيْنِ ، أَوِ الْخُرْبَتَيْنِ ، أَوْ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا ، أَمْ مِنْ دُبُرِهَا فِي دُبُرِهَا ؟ » قال : « إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ »^(٢) .

١٥

إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الكلبيّ البغداديّ*

الإمام الجليل ، أحد أصحابنا البغداديين . قيل كنيته أبو عبد الله ، ولقبه أبو ثور . روى عن سفيان بن عُيينة ، وابن عُليّة ، وعُبَيْدة بن حُميد ، وأبي معاوية ، ووَكيع ، ومُعاذ بن مُعاذ ، وعبد الرحمن بن مَهْدِيّ ، والشافعيّ ، ويزيد بن هارون ، وجماعة .

روى عنه مسلم خارج الصحيح ، وأبو داود ، وابن ماجّة ، وأبو القاسم البغويّ ، والقاسم بن زكريا المطرّز ، ومحمد بن إسحاق السّراج ، وجماعة . قال أبو بكر الأَعْيَن : سألت أحمد بن حنبل : ما تقول في أبي ثور ؟ قال : أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة ، وهو عندي في مسّلاخ^(٣) سفيان الثّوريّ . وقال ابن جِبّان : كان أحد أئمة الدنيا ؛ فقها وعلماء وورعا وفضلا وخيرا ، ممّن صنف الكتب وفرّع على السنن ، وذوّب عنها ، وجمع مخالفيها .

(١) مدينة كبيرة من مدن الجزيرة . المراسد ٥٩٤ .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٦/ ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٧ ، تهذيب التهذيب ١/ ١١٨ ، شذرات الذهب ٢/ ٩٣ ، طبقات الشيرازي ٧٥ ، طبقات الفقهاء للعبادي ٢٢ . العبر ١/ ٤٣١ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠١ ، وفيات الأعيان ٧/ ١ .

(٢) ترتيب مسند الشافعي ٢ / ٢٩ ، وفيه بعض اختلاف . والخزّة والخربة : كلاهما بمعنى الثّقبة . والحديث أيضا في الأم ٥ / ٨٤ ، ١٥٦ .

(٣) المسلاخ : الإهاب أي الجلد .

قلت : قوله : « وخيرا » به تمام الكلام . وقوله « ممن صنف الكتب » ابتداء كلام آخر ، الجار والمجرور منه في موضع الخبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : وهو ممن صنف ، إلى آخره . وليس الجار والمجرور متعلقا بقوله « وخيرا » فيما يظهر ، فليس أبو ثور خيرا ممن صنف الكتب على الإطلاق .

وقال الخطيب : كان أبو ثور أولا يتفقه بالرأى ، ويذهب إلى قول أهل العراق ، حتى قدم الشافعيّ بغداد فاختلف إليه ، ورجع عن الرأى إلى الحديث . وقال أبو حاتم : هو رجل يتكلم بالرأى فيخطئ ويصيب ، وليس محله محل المسمعين في الحديث^(١) .

قلت : هذا غلو من أبي حاتم ؟ وليس الكلام في الرأى موجبا للقدح ، فلا التفات إلى قول أبي حاتم هذا . وهو من الطراز الأول الذي قدّمناه في ترجمة أحمد بن صالح المصري .

وأبو ثور أظهر أمرا من أن يحتاج إلى توثيق ، وقد قدمنا كلام أحمد بن حنبل فيه ، وكفى به شرفا .

وعن أحمد أيضًا أنه سئل عن مسألة فقال للسائل : سل غيرنا ، سل الفقهاء ، سل أبا ثور .

وقال النسائي : هو أحد الفقهاء ، ثقة مأمون .

وقال أبو عبد الله الحاكم : كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره ، وأحد أعيان المحدثين المتقين .

وعن أحمد بن حنبل ، وسئل عن أبي ثور ، أنه قال : لم يبلغني إلا خير ، إلا أنه لا يعجبني الكلام الذي يصيرونه في كتبهم .

قلت : وليس في هذا إن ثبت عن أحمد حطّ من قدر أبي ثور ، لا سيما وقد تقدّم من كلام أحمد في تعظيمه ما تقدم .

وقال أبو عمر بن عبد البر : كان حسن النظر ، ثقة فيما يروى من الأثر ، إلا أن له شذوذا فارق فيه الجمهور ، وقد عدّوه أحد أئمة الفقهاء^(٢) .

(١) الجرح والتعديل ٢ / ٩٨ ، وميزان الاعتدال ١ / ٢٩ .

(٢) ترجم له في الانتقاء ١٠٧ ، ولم يذكر هذا الكلام .

قلت : لا يعنى شذوذا فى الحديث ، بل فى مسائل الفقه التى أغرب بها ، وسنحكى منها طائفة .

وقوله : « وقد عدّوه أحد أئمة الفقهاء » جارٍ مجرى الاعتذار عنه فيما يشذ به ، وأنه بحيث لا يُعاب على مثله الاجتهاد وإن أغرب ، فإنه أحد أئمة الفقهاء ، وإذا عرفت ما قيل فيه علمت أنه لم يُصَبَّ بجرح ، والله الحمد .

وأنا أجوز أن يكون قول أبى حاتم : « ليس محله محل المسمعين فى الحديث » مع كونه غير قدح مصحّفاً فى الكتب ، وأنه إنما قال : « محل المتّسعين »^(١) أى المكثرين ؛ فإن أبا ثور لم يكن من المكثرين فى الحديث لكثرة غيره من الحفاظ ، وقد رأيت اللفظة هكذا بخط بعض محدّثي زماننا فى الحكاية عن أبى حاتم ، ولا شك أن الفقه كان أغلب عليه من الحديث ، وكان المحدّثون إذا سُئلوا عن مسائل الفقه أحالوا عليه ، وقد قدمنا ما يدل على ذلك .

وأخبرنا المسند أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحُبّاز ، بقراءتى عليه ، أخبرنا المسلم بن محمد بن علّان ، إجازة ، أخبرنا زيد بن الحسن الكِنْدِيّ ، أخبرنا أبو منصور القُرّاز ، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب .

ح : وأخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القوّاس ، أخبرنا القاضي عبد الصمد الحرّستانى ، أخبرنا نصر الله المصيصى أخبرنا نصر المقدسى ، أخبرنا الخطيب ، أخبرنا محمد بن أحمد بن على الدّقّاق ، حدثنا أحمد ابن إسحاق التّهاوُئِدِيّ ، بالبصرة ، حدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن خَلّاد ، بالبصرة ، حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن سُهيل ، حدثنى رجل ذكره من أهل العلم ، قال ابن خَلّاد : وأنسىّت أنا اسمه ، قال : وقفت امرأة على مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وخَلَف بن سالم ، فى جماعة يتذكرون الحديث ، فسمعتهم يقولون : قال رسول الله ﷺ ، ورواه فلان ، وما حدّث به غير فلان ، فسألهم عن الحائض هل تغسل الموتى؟ وكانت غاسلة

(١) وهى هكذا فى الجرح والتعديل وتهذيب التهذيب .

فلم يجبها أحد منهم ، وكانوا جماعة ، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ، فأقبل أبو ثور ، فقالوا لها : عليك بالمقبل ، فالتفت إليه ، وقد دنا منها فسأته فقال : نعم تغسل ؛ لحديث القاسم عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ » ولقوها : كنت أفرق رأس النبي ﷺ بالماء وأنا حائض . قال أبو ثور . فإذا فرق رأس الحى فالميت أولى به ! فقالوا : نعم ، رواه فلان ، وأخبرناه فلان ، ونعرفه من طريق كذا ، وخاضوا في الروايات والطرق ، فقالت المرأة : فأين أنتم إلى الآن ؟ قال عبيد بن محمد البزار صاحب أبي ثور : توفي أبو ثور في صفر سنة أربعين ومائتين .

(ومن المسائل عن أبي ثور والفوائد)

● نقل العبدري أن الدين مقدّم على الوصية عند الفقهاء كلهم إلا أبا ثور ، فإنه قدّم الوصية .

وهذا غريب ، مصرّح بحكاية الإجماع على خلافه ، فلعل إجماعهم لم يبلغ أبا ثور ، ولعله ينازع في وقوع الإجماع على ذلك ، أو لعل ما نقله العبدري غير ثابت ، فقد نقل ابن المنذر عن أبي ثور فيمن أوصى بعق عبده على أن لا يفارق ولده ، وعليه دين محيط بماله ، أنه أبطل الوصية ، وقال : يباع في الدين ، فإن أعتقه الورثة لم يجز عتقهم . وهذا يخالف ما نقله العبدري .

● نقل الفوراني في العمد أن أبا ثور قال : لا تُقطع اليد إلا في خمسة دراهم . قلت : وهو يشابه قوله^(١) : أقل الصداق خمسة دراهم .

● نقل ابن المنذر أن أبا ثور قال : إن خيار الردّ بالعيب لا يكون بالرضا إلا بالكلام ، أو يأتي من الفعل ما يكون في المعقول من اللغة أنه رضا . والمجزم به عند الأصحاب أن خيار الردّ بالعيب على الفور ، ويلزم من يعد مقالات أبي ثور وجوها في المذهب أن يعد ذلك [وجها]^(٢) وهو غريب .

(١) مكان هذا في الطبقات الوسطى : واشتهر قوله .

(٢) من الطبقات الوسطى .

● قال أبو ثور في رجلين اجتهدا في القبلة وأدّى أحدهما اجتهاده إلى خلاف ما أداه الآخر يجوز أن يأتّم كل منهما بصاحبه ، ويصلّى كل [واحد] ^(١) منهما إلى جهة ، كمن صلّى حول الكعبة ، فإنه يجوز لمن يصلّى إلى جهة الائتمام بمن يصلّى إلى جهة أخرى .

نقله صاحب « البيان » .

● قال أبو عاصم : سأل أبو ثور الشافعيّ عن رجل اشترى بيضة من رجل ، وبيضة من آخر ، ووضعهما في كفه فانكسرت إحداها ، فخرجت مَذْرُوءَةً ^(٢) فعلى من يَرِد البيضة ، وقد أنكر ^(٣) ذلك .

قال : أمره حتى يدّعى .

قال : يقول لا أدري .

قال : أقول له انصرف ^(٤) ، فإنّا مُفتون لا معلّمون .

● نقل أبو على الطبريّ فيما علّقه عن أبي على بن أبي هريرة في شرح « مختصر المزني » أن أبا ثور كان يُلحق الزيت بالماء فيعتبره بالقلّتين إذا وقعت فيه نجاسة غير مغيرة ، ورأيت في « جامع الخلال » من كتب الحنابلة أن المَرُودِيّ ^(٥) ذكر لأحمد أن أبا ثور كان يُلحق السمن والزيت بالماء .

قلت : فابن أبي هريرة اقتصر على نقله عن أبي ثور في الزيت ، والمَرُودِيّ ذكره في السمن أيضًا .

والظاهر أن جميع المائعات سواء ، والمعروف في المذاهب أن غير الماء من المائعات ينجّس بملاقاة يسير النجاسة ، وإن بلغ قِلالًا .

قال التَّوَوِيّ في « شرح المهذّب » : وهذا لاخلاف فيه بين أصحابنا ، ولا أعلم فيه

(١) ساقط من : ج ، د .

(٢) أى فاسدة .

(٣) في المطبوعة : انكسر . والمثبت من : ج ، د ، الطبقات الوسطى .

(٤) في طبقات العبادى زيادة : « حتى تدرى » .

(٥) هو أحمد بن محمد بن الحجاج . صاحب الإمام أحمد .

خلافا لأحد من العلماء . وسبق الفرق بينه وبين الماء في الاستدلال على أبن حنيفة . وحاصله أنه لا يشق حفظ المائع من النجاسة وإن كثر ، بخلاف الماء . انتهى . ونقلته من خطّه .

وقد نقل بعد ذلك بنحو عشرة أوراق أن صاحب « العدة »^(١) حكى عن أبى حنيفة أن المائع كالماء إذا بلغ الحد الذى يعتبرونه . وأما الفرق الذى ذكره فقد رأيت القفال الكبير فى أوائل كتاب « محاسن الشريعة » فى باب « ذكر النجاسات » أشار إليه فقال ما حاصله : إن صون المائعات بالتغطية ممكن ومعتاد ، قال : والماء خلقه الله تعالى ، يحتاج إليه جميع الحيوان ، ويكثر ما لا يكثر غيره من المائعات .

وفى هذا الفرق إشارة إلى اعتبار الغلبة ، فلا ينبغى أن ينجس بيسير النجاسة من المائع الكثير الزائد على قدر قُلَّتَيْن ، إلا ما جرت عادة الناس بحرزه فى الإناء . أما لو فرض أن يخلق الله بحرا من زيت ، فلا ينبغى أن يُحكم بنجاسته بوقوع ما لا يغيره من النجاسات ، فإن المحكوم بنجاسته إنما هو ما يعتاد من المائعات .

وإنما ذكرت هذه الصورة لوقوع البحث فيها ، وظن بعض الناس أن كل مائع ينجس بيسير النجاسة ، فقلت له : ذلك فى المائعات المعتادة ، أما هذه الصورة فلا وجود لها ، ولم يتكلم السابقون فيها ، ولا نجد مصرّحا من الأصحاب بها ، بل هذا الفرق يرشد إلى أن الحكم فيها بخلاف ما توهم .

● قال أبو ثور : سمعت الشافعى يقول : حضرت مجلسا ، وفيه محمد بن الحسن بالرقّة ، وجماعة من بنى هاشم وقريش وغيرهم ممن ينظر فى العلم ، فقال محمد بن الحسن : قد وضعت كتابا لو علمت أن أحدا يرد علىّ منه شيئا تبلغنيه الإبل لأتيته ، قال فقلت له : قد نظرت فى كتابك هذا فإذا ما بعد البسملة خطأ كله ! قال : وما ذاك ؟ قلت له : قال أهل المدينة : كذا : فإن أردت كلّهم فخطأ ؛ لأنهم لم يتفقوا على ما قلت ، وإن أردت مالكا وحده فأظهر فى الخطأ ؛ إذ ليس هو كل أهل المدينة ، وقد كان من علماء المدينة فى زمنه من يشتد نكيره عليه ، فأى الأمرين قصدت فقد أخطأت .

(١) فى المطبوعة : العدة . وأثبتنا ما فى : ج ، د . وانظر ٤ / ٣٤٩ .

● قال أبو ثور : قال لى الشافعى : قال لى الفضل بن الربيع : أحب أن أسمع مناظرتك للحسن بن زياد اللؤلؤى ، قال الشافعى : فقلت له : ليس اللؤلؤى فى هذه الجهة^(١) ! ولكن أحضر بعض أصحابى يكلمه بحضرتك ، فقال : أو ذاك ، فقال أبو ثور : فحضر الشافعى وأحضر من أصحابنا كوفيا ، كان ينتحل قول أبى حنيفة ، فصار من أصحابنا .

قال : فلما دخل اللؤلؤى أقبل الكوفى عليه ، والشافعى والفضل بن الربيع حاضران ، فقال له : إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم ، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك .

فقال له اللؤلؤى : سل .

قال : ما تقول فى رجل قذف مُحَصَّنَة وهو فى الصلاة ؟

قال : فسدت صلاته .

قال : فما حال طهارته ؟

قال : هى بحالها .

قال : فما تقول إن ضحك فى صلاته ؟

قال : يعيد الطهارة والصلاة .

قال ، فقال له : قَدْ ف المحصنات فى الصلاة أيسر من الضحك فيها ؟

قال ، فقال له : وقعنا فى هذا . ثم وثب فمضى .

١٦

إبراهيم بن محمد بن العباس بن عثمان الشافعى*

ابن عم الإمام الشافعى

روى عن الشافعى ، والفضيل بن عياض ، وجده لأمه محمد بن على بن شافع ، والمنكدر بن محمد بن المنكدر ، وحامد بن زيد ، وابن عيينة . وطائفة .

(١) فى المطبوعة : الحد ، وفى ج : الجهد . وأثبتنا ما فى د . وانظر مناقب الشافعى ١ / ٢١٧ .
* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ١ / ١٥٤ .

روى عنه ابن ماجه فى سُنَّته ، وأحمد بن سيار المروزى ، وأبو بكر بن أبى عاصم ، وبَقِيَّ بن مَخْلَد ، ومُطَيِّن ، وغيرهم .
قال أبو حاتم : صدوق .
وقال النسائى والدارقطنى : ثقة .
مات سنة سبع ، ويقال ثمان وثلاثين ومائتين .

١٧

إبراهيم بن محمد بن هَرَم

● روى عن الشافعى أنه قال فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾^(١) : لما حجبهم فى السخط كان دليلا على أنهم يرونه فى الرضا .

وقد رواه غيره أيضا . قال الربيع : كنت ذات يوم عند الشافعى ، وجاءه كتاب من الصعيد يسأله^(٢) عن قوله عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ فكتب : لما حجب قوما بالسخط دلّ على أن قوما يرونه بالرضا . قلت له : أو تدين بهذا يا سيدى ؟ فقال : والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربّه فى المعاد لما عبده فى الدنيا .

قال البيهقى : أنبأنى أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر ، إجازة ، قال : سمعت أبا علىّ الحسين بن أحمد الفسوى^(٣) بها ، سمعت أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدىّ الجرجانى ، سمعت الربيع ، فذكر الحكاية^(٤) .

قال الربيع : كان ابن هَرَم يلزم الشافعى ، فقال له : يا أبا عبد الله ، ثُملى علينا السنن التى صَحّت عن رسول الله ﷺ ، فقال الشافعى : السنن التى تصح قليلة ، هذا أبو بكر لا يصح له تسعة أحاديث ، وعمر لا يصح له خمسون حديثا ، وعثمان فأقلّ ، وعلىّ مع ما كان يحض الناس على الأخذ عنه لا يصح له حديث كثير ، والصحيح عند أهل المعرفة قليل .

(١) سورة المطففين ١٥ .

(٢) فى ج ، د : فسأله . والمثبت من المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : النسوى . وأثبتنا ما فى : ج ، د .

(٤) مناقب الشافعى ٤١٩/١ .

إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة
ابن عبد الله بن خالد بن حزام بن حُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزى
الحِزَامِيّ المدني*

إمام ثقة جليل . حدّث عن سفيان بن عُيَيْنَةَ ، وابن وهب ، ومَعْن بن عيسى ،
وابن أُمّ فُذَيْك ، وأبى ضَمْرَةَ ، والوليد بن مسلم ، وخلق كثير .

روى عنه البخاريّ في صحيحه ، وابن ماجه ، وبَقِيّ بن مَحْلَد ، وابن أُمّ
الدنيا ، ومحمد بن إبراهيم البوشنجيّ ، ومُطِين ، وخلق .

قال صالح جَزَرَة : صدوق . وكذا قال أبو حاتم .

وقال الخطيب : كان ثقة .

وقال أبو الفتح الأزديّ : إبراهيم هذا في عِدَاد أهل الصدق ، وإنما حدّث بالمناكير
الشيوخ الذين روى عنهم ، فأما هو فهو صدوق .

وقال أبو عبد الرحمن السلميّ : وسألته ، يعنى الدارقطنيّ ، عن إبراهيم
الحِزَامِيّ ، فقال : ثقة .

قلت : كان حصل عند الإمام أحمد رضى الله عنه منه شيء ؛ لأنه قيل خلط في
مسألة القرآن ، كأنه مجمع في الجواب .

قلت : وأرى ذلك منه تقيّة وخوفاً ، ولكن الإمام أحمد شديد في صلابته ، جزاه
الله عن الإسلام خيراً ، ولو كُلف الناس ما كان عليه أحمد لم يسلم إلا القليل .

مات إبراهيم في المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ،
وكان ينشد لعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة :

* له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٥١/٢ ، تهذيب التهذيب ١٦٦/١ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٠ ، شذرات
الذهب ٧٦/٢ ، العبر ٤٢٢/١ . والحزامي ، بكسر الحاء المهملة ، وبالنزاع ، وبالميم بعد الألف ، نسبة إلى الجد
الأعلى . الباب ٢٩٦/١ .

كَتَمْتَ الْهَوَى حَتَّى أَضْرَبَكَ الْكَتْمَ وَلَا مَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْ مُهُمْ ظُلُمٌ
وَنَمَّ عَلَيْكَ الْكَاشِحُونَ وَقَبْلَهُ عَلَيْكَ الْهَوَى قَدْ نَمَّ لَوْ يَنْفَعُ النَّمُّ
وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طَوْلُ هَجَرِهَا عَلَيْكَ وَأَبْلَى لَحْمٍ أَعْظَمَكَ الْهَمُّ
أَلَا مَا لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي عَنْهَا وَلَا تَحْيَى حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
تَجَنَّبْتُ إِيْتِيَانَ الْحَبِيبِ تَأْتُمًا أَلَا إِنْ هَجَرَانِ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
فَذُقْ هَجَرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ رَشَادٌ أَلَا يَا رُبَّمَا ^(١) كَذَبَ الرَّعْمُ

قال إبراهيم بن المنذر : سمعت الشافعي يقول : رأيت سفيان بن عيينة قائماً على باب كُتَّاب ، فقلت : ما تعمل ؟ قال : أحب أن أسمع كلام ربي من في هذا الغلام .

١٩

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي
أبو يعقوب المروزي ، ابن راهويه*

أحد أئمة الدين ، وأعلام المسلمين ، وهداة المؤمنين ، الجامع بين الفقه والحديث ، والورع والتقوى ، نزيل نيسابور وعالمها .

وُلِدَ سنة إحدى ، وقيل سنة ست وستين ومائة .

وسمع من عبد الله بن المبارك سنة بضع وسبعين ، فترك الرواية عنه ؛ لكونه لم يتيقن ^(٢) الأخذ عنه .

وارتحل في طلب العلم سنة أربع وثمانين .

(١) في المطبوعة : رشاد ولربما . وفي ج ، د : ألا لا ربما . والمثبت بهامش ج . والأغاني ١٥٠ / ٩ .
* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٦ / ٣٤٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٩ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢١٦ ، الجمع بين رجال
الصحيحين ٢٨ ، حلية الأولياء ٩ / ٢٣٤ ، شذرات الذهب ٢ / ٨٩ ، طبقات الخنابلة ١ / ١٠٩ ، طبقات
الشيرازي ٧٨ ، العبر ١ / ٤٢٦ ، اللباب ١ / ٣٢٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٩٣ ، وفيات الأعيان ١ / ١٧٩ .

(٢) في د : يتقن ، والمثبت من : ج ، والمطبوعة .

وسمع قبل الرحلة من ابن المبارك ، كما عرفت . ومن الفضل الشَّيبَانِيّ والنَّضْر بن شُمَيْل ، وأبى نُمَيْلَة يحيى بن واضح ، وعمر بن هارون .

وسمع في الرحلة من جرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، وعبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ^(١) ، وفُضَيْل بن عِيَاض ، ومُعْتَمِر بن سليمان ، وابن عُلَيَّة ، وبَقِيَّة^(٢) بن الوليد ، وحفص بن غِيَاث ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الوهاب الثَّقَفِيّ ، والوليد بن مسلم ، وعبد العزيز بن عبد الصمد العُمِّيّ ، وأَسْبَاط بن محمد ، وحاتم ابن إسماعيل ، وعُتَّاب بن بَشِير الجزريّ ، وغُنْدَر ، وعبد الرَّزَّاق ، وأبى بكر بن عِيَّاش ، وخلق سواهم .

روى عنه البخاريّ ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذيّ^(٣) ، والنسائيّ ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعِين ، ومحمد بن يحيى الذُّهَلِيّ ، وإسحاق الكُوسَج ، والحسن بن سفيان ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِيّ ، ويحيى بن آدم ، وهو من شيوخه ، وأحمد بن سلَمَة ، وإبراهيم بن أبي طالب ، وموسى بن هارون ، وجعفر الفَرَيَّابِيّ ، وإسحاق بن إبراهيم النِّسَابُورِيّ البُشْتِيّ^(٤) ، وعبد الله بن محمد بن شِيرَوَيْه ، وابنه محمد بن إسحاق بن راهويه ، وخلق ؛ آخرهم أبو العباس السَّرَّاج .

قال علي بن إسحاق بن راهويه : ولد أبى من بطن أمه مثقوب الأذنين ، فمضى جدى راهويه إلى الفضل بن موسى ، فسأله عن ذلك ، فقال : يكون ابنك رأسا ، إما في الخير وإما في الشر .

وقال أحمد بن سلمة : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول : قال لى عبد الله بن طاهر :

(١) بفتح الدال والراء وسكون الألف وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة ، كان أبوه من دارابجرد ، وكان مولى لجهينة ، فاستقلوا أن يقولوا : دارابجردى . فقالوا : دراوردى . اللباب ١ / ٤١٤ .

(٢) في المطبوعة : تقيّة ، والمثبت من : ج ، د ، والمشتبه ١١٦ .

(٣) في هامش ج : إنما روى الترمذى عن رجل ، عنه .

(٤) هذه النسبة إلى بشت : بضم الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة ، والتاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، وهى ناحية من نيسابور كثيرة الخير . اللباب ١ / ١٢٦ .

لَمْ قِيلَ لَكَ ابْنُ رَاهُوِيَه ، وَمَا مَعْنَى هَذَا ، وَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لَكَ هَذَا ؟ فَقُلْتُ :
إِنْ أُنِيَ وَلِدَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، وَقَالَتِ الْمَرَاوِزَةُ : رَاهُوِيَه ، بِأَنَّهُ وَلِدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَكَانَ أُنِيَ
يَكْرَهُ هَذَا ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَكْرَهُهُ .

قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ : إِذَا رَأَيْتَ الْخُرَاسَانِيَّ يَتَكَلَّمُ فِي إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوِيَه فَاتَّهَمُهُ فِي
دِينِهِ .

قُلْتُ : إِنَّمَا قَيَّدَ الْكَلَامَ بِالْخُرَاسَانِيَّ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ إِقْلِيمِ الْمَرْءِ هُمُ الَّذِينَ بَحِثُ لَوْ كَانَ
فِيهِ كَلَامٌ لَتَكَلَّمُوا فِيهِ ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ : مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْ أَهْلِ إِقْلِيمِهِ فَهُوَ مُتَّهَمٌ
بِالْكَذِبِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَقِّ ، لِبَرَاءَتِهِ مِمَّا يَشِينُهُ فِي دِينِهِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَمْ يَعْبرَ الْجَسْرَ إِلَى خِرَاسَانَ مِثْلُ إِسْحَاقَ .

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : رَكِبَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَه دَيْنَ ، فَخَرَجَ مِنْ مَرْوَ ، وَجَاءَ
نَيْسَابُورَ ، فَكَلَّمَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى فِي أَمْرِ إِسْحَاقَ . فَقَالَ : مَا
تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : تَكْتُبُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رَقْعَةً ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَمِيرَ خِرَاسَانَ
وَكَانَ نَيْسَابُورَ ، فَقَالَ يَحْيَى : مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ قَطُّ ، فَأَلْحُوا عَلَيْهِ ، فَكْتُبْ فِي رَقْعَةٍ ،
إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ : أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَالصَّلَاحِ . فَحَمَلَ إِسْحَاقُ الرَقْعَةَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَابِ ، قَالَ
لِلْحَاجِبِ : مَعِيَ رَقْعَةٌ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى إِلَى الْأَمِيرِ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ ، فَقَالَ لَهُ : رَجُلٌ
بِالْبَابِ زَعَمَ أَنَّ مَعَهُ رَقْعَةً يَحْيَى بْنُ يَحْيَى إِلَى الْأَمِيرِ . فَقَالَ : يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ؟ قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : أَدْخِلْهُ . فَدَخَلَ إِسْحَاقُ ، وَنَاولَهُ الرَقْعَةَ ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَقَبَّلَهَا ،
وَأَقْعَدَ إِسْحَاقَ بِجَنْبِهِ ، وَقَضَى دَيْنَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَضَيَّرَهُ مِنْ نَدَمَائِهِ .

قُلْتُ : انْظُرْ مَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ، وَانْظُرْ مَا أَدْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ،
وَأَقْصَرُ هَذِهِ الرَقْعَةِ ، وَمَا تَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِحَسَنِ اعْتِقَادِ ذَلِكَ
الْأَمِيرِ ، وَصِيَانَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَيْضًا ، وَالنَّاسِ بِزَمَانِهِمْ أَشْبَهَ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمٍ الطُّوسِيُّ حِينَ مَاتَ إِسْحَاقُ : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَخْشَى لِلَّهِ
مِنْ إِسْحَاقَ ، يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) وَكَانَ أَعْلَمُ
النَّاسِ .

(١) سورة فاطر ٢٨ .

● قلتُ : كأنَّ محمد بن أسلم يُركَّب هذا من الضرب الأول من الشكل الأول في المنطق ؛ فإنه ينحلُّ إلى قولك : كان ابن راهويه أعلم الناس ، وكل من كان أعلم الناس كان أخشى الناس ، ينتج : كان إسحاق أخشى الناس ، والمقدمة الصغرى ينبغي أن تكون محققة باتفاق أو غيره ، فكأن كونه كان أعلم الناس أمر مفروغ منه ، حتى استنتج منه : أخشى الناس .

قال محمد بن أسلم : ولو كان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق .

وقال الدارمي : ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصيِّدته .

وقال أحمد بن حنبل ، وذكر إسحاق : لا أعرف له بالعراق نظيرا .

وقال مرة ، وقد سئل عنه : مثُلُ إسحاق يُسأل عنه ! إسحاق عندنا إمام .

وقال النسائي : إسحاق بن راهويه أحد الأئمة ، ثقة ، مأمون ، سمعت سعيد بن ذؤيب يقول : ما أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق .

وقال ابن خزيمة : والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه ، وعلمه ، وفقهه .

وقال علي بن خشرم : حدثنا ابن فضيل ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي ، قال : ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومى هذا ، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته . فحدثت بهذا إسحاق بن راهويه ، فقال : تعجب من هذا ؟ قلت : نعم . قال : ما كنتُ أسمع شيئا إلا حفظته ، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث ، أو قال : أكثر من سبعين ألف حديث في كتيبي^(١) .

وقال أبو داود الخفاف : سمعت إسحاق بن راهويه ، يقول : لكأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتيبي ، وثلاثين ألفا أسردها .

قال : وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه ، ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا .

وعن إسحاق : ما سمعت شيئا إلا وحفظته ، ولا حفظت شيئا قط فنسيته .

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٢ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

وقال أبو يزيد محمد بن يحيى : سمعت إسحاق يقول : أحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي .

وقال أحمد بن سلمة : سمعتُ أبا حاتم الرّازي ، يقول : ذكرتُ لأبي زُرعة إسحاقَ بن راهويه وحفظه ؛ فقال أبو زُرعة : ما رُوي أحفظ من إسحاق .

قال أبو حاتم : والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط ، مع ما رُزق من الحفظ . قال : فقلتُ لأبي حاتم : إنه أملئ التفسير عن ظهر قلبه . فقال أبو حاتم : وهذا أعجب ، فإن ضبط الأحاديث المُسنّدة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها .

وقال محمد بن عبد الوهاب : كنت مع يحيى بن يحيى وإسحاق ، نعود مريضاً ، فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق ، وقال ليحيى : تقدم فقال يحيى لإسحاق : بل أنت تقدم فقال : يا أبا زكريا أنت أكبر مني . قال : نعم ، أنا أكبر منك ، ولكنك أعلم مني ، قال : فتقدم إسحاق .

وقال أبو بكر محمد بن النّضر الجارودي^(١) : حدثنا شيخنا ، وكبيرنا ، ومن تعلّمنا منه وتجلّنا به أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رضي الله عنه .

وقال الحاكم : هو إمام عصره في الحفظ والفتوى .

وقال أبو إسحاق الشّيرازي : جمع بين الحديث ، والفقه ، والورع .

وقال الحليّ في « الإرشاد » : كان يُسمّى شهنشاه الحديث .

وقال أحمد بن سعيد الرّباطي^(٢) في إسحاق :

قُرْبِي إِلَى اللَّهِ دَعَانِي إِلَى حَبِّ أَبِي يَعْقُوبَ إِسْحَاقَ^(٣)
لَمْ يَجْعَلِ الْقُرْآنَ خَلْقًا كَمَا قَدْ قَالَهُ زَيْدِيٌّ فَسَّاقٍ

(١) بفتح الجيم وضم الراء وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى الجارود ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه . الباب ٢٠٣/١ .

(٢) بكسر الراء وفتح الباء الموحدة وبعد الألف طاء مهملة . هذه النسبة إلى الرباط ، وهو اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر لحفظه . الباب ٤٥٧/١ .

(٣) في المطبوعة : داعيني ، والمثبت من : ج ، د ، وحلية الأولياء ٢٣٤/٩ .

يا حُجَّةَ اللَّهِ على خَلْقِهِ في سَنَةِ المَاضِينَ لِلْباقِي
أَبوكَ إِبْرَاهِيمَ مُحَضُّ التُّقَى سَبَّاقُ مَجْدٍ وابنُ سَبَّاقِ
قال أبو يحيى الشَّعْرَانِيُّ^(١) : إنَّ إِسْحاقَ كانَ يُحْضِبُ بِالْحَنَّا .

قال : وما رَأَيْتُ بيده كِتاباً قطُّ ، إنَّما كانَ يُحَدِّثُ منَ حَفْظِهِ .

وقال : وكُنْتُ إذا ذَاكَرْتُ إِسْحاقَ في العِلْمِ وَجَدْتُهُ فَرِداً ؛ فإذا جِئْتُ إلى أَمْرِ
الدُّنْيا وَجَدْتُهُ لا رَأْيَ لهُ .

توفى إِسْحاقُ ليلَةَ نِصْفِ شَعْبَانَ ، سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ .

قال البُخَارِيُّ : ولهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً .

قال الخَطِيبُ : فهِذا يَدُلُّ أَنَّ مَوْلَدَهُ سَنَةُ إِحْدَى وَسِتِينَ .

وفى ليلَةَ موْتِهِ يَقولُ الشَّاعِرُ^(٢) :

يا هَدَّةً ما هُدِدْنَا ليلَةَ الأَحَدِ في نِصْفِ شَعْبَانَ لا تُنْسَى مَدَى الأَبَدِ

قال أبو عمرو المُسْتَمْلَى النِّسَابُورِيُّ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلَمَةَ الكَرَّائِسِيُّ ، وَهُوَ
مِنَ الصَّالِحِينَ ، قال : رَأَيْتُ ليلَةَ ماتَ إِسْحاقُ الحَنْظَلِيُّ كَأَنَّ قَمراً ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ
إِلَى السَّمَاءِ ، مِنْ سِكَّةِ إِسْحاقَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَسَقَطَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ إِسْحاقُ .
قال : وَلَمْ أَشْعُرْ بِموْتِهِ فَلَمَّا غَدَوْتُ إذا بِحَفَّارٍ يَحْفَرُ قَبْرَ إِسْحاقَ ، فِي المَوْضِعِ الَّذِي رَأَيْتُ
القَمَرَ وَقَعَ فِيهِ .

قال الحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : إِسْحاقُ بْنُ رَاهُويَةَ ، وابنُ المَبَارِكِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ،
هُؤُلاءِ دَفَنُوا كَتَبَهُمُ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ المَسْنَدِيُّ إِذَا خَاصَا ، أَخْبَرَنَا المُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَّانَ ،
أَخْبَرَنَا زَيْدُ بْنُ الحَسَنِ الكِنْدِيُّ ، أَخْبَرَنَا القَزَّازُ ، أَخْبَرَنَا الخَطِيبُ ، أَخْبَرَنَا الحَسَنُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ
رَافِعِ بْنِ (٣) الإِسْتِراباذِيِّ القَاضِي ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بُشْدَارِ الإِسْتِراباذِيِّ ، حَدَّثَنَا

(١) بفتح الشين وسكون العين المهملة بعدها الراء المفتوحة وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى الشعر على الرأس وإرساله . اللباب ٢١/٢ .

(٢) البيت في تهذيب التهذيب ٢١٨/١ ، بغير نسبة أيضا .

(٣) في ج : راسير ، وفي د : راسين ، والثبت في المطبوعة ، وتاج العروس ٢٢٠/٩ ، وقد ترجمه الزبيدي .

عبد الله بن إسحاق المدائني ، قال : حدثنا الوليد بن شجاع ، حدثني بَقِيَّة ، عن إسحاق بن راهويه ، حدثنا الْمُعْتَمِر بن سليمان ، عن ابن فضال ، عن أبيه ، عن علقمة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : نهى رسول الله ﷺ عَنْ كَسْرِ سِكَّةِ المسلمين^(١) الجائِزَةِ إِلَّا مِنْ بَأْسٍ .

(مناظرة بين الشافعي وإسحاق رضى الله عنهما)

● رَوَى عن إسحاق بن راهويه ، قال : كنا بمكة ، والشافعي بها ، وأحمد بن حنبل أيضًا بها ، وكان أحمد يجالس الشافعي ، وكنت لا أجالسه ، فقال لي أحمد : يا أبا يعقوب لِمَ لَا تَجَالِسُ هَذَا الرَّجُلَ ؟ فقلت : مَا أَصْنَعُ بِهِ ، وَسِينَهُ قَرِيبٌ مِنْ سَنَانَا ؟ كَيْفَ أَتْرُكُ ابْنَ عُيَيْنَةَ وَسَائِرَ الْمَشَائِخِ لِأَجْلِهِ ؟ ! قال : وَيُحْكُ ، إِنْ هَذَا يَفُوتُ ، وَذَلِكَ لَا يَفُوتُ . قال إسحاق : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ ، وَتَنَاضَرْنَا فِي كِرَاءِ بِيوتِ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ وَكَانَ الشَّافِعِيُّ تَسَاهَلَ فِي الْمَنَازَرَةِ وَأَنَا بِالْغَثِّ فِي التَّقْرِيرِ ؛ وَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ كَلَامِي ، وَكَانَ مَعِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَرُوءَ ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : مَرَدُّكَ هَكَذَا مَرَدُّكَ وَإِكْمَالِي نَيْسَتْ^(٢) - يَقُولُ بِالْفَارَسِيَّةِ : هَذَا الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ كِمَالٌ - فَعَلِمَ الشَّافِعِيُّ أَنِّي قُلْتُ فِيهِ سُوءًا فَقَالَ لِي : أَتَنَاضَرُ ؟ قُلْتُ : لِلْمَنَازَرَةِ جِئْتُ .

قال الشافعي : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾^(٣) فَنَسَبَ الدِّيَارَ إِلَى مَالِكِهَا أَوْ إِلَى غَيْرِ مَالِكِهَا ؟ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ : « مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » فَنَسَبَ الدِّيَارَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، أَمْ إِلَى غَيْرِ أَرْبَابِهَا ؟ وَاشْتَرَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَارًا لِلْسَّجْنِ مِنْ مَالِكٍ أَوْ مِنْ غَيْرِ مَالِكٍ ؟ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ ! » .

(١) فسر ابن منظور السكة في الحديث بقوله : أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين ، سمي كل واحد منهما سكة ؛ لأنه طبع بالحديد الملمعة له . اللسان ٤٤٠/١٠ .

(٢) في المطبوعة : قيل وإكمال ينسب . والمثبت من : ج . ومردك : رجل صغير ، ونيس : لا يكون . المعجم في اللغة الفارسية ٢٩٧ ، ٣٣٨ . وانظر مناقب الشافعي للبيهقي ٢١٣ / ١ .

(٣) سورة الحشر ٨ .

قال إسحاق ، فقلت : الدليل على صحة قولي أن بعض التابعين قال به .

فقال الشافعي لبعض الحاضرين : من هذا .

فقال : إسحاق بن إبراهيم الحنظلي .

فقال الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيهم ؟

قال إسحاق : هكذا يزعمون .

فقال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك ، فكنت أمر بعرك أذنيه أقول : قال رسول الله ﷺ ، وأنت تقول : قال عطاء وطاوس ، والحسن وإبراهيم ، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة ؟

فقال إسحاق : اقرأ : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ ^(١)

فقال الشافعي : هذا في المسجد خاصة .

وعن داود بن علي الأصفهاني ، أنه كان يقول : إن إسحاق لم يفهم احتجاج الشافعي ؛ فإن غرض الشافعي أن يقول : لو كانت أرض مكة مباحة للناس لكان النبي ﷺ يقول : أي موضع أذكر كنا في دار أي شخص نزلنا ؛ فإن ذلك مباح لنا ، فلما لم يقل ذلك ، بل قال : « لَمْ يَتْرُكْ لَنَا عَقِيلٌ سَكَنَّا » دل ذلك على أن كل من ملك منها شيئاً فهو مالك له ؛ منعه غيره أو لم يمنعه .

ثم يحكي عن إسحاق أنه [كان] ^(٢) إذا ذكر الشافعي كان يأخذ لحيته بيده ويقول : واحيائي من محمد بن إدريس - يعني في هذه المسألة - ولا سيما في قوله : مردك لا كما لي نيسنت ^(٣) .

وفي رواية قال إسحاق : لما عرفت أنني أفيجت قمت .

(١) سورة الحج ٢٥ .

(٢) ساقط من : ج ، د . وهو من المطبوعة .

(٣) كذا في الأصول ، وقد تقدم في الصفحة السابقة .

(مناظرة أخرى بينهما)

● أخبرنا المحدث أبو زكريا يحيى بن يوسف بن أبي محمد المقدسي المعروف بابن الصيرفي قراءة عليه وأنا أسمع ، في سادس رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمصر ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن رواج إجازة ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي سمعا عليه ، أخبرنا المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي ببغداد قراءة ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الفالي^(١) ، أخبرنا القاضي أبو عبد الله أحمد بن إسحاق بن خربان^(٢) الثهاوندي ، أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، حدثنا زكريا الساجي ، حدثني جماعة من أصحابنا : أن إسحاق ابن راهويه ناظر الشافعي ، وأحمد بن حنبل حاضر في جلوس الميتة إذا دُبغت .

فقال الشافعي : دباغها طهورها .

فقال إسحاق : ما الدليل ؟

فقال الشافعي : حديث الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن ميمونة : أن النبي ﷺ مرَّ بشاة ميتة ، فقال : « هَلَّا اتَّفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا » .

فقال إسحاق : حديث ابن عكيم^(٣) كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر : « لَا تَتَفَعُّوا مِنَ الْمَيْتَةِ بِإِهَابٍ ، وَلَا عَصَبٍ » أشبه أن يكون ناسخا لحديث ميمونة ؛ لأنه قبل موته بشهر .

فقال الشافعي : هذا كتاب ، وذاك سماع .

فقال إسحاق : إن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر ، وكان حجة عليهم عند الله .

(١) في المطبوعة : القالي ، والتصويب من : ج ، والعبر ٢١٦/٣ . والقالي بفتح الفاء وسكون الألف وفي آخرها لام نسبة إلى بلد يسمى فاله ، قال الخطيب أبو بكر : أظنها من فارس ، قرية من إيدج . اللباب ١٩٤/٢ .

(٢) في المطبوعة : خرثان ، والتصويب من : ج ، والمشتبه ٢٢٩ .

(٣) هو عبد الله بن عكيم الجهني . الإصابة ١٨١ / ٤ . وانظر نصب الراية ١ / ١٢٠ .

فسكت الشافعي . فلما سمع ذلك أحمد بن حنبل ذهب إلى حديث ابن عُكَيْم ،
وأفتى به . ورجع إسحاق إلى حديث الشافعي ، فأفتى بحديث ميمونة .

قلت : وهذه المناظرة حكاها البيهقي وغيره . وقد يظن قاصر الفهم أن الشافعي
انقطع فيها مع إسحاق ، وليس الأمر كذلك ، ويكفيه مع قصور فهمه أن يتأمل
رجوع إسحاق إلى [قول] ^(١) الشافعي ؛ فلو كانت حجته قد نهضت على الشافعي
لما رجع إليه .

ثم تحقيق هذا أن اعتراض إسحاق فاسد الوضع ، لا يُقابل بغير السكوت ، بيانه
أن كتاب عبد الله بن عُكَيْم كتابٌ عارضه سماع ، ولم يتيقن أنه مسبوق بالسماع ،
وإنما ظن ذلك ظناً لقرب التاريخ ، ومجرد هذا لا ينهض بالنسخ . أما كتب رسول الله
ﷺ إلى كسرى وقيصر فلم يعارضها شيء ، بل عضدتها القرائن ، وساعدها التواتر
الدال على أن هذا النبي ﷺ جاء بالدعوة إلى ما في هذا الكتاب ، فلاح بهذا أن
السكوت من الشافعي تسجيل على إسحاق بأن اعتراضه فاسد الوضع ، فلم يستحق
عنده جواباً . وهذا شأن الخارج عن المبحث عند الجدليين ؛ فإنه لا يُقابل بغير
السكوت ، ورب سكوتٍ أبلغ من نطق ، ومن ثم رجع إليه إسحاق ، ولو كان
السكوت لقيام الحجة لأكد ذلك ما عند إسحاق . فافهم ما يُلقى إليك .

(مسائل غريبة عن إسحاق رحمه الله تعالى)

● الصحيح عند أصحابنا أن صلاة الكافر لا تُصيرُه مسلماً ، سواء كان في دار
الحرب ، أم في دار الإسلام .

وحكى قول في الحربى يصلّى في دار الحرب ، والمسألة مبسطة في المذهب ،
مُطلقة غير مقيدة بصلاة واحدة ، أو بصلوات كثيرة .

ونقل ابن عبد البر أن إسحاق بن راهويه ، قال : إن العلماء أجمعوا في الصلاة على ما لم
يجمعوا عليه في سائر الشرائع ، فقالوا : من عُرف بالكفر وكان لا يصلّى ، ثم رآوه يصلّى

(١) زيادة من المطبوعة على ما في : ج ، د .

حتى صلى صلوات كثيرة في وقتها ، ولم يَعْرِفُوا منه إقرارا باللسان ، أنه يُحَكِّمُ له بالإيمان ، وليس كذلك في الصوم والزكاة والحج . انتهى .

وأقره ابن عبد البر عليه ، وهو فرع غريب ، ظاهر كلام المَذْهَبَيْنِ أنه لا فرق بين أن تُكْرَّرَ منه الصلاة ، أو لا تُكْرَّرُ^(١) .

٢٠

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق

الإمام الجليل ، أبو إبراهيم المُرْنِيّ *

ناصر المذهب ، وبدر سمائه .

وُلِدَ سنة خمس وسبعين ومائة .

وَحَدَّثَ عن الشافعيّ ، وَنُعَيْمِ بن حَمَّاد ، وغيرهما .

رَوَى عنه ابن خُزَيْمَةَ ، والطَّحَاوِيُّ ، وزكريا السَّاجِيّ ، وابن جَوْصَا^(٢) ، وابن أُمّ حاتم ، وغيرهم .

وكان جبل علم ، مناظرا ، مُحْجَاجَا .

قال الشافعيّ رضي الله عنه في وصفه : لو ناظره الشيطان لغلِبَه .

(١) بعد هذا في الطبقات الوسطى :

إسحاق بن بهلول بن حسان

أبو يعقوب ، التنوخي ، الأتباري الحافظ .

روى عن الشافعيّ ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وخلق .

وعنه إبراهيم الحرّثي ، وابن أبي الدنيا ، وطائفة .

مات بالأندلس ، سنة ثنتين وخمسين ومائتين .

* له ترجمة في : شذرات الذهب ٢ / ١٤٨ ، طبقات الشيرازي ٧٩ ، طبقات الفقهاء للعبادي ٩ ، طبقات ابن

هداية الله ٥ ، العبر ٢ / ٢٨ ، الباب ٣ / ١٣٣ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٣٩ ، وفيات الأعيان ١ / ١٩٦ . والمزني : بضم

الميم وفتح الزاي وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى مزينة بنت كلب ، أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أد من مضر .

(٢) في المطبوعة : حوصا ، والمثبت من : ج ، والمشتبه ٢٧٤ .

وكان زاهدا ، ورعا ، متقللا من الدنيا ، مُجّاب الدعوة . وكان إذا فاتته صلاة في جماعة صلاها خمسا وعشرين مرة ، ويغسل الموتى تعبّدا واحتسابا ، ويقول : أفعله ليرقّ قلبي .

قال أبو الفوارس السّنديّ : كان المُزَنّي والربيع رضيعين .
وقال أبو إسحاق الشّيرازيّ : كان زاهدا ، عالما ، مجتهدا ، مناظرا ، مُحجّاجا ، غَوّاصا على المعاني الدقيقة . صنّف كتبًا كثيرة : « الجامع الكبير » ، و « الجامع الصغير » ، و « المختصر » ، و « المنثور » ، و « المسائل المعبرة » ، و « الترغيب في العلم » ، و « كتاب الوثائق » ، و « كتاب العقارب » ، و « كتاب نهاية الاختصار » .

قال الشافعيّ : المُزَنّي ناصر مذهبي .

وقال الربيع بن سليمان : دخلنا على الشافعيّ رضي الله عنه عند وفاته ؛ أنا ، والبُوَيْطَيّ ، والمُزَنّي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : فنظر إلينا الشافعيّ ساعة ، فأطال ، ثم التفت إلينا ، فقال : أمّا أنت يا أبا يعقوب فستموت في حديد لك^(١) ، وأمّا أنت يا مُزَنّي فسيكون لك بمصر هَنَات وهَنَات^(٢) ، ولتدركن زمانا تكون أقيس أهل ذلك الزمان ، وأمّا أنت يا محمد فسترجع إلى مذهب أبيك ، وأمّا أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فتسلّم الحَلَقَة . قال الربيع : فكان كما قال .

قلْتُ : وذكروا أن المُزَنّي كان إذا فرغ من مسألة في المختصر صلى ركعتين . وقال عمرو بن عثمان المَكِّيّ : ما رأيت أحدا من المتعبدين في كثرة من لقيتُ منهم أشدّ اجتهادا من المُزَنّي ، ولا أذوم على العبادة منه ، وما رأيت أحدا أشدّ تعظيما للعلم وأهله منه ، وكان من أشد الناس تضيقا على نفسه في الورع ، وأوسع في ذلك على الناس ، وكان يقول : أنا خُلِق من أخلاق الشافعيّ .

وقال أبو عاصم : لم يتوضأ المُزَنّي من حَبَاب^(٣) ابن طولون ، ولم يشرب من كيزانه . قال : لأنه جُعِل فيه سِرَجِين^(٤) ، والنار لا تُطَهَّر .

(١) في المطبوعة : حديدك ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : هيئات وهنات . وفي د : هبات وهنات . والمثبت من : ج .

(٣) حباب الماء (بالفتح) : معظمه أو طرائقه . القاموس (ح ب ب) .

(٤) السرجين (بالكسر) : الزبل . وفي طبقات العبادي : لأنه جعل فيها السرقين والنار لا تطهره .

وقيل : إن بكَّار بن قُتيبة لَمَّا قدم مصر على قضائها وهو حنفى ، فاجتمع بالمُزنى مرة ، فسأله رجل من أصحاب بكَّار ، فقال : قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وتحليله ؛ فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟ فقال المُزنى : لم يذهب أحد إلى تحريم النبيذ في الجاهلية ، ثم تحليله لنا ، ووقع الاتفاق على أنه كان حلالا فحُرِّم ، فهذا يعضد أحاديث التحريم . فاستحسن بكَّار ذلك منه .

أخذ عن المُزنى خلائق من علماء خراسان ، والعراق ، والشام .
وتوفى لست بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين ومائتين .

(ومن الرواية عن أبي إبراهيم ، رحمه الله تعالى)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن الحنبلى غير مرة ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن الحسين بن البزَّ (١) الأسدَى ، سنة ثلاث وعشرين ، أخبرنا جدى الحسين ، أخبرنا على بن محمد بن على الشافعى ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، أخبرنا محمد بن الفضل الفراء بمصر ، أخبرنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصَّابُونى ، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، أخبرنا المُزنى ، أخبرنا الشافعى ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال ، فقيل : إنك تواصل . فقال « لَسْتُ مِثْلُكُمْ ، إِنِّى أَطْعَمُ وَأُسْقِى » .

وبهذا الإسناد : أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان ، فقال : « لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهَلَالَ ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدُرُوا لَهُ » .

وبه : أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان ، على السنة ، على الناس صاع من تمر ، وصاع من شعير ، على كل حر وعبد ، وذكر وأنثى ، من المسلمين . متفق عليها .

وهى من الأسانيد التى ينبغى أن تسمى عقد الجوهر ، ولا حرج (٢) .

(١) هكذا ورد ضبطه في : ج . وانظر المشتبه ٥٥ .

(٢) في ج : ولا جرح ، والمثبت في المطبوعة ، د .

وقد وقع لنا جزء^(١) أخرجه الإمام الجليل أبو عَوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني ، فيه ما في مختصر أبي إبراهيم المُرَني من الأحاديث بالأسانيد ، أخبرنا به شيخنا الحافظ أبو الحجاج المُرَني ، قراءة عليه وأنا أسمع ، يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن يحيى الكرخي ، بقراءة عليه ، أخبرنا الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح .

ح : قال شيخنا : وأخبرنا أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أبي عَصْرُون التَّمِيمِي ، وسِتْ الأَمْناء أُمينة بنت أبي نصر عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر ، وأبو الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، وأبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأُبْهَرِي ، بقراءة عليهم ، قالوا : أخبرنا أبو بكر القاسم بن أبي سعد عبد الله ابن عمر بن أحمد الصَّفَّار ، قال ابن الصَّلَّاح : سماعا عليه ، وقال الباقر : كتابة ، أخبرنا الإمام أبو منصور عبد الخالق بن زَاهِر الشَّحَامِي ، أخبرنا الرئيس أبو عمرو عثمان بن محمد المَحْمِي^(٢) ، أخبرنا أبو نُعَيْم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق الأزْهَرِي الإسفرائيني ، قراءة عليه ، في رجب سنة تسع وتسعين^(٣) وثلثائة ، أخبرنا خال أُمي أبو عَوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ ، سنة ست عشرة وثلثائة ، حدثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُرَني ، قال : قال الشافعي : أخبرنا سفيان ، عن الزُّهْرِي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ » .

هذا أول أحاديث الجزء ، وكله سماعا بهذا السند ، وأكثره بمثل هذا الإسناد العظيم ، فمن أبي نُعَيْم إلى أبي هريرة كلهم أئمة ، أجلاء ، ثمانية من السادات ؛ علما ، ودينا ، وإتقانا .

(١) في المطبوعة : خبر ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) يفتح الميم وسكون الحاء وفي آخرها ميم ثانية ، هذه النسبة إلى محم ، وهو بيت كبير بنيسابور ، يقال لهم : الحمية . اللباب ١٠٨/٣ .

(٣) في ج : وسبعين ، والمثبت في المطبوعة ، د .

(ومن مستغرب روايات أبى إبراهيم عن الشافعى ومستظرفها)

● قال البيهقى فى كتاب « أحكام القرآن » الذى جمعه من كلام^(١) الشافعى ، وهو كتاب نفيس ، من ظريف مصنفات البيهقى : سمعت أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدان الكرماني ، يقول : سمعت أبى الحسن محمد بن أبى إسماعيل العلوى ببخارى ، يقول : سمعت أحمد بن محمد بن حسان المصرى بمكة ، يقول : سمعت المزننى ، يقول : سئل الشافعى عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾^(٢) قال : معناه ما تقدم من ذنب أبيك آدم عليه السلام وهبته لك ، وما تأخر من ذنوب أمتك أدخلهم الجنة بشفاعتك . قال البيهقى : وهذا قول مُستظرف .

قال : والذى وضعه الشافعى - يعنى فى تفسير هذه الآية - فى تصنيفه ، وصح فى الرواية وأشبهه بظاهر الآية - يعنى ما تقدم قبل الوحي ، وما تأخر - أن يعصمه فلا يذنب ، فعلم ما يفعل به من رضاه عنه ، وأنه أول شافع ، وأول مُشفع يوم القيامة ، وسيد الخلائق . كذا رواه الربيع ، عن الشافعى .

قلت : وقد نُقل عن عطاء الخراسانى مثل التفسير الذى رواه المزننى ، عن الشافعى وهو أنه قال : ما تقدم من ذنب أبويك : آدم وحواء ، ببركتك ، وما تأخر من ذنب أمتك بدعوتك .

قال الطحاوى : حدثنا المزننى ، قال : سمعتُ الشافعى ، يقول : دخل ابن عباس على عمرو بن العاص ، وهو مريض ، فقال : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت ، وقد أفسدت من دنيائى كثيرا ، وأصلحت من دينى قليلا ؛ فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفُزْتُ ، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبتُ ، ولو كان ينجينى أن أهرب هربتُ ، فعظنى بموعظة أنتفع بها يا ابن أخى . فقال : هيات يا أبى عبد الله . فقال : اللهم إن ابن عباس يقنطنى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى .

(١) فى المطبوعة ، د : كتاب ، والمثبت من : ج .

(٢) سورة الفتح ١ ، ٢ .

قال أبو إبراهيم المُزَنِّي رحمه الله : كنت يوما عند الشافعي ، أسأله عن مسائل بلسان أهل الكلام ، قال : فجعل يسمع مني ، وينظر إلي ، ثم يجيبني عنها بأحضر جواب ؛ فلما اكتفيت قال لي : يا بُني ، أدُّلك على ما هو خير لك من هذا ؟ قلت : نعم . فقال : يا بُني هذا علم إن أنت أصبت فيه لم تُؤَجِر ، وإن أخطأت فيه كفرت ، فهل لك في علم إن أصبت فيه أُجرت ، وإن أخطأت لم تأثم ؟ قلت : وما هو ؟ قال : الفقه . فلزمته ، فتعلمت منه الفقه ، ودرست عليه .

قال : وبكت يوما عنده إذ دخل عليه حفص الفرد ، فسأله عن سؤالات كثيرة ، فبينما الكلام يجري بينهما ، وقد دَقَّ حتى لا أفهمه ، إذ التفت إلي الشافعي مسرعًا ، فقال : يا مُزَنِّي ، قلت : لبَّيك . قال : تدري ما قال حفص ؟ قلت : لا ، قال : خير لك أن لا تدري .

قلت : قوله « بأحضر جواب » هو بالحاء المهملة بعدها ضاد منقوطة : أفعِل تفضيل من حضر يحضر ، كذا سمعت والدي رحمه الله يلفظ به . وقد حدثنا بهذه الحكاية من لفظه :

أخبرنا عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة ، أخبرنا ابن رَوَاج ، أخبرنا السَّلَفِي ، أخبرنا العَلَّاف ، أخبرنا الحَمَامِي ، أخبرنا الحُتَيْبِي ، حدثني أبو اليَسَار الأَحْوَل : سمعت أبا إبراهيم يقول ، فذكره .

قال أبو إبراهيم : سمعت الشافعي ، يقول : ما رفعتُ أحدا فوق منزلته ، إلا حَطَّ مني بمقدار ما رفعتُ منه .

قال الرافعي في « باب المسابقة » : عن المُزَنِّي أنه قال : سألنا الشافعي أن يصنّف لنا « كتاب الرُّمَى والسَّبَق » فذكر لنا أن فيه مسائل صعبا ، ثم أملاه علينا ، ولم يُسَبِّق إلى تصنيف هذا الكتاب . انتهى .

قلتُ : قوله : « ولم يُسَبِّق إلى تصنيف هذا الكتاب » هو من كلام ...^(١) .

(١) بياض في كل الأصول .

قال المُزَنِّي : سمعتُ الشافعيّ يقول : مَنْ تعلَّم القرآنَ عظمت قيمته ، وَمَنْ نظر في الفقه نُبل قدره ، وَمَنْ كتب الحديث قويت حُجَّتُه ، وَمَنْ نظر في اللغة رُقَّ طبعه ، وَمَنْ نظر في الحساب جَزُل رأيه ، وَمَنْ لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه .

● قال ابن خُزَيْمَة : عن المُزَنِّي ، سئل الشافعيّ عن نعمة ابتلعت جوهرة لرجل ، فقال : لست أمره بشيء ، ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيّسا عدا على النّعمة فذبحها ، واستخرج جوهرة ، ثم ضَمِن لصاحب النّعمة ما بين قيمتها حياة ومذبوحة .

قال المُزَنِّي : سمعت الشافعيّ ، يقول : رأيت بالمدينة أربع عجائب : رأيت جدّة بنت واحدة وعشرين سنة ، ورأيت رجلا فلسه القاضي في مُدَّين نوى ، ورأيت شيخا قد أتى عليه تسعون سنة ، يدور نهاره أجمع حافيا راجلا^(١) على القَيْنات يعلمهن الغناء ، فإذا أتى الصلاة صلّى قاعدًا ، ونسيّت الرابعة .

قال المُزَنِّي : مررنا مع الشافعيّ وإبراهيم بن إسماعيل بن عُليّة على دار قوم ، وجارية تغنيهم^(٢) :

خليلى ما بأل المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعيّ : ميلوا بنا نسمع . فلما فرغت ، قال الشافعيّ لإبراهيم : أيطربك هذا ؟ قال : لا ، قال : فما بالك^(٣) !

قال الأماطيّ : قال المُزَنِّي : أنا أنظر في كتاب « الرسالة » منذ خمسين سنة ، ما أعلم أتى نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفته .

● قال المُزَنِّي : سمعت الشافعيّ يقول : القَدَرية الذين قال رسول الله ﷺ : « هُمْ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ » الذين يقولون : إن الله لا يعلم بالمعاصي حتى تكون .

(١) في المطبوعة : داخلا ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، وهو في ديوانه ٣١٣ ، وفيه : • خليلى ما بال المطايا كأنما •

(٣) في المطبوعة : فمالك ، والمثبت من : ج ، د .

وقال : سمعت الشافعي يقول : أقمْتُ أربعين سنة أسأل الذين تزوّجوا ، فما منهم أحد قال : إنه رأى خيرا .

قال : وسمعتُه يقول : أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من لا ينفعه .

● وعن المُزَنِّي : سمعت الشافعي يقول : لا يَحِلُّ لأحد سَمْعَ حديث رسول الله ﷺ ، في رفع اليدين ، في افتتاح الصلاة ، وعند الركوع ، والرفع من الركوع أن يترك الاقتداء بفعله ﷺ .

قلتُ : هذا صريح في أنه يوجب ذلك .

وروى الحافظ أبو الحسن عليّ بن الحسن بن حَمَّكان^(١) في « كتابه في مناقب الشافعي » أن المُزَنِّي قال : سمعت الشافعي يقول : بعث إلى هارون الرشيد ليلا الربيع ، فهجم عليّ من غير إذن ، فقال لي : أجب .

فقلت له : في مثل هذا الوقت ، وبغير إذن !

قال : بذلك أُمِرْتُ .

فخرجت معه ، فلما صرت بباب الدار ، قال لي : اجلس ، فلعلّه قد نام ، أو قد سكنت سورة غضبه . فدخل فوجد الرشيد منتصباً ، فقال : ما فعل محمد بن إدريس ؟ قلتُ : قد أحضرته . فخرجت فأشخصته .

قال الشافعي : فتأملتني . ثم قال لي : يا محمد أرعبناك فانصرفت راشداً ، يا ربيع احمل معه بذرة ودرهم . قال ، فقلتُ : لا حاجة لي فيها . قال : أقسمت عليك إلا أخذتها . فحملت بين يدي .

فلما خرجتُ قال لي الربيع : بالذي سخر لك هذا الرجل ، ما الذي قلتُ ؟ فإني أحضرْتُك ، وأنا أرى موضع السيف من قفاك . فقلتُ : سمعت مالك بن أنس يقول :

(١) بحاء مهملة بعدها ميم مفتوحتان وكاف . شذرات الذهب ١٧٤/٣ .

سمعتُ نافعًا يقول : سمعت عبد الله بن عمر رضی الله عنهما ، يقول : دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ هَذَا الدُّعَاءَ ، فَكُفِّي ، وَهُوَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ ، وَبِرَكَّةِ طَهَارَتِكَ ، وَعَظَمِ جَلَالِكَ ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ . اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي فَبِكَ أَعُوذُ ، وَأَنْتَ عِيَاذِي ، فَبِكَ أَعُوذُ ، وَأَنْتَ مَلَاذِي ، فَبِكَ الْوُدُ ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ ، وَخَضَعَتْ لَهُ مَقَالِيدُ الْفِرَاعِنَةِ ، أَجْزَنِي مِنْ حَزْنِكَ ، وَعُقُوبَتِكَ ^(١) فِي لَيْلِي ، وَنَهَارِي ، وَنَوْمِي ، وَقَرَارِي . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، تَعْظِيمًا لَوْجْهِكَ ، وَتُكْرِيمًا لِسَبْحَاتِكَ ، فَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّ عِبَادِكَ ، وَاجْعَلْنِي فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ ، وَسُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ ، وَعُدْ عَلَيَّ بِخَيْرٍ مِنْكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » ^(٢) .

(النظر في النجوم ، وما يؤثر عن الشافعي في ذلك)

عن الْمُزَنِّي : سمعت الشافعي يقول : ضاع مني دنائير ، فجئت بقائِف ، فنظر ... الحكاية .

ونظيرها قول عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان الشافعي يقول : كان محمد بن إدريس الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم ... الحكاية ، وفي آخرها : وقد صدق معه بعض المُنَجِّمِينَ ، فجعل الشافعي على نفسه أن لا ينظر في النجوم .

● واعلم أنه قد يعترض معترض على نظر هذا الإمام في النجوم ، فيجيب مجيب أن ذلك كان في حادثة سيئه . وليس هذا بجواب ، والخطب في مسألة النظر في النجوم جليل عسير ، وجماع القول أن النظر فيه لِمَنْ يُحِبُّ إِحَاطَةً بِمَا عَلَيْهِ أَهْلُهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ ، أما اعتقاد تأثيره ، وما يقوله أهله فهذا هو المنكر . ولم يقل بجحله ؛ لا الشافعي ، ولا غيره .

(١) في ج ، د زيادة : فإنني .

(٢) في هامش ج تعليقا على هذا الحديث : هذا حديث موضوع على هذا الإسناد ، لم يتحدث به ابن عمر ولا نافع ولا مالك ولا الشافعي ، والعجب من هذا المصنف الذي يدعي أنه محدث ، لم لا ينقب عن هذه المنكرات ؟ وستأتي بعد قليل في ترجمة الفضل بن الربيع هذه الحكاية بسياق آخر ، فانظر وتعجب ! وانظر ١٥٣ .

ورأيت الشيخ برهان الدين بن الفُركاح^(١) ذكر في كتاب الشهادات من «تعليقه» وقد ذكر عن الشافعي ما ذكرناه : إن كان المنجم ، يقول ويعتقد أن لا يؤثر إلا الله ، لكن أجرى الله تعالى العادة بأنه يقع كذا عند كذا ، والمؤثر هو الله ، فهذا عندي لا بأس به ، وحيث جاء الدُّم ينبغي أن يُحمَل على مَنْ يعتقد تأثير النجوم وغيرها من المخلوقات . انتهى .

وكانت المسألة قد وقعت في زمانه ، فذكر هو ما ذكرناه .

وأفتى الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكَانِي^(٢) بالتحريم مطلقا ، وأطال فيه . وليس ما ذكره بالبين^(٣) ، والظن أنه لو استحضر صَنِيع الشافعي لما أطلق لسانه هذا الإطلاق .

وأفتى ابن الصَّلَاح بتحريم الضَّرْب في الرمل ، وبالخصى ، ونحو ذلك .
ولأهل العلم على قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾^(٤) مباحث .

(ذكر البحث عن تخريجات المُزْنِي رحمه الله وآرائه ،
هل تلتحق بالمذهب ؟)

قال الرافعي في باب الوضوء : تفرُّدات المُزْنِي لا تُعَد من المذهب إذا لم يخرجها على أصل الشافعي .

● ونقل - أعني الرافعي - عما علّق عن الإمام في مسألة خلع الوكيل : أن المُزْنِي لا يخالف أصول الشافعي ، وأنه ليس كأبي يوسف ومحمد ؛ فإنهما يخالفان أصول صاحبهما .

(١) الفركاح : من ارتفع مذروا استه وخرج دبره . القاموس (ف ر ح) .

(٢) بفتح الزاي وسكون الميم وفتح اللام والكاف وفي آخرها نون هذه النسبة إلى قرية بدمشق . اللباب ٥٠٧/١ .

(٣) في المطبوعة : بأين ، وفي د : باليسير ، والمثبت من : ج .

(٤) سورة الصافات ٨٨ ، ٨٩ .

والذى رأيتُه في « النهاية »^(١) في هذه المسألة : والذى أراه أن يُلحق مذهبه في جميع المسائل بالمذهب ، فإنه ما انحاز عن الشافعيّ في أصل يتعلق الكلام فيه بقاطع ، وإذا لم يفارق الشافعيّ في أصوله فتخريجاته خارجة^(٢) على قاعدة إمامه ، وإن كان لتخريج مخرّج التحاق بالمذهب فأولاها تخرج المُرنيّ ، لعلّ منصبه ، وتلقّيه أصول الشافعيّ . وإنما لم يُلحق الأصحاب مذهبه في هذه المسألة ، لأن من صيغة تخرجه أن يقول : قياس مذهب الشافعيّ كذا وكذا ، فإذا انفرد بمذهب استعمل لفظة تشعير بانحيازها ، وقد قال في هذه المسألة لمّا حكى جواب الشافعيّ : ليس هذا عندي بشيء . واندفع في توجيه مذهبه .

● والمسألة : إذا وكتّته في الخُلع بمُقَدَّر ، فزاد عليه وأضاف ، فمنصوص الشافعيّ أن البيئونة حاصلة ، ومذهب المُرنيّ أن الطلاق لا يقع .

قلتُ : ولعل الشَّهرستانيّ صاحب كتاب « الملل والنحل » تلقى هذا الكلام من الإمام ؛ فإنه ذكر في كتابه^(٣) أن المُرنيّ وغيره من أصحاب الشافعيّ لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا ، ولكن في كلام الإمام ما يقتضى أنه - أعنى المُرنيّ - ربما اختار لنفسه ، وانحاز عن المذهب ، وهذا هو الظاهر .

وينبغي أن يكون الفیصل في المُرنيّ أن تخريجاته معدودة من المذهب ، لأنها على قاعدة الإمام الأعظم ، وإلى ذلك أشار الإمام أبو المعالي بقوله : إن كان لتخريج مخرّج التحاق إلى آخره . وأما اختياراته الخارجة عن المذهب فلا وجه لعدّها البتّة . وأما إذا أطلق فذلك موضع النّظر والاحتمال ، وأرى أنّ ما كان من تلك المطلقات في « مختصره » تلتحق بالمذهب ، لأنه على أصول المذهب بناءً ، وأشار إلى ذلك بقوله في خطبته : « هذا مختصر اختصرته من علم الشافعيّ ، ومن معنى قوله » .

وأما ما ليس في المختصر بل هو في تصانيفه المستقلة ، فموضع التوقف ، وهو في مختصره المسمى « نهاية الاختصار » يُصرّح بمخالفة الشافعيّ في مواضع ، فتلك لا تُعدّ من المذهب قطعاً .

(١) النهاية لأبي المعالي الجويني .

(٢) أى مبنية على قاعدة إمامه .

(٣) الملل والنحل ، بهامش الفصل ٢ / ٤٦ .

وقال التَّوَوِّيُّ في مقدمة « شرح المذهب » : الأَوْجُه لأصحاب الشافعي رضي الله عنه ، المنتسبين إلى مذهبه يخرجونها على أصوله ، ويستنبطونها من قواعده ، ويجتهدون في بعضها وإن لم يأخذوه من أصله^(١) . انتهى .

وقوله : « ويجتهدون في بعضها ، وإن لم يأخذوه من أصله » يوهم أنه يُعَدُّ من المذهب مطلقاً ، وليس كذلك ، بل القول الفصل فيما اجتهدوا فيه ، ولم يأخذوه من أصله ، أنه لا يُعَدُّ إلا إذا لَمْ يُنَافِ قواعد المذهب ، فإن نَافَاها لم يُعَدِّ ، وإن نَاسَبَا عُدَّ ، وإن لم يكن فيه مناسبة ولا منافاة - وقد لا يكون لذلك وجود ، لإحاطة المذهب بالحوادث كلها - ففي إلحاقه بالمذهب تردّد .

وكل تخريج أطلقه الخُرج إطلاقاً ، فيظهر أن ذلك المخرج ، إن كان ممن يغلب عليه التَّمَذُّب والتَّقْيُّد كالشيخ أبي حامد ، والقفال ، عُدَّ من المذهب ، وإن كان ممن كثر خروجه كالحَمَّاديين الأربعة^(٢) فلا يُعَدِّ .

وأما المَزْنِي ، وبعده ابن سُرَيْج فينّ الدرجتين ، لم يخرجوا خروج الحمّادين ، ولم يتقيدوا بقيد العراقيين والخُرَاسانيين .

(ومن المسائل عن أبي إبراهيم)

● قال أبو عاصم : ناظر أبو إبراهيم في مجلس ابن طولون ، في القضاء على الغائب فألزم الحاضر في المجلس ، فقال : مَنْ يُجَوِّز القضاء على الغائب يجوّزه على الحاضر . قال : ونقله الشاشي إلى كتابه .

قال : وفي كتب الشافعي أنه يجوز السماع ، ولا يحكم ، حتى يقول له : هل لك طعن ؟

قلت : وهي وجوه مسطورة في المذهب ، أصحها المنع ، وثالثها يسمع ولا يحكم .

● قال أبو عاصم : وصنف المَزْنِي كتاب « العقارب » ، وقال فيه : إن القصاص في النفس لا يسقط بعفوه عن الجراحة .

(١) المجموع ١ / ٦٥ .

(٢) الحمّادون الأربعة الذين كثر خروجهم عن المذهب هم : محمد بن جرير ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، محمد ابن نصر المروزي ، وابن المنذر ، وسيدكر المصنف ذلك في ترجمة محمد بن إبراهيم بن المنذر ٣ / ١٠٢ .

قلتُ : هو المشهور عن أبي الطَّيِّب بن سلَمة ، ويحكى عن تخرِيج ابن سُرَّيج ، وقد رأيته في « العقارب » كما نقل العَبَّادِيُّ ، وعبارة المُزَنِّي : أنه الأقيس .

● قال العَبَّادِيُّ : وقال فيه : إن المضطر يأكل الآدمي الميت .

قلتُ : قد رأيته أيضًا في « العقارب » وعبارته : وقد سئل عن مضطرٍّ لا يجد مَيْتَةً ، ووجد لحم إنسان . هل يأكله ؟ إن القياس أن يأكل ؛ فقد أباح النبي ﷺ سَبَّ الله تعالى ، وهو أعظم وأجل . قال : والسَّابُّ لله كافر ، والمُستخَفُّ بحق الله كافر ، غير أن السَّابَّ لله أعظم جُرمًا . وأطال فيه .

فأما قوله : « الصحيح أنه يأكل » فهو الصحيح في المذهب ، قال إبراهيم المَرْوُورِيُّ : إلا أن يكون الميت نَبِيًّا .

قلتُ : كتاب « العقارب » مختصر فيه أربعون مسألة ، ولدها المُزَنِّي ، ورواها عنه الأَنُمَاطِيُّ ، وأظن ابن الحَدَّاد نسج « فروعه » على مِنوالها .

(ومن غرائب « العقارب »)

● رأيت المُزَنِّي قد نقل فيها إجماع العلماء أن مَنْ حلف ليقْضِيَنَّ فلانا حقَّه غدا ، واجتهد فعَجَزَ ، أنه حانث ، ^(١) واستشهد به للرد على الشافعيّ ، وأبي حنيفة ، ومالك ؛ فإنه نقل عنهم فيمن قال لامرأته : إن لم أطأك الليلة فأنت طالق ، فوجدها حائضًا ، أو مُحْرَمَةً ، أو صائِمةً ، أو كان قد ظاهر منها ولم يُكْفَرْ أنه لا حِنْث عليه ؛ لأنه لا سبيل له إلى وطئها .

ثم قال : يدخل عليهم أن يُقال : ليس التحليل والتحرير من الأيمان بشيء ^(٢) ، ألا ترى أن من حلف أن يعصى الله فلم يفعل أنه حانث ، وإن فعل برَّ . وقد أجمعت العلماء : أنه من حلف ليقْضِيَنَّ فلانا حقَّه غدا واجتهد فعجز ، أنه حانث ^(٣) عندهم ؛ ففى هذا دليل أن علة هؤلاء من الإكراه ليس بعلة . انتهى .
ومناقله من الإجماع لا بد أن يُنَازَع فيه ، وأقل أحواله أن يكون فيه قولًا مُكْرَهًا .

(١) ساقط من : د .

(٢) في المطبوعة : في شيء ، والثبت من : ج .

وقد نقل الرافعي في فروع الطلاق عن « العقارب » ما نقلناه ، وقال : قد قيل إن المذهب ما قاله المُرَني ، وهو اختيار القفال . وقيل : هو على الخلاف في فوات البر بالإكراه .

● قلت : وحاصل الأمر أن هنا إكراها شرعيا على عدم الوطاء ، وفي إلحاقه بالإكراه الحسي نظر ، والأشبه أنه لا يلتحق به ؛ لأن في الرافعي وغيره ، فيمن حلف لا يفارق غريمه حتى يستوفى فأفلس ، ثم فارقه أنه يحنث ، وإن كان الشرع لا يجوز له ملازمته بعد الإفلاس ، فما ذكره المُرَني هو القياس الظاهر .

● قال المُرَني في كتابه « نهاية الاختصار » : وقد وقفتُ منها على أصل قديم ، كتب سنة ثمانين وأربعمائة : إنه لا حَدَّ لأقل الحيض ، وهو كذلك في « ترتيب الأقسام » للمَرعشي^(١) ، ولعله من هذا الكتاب أخذه .

● ثم قال المُرَني في النفاس : وأكثره ستون يوما في رأى الشافعي ، وفي رأى أربعون يوما . انتهى .
وكثيرا ما يذكر في هذا المختصر آراء نفسه ، وهو مختصر جدا ، لعله نحو ربع « التنبيه » أو دونه .

● وذكر فيها من باب الاستبراء قول الشافعي فيه ، ثم نص على مذهبه في الاستبراء المعزوّ إليه في « الرافعي » وغيره ، فقال : وقول أن ليس على أحد مَلَك أَمَّة بأى وجه ملكها استبراء ؛ إلا أن تكون موطوءة لم تُستبرأ ، أو كانت حاملا . انتهى .
وعبارة « الروضة » في نقل هذا عنه : وعن المُرَني . فهذا هو وقد صرح به^(٣) .

(١) بفتح الميم وسكون الراء وفتح العين المهملة وفي آخرها شين معجمة ، هذه النسبة إلى مرعش ، وهى بلدة من بلاد الشام ، وإلى مرعش العلوى . الباب ١٢٥/٣ .

(٢) في ج : وفي رأى . والمثبت في المطبوعة ، د .

(٣) في المطبوعة ، د : فما هو قد صرح به . والمثبت من . ج .

● وذكر في باب « الكتابة » مذهب الشافعي في وجوب إتيان المكاتب ، ولم يوافق ، وهذه عبارة « نهاية الاختصار » : وعلى سيده أن يضع عنه من كتابته شيئا في قول الشافعي ، ولم يحد في ذلك حدا ، ولا تبين عندي أن ذلك عليه . انتهى .

● وذهب المزنّي إلى أن العبد المكاتب في المرض ، إن لم يخرج كله من الثلث لم يُعتَق منه شيء ، وإن خرج بعضه . وهذه عبارته : ولو كاتب عبده في مرض موته جاز ، إن خرج العبد من ثلث ماله ، فإن لم يخرج كله جاز منه ما خرج من الثلث في قول الشافعي ، وفي رأيي إن لم يخرج كله من الثلث لم يجز منها شيء . انتهى .

(ومن دقيق مستدركات أنى إبراهيم)

● شكك رحمه الله على قتل تارك الصلاة ، مشيرا إلى أنه لا يُتصور ؛ لأنه إما أن يكون على ترك صلاة مضت ، أو لم تأت ، والأول باطل ؛ لأن المقضية لا يقتل بتركها ، والثاني كذلك ؛ لأنه ما لم يخرج الوقت فله التأخير فعلام يُقتل ؟ .

قلت : وهذا تشكيك صعب ، وأقصى ما تحصلت في دفعه من كلام الأصحاب على ثلاثة مسالك :

المسلك الأول : أن هذا يلزمكم في حبسه وتعزيره ؛ فإن المزنّي يقول : يُحبس تاركها ، ويعزّر ، وهذه طريقة القاضي أنى الطيب ، وذكرها الشيخ أبو حامد أيضا ، قال : فما كان جوابا للمزنّي عن الحبس والتعزير فهو جوابنا عن القتل . قلت : وهي طريقة جدلية لا أرضاها .

والمسلك الثاني ، وعليه الأكثر : قالوا بقتله على الماضية ؛ لأنه تركها بلا عذر ، والقضاء في هذه الصورة على الفور ؛ فإذا امتنع منه قتل .

قلت : ولا أرضى هذا المسلك أيضا ؛ لأن لنا خلافا شهيرا في أن القضاء هل يجب على الفور ؟ جمهور العراقيين على عدم الوجوب . فعلى هذه الطريقة يلزم أن يجيء خلاف في قتل تارك الصلاة ، وذلك لا يُعرف .

بل أقول : وقع في كلام كثير من المتقدمين التصريح بأن الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا .

ووجدت في تعليق الشيخ أبي حامد : أن أبا إسحاق ، قال : لا خلاف بين أصحابنا أنه لا يُقتل بالامتناع من القضاء .

والمسلك الثالث : وهو عندى خير المسالك ، أنا نقُتله للمؤدّة في آخر وقتها ، وذلك إذا لم يبق بينه وبين آخر وقتها إلا قدر ما يصلّى فيه فرض الوقت . وهذا نص عليه الشيخ أبو حامد في « التعليقة » وهو جيد ؛ لكن يلزم منه أن تكون المبادرة إلى قتل تارك الصلاة أحقّ منها إلى المرتد ؛ فإن المرتد يُستتاب ، وهذا لا يستتاب ، لأنه لو أمهل مدة الاستتابة لخرج الوقت ، ولو خرج لصارت مقضية لا مؤدّة .

لا يخفى على الفطن صعوبة تشكيك المُزنيّ رحمه الله تعالى .

● وقد سلك ابن الرُّفعة في فسخ المرأة بإعسار زوجها عن نفقتها ، حيث قال : قال الأصحاب : إن الفسخ يكون بالعجز عن نفقة اليوم الرابع ، أو بعد مضي يوم وليلة ، ونازع الرافعي في بحث له هناك ، ذكره في مواضع من باب نفقة الزوجة ، فليُنظر .

وعلى مساقه نقرر نحن طريقة المُزنيّ هكذا : لو قُتل بتركها فيما أن يكون وقتها قد خرج فيلزم القتل على المقضية ، أو لم يخرج بل هو باق موسّع ، ولا قائل به ، أو باق وقد يضيق ، فيما أن لا يُمهّل للاستتابة فيلزم أن يكون حاله أشدّ من المرتد ، أو يمهّل فيلزم أن تعود مقضية ، وإذا عادت فيما أن يكون تاركا لصلاة تجددت بعدها ، والقتل للمتجددة لعلّه أولى^(١) ، للإجماع على أنه لا يجوز إخراجها عن وقتها ، بخلاف المقضية ، فإن لنا خلافا في وجوب فعلها على الفور ، وإذا انتقل القتل إليها ، فهي ذنب غير الذنب بترك تلك ، فليجدد^(٢) لها مدة توبة ، وهكذا . وإما أن لا يكون تاركا لصلاة تجددت ، وهذا قد يُلتزم ، لكن لا بد أن يطرقه الخلاف في وجوب القضاء على الفور .

(١) في ج ، د : أول ، والمثبت في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : فليحدد . والمثبت من : ج ، د .

(ومن مستدركات الأصحاب على أبي إبراهيم)

وذلك كثير ، ثم هو عند مخالفته الشافعيّ ضربة لازب ، فلنقتصر على غريب مما ورائه ، فمنه :

● قال المُرْزِيّ في المناضلة : لو أخرج مُخْرِجَ مالا ، وقال لرام : ارم عشرة ، فإن كانت إصابتك أكثر فلك المال . لم يجز ، لأنه ناضل نفسه . ذكره نقلا عن الشافعيّ .

وافترق الأصحاب ، فأكثرهم خطأ نقلا وتعليلا ، وقالوا : قد نص الشافعيّ على الجواز ، ثم هو الوجه ، لأن المقصود من إخراج السبق التحريض على الرمي ، فلا فرق بين صدوره من رام واحد أو جماعة .

قالوا : وقوله : « ناضل نفسه » خطأ بلا شك ، انتقل فيه ذهنه من مسألة أخرى قالها الشافعيّ ، وهي : ارم عشرة عن نفسك ، وعشرة عني ، فإن كانت القرعات في عشرتك أكثر فلك ما أخرجت . فهنا يكون مناظلا نفسه ، وفيه نص الشافعيّ على المنع ، لأنه قد يقصر في العشرة المشروطة للسبق ، فيكون مناظلا نفسه .

قالوا : وقد نقل الربيع الصورتين على الصواب ، وترقّت رتبة الربيع من أجل ذلك ونحوه في المنقول ، لأنه يعتمد غالبا ألفاظ الإمام الأعظم ، فقلّ ما تطرّق إليه الخطأ ، والمُرْزِيّ - رحمه الله - ربما أدلى بعلمه وجودة فِطْنَتِهِ فغَيَّرَ اللفظ ، ومن هناك يُؤْتَى . حتى انتهى الربيع إلى أن تترجح رواياته ، وإن كان الفقه ورائها ، كما سيأتى إن شاء الله في أوائل ترجمته .

وأقصى ما فعله المساعدون للمُرْزِيّ أن تأولوا كلامه ، وليس فيهم من أخذ بظاهره ؛ فإن مناظلتَه لنفسه لا تُعْقَل .

بحر بن نصر بن سابق الخَوْلَانِي
أبو عبد الله ، المصرِيّ ، مولى بنى سعد بن خَوْلَان*
مولده سنة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ومائة .

وقال الطَّحَاوِيّ : ولد بحر بن نصر ، والرَّبيع المُرَادِيّ ، والمُزَنِّيّ ، ثلاثتهم في سنة أربع وسبعين ومائة .

روى عن عبد الله بن وَهَب ، وأيوب بن سُويد الرَّمْلِيّ ، والشَّافِعِيّ ، وبه تفقّه ، وضمَّرَة بن ربيعة ، وأشهب ، وبشر بن بكر ، وطائفة .

روى عنه ابن جَوْصَا ، وأبو جعفر الطَّحَاوِيّ ، وأبو بكر بن زياد النِّيسَابُورِيّ ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ، وأبو عَوَانَة الإسْفَرَايِنِيّ ، وأحمد بن مسعود بن عمرو الزُّنْبِرِيّ ، ومحمد بن بِشر الزُّبَيْرِيّ العَكْرِيّ^(١) وأبو الفوارس بن السِّنْدِيّ ، وأحمد بن عبد الله البَهْنَسِيّ^(٢) العَطَّار ، وأحمد بن علي بن شُعَيْب المَدِينِيّ ، وأحمد بن علي بن حسن المدائِنِيّ ، وأحمد بن محمد بن أُسَيْد الأَصْبَهَانِيّ ، وأحمد بن محمد بن فضالة الجِمَصِيّ الصَّفَّار ، وأحمد بن محمد بن شاهين ، وأبو العباس الأَصَمّ ، وابن خُزَيْمَة ، وغيرهم .

وروى النَّسَائِيّ في حديث مالك ، الذي جمعه عن زكرياء خَيَّاط السنة ، عن بحر ابن نصر هذا .

وثقه ابن أبي حاتم ، وغيره .

* له ترجمة في : تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٠ ، شذرات الذهب ٢/ ١٥٢ ، العبر ٢/ ٣٥ . والخولاني : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى خولان بن عمر (من سبأ) . الباب ١/ ٣٩٥ .
(١) في المطبوعة : العكبري ، وفي د : العسكري . والتصويب من : ج ، وشذرات الذهب ٢/ ٣٣٢ .
(٢) بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون النون وفي آخرها السين المهملة ، هذه النسبة إلى بهنسا ، وهي بلدة بصعيد مصر الأعلى . الباب ١/ ١٥٧ .

توفى بمصر فى شعبان ، سنة سبع وستين ومائتين .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عُميرة ، أخبرنا أبو محمد بن النُّنَّ (١) ، أخبرنا جدى أبو القاسم ، أخبرنا على بن محمد ، أخبرنا محمد بن نظيف ، حدثنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصَّابُونِيّ ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وهب ، عن مالك ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال للوَزَغِ (٢) « الْفُؤَيْسِقُ » .

قال بحر بن نصر : كنا إذا أردنا أن نبكى قلنا بعضنا لبعض : قوموا بنا إلى هذا الفتى الْمُطَّلِبِيّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فإذا أتيناها استفتح القرآن ، حتى نتساقط بين يديه ، ويكثر عجيجنا بالبكاء ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة ، من حسن صوته . رَوَى بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ فى حسن صوت الشافعى رضى الله عنه بالقرآن .

قال بحر : سألت الشافعى عن قول النبى ﷺ : « أَقْرُوا الطَّيْرَ فى مَكَانِهَا » فقال ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة يونس .

وقال بحر : سئل الشافعى عن قوله ﷺ : « فَرَّعُوا إِنْ شِئْتُمْ » قال : هى الْفَرَعَةُ - بفتح الفاء والراء والعين المهملة - كانوا ينحرون فى الجاهلية لآلهم أول ما تلده الناقة ، ويسمى الْفَرَعَةُ وَالْفَرَعُ ، فأخبر أن لا كراهة فيه .

قال : وقوله « الْفَرَعَةُ حَقٌّ » يعنى : ليس بباطل .

وقوله : « لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ » (٣) يعنى : ليس بواجب .

قلتُ : وقد أشار الرافعى آخرياب الضحايا إلى اختلاف الأصحاب فى كراهة الْفَرَعِ

(١) فى الأصول « البز » . والتصحيح من سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٠٣ ، ٢٢ / ٢٧٨ .

(٢) الوزغ : جمع الوزغة محركة ، سام أبرص . سميت بها لخفتها وسرعة حركتها القاموس (وزغ) .

(٣) فى اللسان ٥٣٧/٤ : وفى الحديث أنه قال : لا فرعة ولا عتيرة . قال أبو عبيد : العتيرة هى الرجبية ، وهى ذبيحة كانت تذبح فى رجب يتقرب بها أهل الجاهلية ، ثم جاء الإسلام فكان على ذلك حتى نسخ بعد . وقال الخطائى : العتيرة فى الحديث شاة تذبح فى رجب ، وهذا هو الذى يشبه معنى الحديث ويليق بحكم الدين ، وأما العتيرة التى كانت تعزها الجاهلية فهى الذبيحة التى كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها .

والعَتِيرة ، وأن من نفى الكراهة قال : المنع راجع إلى ما كانوا يفعلون ، وهو الذبح لآلِهِم ، أو أن المقصود نفى الوجوب . انتهى .

وقوله : « إن المقصود نفى الوجوب » هو هذا الذى نقله بحر بن نصر ، عن الشافعى فى معنى الحديث ، ونقله فى بعض نسخ الرافعى ، إذ المقصود نفى الوجوب ، وليس بجيد بل هما جوابان : أحدهما أن المنع راجع إلى ما كانوا يفعلون ، وهو الذبح لآلِهِم ، والمنع حينئذ منع تحريم . والثانى أن المقصود نفى الوجوب ، فالنفي ليس للنهي ، وهو منقول بحر ، عن الشافعى ، فاستفذه .

٢٢

الحارث بن سُرَيْج النَّقَال

بالنون ، أبو عمرو ، الحُوَارِزْمِيّ ، ثم البغدادى*

وإنما قيل له النَّقَال : لأنه نقل « رسالة الشافعى » إلى عبد الرحمن بن مَهْدِيّ ، وحملها إليه .

رَوَى عن الشافعى ، وَحَمَّاد بن سَلَمَة ، وَسُفْيَان بن عُيَيْنَة ، وَيَزِيد بن زُرَيْع ، وغيرهم .

رَوَى عنه ابن أبى الدنيا ، وإبراهيم بن هاشم البَغَوِيّ ، وأحمد بن الحسن الصُّوفِيّ وغيرهم . مات سنة ست وثلاثين ومائتين .

قال الحارث بن سُرَيْج : سمعت يحيى بن سعيد القَطَّان ، يقول : أنا أدعو الله للشافعى ، أخصّه به .

وكذلك ذكر يحيى بن معين : أنه سمع يحيى بن سعيد ، يقول : أنا أدعو الله للشافعى فى صلاتى منذ أربعين سنة .

قال الحارث : لما حملت « الرسالة » إلى عبد الرحمن بن مَهْدِيّ جعل يتعجب ، ويقول : لو كان أَقَلّ لِنَفْهِم ، لو كان أَقَلّ لِنَفْهِم .

* له ترجمة فى : تاريخ بغداد ٨ / ٢٠٩ ، طبقات الحنابلة ١ / ٤٧ ، واسمه فيه : الحارث بن شريح ، طبقات الشيرازى ٨٣ ، الباب ٢٣٥ / ٣ .

قال الإمام داود بن علي الأصفهاني: سمعت الحارث الثَّقَال ، يقول : سمعت إبراهيم ابن عبد الله الحَجَبِي يقول للشافعي : ما رأيت هاشميا يُفَضِّل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما علي عليّ كرم الله وجهه غيرك ! فقال له الشافعي : عليّ ابن عمي وابن خالتي وأنا رجل من عبد مناف ، وأنت رجل من بني عبد الدَّار ، ولو كانت هذه مكرمة لكنك أولى بها منك .

قلت : استدل الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن غانم بن أبي زيد الأصبهاني ، المعروف بابن المُقَرِّي في كتابه « شفاء الصدور في مناقب الشافعي » بهذا الكلام علي أن أمّ الشافعي ليست من ولد علي بن أبي طالب ؛ قال : لأنه رضي الله عنه قال في عليّ كرم الله وجهه : ابن خالتي وابن عمي ، ولم يقل : جدي ، ولو كان من أولاد عليّ لقال جدي ؛ لأن الحدودة أقوى من الخوالة والعمومة . قلت : وسأتكلم علي هذا في ترجمة يونس بن عبد الأعلى .

٢٣

الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي
أبو عمرو ، المصري*.

فقيه ، محدّث ، صالح ، إمام .
أخذ عن الشافعي ، وقال : رآذنته حيث يقول : الكفاءة في الدين لا في النسب .
ورأى الليث بن سعد ، ورأى سفيان بن عُيينة ، وعبد الله بن وهب ، وحلقًا .
روى عنه أبو داود ، والنسائي ، وأبو يعلى الموصلي ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وطوائف .
وكان أحمد بن حنبل يقول فيه قولاً جميلاً .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٨ / ٢١٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٨٨ ، تهذيب التهذيب ٢ / ١٥٦ ، الديباج المذهب ١٠٦ ، شذرات الذهب ٢ / ٢١ ، طبقات الشيرازي ١٣٠ ، العبر ١ / ٤٤٥ ، قضاة قرطبة ٩٣ ، النجوم الزاهرة ٣٣١ / ٢ .

وقال ابن مَعِين : لا بأس به .
 ويُروى أن رجلا من المسرفين على أنفسهم مات فُرُئ في المنام ، فقال : إن الله
 غفر لي بحضور الحارث بن مسكين جنازتي ، وإنه استشفع فيّ فشُفِّع .
 وقد قال غير واحد : إن الحارث كان فقيها على مذهب مالك ، ولعله الأشبه .
 ولكننا ذكرناه تبعا للعبّادى ، وغيره ممن ذكره ، ولم نُطِل في ترجمته لذلك .
 وهذه الرواية التي رواها خارجة عن جادّة المذهب .
 توفي لثلاث بقين من شهر ربيع الأول ، سنة خمسين ومائتين ، وكان مولده سنة
 أربع وخمسين ومائة .

٢٤

الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح ، البغداديّ ، الإمام ،
 أبو عليّ ، الرُّعْفَرَانِيّ *

أحد رواة « القديم » ، كان إماما ، جليلا ، فقيها ، مُحَدِّثا ، فصيحاً ، بليغا ،
 ثقة ، ثَبَتاً .

قال المَآوَرِدِيّ : هو أثبت رواة « القديم » .
 وقال أبو عاصم : الكتاب العراقيّ منسوب إليه .
 وقد سمع بقراءته الكتب على الشافعيّ أحمد وأبو ثور ، والكرائسيّ .
 قلتُ : والرُّعْفَرَانِيّ منسوب إلى قرية بالسَّوَاد ، يقال لها الرُّعْفَرَانِيَّة . كذا ذكر ابن
 جَبَّان .

قلتُ : ثم سكن المشار إليه بغداد ، في بعض دروبها فنُسب الدرب إليه ، وصار
 يقال له : درب الرُّعْفَرَانِيّ ببغداد ، وفي الدرب المذكور مسجد الشافعيّ رضى الله
 عنه ، وكان الشيخ أبو إسحاق الشَّيرَازِيّ يدرّس فيه .

* له ترجمة في تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٧ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٧ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٣١٨ ، الجمع بين رجال
 الصحيحين ٨٤ ، شذرات الذهب ٢/ ١٤٠ ، طبقات الحنابلة ١/ ١٣٨ ، طبقات الشيرازي ٨٢ ، طبقات ابن
 هداية الله ٧ ، اللباب ١/ ٥٠٢ ، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٧ .

وقد عكس شيخنا الذهبي فذكر أن الزعفرانيّ منسوب إلى درب الزُعفران ، والصواب عكسه ، وهو أن درب الزعفران منسوب إلى الزعفرانيّ ، وأن الزعفرانيّ منسوب إلى قرية كما قدمناه ، عن ابن حبان ، وسيأتي في كلام أبي عليّ نفسه ما يدلّ عليه .

سمع الزعفرانيّ من سفيان بن عُيَيْنَةَ ، والشافعيّ ، وعبيدة بن حميد ، وعبد الوهاب الثقفيّ ، ويزيد بن هارون ، وخلّق .

روى عنه البخاريّ ، وأبو داود ، والترمذيّ ، والنسائيّ ، وابن ماجه . فليس في الستة من لم يرو له إلا مسلم .

وروى عنه أيضًا أبو القاسم البغويّ ، وابن صاعد ، وزكريا الساجيّ ، وابن خزيمة ، وأبو عوَّانة ، ومحمد بن مخلّد ، وأبو سعيد بن الأعرابيّ ، وطائفة . قال النسائيّ : ثقة .

وقال ابن حبان : كان أحمد بن حنبل وأبو ثور يحضران عند الشافعيّ ، وكان الحسن الزعفرانيّ هو الذي يتولى القراءة .

وقال زكريا الساجيّ : سمعت الزعفرانيّ ، يقول : قدم علينا الشافعيّ ، فاجتمعنا إليه ، فقال : التمسوا من يقرأ لكم ، فلم يجترئ أحد أن يقرأ عليه غيري ، وكنت أحدث القوم شيئاً ، ما كان في وجهي شعرة ، وإنّي لأتعبّ اليوم من انطلاق لساني بين يدي الشافعيّ ، وأتعبّ من جَسارتي يومئذ ، فقرأت عليه الكتب كلها إلا كتابين ؛ فإنه قرأهما علينا : « كتاب المناسك » ، و « كتاب الصلاة » .

وقال أحمد بن محمد بن الجراح : سمعت الحسن الزعفرانيّ ، يقول : لمّا قرأت كتاب « الرسالة » على الشافعيّ ، قال لي : من أيّ العرب أنت ؟ قلت : ما أنا بعربيّ ، وما أنا إلّا من قرية يقال لها الزعفرانيّة . قال : فأنت سيد هذه القرية .

قلت : في هذه الحكاية دلالة على ما قدّمناه من الصواب عندنا في نسبته .

ومما يحكى من فصاحة الزعفرانيّ أن الأماطيّ ، قال : سمعت المزيّنيّ ، يقول : سمعتُ

الشافعي ، يقول : رأيتُ في بغداد بُبْطِيَّا يَتَنَحَّى^(١) عَلَى حَتَّى كَأَنَّهُ عَرَبِيٌّ ، وَأَنَا بُبْطِيٌّ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : الزَّعْفَرَانِيُّ .
 وذكر بعض المؤرخين : أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِ الزَّعْفَرَانِيِّ أَحْسَنَ صُورَةً مِنْهُ ، وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ بِسُوءٍ .
 وقال القاضي أَبُو حَامِدٍ المَرْوُزِيُّ : كَانَ الزَّعْفَرَانِيُّ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ .
 توفى في شهر رمضان سنة ستين ومائتين .

(وَمِنْ الرِّوَايَةِ وَالْفَوَائِدِ وَالْمَسَائِلِ عَنِ الزَّعْفَرَانِيِّ)

قال الزَّعْفَرَانِيُّ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ ، يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَعِنْدَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، فَذَكَرُوا الْبَخْلَ . فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْبَخْلِ .

قال الحاكم أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : غَيْرُ مُسْتَبَدِّعٍ سَمَاعُ الشَّافِعِيِّ مِنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ ؛ تَوَفَّى ابْنُ الْمُبَارَكِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةً ، وَوُلِدَ الشَّافِعِيُّ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً ، وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَحْجُ كُلَّ سَنَتَيْنِ .

● قال الزَّعْفَرَانِيُّ : عَنْ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ﴾^(٢) أَى : مِنْ أَبَوَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ .

قلتُ : وَهَذَا هُوَ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْوَالِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ ، وَمَنْ يَقُولُ بِهِ لَا يَرْضَى^(٣) بِقَوْلِ مَنْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهَا : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَقُولُونَ : لِمُحَمَّدٍ ﷺ قَلْبَانِ ، قَلْبٌ مَعْنَا^(٤) ، وَقَلْبٌ مَعَ أَصْحَابِهِ . فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ . وَهُوَ أَيْضًا مَنْقُولٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ ، وَرَبَّمَا عُزِيَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : يَتَنَحَّى . وَالتَّحْيُّ مِنْ : ج ، د . وَتَنَحَّى الرَّجُلُ : اسْتَعْمَلَ الْإِعْرَابَ فِي كَلَامِهِ .

(٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ٤ .

(٣) فِي د : لَا يَرَاهُ يَقُولُ وَفِي ج : لَا يَرْضَاهُ . وَالتَّحْيُّ فِي : الْمَطْبُوعَةِ .

(٤) فِي د : قَلْبًا مَغْبِيًّا ، وَفِي ج : قَلْبٌ مَغْبِيًّا . وَالتَّحْيُّ فِي : الْمَطْبُوعَةِ ، وَهُوَ يُوَافِقُ رَوَايَةَ الطَّبْرِيِّ ٦٧/٢١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
 حَيْثُ يَرَوِي بِسَنَدِهِ إِلَى قَابُوسِ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ ، قَالَ : قُلْنَا لِابْنِ عَبَّاسٍ :

قال الزُّعْفَرَانِيُّ : سألت يَحْيَى بن مَعِين عن الشافعي ، فقال : لو كان الكذب له مُنْطَلَقًا لَمَنْعَتْهُ مِنْهُ مَرْوَةٌ .

● وروى الحافظ أبو الحسن بن حَمَّكَان : أن الزُّعْفَرَانِيَّ ، قال : قال الشافعي في الرَّافِضِيِّ بِحَضَرِ الْوَقْعَةِ : لَا يُعْطَى مِنَ الْفِيءِ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ آيَةَ الْفِيءِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ^(١) الْآيَةُ . فَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَا لَمْ يَسْتَحِقْ .

٢٥

الحسين بن عليّ بن يزيد
أبو عليّ ، الكرايسيّ *

كان إمامًا ، جليلا ، جامعًا بين الفقه والحديث .
تفقه أولا على مذهب أهل الرأي ، ثم تفقه للشافعيّ .
وسمع منه الحديث ، ومن يزيد بن هارون ، وإسحاق الأزرق ، ويعقوب بن إبراهيم ، وغيرهم .
روى عنه : عُيَيْدُ بن محمد بن خَلَفِ البزار ، ومحمد بن عليّ فُسْتَقَّة .
وله مصنفات كثيرة ، وقد أجازها الشافعيّ كُتِبَ الزُّعْفَرَانِيُّ .

= أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ﴾ ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله ﷺ يوما فصل ، فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ؛ قلبا معكم ، وقلبا معهم . فأنزل الله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ﴾ .
(١) سورة الحشر ١٠ .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٨ / ٦٤ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٥٩ ، شذرات الذهب ٢ / ٣٥٠ ، طبقات الشيرازي ٨٣ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، اللباب ٣ / ٣٢ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٢٩ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٩٩ . وفي الطبقات الوسطى زيادة : البغدادى .

والكرايسى : بفتح أوله والراء وبعد الألف باء موحدة ثم ياء تحتها نقطتان وسين مهملة ، هذه النسبة إلى بيع الكرايس ، وهى الثياب .

وذلك فيما أخبرنا به يحيى بن يوسف بن المِصْرِيِّ ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، عن عبد الوهاب بن رَواج : أن الحافظ أبا طاهر السِّلَفِيِّ أخبره سماعاً عليه ، قال : أخبرنا المبارك بن عبد الجَبَّار ، أخبرنا عليّ بن أحمد القالِيّ ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن إسحاق [بن خَرَبان]^(١) التُّهَاقِزِيُّ القَاضِي ، أخبرنا الحسن بن عبد الرحمن الرّامِهُرْمُزِيّ ، حدثنا السَّاجِيّ ، حدثنا داود الأصبهانيّ ، قال : قال لي حسين الكَرايِسيّ : لَمَّا قدم الشافعيّ - يعني إلى بغداد - قَدِمْتُهُ ، فقلت له : أتأذن لي أن أقرأ عليك الكتب ؟ فأبى ، وقال : خذ كتب الرُّعَفرانيّ فقد أجزتها لك ، فأخذتها إجازة .

● قال الخطيب : حديث الكَرايِسيّ يَعرُزُ جدا ؛ وذلك أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ ، وهو أيضا كان يتكلم في أحمد ؛ فتجنّب الناس الأخذ عنه لهذا السبب .

قلتُ : كان أبو عليّ الكَرايِسيّ من متكلمي أهل السنة ، أستاذًا في علم الكلام ، كما هو أستاذ في الحديث والفقه ، وله « كتاب في المقالات » .

قال أيضا الخطيب والد الإمام فخر الدين في كتاب « غاية المرام » : على كتابه في المقالات مُعَوَّل المتكلمين في معرفة مذاهب الخوارج ، وسائر أهل الأهواء .

قلتُ : والمَروِيّ أنه قيل للكَرايِسيّ : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله غير مخلوق . فقال له السائل : فما تقول في لفظي بالقرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق . فمضى السائل إلى أحمد بن حنبل ، فشرح له ما جرى . فقال : هذه بِدْعَةٌ .

والذي عندنا أن أحمد رضي الله عنه أشار بقوله : « هذه بِدْعَةٌ » إلى الجواب عن مسألة اللفظ ، إذ ليست مما يعنى المرء ، وخوض المرء فيما لا يعنيه من علم الكلام بِدْعَةٌ ، فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى ، ولا يُظَنُّ بأحمد رضي الله عنه أنه يدّعي أن اللفظ الخارج

(١) زيادة من : ج ، د .

من بين الشفتين قديم ، ومقالة الحسين هذه قد نُقل مثلها عن البخاريّ ، والحارث بن أسد المُحاسبيّ ، ومحمد بن نصر المروزيّ ، وغيرهم . وستكون لنا عودة في ترجمة البخاريّ إلى الكلام في ذلك .

وَنُقِلَ أن أحمد لما قال : « هذه بدعة » رجع السائل إلى الحسين ، فقال له : تَلْفُظُكَ بالقرآن غير مخلوق . فعاد إلى أحمد فعرفه مقالة الحسين ثانيا ، فأنكر أحمد أيضا ذلك ، وقال : « هذه أيضا بدعة » .

وهذا يدلّك على ما نقوله ، من أن أحمد إنما أشار بقوله : « هذه بدعة » إلى الكلام في أصل المسألة ؛ وإلا فكيف ينكر إثبات الشيء ونفيه ! فافهم ما قلناه ، فهو الحق إن شاء الله تعالى .

وبما قال أحمد نقول ، فنقول : الصواب عدم الكلام في المسألة رأسا ، ما لم تدع إلى الكلام حاجة ماسّة ؛ ومما يدلّك أيضا على ما نقوله ، وأن السلف لا ينكرون أن لفظنا حادث ، وأن سكوتهم إنما هو عن الكلام في ذلك ، لا عن اعتقاده ، أن الرواة روّوا أن الحسين بلغه كلام أحمد فيه ، فقال : لأقولنّ مقالة حتى يقول أحمد بخلافها فيكفر . فقال : لفظي بالقرآن مخلوق .

وهذه الحكاية قد ذكرها كثير من الحنابلة ، وذكرها شيخنا الذهبيّ في ترجمة الإمام أحمد ، وفي ترجمة الكرايسيّ ، فانظر إلى قول الكرايسيّ فيها : « إن مخالفتها يكفر » . والإمام أحمد فيما نعتقده لم يخالفها ، وإنما أنكر أن يتكلم في ذلك .

فإذا تأملت ما سطرناه ، ونظرت قول شيخنا في غير موضع من تاريخه : « إن مسألة اللفظ مما يرجع إلى قول جَهْم » . عرفت أن الرجل لا يدري في هذه المضايق ما يقول ، وقد أكثر هو وأصحابه من ذكر جَهْم بن صَفْوَان ، وليس قصدهم إلا جعل الأشاعرة - الذين قدّر الله لقدرهم أن يكون مرفوعا ، وللزومهم للسنة أن يكون مجزوما به ومقطوعا - فرقة جَهْمِيَّة .

واعلم أن جهما شر من المعتزلة ، كما يدريه من ينظر الملل والنحل ، ويعرف عقائد الفرق . والقائلون بخلق القرآن هم المعتزلة جميعاً ، وجَهْم لا خصوص له بمسألة خلق القرآن ، بل هو شر من القائلين بها ، لمشاركته إياهم فيما قالوه ، وزيادته عليهم بطامات .

فما كفى الذهبي أن يشير إلى اعتقاد ما يتبرأ العقلاء عن قوله ، من قَدَم الألفاظ الجارية على لسانه ، حتى ينسب هذه العقيدة إلى مثل الإمام أحمد بن حنبل ، وغيره من السادات ، ويدعى أن المخالف فيها يرجع إلى قول جهم . فليته درى ما يقول ! والله يغفر لنا وله ، ويتجاوز عَمَّن كان السبب في خوض مثل الذهبي في مسائل الكلام ، وإنه ليعزّ الكلام على في ذلك ، ولكن كيف يسعنا السكوت ، وقد ملأ شيخنا تاريخه بهذه العظام ، التي لو وقف عليها العامي لأضلته ضلالاً مبيناً .

ولقد يعلم الله منى كراهية الأزراء بشيخنا ، فإنه مفيدنا ومعلمنا ، وهذا التّر اليسير الحديثي الذي عرفناه منه استفدناه ، ولكن أرى أن التنبية على ذلك حتم لازم في الدين .

قال أبو أحمد بن عدي : سمعت محمد بن عبد الله الصيرفي الشافعي ، يقول لهم - يعني لتلامذته - : اعتبروا بهذين : حسين الكرابيسي ، وأبي ثور ، فالحسين في علمه وحفظه ، وأبو ثور لا يعشيره^(١) في علمه ، فتكلم فيه أحمد في باب اللفظ فسقط ، وأثنى على أبي ثور فارتفع .

قلت : هذا الكلام من الصيرفي مع علو قدره ، يدل على علو قدر الحسين . ونظيره قول أبي عاصم العبادي : لم يتخرّج على يد الشافعي بالعراق مثل الحسين .

مات الكرابيسي سنة خمس وأربعين ، وقيل ثمان وأربعين ومائة .

(ومن الفوائد عنه)

كتبت إلى زينب بنت الكمال ، عن الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل ، أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان ، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد ، أخبرنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمن

(١) أى لا يبلغ معشاره . أساس البلاغة ٦٣٢ .

ابن داود بن منصور ، حدثنا عُبيد بن خَلْف البَزَّار ، أبو محمد ، حدثني إِسحاق بن عبد الرحمن قال : سمعت الحسين الكرايسيّ .

قلتُ : كذا في السند عُبيد عن إِسحاق ، وعُبيد صاحب الكرايسيّ ، ولا يمتنع أن يسمع عنه كما سمع منه .

رجع الحديث إلى الكرايسيّ ، سمعت الشافعيّ ، يقول : كنت أقرأ^(١) كتب الشعر ، فأتى البوادي ، فأسمع منهم ، قال : فقدمت مكة منها ، فخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وخشي^(٢) قدمي بالسوط ، فضربني رجل من ورأى من الحَجَبَة ، فقال : رجل من قریش ، ثم ابنُ المطلبِ رضی من دينه وديناه أن يكون معلماً ، ما الشعر ! هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قعدت معلماً ! تَفَقَّه يُعَلِّك^(٣) الله .

قال : فنفعني الله بكلام ذلك الحَجَبِيّ ، فرجعت إلى مكة ، فكتبت عن ابن عُيَيْنَة ما شاء الله أن أكتب . ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجيّ ، ثم قدمْتُ على مالك ابن أنس فكتبت موطأه ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، أقرأ عليك ؟ قال : يا ابن أخي ، تأتني برجل يقرأه عليّ فتسمع . فقلتُ : أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي ! فقال لي : أقرأه . فلما سمع كلامي لقراءة كتبه أذن لي ، فقرأت عليه حتى بلغت « كتاب السير » فقال لي : اطوّه يا ابن أخي ، تفقّه تعلّ .

فجئت إلى مُصْعَب بن عبد الله ، فكلمته أن يكلم بعض أهلنا ، فيعطيني شيئاً من الدنيا فإنه كان لي من الفقر والفاقة ما الله به عليم ، فقال لي مصعب : أتيت فلانا فكلمته ، فقال لي : أتكلّمني في رجل كان متاً فخالفنا ، فأعطاني مائة دينار .

وقال لي مصعب : إن هارون الرشيد قد كتب إليّ أن أصير إلى اليمن قاضياً ، فتخرج معنا لعل الله أن يعوّضك ما كان هذا الرجل يعوّضك .

قال : فخرج قاضياً على اليمن ، فخرجت معه ، فلما صرنا باليمن وجالسنا الناس ، كتب مُطَرِّف بن مَازِن إلى هارون الرشيد : إن أردت اليمن لا يفسد عليك ، ولا يخرج من يديك فأخرج عنه محمد بن إدريس . وذكر أقواماً من الطَّالِبِيّين .

(١) في حلية الأولياء ٩ / ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٨٥ : « كنت امرءاً أكتب الشعر » .

(٢) إنسي القدم ما أقبل منها على القدم الأخرى ، ووحشيتها ما خالف لإنسيها . اللسان (و ح ش) ٣٦٩/٦ .

(٣) في الأصول « يفقه يعلمك » وأثبتنا ما في السير . وانظر الحلية . والسياق قلقي .

قال : فبعث إليَّ حمَّاد البربري^(١) فأوثقت بالحديد ، حتى قدمنا على هارون بالرقَّة .

قال : فأدخلت على هارون ، قال : فأخرجت من عنده .

قال : وقدمت ومعى خمسون ديناراً ، قال : ومحمد بن الحسن يومئذ بالرقَّة ، فأنفقت تلك الخمسين ديناراً على كتبهم .

قال : فوجدتُ مثلَهم ومثلَ كتبهم مثلَ رجل كان عندنا يقال له قُروخ ، وكان يحمل الدهن في زِقٍ له ، فكان إذا قيل له : عندك فرشان ؟ قال : نعم ؛ فإن قيل : عندك زُبُق ؟ قال : نعم ، فإن قيل : عندك خيري^(٢) ؟ قال : نعم ؛ فإذا قيل له : أرني . ولِلزَّقِ رعوس كثيرة ، فيخرج له من تلك الرعوس ، وإنما هي دهن واحد . وكذلك وجدت كتاب أبي حنيفة ، إنما يقولون : كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وإنما هم مخالفون له .

قال : فسمعتُ ما لا أحصيه ، محمد بن الحسن يقول : إن تابِعكم الشافعي فما عليكم من حِجازي كُلفة بعده .

● فجئت يوماً فجلست إليه ، وأنا من أشد الناس همًّا وغمًّا من سخط أمير المؤمنين ، وزادى قد نفذ .

قال : فلما أن جلست إليه أقبل محمد بن الحسن ، يطعن على أهل دار الهجرة ، فقلت : على من تطعن ، على البلد أم على أهله ؟ والله لئن طعنت على أهله إنما تطعن على أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وإن طعنت على البلدة فإنها بلدتهم التي دعا لهم رسول الله ﷺ أن يبارك لهم في صاعهم ومُدِّهم ، وحرَّمه كما حرَّم إبراهيم مكة ، لا يُقتل^(٣) صيدها ، فعلى أيَّهم تطعن ؟

فقال : معاذ الله أن أطعن على أحد منهم ، أو على بلدته ، وإنما أطعن على حكم من أحكامه .

(١) بفتح الباءين الموحدين بينهما راء وبعد الباء الثانية راء أخرى ، هذه النسبة إلى بلاد البربر ، وهم جيل كبير من ناحية كبيرة من بلاد المغرب . اللباب ١٠٧/١ .

(٢) نبات له زهر ، له دهن يدخل في الأدوية . حواشي الحيوان ١٠٣ / ٥ ، والمصباح المنير .

(٣) في الأصول : « يقصد » . وأثبتنا ما في حلية الأولياء ٧١ / ٩ - والمصنف يحكى هذه المناظرة برواية أبي نعيم . وكذلك جاء في مسند أحمد ١ / ١٨١ ، ١٨٥ .

فقلت له : وما هو ؟

قال : اليمين مع الشاهد .

قلتُ له : ولم طعنت ؟

قال : فإنه مخالف لكتاب الله .

فقلت له : فكل خبر يأتيك مخالفاً لكتاب الله أيسقط ؟

قال : فقال لي : كذا يجب .

فقلت له : ما تقول في الوصية للوالدين ؟ فتفكر ساعة .

فقلت له : أجب .

فقال : لا تجب .

قال : فقلت له : فهذا مُخَالِفٌ لكتاب الله ، لم قلت : إنه لا يجوز ؟

فقال : لأن رسول الله ﷺ قال : « لَا وَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ » .

قال : فقلتُ له : أخبرني عن شاهدين حتم من الله .

قال : فما تريد من ذا ؟

قال فقلت له : لكن زعمت أن الشاهدين حتم من الله لا غيره ، كان ينبغي لك

أن تقول : إذا زنى زانٍ فشهد عليه شاهدان ، إن كان محصناً رجعتُهُ ، وإن كان غير محصن جلدتُهُ

قال : فإن قلت لك : ليس هو حتماً من الله ؟

قال قلت له : إذا لم يكن حتماً من الله فننزل كل الأحكام منازلها : في الزنا أربعاً ،

وفي غيره شاهدين ، وفي غيره رجلاً وامرأتين ، وإنما أعنى في القتل لا يجوز إلا

شاهدان ، فلما رأيت قتلاً وقتلاً ، أعنى بشهادة الزنا ، وأعنى بشهادة القتل ، فكان

هذا قتلاً ، وهذا قتلاً . غير أن أحكامهما مختلفة ، فكذلك كل حكم نُزِّلَ حيث

أنزله الله ، منها بأربع ، ومنها بشاهدين ، ومنها برجل وامرأتين ، ومنها شاهد واليمين ،

فرأيتك تحكم بدون هذا .

قال : وما أحكم بدون هذا ؟

● قال فقلت له : ما تقول في الرجل والمرأة إذا اختلفا في متاع البيت ؟

فقال : أصحابي يقولون فيه : ما كان للرجال فهو للرجال ، وما كان للنساء فهو

للنساء .

قال فقلت : أبكتاب الله هذا ، أم بسنة رسول الله ؟ .

● قال وقلتُ له : فما تقول في الرجلين إذا اختلفا في الحائط ؟

فقال : في قول أصحابنا : إذا لم يكن لهم بَيِّنَةٌ يُنْظَرُ إِلَى الْعَقْدِ ، مِنْ أَيْنَ هُوَ الْبِنَاءُ فَأُحْكَمُ لَصَاحِبِهِ .

قال فقلت له : أبكتاب الله قلت هذا ، أم بسنة رسول الله قلت هذا ؟

● وقلتُ له : ما تقول في رجلين ، بينهما خُصٌّ فيخْتَلِفَانِ ، لِمَنْ يُحْكَمُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لهما بَيِّنَةٌ ؟

قال : أَنْظُرْ إِلَى مَعَاقِدِهِ مِنْ أَى وَجْهِ هُوَ فَأُحْكَمَ لَهُ .

قلتُ له : بكتاب الله قلت هذا ، أم بسنة رسول الله ﷺ ؟

● قال : وقلتُ له : فما تقول في ولادة المرأة ، إذا لم يكن يحضرها إلا امرأة واحدة ، وهى القابلة وحدها ، ولم يكن غيرها؟

قال : فقال : الشهادة جائزة بشهادة القابلة وحدها نَقِبْهَا .

قال : فقلتُ له : قلت هذا بكتاب الله ، أم بسنة رسول الله ﷺ ؟

قال : ثم قلتُ له : مَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَحْكَامُهُ فَلَا يَطْعَنُ عَلَى غَيْرِهِ .

قال : ثم قلتُ له : أَتَعْجَبُ مِنْ حَكَمٍ حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَحَكَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَحَكَمَ بِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالْعِرَاقِ ، وَقَضَى بِهِ شَرِيحٌ ؟ .

قال : ورجل من ورأى يكتب ألفاظى وأنا لا أعلم .

قال : فَأَدْخِلْ عَلَى هَارُونَ ، وَقْرَأْ عَلَيْهِ .

قال : فقال لى هُرْثَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ : كَانَ مُتَكِبًا فَاسْتَوَى جَالِسًا ، قَالَ : أَقْرَأْهُ عَلَى ثَانِيَا .

قال : فَأَنْشَأَ هَارُونَ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَعَلَّمُوا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَا تَعْلَمُوهَا . قَدَّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تُؤَخِّرُوهَا » مَا أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ .

قال : فرضى عنى ، وأمر لى بخمسمائة دينار .

قال : فخرج به هَرْمَةً ، وقال لى بالسوط هكذا ، فأَتَّبَعْتُهُ ، فحدثنى بالقصة ، وقال لى قد أمر لك بخمسمائة دينار ، وقد أضفنا إليه مثله .

قال : فوالله ما ملكتُ قبلها ألف دينار إلا فى ذلك الوقت .

قال : وكنتُ رجلاً أَتَشَبَّعَ ، فكفانى الله على يَدَي مُصْعَب .

(ومن المسائل عن الحسين)

وقف الوالد رحمه الله على تصنيف الحسين فى الشهادات ، أظن أنى الذى أحضرته إليه ، فكتب منه فوائده ها أنا أحلُّها^(١) ، ومن خط الشيخ الإمام أنقلها .

● منها : حكى الكَرابِيسَى ، عن معاوية : أنه قبل شهادة أمِّ سلمة لابن أخيها . وأجاز زُرَّارة شهادة أوى مِجْلَز^(٢) وحده ، وأجاز شُرَيْح شهادة أوى إسحاق وحده ، وأجاز شُرَيْح أيضا شهادة أوى قيس على مصحف وحده .

قال الكَرابِيسَى : إن قال قائل : أُجِيز شهادة واحد وجبت استتَابَتُهُ ، فإن تاب وإلا قُتِل .

قال : فإن قال قائل : هؤلاء من أهل العلم . قيل له : إنما يهدم الإسلام زَلَّةَ عالم ، ولا يهدمه زَلَّةُ ألف جاهل ، قد حكم بعض أهل العلم بما لا يحل له ، ولا يجوز فى الإسلام :^(٣) [فقد قضى شُرَيْح بقضايا ليس عليها أحد من المسلمين]^(٤) ، ولا له حجة من كتاب ، ولا سُنَّة ، ولا أثر ، ولا يثبت بجهة من الجهات .

● ومنها : إذا باعت الصَّدَاق ، وطلَّقها قبل الدخول ، قال مالك : لها نصف ما اشتريت ما لم تستهلك منه شيئا . وقال أبو يوسف ومحمد : يجب على مَنْ وَلِىَ من الأحكام إبطال هذا الحكم . وردَّ عليهما الكَرابِيسَى .

(١) فى المطبوعة : فكتب منه فوائدها أنا أُمَلِّها . والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : مغلَّ . والمثبت من : ج ، د .

(٣) ساقط من : د .

● وقال أبو يوسف في الحكم ببيع أم الولد : إنه يُنْقَضُ ، ثم رجع وقال : لا يُنْقَضُ ؛ للاختلاف فيه .

● نقل أبو عاصم ، أن الحسين قال : الخبر إذا رواه عالم من المحدثين أوجب العلم الظاهر والباطن كالتواتر .

● قال الحسين : سمعتُ الشافعي يقول : يُكْرَهُ للرجل أن يقول : قال الرسول ، ولكن يقول : قال رسول الله ﷺ ؛ ليكون معظماً . رواه البيهقي^(١) وغيره ، وهو في كتاب أبي عاصم .

● وروى عن الشافعي أيضاً أنه قال : اضطرَّ الناس بعد رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر ؛ فلذلك استعملوه على رقاب الناس . قال أبو عاصم العبادي : وهذا قول منه بأن إمامة المفضل لا تجوز .

● نقل العبادي أن الكرايسي قال : إذا قال : أنت طالق مثل ألف ، طلقت ثلاثة ؛ لأنه شبه بعدد ، فصار كقوله : مثل عدد نجوم السماء ؛ أما إذا قال : مثل الألف - أي بالتعريف - فطُلّق واحدة إذا لم ينو شيئاً ؛ لأنه تشبيه بعظيم ، فأشبه ما لو قال : مثل الجبل .

وفي الرافعي عن المتوَلَّى ...^(٢)

(١) مناقب الشافعي ١/ ٤٢٥ .

(٢) بعد هذا بيّض في الأصول . وفي ترجمة الكرايسي في الطبقات الوسطى هذه الزيادة : نقل أبو عاصم في الطبقات أن أبا ثور والكرايسي قالاً : إن من أعسر بالحق فحلف أنه ليس عليه شيء كان باراً في يمينه ؛ لأنه مضطر . وقال المزني : يكون كاذباً ؛ لأنه لو لم يكن عليه شيء لما أنظر ، ولما صح إبرأؤه ، بل ننظر : فإن كان الحبس يجهد به يضربه حلف ؛ لأنه مضطر ، وإن لم يجهد فلا يجوز الحلف . ونقل أبو عاصم : أن الكرايسي روى عن الشافعي أنه قال : من استدان فادعى بعده أنه معسر يقبل قوله ؛ لأن المال غاد ورائح .

قال أبو عاصم : ومن الغريب الذي يشاكله ما روى أبو الطيب عن « القديم » أن القابض والمقبوض منه إذا اختلفا في جهة الأداء ، فالقول قول القابض .

الحسين القلاس

بفتح القاف وتشديد اللام وفي آخرها السين المهملة ،

الفقيه البغدادي ، ويقال : اسمه الحسن*

قال الشيخ أبو إسحاق : كان من عليّة أصحاب الحديث ، وحفاظ مذهب الشافعيّ .

هكذا حكاه داود في كتاب « فضائل الشافعيّ » عن أبي ثور ، وأبي عليّ الرّعفرانيّ . انتهى .

حَرَمَلَة بن يَحْيَى بن عبد الله بن حَرَمَلَة بن عِمْران بن قُرَاد التُّجِيبِيّ**
نسبة إلى تُجِيب ، بضم التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء
آخر الحروف وفي آخرها باء موحدة ، وتُجِيب : قبيلة

كان إماما ، جليلا رفيع الشأن .

وُلد سنة ست وستين ومائة .

ورَوَى عن الشافعيّ ، وعبد الله بن وَهْب ، وأيوب بن سُويد الرَّمْلِيّ ، وبِشْر بن بكر التَّنِيْسِيّ^(١) ، وسعيد بن أبي مريم ، وغيرهم .

روى عنه مسلم ، وابن ماجه ، وغيرهما .

وكان من أكثر الناس رواية عن ابن وهب .

* له ترجمة في : الأنساب لوحة ٤٦٧ ، وفيه : والحسين وقيل الحسن وهو الأشبه ، تاريخ بغداد ٨ / ٨٦ ، طبقات الشيرازي ٨٤ . والقلاس : نسبة إلى القلس ، وهو الحبل الذي تربط به السفن .

** له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣ ، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٢٩ الجمع بين رجال الصحيحين ١١٢ ، طبقات الشيرازي ٨٠ ، طبقات ابن هداية الله ٥ ، اللباب ١ / ١٦٩ ، وفيه : حرملة بن عمرو ، وفيات الأعيان ٣٥٣ / ١ .

(١) بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة والياء المثناة من تحت والسين المهملة ، نسبة إلى مدينة بديار مصر . اللباب ١ / ١٨٤ .

قال أبو عمر الكِنْدِيُّ : لم يكن بمصر أحد أكتب منه عن ابن وَهْب ؛ وذلك لأن ابن وَهْب أقام في منزلهم سنة وستة أشهر ، مستخفيا من عباد^(١) لما طلبه يولييه قضاء مصر .

وعن حَرْمَلَة : عاذني ابن وَهْب من رمد أصابني ، وقال لي : يا أبا حفص ، إنه لا يُعاد من الرَّمَد ، ولكنك من أهلي .

وعن أحمد بن صالح المصري : صنّف ابن وَهْب مائة ألف وعشرين ألف حديث ، عند بعض الناس منها النّصف ، يعنى نفسه ، وعند بعض الناس الكلّ ، يعنى حَرْمَلَة .

وقال محمد بن موسى الحَضْرَمِيُّ : حديث ابن وَهْب كله عند حَرْمَلَة ، إلا حديثين .

وقال هارون بن سعيد : سمعتُ أشهب ، ونظر إلى حَرْمَلَة فقال : هذا خير أهل المسجد .

قلتُ : تكلم بعضهم في حَرْمَلَة ، فعن أبي حاتم : لا يُحتجّ به .
وأنصف ابن عَدِيّ فقال : قد تبَحَّرْتُ حديث حَرْمَلَة ، وفَتَّشْتُهُ الكثير ، فلم أجد في حديثه ما يجب أن يُضَعَّف من أجله ، ورجل توارى ابن وَهْب عندهم ، ويكون حديثه كله عنده ، فليس يبعد أن يُعَرَّب على غيره .

قلتُ : هذا هو الحق ، وحَرْمَلَة ثقة ثبت إن شاء الله .

صنّف « المبسوط » و « المختصر » .

ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(ومن الرواية عن حرملة)

قال حرملة : حدثنا الشافعيّ ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ ، قال : « الْحُمَى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ » .
قال الحاكم : هذا الحديث ليس هو في الموطأ .

قال : وكذلك رَوَى عن الشافعيّ ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ ، قال : « الْعَجَمَاءُ جَرَحُهَا جُبَارٌ^(٢) ، وَالْبُئْرُ جُبَارٌ ، وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ » وليس في الموطأ .

(١) عباد بن محمد بن يحيى . الولاة والقضاة ١٤٩ ، ٤١٧ . وفي حسن المحاضرة ٢ / ٥٩٣ : عباد بن نصر الكندي .

(٢) العجماء : الدابة ، والجبار : الهدر . النهاية ١ / ٢٣٦ .

(ومن الفوائد عن حرملة)

قال حرملة : سمعتُ الشافعيّ ، يقول : ما حلفتُ بالله صادقا ولا كاذبا قطّ .

قال حرملة : سمعتُ الشافعيّ ، يقول : أئمة العدل أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنهم ، وكذا رواه عن الشافعيّ الربيع بن سليمان .

قال حَرَملة : وسمعتُ الشافعيّ ، يقول : إذا رأيت كَوْسَجًا فاحذره ، وما رأيتُ من أزرَق خيرا .

قال : وسمعتُه ، يقول : ما تُقَرَّب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم .

● قال : وسمعتُه يقول في حديث « اشترطى لَهُمُ الْوَلَاءُ » : معناه عليهم . قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ ^(١) يعنى : عليهم .

قلتُ : وقد رَوَى عن الشافعيّ تضعيفُ هذا التأويل . وقيل : إنما تأوَّله هكذا الْمُزَنِّي ، وقد عزاه حرملة إلى الشافعيّ نفسه . فهي فائدة .

● وقال حَرَملة : عن الشافعيّ في قوله ﷺ : « بَيِّدْ أَنَّهُمْ » أى : من أجل أنهم .

● قال : وقال الشافعيّ : لا يقل أحد : ما شاء الله وشئت . إذ قد جعل فاعلين ، بل : ما شاء الله ثم شئت .

قال حرملة : كان الشافعيّ رضى الله عنه وهو حَدَّث ينظر في النجوم ، وكان له صديق وعنده جارية قد حبلى ، فقال : إنها تلد إلى سبعة وعشرين يوما بولد ، ويكون في فحذه الأيسر خال أسود ، ويعيش أربعة وعشرين يوما ، ثم يموت . فجاء الأمر كما وصف ،

(١) سورة الرعد ٢٥ .

فحرق تلك الكتب ، وما عاد إلى النظر في شيء منها .

قال حرملة : كان الشافعي يخرج لسانه فيبلغ أنفه .

● قال حرملة : سمعت سفیان بن عيينة ، يقول في تفسير حديث النبي ﷺ :
« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ » قال : يستغنى به .

وقال الشافعي : ليس هو هكذا ؛ لو كان هكذا لقال : يَتَعَنَّا ؛ إنما هو يتحزن ،
ويترغم به ، ويقراه حذراً^(١) وتحزينا .

(ومن المسائل عن حرملة)

● قال الرافعي عن نص الشافعي : في حرملة : إنه إذا أهدى مشرك إلى الإمام أو الأمير
هدية ، والحرب قائمة فهي غنيمة ، بخلاف ما إذا أهدى قبل أن يرتحلوا عن دار
الإسلام . وعن أبي حنيفة : أنها للمهدي إليه بكل حال . انتهى .

وذكر النووي في « الروضة » هذا الفرع ، وقال فيه : بخلاف ما إذا أهدى قبل
أن يرتحلوا عن دار الإسلام ؛ فإنه للمهدي إليه . والحكم بكونه للمهدي إليه إنما هو
منقول الرافعي عن أبي حنيفة . وأما على مذهبنا فلم يذكره الرافعي ، والذي ينبغي
أنه يكون فيئاً ، على قياس هدايا العمال .

وفي « البحر » للرويانتي ما يوافق ما وقع في « الروضة » لكنه غير مُسلم . نبه على
ذلك الوالد رحمه الله في كتاب « هدايا العمال » .

● قال حرملة : سمعت الشافعي يقول : مَنْ زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن
أبطلنا شهادته ؛ لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾^(٢)
إلا أن يكون نبياً . ذكره الأبري في « كتاب المناقب » .

(١) الحذر في القراءة : الإسراع .

(٢) سورة الأعراف ٢٧ .

● ذهب حرملة فيمن رهن عينا عند^(١) مَنْ هِيَ عنده بوديعة أو نحوها ، أنه لا حاجة إلى مضى زمان يتأتى فيه صورة القبض^(٢) .

وقضية كلام « المذهب » و « التتمة » أنه قال نقلا عن الشافعي ، لا مذهبا لنفسه . لكن صرح الشيخ أبو حامد وجماعة - كما ذكر النووي - أنه إنما قال مذهبا لنفسه ، لا نقلا .

ثم جعل النووي المسألة ذات وجهين ، كقول حرملة ، فإنه وإن لم ينقله فهو صاحب وجه . هذا بعد قوله : « نهت على كونه إنما قاله مذهبا لنفسه ؛ لئلا يغير به »^(٣) .

ولك أن تقول : إثبات كونه وجهها يستدعي أن يكون قاله تخريجا على أصل الشافعي ، وإلا فقد ينفرد حرملة في بعض المسائل ، ويخرج عن المذهب تأصيلا وتفريعا ، كما قد يفعل ذلك المزيّ وغيره في بعض الأحيان .

● قال الشيخ أبو حامد في « الرونق » والمخاملي في « اللباب » كلاهما في « كتاب الأشربة » ، قال : في حرملة : إذا وجد ماء طاهرا أو ماء نجسا ، واحتاج إلى الطهارة توضأ بالطاهر ، وشرب النجس .

قلت : وهو ما ذكره أبو عليّ الرّجّاجيّ ، والماورديّ ، وغيرهما . لكن أنكره الشّاشيّ ، واختار أنه يشرب الطاهر ويتيمم . وصحّحه النوويّ ، لكنني ما أظنه أطلع على ما في حرملة ، فلعله لو أطلع عليه لوقف عن تصحيح شرب الطاهر ، على أن ما صحّحه هو الذي يظهر إن كان النجس مما يُعاف استعماله .

(١) في ج : إلى عند .

(٢) ذكر ابن السبكي المسألة في الطبقات الوسطى مفصلة على هذا النحو : قد عرف أن أصح الطرق في المذهب ، أنه إذا رهن عند رجل عينا هِيَ عنده ، إما بوديعة أو نحوها ، فلا بد من إذن جديد من الراهن للمرتهن في القبض ، سواء شرط الإذن أم لا ، فلا يلزم العقد ما لم يمض زمان يتأتى فيه صورة القبض ؛ لكن إذا شرط الإذن فهذا الزمان يعتبر من وقت الإذن ، وإن لم يشترط فمن وقت العقد ، وقال حرملة : لا حاجة إلى مضى هذا الزمان ويلزم العقد بنفسه .

(٣) في المطبوعة : يغتر ، وفي د : يغر . والمثبت من : ج .

الربيع بن سليمان بن داود الجيزي
أبو محمد ، الأزدي مولاهم ، المصري ، الأعرج . وقيل : ابن الأعرج *
كان رجلا فقيها ، صالحا .

روى عن الشافعي ، وعبد الله بن وهب ، وإسحاق بن وهب ، وعبد الله بن يوسف ، وغيرهم .
روى عنه أبو داود ، والنسائي ، وأبو بكر بن أبي داود ، وأبو جعفر الطحاوي ، وغيرهم .

توفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين ، وقيل : سنة سبع وخمسين .
● وهو الذي روى عن الشافعي أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة .
● وأن الشعر بعد الممات يتبع الذات ؛ قياسا على حال الحياة . يعنى أنه يطهر بالذباغ .

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل ، المرادي
مولاهم ، الشيخ أبو محمد المؤذن **

صاحب الشافعي ، وراوي كُتبه ، والثقة الثَّبت فيما يرويه ، حتى لقد^(١) تعارض هو وأبو إبراهيم المُرَني في رواية فقدّم الأصحاب روايته ، مع علو قدر أبي إبراهيم علما ودينا وجلالة وموافقة ما رواه للقواعد .

* له ترجمة في : تهذيب التهذيب ٣ / ٢٤٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥٩ ، طبقات الشيرازي ٨١ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، اللباب ١ / ٢٦٣ ، وفيات الأعيان ٢ / ٥٣ .

** له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ١٤٨ ، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٤٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥٩ ، طبقات الشيرازي ٧٩ ، طبقات ابن هداية الله ٦ ، العبر ٢ / ٤٥ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٨ ، وفيات الأعيان ٢ / ٥٢ .

(١) في المطبوعة : حتى لو تعارض هو وإبراهيم المُرَني في رواية لقدّم الأصحاب روايته . والمثبت من : ج . ومن قوله : « هو وأبو إبراهيم » إلى « قدر أبي » ساقط من : د .

● ألا ترى أن أبا إبراهيم روى لفظا : أن الشافعي رضي الله عنه قال : ولو كان العبد مجنونا عتق بأداء الكتابة ، ولا يرجع أحدهما على صاحبه بشيء . وهذا هو القياس ؛ فإن المجنون وقت العقد لا يصح عقد الكتابة معه ، وما هو إلا تعليق محض فيعتق بوجود الصفة ، ولا يراجع بالقيمة . وهذا هو الذي يُفتى به مذهبًا .

وروى الربيع هذه الصورة بهذه اللفظة ، وقال : يتراجعان بالقيمة . وهذا يتضمن كون الكتابة الجارية مع المجنون كتابة فاسدة ، يتعلق بها التراجع عند حصول العتق ، وهذا على نهاية الإشكال ؛ فإن المجنون^(١) وهو المجنون ، لا عبارة له .

ثم قال ابن سريج فيما^(٢) نقله الصيّد لاني ، وجماعات : الصحيح ما نقله الربيع . قال إمام الحرمين : وقد ظهر عندنا أن ابن سريج لم يصحح ما رواه الربيع فقها ، ولكنه رآه أوثق في النقل .

وقال أبو إسحاق : الصحيح ما نقل المُنزني .

قال المحققون من أئمتنا : ومراده أن رواية المُنزني هي الصحيحة فقها لا نقلا ، فلا تعارض بين ما صححه أبو إسحاق ، وما صححه ابن سريج .

وقد خرج من هذا ما هو موضع حاجتنا من علو قدر الربيع فيما يرويه .

ولد الربيع سنة أربع وسبعين ومائة .

واتصل بخدمة الشافعي وحمل عنه الكثير ، وحدث عنه به ، وعن عبد الله بن وهب ، وعبد الله بن يوسف التَّنيسي ، وأيوب بن سويد الرَّملي ، ويحيى بن حسان ، وأسد بن موسى ، وجماعة .

روى عنه أبو داود ، والتَّسائي ، وابن ماجة ، وأبو زُرعة الرَّازي ، وأبو حاتم ، وابنه عبد الرحمن ، وزكريا السَّاجي ، وأبو جعفر الطَّحاوي ، وأبو بكر عبد الله بن محمد

(١) في المطبوعة : المخبول ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : كما ، وفي د : مما . والمثبت من : ج .

ابن زياد النيسابوري ، والحسن بن حبيب الحَصَائِرِي^(١) ، وابن صاعد ، وأبو العباس الأصم ، وآخرون ، آخرهم أبو الفوارس السَّيْدِي ، وروى عنه التَّرمِذِيُّ بالإجازة . ولد سنة أربع وسبعين ومائة^(٢) .

وكان مؤذنا بالمسجد الجامع بفسطاط مصر ، المعروف اليوم بجامع عمرو بن العاص .

وكان يقرأ بالألحان ، وكان الشافعي يحبه ، وقال له يوما : ما أحبك إلي ! وقال : ما خدمني أحد قط ما خدمني الربيع بن سليمان .

وقال له يوما : يا ربيع ، لو أمكنتني أن أطعمك العلم لأطعمتك .

وقال القفال في « فتاويه » كان الربيع بطيء الفهم ، فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم ، وقام من المجلس حياء ، فدعاه الشافعي في خلوة ، وكرر عليه حتى فهم .

وكانت الرحلة في كتب الشافعي إليه من الآفاق نحو مائتي رجل ، وقد كاشفه الشافعي بذلك ، حيث يقول له فيما روى عنه : أنت راوية كتبي . ومن شعر الربيع :

صبرًا جميلًا ما أسرعَ الفرجا مَنْ صدَّق الله في الأمور نجًا

مَنْ خشِيَ الله لم ينله أذى ومن رجا الله كان حيث رجا

وقيل : كانت فيه سلامة صدر ، وغفلة .

قلت : إلا أنها باتفاقهم لم تنته به إلى التوقف في قبول روايته بل هو ثقة ، ثبت ، خرَّجَ إمام الأئمة ابن خزيمة حديثه في صحيحه ، وكذلك ابن حبان ، والحاكم . قال ابن أبي حاتم : سمعنا منه ، وهو صدوق . وسئل أبا عنه ، فقال : صدوق . انتهى^(٣) .

وقال الخليل في « الإرشاد » : ثقة متفق عليه .

قال الطحاوي : مات الربيع بن سليمان ، مؤذن جامع الفسطاط ، يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لإحدى وعشرين ليلة خلت من شوال ، سنة سبعين ومائتين ، وصلى عليه الأمير حُمارُويَّة بن أحمد بن طولون .

(١) بفتح الحاء والصاد المهملتين . انظر المشتبه ٢٣٨ .

(٢) ذكر المصنف هذا الخبر في الصفحة السابقة .

(٣) الجرح والتعديل ٤٦٤ / ٣ .

قلتُ : وعاش ابنه أبو المَضَا^(١) محمد بعده ثلاث سنين .

ولهم شيخ آخر يقال له الربيع بن سليمان ، مات سنة ثلاث وسبعين . نهنا عليه ؛ لئلا يشتبه .

(وهذه نخب وفوائد عن الربيع ، رحمه الله)

قال أبو عاصم : روى الربيع عن الشافعي أنه قال : في الأكل أربعة أشياء فرض وأربعة سنة ، وأربعة أدب ، أما الفرض : فغسل اليدين ، والقصعة ، والسكين ، والمِغْرَفَة . والسنة : الجلوس على الرجل اليسرى ، وتصغير اللُقْم ، والمضغ الشديد ، ولعق الأصابع . والأدب : أن لا تمد يدك حتى يمد مَنْ هو أكبر منك ، وتأكل مما يليك ، وقلة النظر في وجوه الناس ، وقلة الكلام .

قال الربيع : دخلت على الشافعي ، وهو مريض فقلت : قَوَّى الله ضعفك . فقال : لو قَوَّى ضعفي قتلني . قلتُ : والله ما أردت إلا الخير . قال : أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير .

وفي رواية : قل قَوَّى الله قَوَّتْكَ ، وضعف ضعفك .

قلتُ : أما قد جاء في أدعية النبي ﷺ : « وَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي » !

● وعن حُبَيْش^(٢) بن مبشر : حضرت مجلسا بالعراق فيه الشافعي فجرى ذكر ما يحل ويحرم من حيوان البحر ، فتقلد الشافعي مذهب ابن أبي ليلى : أنه يحل كل ما في البحر حتى الضفدع والسرطان ، إلا شيئا فيه سم ، فتكلم فحسن كلامه .

قال الربيع : فعلقته ، وعرضته عليه ، فاستحسنه واختاره .

قلتُ : هو قول للشافعي شهير ، وقد نسبه الشيخ أبو عاصم إلى رواية الربيع .

(١) في المطبوعة : أبو المعنى . والمثبت من : ج ، د . ورسمه لهما هكذا : أبو المضي .

(٢) بضم الحاء وفتح الباء . انظر المشتبه ٢٧١ .

وروى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسدي في كتابه في « مناقب الشافعي » أن الربيع قال : كان الشافعي لا يرى الإجازة في الحديث ، وأنه قال : أنا أخالف الشافعي في هذا .

قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو لئيم . وفي لفظ : شيطان . ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم ، ومن تعرض لما لا يعنيه فهو الملولم .

قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : ما حلفت بالله صادقا ولا كاذبا ، جادا ولا هازلا .

قلت : روى هذا عن الشافعي جماعات من أصحابه : الربيع ، وجرملة ، وغيرهما . وقد قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : والله الذي لا إله إلا هو ، لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته .

قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أنفع الذخائر التقوى ، وأضرها العدوان .

قال : وسمعتة يقول : لا خير لك في صحبة من تحتاج إلى مداراته .

● قال الربيع : قال الشافعي ، في قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾^(١) : لم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى الذي لا يؤمر ولا ينهى .

قلت : وكذلك ذكره رضى الله عنه في « الرسالة »^(٢) ، قرأته على الشيخ الإمام كذلك في درس الغزالية .

● قال الربيع : سئل الشافعي عن الرقية ، فقال : لا بأس أن يرقى بكتاب الله ، أو ذكر الله جل ثناؤه .

فقلت : أيرقى أهل الكتاب المسلمين ؟

فقال : نعم ، إذا رَقُوا بما يُعرف من كتاب الله ، أو ذكر الله .

فقلت : وما الحجة في ذلك ؟

(١) سورة القيامة ٣٦ .

(٢) الرسالة ص ٢٥ .

فقال : غيرُ حجة ؛ فأما رواية صاحبنا وصاحبكم ، فإن مالكا أخبرنا ، عن يحيى ابن سعيد ، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن : أن أبا بكر دخل على عائشة ، وهى تَشْتَكِي ، ويهودية تَرْقِيها ، فقال أبو بكر : اَرْقِيها بكتاب الله .

فقلتُ للشافعيّ : إنا نكره رُقِيَةَ أهل الكتاب .

فقال : ولم ، وأنتم تروؤون هذا عن أبى بكر ، ولا أعلمكم تروؤون هذا عن غيره من أصحاب النبىِّ ﷺ خلافه ، وقد أحل الله طعامَ أهل الكتاب ونساءهم ، وأحسب الرقية إذا رَقُوا بكتاب الله مثل هذا ، أو أخفّ .

قلتُ : رَوَى ذلك الحاكم فى « مناقب الشافعيّ » عن الأصمّ ، عن الربيع . وأظن السائل والمناظر للشافعيّ فى ذلك محمد بن الحسن .

● وقد تضمّن أن قول الصحابيّ إذا لم يُعرَف له مخالفٌ حجةٌ عند من لا يراه حجة ، إذا خالفه غيره .

● ونظيره ذكُر الربيع أيضا مناظرة الشافعيّ مع محمد بن الحسن ، فى زكاة مال اليتيم ، وقول الشافعيّ فى أثناء كلامه : إلا أن أصل مذهبنا ومذهبك أنا لا نخالف الواحد من أصحاب النبىِّ ﷺ ، إلا أن يخالفه غيره منهم . فى مناظرة طويلة فى المسألة .

● وذكر الربيع مناظرته أيضا مع محمد بن الحسن فى المُدَبَّر ، وفيها قول الشافعيّ لمحمد بن الحسن : هل لك أن تقول على غير أصل ، أو قياس على أصل ؟ قال : لا . قلتُ : « فالأصل » كتاب الله ، أو سنة رسول الله ﷺ ، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، أو إجماع الناس . فى مناظرة طويلة ، قال الشافعيّ فى آخرها : فرجع محمد إلى قولنا فى بيع المُدَبَّر .

● قال الربيع : قال الشافعيّ : قلتُ لمحمد بن الحسن : لم زعمتُ أنه إذا أدخل يده فى الإناء بنية الوضوء ينجسُ الماء ؟ وأحسب لو قال هذا غيركم لقلتم عنه : إنه مجنون .

فقال : لقد سمعتُ أبا يوسف يقول : قولُ الحجازيين فى الماء أحسن من قولنا ، وقولنا فيه خطأ .

قلتُ : فأقام عليه ؟ .

قال : قد رجع إلى قولكم نحواً من شهرين ، ثم رجع .

قلتُ : ما زاد رجوعه إلى قولنا قوة ، ولا وَهْنه رجوعه عنه .

قال الربيع : سمعتُ الشافعي يقول ، وسأله رجل عن مسألة ، فقال : يُروى عن النبي ﷺ أنه قال : كذا وكذا . فقال له السائل : يا أبا عبد الله ، أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي ، واصفر وحوال لوته ، وقال : ويحك ، أي أرض تُقِلُّني ، وأي سماء تُثْقلُني إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم أقل به ! نعم على الرأس والعين . وفي لفظ : متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً ، ولم آخذ به ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب .

وفي لفظ آخر رواه الزُّعْفَرَانِيُّ : سمعتُ الشافعي يقول لمن قال له : أتأخذ بهذا الحديث : تراني في بيعة ، تراني في كنيسة ، ترى عليّ زيّ الكفار ! هو ذا تراني في مسجد المسلمين ، عليّ زيّ المسلمين ، مستقبل قبلتهم ، أروى حديثاً عن النبي ﷺ ، ثم لا أقول به !

ورواه أيضاً الحُمَيْدِيُّ ، وجماعات ؛ فكأنه وقع له مرات رضى الله عنه .

قال الربيع : سمعتُ الشافعي يقول : إذا ضاقت الأشياء اتسعت ، وإذا اتسعت ضاقت .

قال : وسمعتُه يقول : مَنْ صَدَقَ فِي أُخُوَّةِ أَخِيهِ قَبْلَ عِلَلِهِ وَسَدَّ حَلَلَهُ ، وَعَفَا عَنْ زَلَلِهِ .

قال : وسمعتُه يقول : الكَيْسُ العاقل هو الفطن المتغافل .

وقال ابن خُزَيْمَةَ فيما ذكره البَيْهَقِيُّ : سمعتُ الربيع يقول : سمعتُ الشافعي يقول : أكره أن يقول : أعظم الله أجرك . يعنى في المصائب ؛ لأن معناه : أكثر الله مصائبك ليعظم أجرك .

قلتُ : لنا في هذا من البحث كما قدمناه^(١) في « قوَى الله ضعفك » فكلاهما في السنّة .

(١) في المطبوعة : ما قدمناه . وفي د : لنا في هذا بحث كما قدمناه ، والمثبت من : ج . انظر ص ١٣٥

وقال ابن خزيمة أيضا : حدثنا الربيع قال : كان الشافعي إذا أراد أن يدخل في الصلاة قال : بسم الله ، متوجها لبيت الله ، مؤديا لعبادة الله .

قال الربيع : قلت للشافعي : من أقدر الناس على المناظرة ؟ فقال : من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ ، ولم يتلعم إذا رمقته العيون بالألحاظ .

٣٠

سليمان بن داود بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس
القرشي الهاشمي ، أبو أيوب ، البغدادي *

روى عن الشافعي ، وغيره .

وروى عنه أحمد بن حنبل ، وغيره .

قال أحمد بن حنبل : لو قيل لي : اختر للأمة رجلا استخلفه عليهم ، استخلفت سليمان بن داود الهاشمي .

وعن الشافعي : ما رأيت أعقل من هذين الرجلين : سليمان بن داود ، وأحمد بن حنبل .

توفي سنة تسع عشرة ومائتين ، وقيل سنة عشرين .

أخبرنا أحمد بن علي الجزري ، وفاطمة بنت إبراهيم في كتابهما ، عن محمد بن عبد الهادي عن السلفي ، أخبرنا المبارك بن الطيوري ، أخبرنا أبو الفتح عبد الكريم بن محمد ، أخبرنا علي بن عمر ، حدثنا أبو بكر بن زياد النيسابوري ، حدثنا عبد الله ابن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبي ﷺ صلى في كسوف الشمس ركعتين ، في كل ركعة ركعتين .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٩ / ٣١ ، تهذيب التهذيب ٤ / ١٨٧ ، شذرات الذهب ٢ / ٤٥ ، طبقات القراء ١ / ٣١٣ ، المعبر ١ / ٣٧٦ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣١ . وفي المطبوعة : سليمان بن داود بن علي . وكذلك في الشذرات والمعبر . والمثبت من : ج ، د ، وبقية المصادر .

عبد الله بن الزبير بن عيسى ، القرشي ، الأسدي ، المكي
محدث مكة ، وفقهها ،

أبو بكر الحميدي : [نسبة إلى] حميد بن زهير بن الحارث بن أسد*

روى عن الشافعي ، وتفقه به ، وذهب معه إلى مصر ، وسفيان بن عيينة .
قال شيخنا الذهبي : وهو أجل أصحابه ، وعبد العزيز الدراوردي ، وفضيل بن
عياض ووكيع ، وغيرهم .

روى عنه البخاري ، ويعقوب بن سفيان ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وسلمة بن
شبيب ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم الرازي ، وخلق .

قال أحمد بن حنبل : الحميدي عندنا إمام جليل .

وقال أبو حاتم : أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي .

وعن الربيع : سمعت الشافعي يقول : ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من
الحميدي ، كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

وقال ابن حبان : جالس ابن عيينة عشرين سنة .

قلت : إن كان ما قاله أبو حاتم والشافعي وابن حبان هو الحامل للذهبي على
قوله : إن الحميدي أجل أصحاب ابن عيينة ، فليس ذلك بكاف فيما قال .
وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدي ، وما لقيت أنصح للإسلام وأهله
منه .

وقال محمد بن إسحاق المروزي : سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول : الأئمة في
زماننا : الشافعي والحميدي ، وأبو عبيد .

* له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ١ ، تهذيب التهذيب ٥ / ٢١٥ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٦٥ ، وقد
ذكر نسبه على نحو لا يلبس ، هكذا : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن الزبير بن عبد الله بن حميد وإليه
بنسب ، أبو بكر الحميدي القرشي المكي ، شذرات الذهب ٢ / ٤٥ ، طبقات الشيرازي ٨١ ، طبقات ابن
هداية الله ٣ ، العبر ١ / ٣٧٧ ، اللباب ١ / ٣٢١ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣١ . وما بين المعقوفين زيادة
يقتضيها السياق .

وقال علي بن خلف : سمعتُ الحُمَيْدِيَّ يقول : ما دمتُ بالحجاز ، وأحمد بالعراق ، وإسحاق بخُراسان لا يغلبنا أحد .

قلتُ : ومن ثمَّ قال الحاكم أبو عبد الله : الحُمَيْدِيَّ مفتي أهل مكة ومحدِّثهم ، وهو لأهل الحجاز في السنة كأحمد بن حنبل لأهل العراق . انتهى .

وقال السَّرَّاج : سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول : الحُمَيْدِيَّ إمام في الحديث .

قال ابن سعد ، والبخاري : توفي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين .

وزاد ابن سعد : في شهر ربيع الأول ، وقد أغفل شيخنا المِزِّي حكاية الشهر عن ابن سعد وحكى عنه السُّنَّة .

(ومن الفوائد عن الحميدى)

قال الربيع بن سليمان : سمعتُ الحُمَيْدِيَّ يقول : قدم الشافعيُّ من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في مندبل ، ف ضرب خبائه في موضع خارجا من مكة ، وكان أناس يأتونه ، فما برح حتى ذهبت كلها .

وقال الحُمَيْدِيَّ : ذكر رجل للشافعيِّ حديثًا ، وقال : أتقول به ؟ فقال : أ رأيت في وسطى زُنَّارًا ، أتراني خرجت من كنيسة حتى تقول لي هذا !
ومن طريق الحُمَيْدِيَّ رويث :

(المناظرة الشهيرة بين محمد بن الحسن والشافعي رضي الله عنهما)^(١)

● وملخصها : قال له محمد : ما تقول في رجل غصب من رجل ساجعة^(٢) ، فبنى عليها بناء أفنق فيه ألف دينار ، ثم جاء صاحب الساجعة أثبت بشاهدين عدلين ، أن هذا اغتصبه هذه الساجعة ، وبنى عليها هذا البناء ، ما كنت تحكم ؟

(١) انظرها في آداب الشافعي ومناقبه ١٦٠ - ١٦٣ ، وحواشيه .

(٢) الساجعة : الخشب من شجر الساج .

قال الشافعي : أقول لصاحب الساجة يجب أن تأخذ قيمتها ، فإن رضى حكمث له بالقيمة ، وإن أبى إلا ساجته قلعثها ورددتها عليه .

فقال محمد : فما تقول في رجل اغتصب من رجل خيط إبريسم^(١) ، فخاط به بطنه ، فجاء صاحب الخيط ، فأثبت بشهادة عدلين أن هذا اغتصبه هذا الخيط ، أكنت تنزع الخيط من بطنه ؟

فقال الشافعي : لا .

فقال محمد : الله أكبر ، تركت قولك !

فقال الشافعي : لا تعجل [يا محمد]^(٢) أخبرني لو لم يغصب الساجة من أحد ، وأراد أن يطلع عنها هذا البناء ، أمباح له ذلك أم محرّم عليه ؟

فقال محمد : بل مباح .

فقال الشافعي : أفرأيت لو كان الخيط خيط نفسه ، فأراد أن ينزعه من بطنه ، أمباح له ذلك أم محرّم ؟

فقال محمد : بل محرّم .

فقال الشافعي : فكيف تقيس مباحا على محرّم ؟

فقال محمد : أ رأيت لو أدخل غاصب الساجة في سفينة ، ولجّج في البحر ، أكنت تنزع اللوح من السفينة ؟

فقال الشافعي : لا^(٣) بل أمره أن يقرب سفينته إلى أقرب المراسى إليه ، ثم أنزع اللوح ، وأدفعه إلى صاحبه .

فقال محمد : أليس قد قال رسول الله ﷺ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » ؟

فقال الشافعي : هو أضّر بنفسه ، لم يضّر به أحد .

ثم قال الشافعي : ما تقول في رجل اغتصب من رجل جارية ، فأولدها عشرة ، كلهم

(١) الإبريسم : الحرير .

(٢) زيادة من : ج .

(٣) هنا زيادة انظرها في آداب الشافعي .

قد قرأوا القرآن ، وخطبوا على المنابر ، وحكموا بين المسلمين^(١) ، فأثبت صاحب
الجارية بشاهدين عدلين أن هذا اغتصبها منه ، ناشدتك الله بماذا كنت تحكم ؟
قال : أحكم بأن أولاده أرقاء لصاحب الجارية .
فقال الشافعي : أيهما أعظم عليه ضررا : أن يجعل أولاده أرقاء ، أو يقلع البناء
عن الساجدة ؟^(٢)

٣٢

عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مِقْلَاص
الإمام أبو علي ، الخُزَاعِي مولاهم ، المصري ، الفقيه*

أخذ عن الشافعي ، وعن عبد الله بن وهب .
روى عنه أبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، وغيرهما .
وهو ابن بنت سعيد بن أبي أيوب .
كان فقيها زاهدا ، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين .

(ومن المسائل عنه)

● روى ابن مِقْلَاص عن الشافعي : أن السَّوَيْقِ مَخَالَفَ لِلْحَنْطَةِ ، والدقيق مجانس
لها ، والمشهور عند الأصحاب أن السَّوَيْقِ كالدقيق .
قال الوالد رحمه الله : وينبغي التثبت فيما نقل ابن مِقْلَاص ؛ فإن السَّوَيْقِ في هذه البلاد

(١) في المطبوعة : الناس . والمنبت من : ج ، د .

(٢) بعد هذا في الطبقات الوسطى زيادة :

عبد الحميد بن الوليد

ابن المغيرة ، أبو زيد ، المصري ، النحوي

روى عن مالك ، والليث ، وابن هبيرة ، وغيرهم .

توفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين .

* له ترجمة في : طبقات ابن هداية الله ٤ ، القاموس (قل ص) .

إنما يستعمل من الشعر ، وحيث لا إشكال في مخالفته للحنطة ، وإنما يُستغرب^(١) منقول ابن مقلّاص إذا صرّح بالفرق بين السويق والدقيق من جنس واحد .

٣٣

عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون
الكِنَانِيّ ، المَكِّيّ *

الذي يُنسب إليه كتاب « الحَيِّدَة » .

روى عن سفيان بن عُيَيْنَة ، ومروان بن معاوية الفَزَارِيّ ، وعبد الله بن مُعَاذ الصَّنَعَانِيّ^(٢) ، ومحمد بن إدريس الشافعيّ ، وبه تخرج ، وهشام بن سليمان المَحْزُومِيّ ، وغيرهم .

روى عنه أبو العِيْنَاء محمد بن القاسم بن خَلَّاد ، والحسين بن الفضل البَجَلِيّ ، وأبو بكر يعقوب بن إبراهيم التَّيْمِيّ ، وغيرهم . وهو قليل الحديث .
ويقال: كان يلقّب بالْعُؤْل ؛ لدمامة منظره .

وعن أبي العِيْنَاء : لما دخل عبد العزيز المَكِّيّ على المأمون ، وكانت خِلْقته شَبَعَة جَدًّا ، ضحك أبو إسحاق المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين لِمَ يضحك هذا ؟ ! لم يصطف الله يوسف عليه السلام لجماله ، وإنما اصطفاه الله لدينه وبيانه . فضحك المأمون ، وأعجبه .

قال الخطيب : قدم بغداد زمن المأمون ، وجرت بينه وبين بشر المَرِيْسِيّ^(٣) مناظرة في القرآن .

قلتُ : أى ردّ على بشر قوله بخلق القرآن ، كذا بيّنه الشيخ أبو إسحاق ، وهو مشهور .

(١) في ج ، د : سيفرب ، والمثبت في : المطبوعة .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٤٩ ، تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٣ ، شذرات الذهب ٢ / ٩٥ ، طبقات الشيرازي ٨٤ ، العبر ١ / ٤٣٤ .

(٢) في المطبوعة : الصاغاني ، وفي د : الصغاني ، والمثبت من : ج ، وتهذيب التهذيب ٦ / ٣٧ ، ٣٦٣ .

(٣) بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء تحتها نقطتان وفي آخرها سين مهملة ، هذه النسبة إلى مريس ، وهي قرية بمصر . الباب ٣ / ١٢٨ .

قال الخطيب : وكان من أهل العلم والفضل ، وله مصنفات عدة ، وكان ممن تفقّه بالشافعيّ ، واشتهر بصحبته .

وقال داود بن عليّ الظاهريّ : كان عبد العزيز بن يحيى أحد أتباع الشافعيّ ، والمقتبس من عنه ، وقد طالت صحبته له ، وخرج معه إلى اليمن ، وآثار الشافعيّ في كتب عبد العزيز ظاهرة .

ونقل الخطيب : أن عبد العزيز قال : دخلت على أحمد بن أبي دُوَاد وهو مفلوج ، فقلت : إني لم آتلك عائدا ، ولكن جئت لأحمد الله أن سجنك^(١) في جلدك .

قال شيخنا الذهبيّ : فهذا يدل على أن عبد العزيز كان حيّا في حدود الأربعين .

قلتُ : وعلى أنه كان ناصرا للسنة في نفى خلق القرآن ، كما دلت عليه مناظرته مع بشر ، وكتاب « الحيدة » المنسوب إليه فيه أمور مستشعنة ؛ لكنه كما قال شيخنا الذهبيّ : لم يصح إسنادُه إليه ، ولا ثبت أنه من كلامه ، فلعله وُضِع عليه .

٣٤

علي بن عبد الله بن جعفر بن نَجِيع السَّعْدِيّ
أبو الحسن ، ابن المَدِينِيّ ، الحافظ*

أحد أئمة الحديث ، ورفعائهم ، ومَن انعقد الإجماع على جلالته وإمامته ، وله التصانيف الحسان .

مولده سنة إحدى وستين ومائة .

وسمع أباه ، وحمّاد بن زيد ، وهُشَيْمًا ، وابن عُيَيْنَةَ ، والدَّرَّاءَ ورَدِيّ ، وابن وَهْب ،

(١) في ج : شحك . والمثبت في : المطبوعة ، د . .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١١ / ٤٥٨ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٥ ، تهذيب التهذيب ٧ / ٣٤٩ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٣٥٦ ، شذرات الذهب ٢ / ٨١ ، طبقات الشيرازي ٨٤ ، العبر ١ / ٤١٨ ، اللباب ٣ / ١١٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٧٦ .

وعبد الوارث ، والوليد بن مسلم ، وعُندَرًا ، ويحيى القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وابن عُليّة ، وعبد الرزاق ، وخَلَقًا سواهم .

روى عنه البخاري ، وأبو داود ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وإسماعيل القاضي ، وصالح جزرة ، وأبو خليفة الجُمَحِيّ ، وأبو يَعْلَى المَوْصِلِيّ ، وعبد الله البَعَوِيّ ، وخلق ، آخرهم موتا عبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب ، وأقدمهم وفاة شيخه سفيان بن عُيَيْنَةَ .

قال الخطيب : وبين وفاتيهما مائة وثمان وعشرون سنة .

وروى الترمذي ، والنسائي ، عن رجل ، عنه .

قال أبو حاتم^(١) : كان ابن المدينيّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل ، وما سمعت أحمد سماه قط ، إنما [كان]^(٢) يكتنيه تبجيلاً له .

وعن ابن عُيَيْنَةَ : يلومونني على حب ابن المدينيّ ، والله لما أتعلّم منه أكثر مما يتعلّم مني .

وعنه : لولا ابن المدينيّ ما جلست .

وعن عبد الرحمن بن مهديّ أنه قال : ابن المدينيّ أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ، وخاصة بحديث ابن عُيَيْنَةَ .

وقال أبو قدامة السرخسيّ : سمعتُ علي بن المدينيّ يقول : رأيت فيما يرى النائم كأن الثريا تَدَلَّتْ حتى تناولتها . قال أبو قدامة : فصَدَّقَ الله رؤياه ، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه كبير^(٣) أحد .

قال النسائيّ : كأن الله خلق علي بن المدينيّ لهذا الشأن .

وقال صاعقة : كان ابن المدينيّ إذا قدم بغداد تصدّر الحلقة ، وجاء يحيى وأحمد ابن حنبل والناس يتناظرون ؛ فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه ابن المدينيّ .

(١) الجرح والتعديل ١ / ٣١٩ ، ٦ / ١٩٣ .

(٢) زيادة من : ج .

(٣) في المطبوعة : كثير . والمثبت من : ج .

وقال السَّرَّاج : قلتُ للبخاريّ : ما تشتهي ؟ قال : أن أقدم العراق وعليّ بن عبد الله حمّي ، فأجالسه .

وعن البخاريّ : ما استصغرْتُ نفسي عند أحد إلّا عند ابن المدينيّ .
وقيل لأبي داود : أحمد أعلم ، أم عليّ ؟ قال : عليّ أعلم باختلاف الحديث من أحمد .

وقال عبد الله بن أبي زياد القَطَوَانِيّ^(١) : سمعتُ أبا عُبَيْد يقول : انتهى العلم إلى أربعة : أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ أَسْرَدُهُمْ لَهُ ، وأحمد بن حنبل أفقَهُمْ فِيهِ ، وعلي بن المَدِينِيّ أعلمُهُمْ بِهِ ، ويحيى بن مَعِين أكتبُهُمْ لَهُ .

وكان علي بن المدينيّ ممن أجاب إلى القول بخلق القرآن في المحنة ، فنُقِمَ ذلك عليه ، وزيد عليه في القول . والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف .

قال ابن عدّي : سمعتُ مُسَدَّد بن أبي يوسف القُلُوسِيّ^(٢) ، سمعتُ أبي يقول : قلتُ لابن المَدِينِيّ : مثلك في علمك يجيب إلى ما أجبت إليه ! فقال : يا أبا يوسف ما أهون^(٣) عليك السيف .

وعنه : خفتُ أن أُقتل ، ولو ضُربتُ سوطاً واحداً لِمِتُّ .

قلتُ : وما حُكِيَ من أنه علَّلَ حديث الرؤية بسؤال القاضي أحمد بن أبي دؤاد له ، وقوله له : هذه حاجة الدهر . وأن علياً قال : فيه مَنْ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، قيسُ بن أبي حازم ، إنما كان أعرابياً بوالاً على عَقْبِيهِ ، وأن ابن أبي دؤاد قال لأحمد بن حنبل : تحتج علينا بحديث جرير في الرؤية ، وإنما هو من رواية قيس بن أبي حازم ، أعرابي بوال على عَقْبِيهِ ! وأن ابن حنبل قال : علمتُ أن هذا من عمل ابن المَدِينِيّ ؛ فهو أثر^(٤) لا يصح .

(١) بفتح القاف والطاء والواو وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى قطوان ، وهو موضعان بالكوفة وسمرقند ، ينسب إلى الأول عبد الله بن أبي زياد هذا . الباب ٢ / ٢٧٢ .

(٢) بضم القاف واللام بعدهما واو وسين مهملة ، هذه النسبة إلى القلوس - فيما يظن - وهي جبال السفن . الباب ٢ / ٢٧٧ .

(٣) في المطبوعة ، د : أهول . والمثبت من : ج .

(٤) في ج : أمر ، والمثبت في : المطبوعة ، د .

وقال أبو بكر الخطيب : هذا باطل ، قد نَزَّهَ اللهُ ابنَ المَدِينِيِّ عن قول ذلك في قيس ، وليس في التابعين مَنْ أدرك العشرة وروى عنهم غيره ، ولم يحك أحدٌ من ساق محنة أحمد أنه نوَظَرَ في حديث الرؤية .

وقال أبو العِيناء : دخل على بن المَدِينِيِّ إلى أحمد بن أبي دؤاد ، بعد محنة أحمد فنأوله رقعة ، وقال : هذه طُرِحت في داري ، فإذا فيها^(١) :

يَا ابْنَ المَدِينِيِّ الذِي شَرَعْتُ لَهُ	دُنْيَا فَجَادَ بِدِينِهِ لِيُنَالَهَا
مَاذَا دَعَاكَ إِلَى اعْتِقَادِ مَقَالَةٍ	قَدْ كَانَ عِنْدَكَ كَافِرًا مَنِ قَالَهَا
أَمْرٌ بَدَا لَكَ رَشْدُهُ فَقَبِلْتَهُ	أَمْ زَهْرَةُ الدُّنْيَا أَرَدْتَ نَوَالَهَا
فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ لَا أَبَالِكَ مَرَّةً	صَعَبَ الْمَقَادَةِ لِلتِّي تُدْعَى لَهَا
إِنْ الْحَرِيبُ ^(٢) لَمَنْ يُصَابُ بِدِينِهِ	لَا مَنْ يُرْزَى نَاقَةً وَفِصَالَهَا

فقال له : لقد قمتَ وقمنا من حق الله بما يصغُرُ قدر الدنيا عند كثير ثوابه ، ثم وصله بخمسة آلاف درهم .

وقال محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَةَ : سمعتُ على بن المَدِينِيِّ يقول ، قبل موته بشهرين : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر .
وقال البخاريّ : مات على بن المَدِينِيِّ ليومين بقيا من ذى القعدة ، سنة أربع وثلاثين ومائتين .

وقال الحارث ، وغير واحد : مات بسرٌّ مَنْ رأى في ذى القعدة ، وغلط مَنْ قال سنة ثلاث .

(ومن الفوائد عن عليّ رحمه الله)

● رَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ ، فِي « كِتَابِ الْإِتِّصَالِ » : أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ حَبِيبًا الْبُخَارِيَّ ، وَهُوَ صَاحِبُ أَبِي ثَوْرٍ ، ثَقَّةٌ ، مَشْهُورٌ ، قَالَ : جَدُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلَى

(١) القصة والأبيات في تاريخ بغداد ١١ / ٤٦٩ .

(٢) الحريب : هو الذي أخذ جميع ماله . المصباح المنير ١٩٨ .

ابن المَدِينِيّ ، يقول : دخلتُ على أمير المؤمنين ، فقال لي : أتعرف حديثاً مُسنّداً
فيمين سب النبي ﷺ ، فيُقتل ؟

فقلت : نعم . فذكرت له حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن سِمَاك بن
الفضل ، عن عُرْوَةَ بن محمد ، عن رجل من بَلَقَيْن قال : كان رجل يشتم النبي
ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « مَنْ يَكْفِينِي عَدُوًّا لِي » ؟ فقال خالد بن الوليد : أنا .
فبعثه النبي ﷺ إليه ، فقتله .

فقال أمير المؤمنين : ليس هذا مُسنّداً ، هو عن رجل .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هكذا يُعرف هذا الرجل ، وهو اسمه ، وقد أتى النبي
ﷺ عليه وسلم فبايعه ، هو مشهور معروف .
قال : فأمر لي بألف دينار .

قال ابن حَزْم : هو حديث صحيح مُسنّد .

قلت : لا يريد ابن المَدِينِيّ بقوله : « وهو اسمه » أن اسم هذا الرجل المجهول :
رجل من بَلَقَيْن . وأن هذا اللفظ علم عليه ، وإنما يريد أنه بذلك يُعرف ، لا يُعرف
له اسم علم ، بل إنما يُعرف بقبيلته ، وهى الْقَيْن ، فيقال : رجل من بنى الْقَيْن ،
يدل عليه مع وضوحه قوله : « هكذا يعرف هذا الرجل » .

وقوله : « وقد أتى النبي ﷺ فبايعه » جواب سؤال مقدّر ، تقديره : إذا كان
مجهولاً فكيف يُحتجّ به ؟ فأجاب بأن جهالة العين والاسم ، مع العلم بأنه صحابيٌّ
لا يقدح ؛ لأن الصحابة كلهم عُدول ، وهذا الرجل كما ذكر ابن المَدِينِيّ لا يُعرف
له اسم .

وقد رَوَى الْبَيْهَقِيُّ هذا الحديث في سننه^(١) ، من حديث مَعْمَر هكذا ، وهو إسناد
صحيح .

وَرَوَى الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بسنده في كتاب «مزكى الأخبار» : أن عبد الله بن علي

(١) سننه في (باب قتل من ارتد عن الإسلام إذا ثبت عليه ، رجلاً كان أو امرأة) ٨ / ٢٠٣ ، ولفظه : عن
معمّر ، عن سماك بن الفضل ، عن عروة بن محمد ، عن رجل من بلقين : أن امرأة سبت النبي ﷺ ، فقتلها
خالد بن الوليد ، رضى الله عنه .

ابن المَدِينِي قال : سمعتُ أبا يقول : خمسة أحاديث لا أصل لها عن رسول الله ﷺ : حديث : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » وحديث : « لَا وَجَعَ إِلَّا وَجَعَ الْعَيْنِ ، وَلَا غَمٌّ إِلَّا غَمُّ الدِّينِ » وحديث : « إِنْ الشَّمْسُ رُدَّتْ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » وحديث : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ ، إِنَّهُمَا كَأَنَّا يَعْتَابَانِ » .

قلتُ : هو نظير قول الإمام أحمد رضي الله عنه : أربعة أحاديث لا أصل لها : حديث : « مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَكَأَنَّمَا آذَانِي » وحديث : « مَنْ بَشَّرَنِي بِخُرُوجِ آذَارٍ^(١) ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ » وحديث : « لِلْسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ » وحديث : « يَوْمُ صَوْمِكُمْ يَوْمٌ نَحْرِكُمْ يَوْمٌ رَأْسِ سِتِّكُمْ » .

٣٥

الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ،
واسمه كَيْسَان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أبو العباس*

حاجب الرشيد ، ثم وزيره .

كان من رجال الدهر : رأياً ، وحزماً ، ودهاءً ، ورياسةً ، ومكارم ، وعظمة في الدنيا ، ولوالده الجاه الرفيع عند مخدومه أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور .

ولما آل الأمر إلى هارون الرشيد ، واستَوَزَر البرامكة ، جعل الفضل حاجبه ، وكان الفضل يروم التشبه بالبرامكة ، ومعارضتهم ، ولم يكن له إذ ذاك من المقدرة ما يدرك اللحاق بهم ، فمن ثَمَّ كانت بينهم إحنٌ وشحناء ، إلى أن قَدَّرَ الله زوال نعمته البرامكة على يدى الفضل ؛ فإنه تَمَكَّنَ بمجالسة الرشيد ، وأوغر قلبه فيما يُذكر عليهم ، حتى اتَّفَقَ له ما تناقلته الرواة .

(١) آذَار وأَذَار : هو الشهر المعروف . وانظر كشف الخفاء ٢ / ٢٣٧

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤٣ ، شذرات الذهب ٢ / ٢٠ ، العير ١ / ٣٥٥ ، النجوم الزاهرة ٢ / ١٨٥ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٠٥ .

واستمر الفضل متمكنا عند هارون ، إلى أن قضى هارون نحبه ، فقام بالخلافة ولده محمد الأمين ، وساق إليه الخزانة بعد موت أبيه ، وسلم إليه القضيبة والخاتم ، وأتاه بذلك من طوس .

وكان الفضل هو صاحب الحل والعقد ؛ لاشتغال الأمين باللهو ، ولما تداعت دولة الأمين ولاح عليها الإديار ، اختفى الفضل مدة طويلة ، فلما بويح إبراهيم بن المهديّ ظهر الفضل ، وساس نفسه ، ولم يدخل معهم في شيء ؛ فلذلك عفا عنه المأمون بشفاعة طاهر بن الحسين ، واستمر بطّالا في دولة المأمون لاحظّ له إلا السلامة إلى أن مات .

وفي تقصّي أخباره طول وفصول ، ولكننا نذكر فوائده من أوائلها وأواخرها ، فمنها قيل :

دخل الفضل يوما على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وقد جلس لقضاء الحوائج ، وبين يديه ولده جعفر يُوقّع في القصص ، فعرض الفضل عليه عشر رِقاع للناس ، فتعلّل يحيى في كل رقعة بعلة ، ولم يوقع في شيء منها البتّة . فجمع الفضل الرقاع ، وقال : أرجعن خائبات خاسئات . ثم خرج ، وهو ينشد :

عسى وعسى يثني الزمانُ عِناهُ بتصريف حالِ الزمانِ عَثورُ
فتَقَضَى لُباناتُ وتُشَفَى حَسائِفُ^(١) وتحدث من بعد الأمور أمورُ

فسمعه يحيى ، فقال : عزمْتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعت . فرجع ، فوقّع له في جميع الرقاع ، ثم لم يمض إلا القليل ونكبت البرامكة على يديه ، وتولى هو الوزارة بعد أن كان حاجبا .

وتنازع يوما جعفر بن يحيى ، والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يا لقيط . إشارة إلى شيء كان يقال عن أبيه ، فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين . فقال جعفر للرشيد : ثراه عند مَنْ يُقيّمُك هذا الجاهل شاهدا يا أمير المؤمنين ! وأنت حاكم الحكام .

(١) الحسافة والحسيفة : الغيظ والعداوة .

والفضل بن الربيع هو الذى يقول فيه أبو نُوَاس^(١) :
وليس لله بمُستَكِرٍ أن يجمع العالم في واحد
من أبيات .

مات الفضل سنة ثمان ومائتين ، وهو في عشر السبعين .

ويستحسن إirاده في أصحاب الشافعى ، لما أخبرتنا به زينب بنت الكمال المقدسية ، إذنا ، عن الحافظ أبى الحجاج الدمشقى ، أنه قال : أخبرنا أبو المكارم اللبّان ، أخبرنا الحسن بن أحمد الحدّاد ، أخبرنا أبو نُعيم الحافظ^(٢) ، حدثنا أبو بكر محمد ابن جعفر البغدائى غُنْدَر ، حدثنا أبو بكر محمد بن عُبيد ، حدثنا أبو نصر المَحْزُومى الكوفى ، حدثنا الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد أمير المؤمنين ، قال : دخلتُ على هارون الرشيد ، فإذا بين يديه ضُبارة^(٣) سيوف ، وأنواع من العذاب ، فقال لى : يا فضل . فقلتُ : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : على بهذا الحِجَازِى ، يعنى الشافعى .

فقلتُ : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب هذا الرجل .

قال : فأتيتُ الشافعى ، فقلتُ له : أجِبْ أمير المؤمنين .

فقال : أصلى ركعتين .

فقلت : صل . فصلى ثم ركب بغلة كانت له ، فسرنا معا إلى دار الرشيد ، فلما دخلنا الدّهليز الأول حرّك الشافعى شفتيه ، فلما دخلنا الدّهليز الثانى حرّك شفتيه ، فلما وصلنا بحضرة الرشيد قام إليه أمير المؤمنين كالمشرّب له ، فأجلسه موضعه ، وقعد بين يديه ، يعتذر إليه ، وخاصةً أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعدّ له من أنواع العذاب ، فإذا هو جالس بين يديه ، فتحدثوا طويلا ، ثم أذن له بالانصراف .
فقال لى : يا فضل .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

(١) ديوانه ٤٥٤ ، وفي المطبوعة : وليس من الله . والمثبت من : ج ، د ، والديوان .

(٢) حلية الأولياء ٧٨ / ٩ .

(٣) الضبار - بالضم ويكسر - الحزمة .

فقال : احمِل بين يديه بَدْرَة . فحملت ، فلما صرنا إلى الدهليز الأول [لخروجه ^(١)] ، قلتُ : سألتك بالذى صيّر غضبه عليك رضا ، إلا ما عرّفتني ما قلتُ في وجه أمير المؤمنين ، حتى رضى .

فقال لى : يا فضل . فقلتُ له : لبيك أيها السيد الفقيه . قال : خذ منى ، واحفظ عني ، قلتُ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٢) الآية ، اللهم إني أعوذ بنور قدسك ، وببركة طهارتك ، وبعظمة جلالك من كل عاهة ، وآفة ، وطارق الجن والإنس ، إلا طارِقاً يطْرُقني بخير ، يا أرحم الراحمين ^(٣) . اللهم بك ملاذى فبك ألوذ ، وبك غيائى فبك أغوث ، يا مَنْ ذَلَّتْ له رقاب الفراعنة ، وخضعت له مقاليد الجبابرة ، اللهم ذكركُ شِعارى ، ودِثارى ، ونَوْمى ، وقرارى ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، اضرب على سُرَادقات حفظك ، وقنى رعبى بخير منك يا رحمن .

قال الفضل : فكتبتها ، وجعلتها فى بركة ^(٤) قَبائى ، وكان الرشيد كثير الغضب على ، وكان كلما همّ أن يغضب أحركها فى وجهه فيرضى ، فهذا مما أدركت من بركة الشافعى .

٣٦

القاسم بن سلام

بتشديد اللام ، الإمام الجليل ، أبو عبيد*

الأديب ، الفقيه ، المحدث ، صاحب التصانيف الكثيرة : فى القراءات ، والفقه ، واللغة ، والشعر .

قرأ القرآن على الكِسائى ، وإسماعيل بن جعفر ، وشجاع بن أبى نصر .

(١) زيادة من : ج .

(٢) سورة آل عمران ١٨ .

(٣) فى ج : يا رحمن .

(٤) البركة بالكسر : الصدر . القاموس (ب ر ك) .

* له ترجمة فى : إنباه الرواة ٣ / ١٢ ، بغية الوعاة ٣٧٦ ، تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٣ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٥ ، شذرات الذهب ٢ / ٥٤ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٥٩ ، طبقات ابن سعد ٧ / ٣٥٥ ، طبقات الشيرازى ٧٦ ، طبقات القراء ٢ / ١٧ ، العبر ١ / ٣٩٢ ، المزهر ٢ / ٢٦٤ ، ٤١٢ ، معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٤ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤١ ، نزهة الألبا ١٨٨ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٢٥ .

وسمع الحديث من إسماعيل بن عيَّاش ، وإسماعيل بن جعفر ، وهشيم بن بشير ،
وشريك بن عبد الله ، وهو أكبر شيوخه ، وعبد الله بن المبارك ، وأبي بكر بن
عيَّاش ، وجريز بن عبد الحميد ، وسفيان بن عُيَيْنَةَ ، وخلائق ، آخرهم موتا هشام
ابن عمار .

روى عنه عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِمِيُّ ، ووكيعة ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ،
وعباس الدُّورِيِّ ، والحارث بن أبي أسامة ، وعلي بن عبد العزيز البَغَوِيُّ ، وأحمد بن
يحيى البلاذُرِيُّ^(١) الكاتب ، وآخرون .

وتفقّه على الشافعيّ رضى الله عنه ، وتناظر معه في القرء ، هل هو حيض أو
طهر ؟ إلى أن رجع كل منهما إلى ما قاله الآخر ، كما سنشرح ذلك .

ولد بهرة ، وكان أبوه فيما يُذكر عبدا لبعض أهلها ، وتنقلت به البلاد ، وولى
قضاء طرسوس ، ثم حج بالآخرة ، فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين .
قال إسحاق بن راهويه : الحق يُحب لله^(٢) ، أبو عُبيد أفضقه منى ، وأعلم منى ،
أبو عبيد أوسعنا علما ، وأكثرنا أدبا ، إنا نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج
إلينا .

قال الحاكم : هو الإمام المقبول عند الكل .
وقال أبو بكر الأثيريّ : وكان أبو عُبيد قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء : ثلثا ينام ،
وثلثا يصلى ، وثلثا يطالع الكتب .

وقال محمد بن سعد : كان أبو عُبيد مؤدِّبا ، صاحب نحو وعربية ، وطلب
الحديث والفقه ، وولى قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ، ولم يزل معه
ومع ولده ، وقدم بغداد ففسر بها غريب الحديث ، وصنف كتباً ، وحدث ، وحج
فتوفى بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين^(٣) .

وقال عباس الدُّورِيُّ : سمعت أحمد بن حنبل ، يقول : أبو عُبيد ممن يزداد عندنا
كل يوم خيرا .

(١) بفتح الباء الموحدة وبعدها اللام أُلِفَ وضم الذال المعجمة وفي آخرها الراء . الباب ١ / ١٥٧ .

(٢) في المطبوعة : الحق يحبه الله ، والمثبت من : ج ، د ، والعبر .

(٣) الطبقات الكبرى ٧ / ٣٥٥ .

وقال أبو قدامة : سمعت أحمد يقول : أبو عبيد أستاذ .

وقال حمدان بن سهل : سألت يحيى بن معين عن أبي عُبيد ، فقال : مثلي يُسأل عن أبي عُبيد ! أبو عبيد يُسأل عن الناس .

وقال أبو داود : ثقة ، مأمون .

قال الدارقطني : ثقة ، إمام ، جبل^(١) .

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد : في « كتاب الطهارة » لأبي عُبيد حديثان ، ما حدث بهما غيره ، ولا حدث بهما عنه غير محمد بن يحيى المروزي .

أحدهما : حديث شعبة ، عن عمرو بن أبي وهب .

والآخر : حديث عبيد الله بن عمر عن^(٢) سعيد المقبري ، حدث به عن يحيى القطان عن عبيد الله ، وحدث به الناس عن يحيى ، عن ابن عجلان^(٣) .

وقال ثعلب : لو كان أبو عُبيد في بنى إسرائيل لكان عجبا .

وقال القاضي أبو العلاء الواسطي : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي ، حدثنا أبو علي النحوي ، حدثنا الفسطاطي ، قال : كان أبو عُبيد مع عبد الله بن طاهر ، فبعث إليه أبو دُلف يستهديه أبا عبيد مدة شهرين ، فأنفذه إليه ، فأقام شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف درهم ، فلم يقبلها ، وقال : أنا في جنة رجل لم يُحوجني إلى صلة غيره ، فلما عاد إلى ابن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار ، فقال : أيها الأمير قد قبلتها ، ولكن قد أغنيتني بمعروفك وبرك ، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحا وخيلا ، وأوجه بها إلى الثغر ؛ ليكون الثواب متوفرا على الأمير . ففعل .

قيل : وكان أبو عُبيد إذا صنف كتابا ، أهدها إلى عبد الله بن طاهر ، فيحمل إليه مالا خطيرا ، استحسانا لذلك .

(١) في المطبوعة : جليل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : عمر بن سعيد . والتصويب من : ج ، د .

(٣) اضطربت الأصول هنا ، وأثبتنا الصواب من تاريخ بغداد ٤١٣ / ١٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٠٣ .

وقال عبد الله بن طاهر : الأئمة^(١) للناس أربعة : ابن عباس في زمانه ، والشَّعْبِيُّ في زمانه ، والقاسم بن مَعْن في زمانه ، وأبو عُبَيْد في زمانه .
وقال عَبْدَان بن محمد المَرْوَزِيُّ : حدثنا أبو سعيد الضرير ، قال : كنتُ عند عبد الله بن طاهر ، فورد عليه نَعِيُّ أبى عبيد ، فأنشأ يقول :

يا طالبَ العلمِ قدمات ابن سلام وكان فارسَ علمٍ غيرَ مُعْجَمٍ
مات الذى كان فينا ربيعَ أربعةٍ لم يُلقَ مثلُهمُ إِستارَ أحكامٍ^(٢)
خيرُ البريةِ عبدُ الله أولهم وعامرٌ ولنعم التَّلُو يا عامٍ^(٣)
هما اللذان أنافا فوق غيرهما والقاسمانِ : ابن مَعْن وابن سلام

(ومن الفوائد عنه)

● حكى الأزهرى في « التهذيب » عن أبى عُبَيْد القاسم بن سلام ، في قوله **صلى الله عليه** : « لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ » أن المراد بهذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٤) فإذا مر بها ، متجاوزا لها ، فقد أبرَّ الله قسمه .

ثم اعترضه الأزهرى^(٥) بأنه لا قسم في قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فكيف يكون له تَحِلَّةٌ ؟ قال : ولكن معنى قوله : « إِلَّا تَحِلَّةُ الْقَسَمِ » إلا التعزير الذى لا يَنْدَاهُ^(٦) منه مكروه ، وأصله من قول العرب : « ضربته تحليلا ، وضربته تعزيرا »^(٧) أى لم أبلغ في ضربه ، وأصله من تحليل اليمين ، وهو أن يحلف الرجل ثم يستثنى استثناء متصلا باليمين ، يقال : آلى فلان أليَّة لم يتحلل ؛ أى لم يستثن . ثم جعل ذلك مثالا لكل شيء قلَّ وقته .

(١) في ج ، د : الأمير . والمثبت في المطبوعة .

(٢) في الأصول : أستاذ أحكام ، وفي تاريخ بغداد ١٢ / ٤١٢ : إسناده أحكام . والتصويب من معجم الأدباء ١٦ / ٢٥٧ ، وفيه : إسناده أى أربعة ، وربع أربعة . و « إسناده » فارسية . المعرب ٤٢ .

(٣) في تاريخ بغداد : حبر البرية .

(٤) سورة مريم ٧١ .

(٥) التهذيب ٣ / ٤٣٨ ، وانظر غريب الحديث لأبى عبيد ١٦ / ٢ .

(٦) في الأصول : يبدأ . والتصويب من التهذيب . وينداه : أى يُصَيِّه .

(٧) كذا في الأصول . والقول في التهذيب : ضربته تحليلا ووعظته تعزيرا ، أى لم أبلغ في ضربه ووعظته .

ومنه قول الشاعر^(١) :

* نَجَائِبٌ وَقَعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ*

أى قليل ، هيّن ، يسير .

ويقال للرجل ، إذا أمعن في وعيد ، أو أفرط في قول : حِلًّا أبا فلان . أى تحلّل في يمينك ، جعله في وعيده كحالف ، فأمره بالاستثناء .

قلتُ : وهو اعتراض عجيب ؛ فإن القسم مقدّر في قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ ﴾ لأن القسم عند النحاة يُتَلَقَّى بالنفى والإثبات ، والتقدير : والله ، إن منكم إلا واردها ، أو : أقدم ، إن منكم إلا واردها .
يدل عليه شيثان :

أحدهما : قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ قال الحسن ، وقتادة : قسما واجبا . وروى عن ابن مسعود .

والثاني : هذا الحديث ، فقد فهم المصطفى ﷺ القسم منه ، وقول الأزهري : « وأصله من قولهم : ضربته تحليلا » إلى قوله : « جعله في وعيده كحالف » مما يدل على ما ذكرناه ؛ فإنه لو لم يقدر أنه حالف ما صح شيء مما ذكرنا .

● ذهب أبو عبيد إلى أن من طُلِّقَتْ في طهر وجامعها فيه^(٢) زوجها ، لا تنقض عِدَّتَهَا إلا بالطعن في الحيضة الرابعة ، وجعله الجيلي^(٣) في « شرح التنبيه » مذهبا ، وهو خلاف نص « المختصر » وتصريح الأصحاب .

(١) هذا عجز بيت لكعب بن زهير ، وصدره :

* تَحْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهَى لَاحِقَةٌ*

ديوانه ١٣ ، والرواية فيه :

* ذَوَائِلٌ وَقَعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ*

(٢) في المطبوعة : في طهرها جامعها فيه . والمثبت من : ج ، د .

(٣) بكسر الجيم وسكون الباء وفي آخره اللام ، هذه النسبة إلى بلاد متفرقة وراء طبرستان . الباب ١ / ٢٦٤ .

قال ابن الرُّفعة : ولعل الجيليّ اعتقد أبا عُبيد من أصحابنا ، فاقصر على حكاية مذهبه .

قلتُ : هذا كلام عجيب ، أبو عُبيد لا ريب في أنه من أصحابنا ، ولكن ذلك لا يُستَوغ حكاية قوله مذهباً لنا ، مع تصريح المذهب بخلافه .

● قال أبو عُبيد في قول الشاعر^(١) :

فإن أدع اللّوآقي من أناسي أضاعوهنّ لا أدع اللّذين
الذي هنا لا صلة لها ، والمعنى : إن أدع ذكر النساء لا أدع ذكر الرجال .
قلتُ : هذا البيت للكميت ، وهو شاهد ذكر الموصول بغير صلة لقريّة .

● قال أبو عُبيد في معنى قول الشّماخ^(٢) :

وماءٍ قد وردتْ لوصلِ أزوى عليه الطير كالورق اللّجين
ذعرتْ به القطا ونفيتْ عنه مقام الذّئب كالرجل اللّعين
إن فيهما تقدما وتأخيرا ، والتقدير في الأول : وماء كالورق اللّجين عليه الطير ،
واللّجين الذي قد ضرب حتى تلجّن ، والتقدير في الثاني : مقام الذّئب اللّعين
كالرجل . انتهى .

ذكره في كتابه في « معاني الشعر » .

قلتُ : فجعل ورقه^(٣) « كالورق » صفة لماء ، فيكون قد فصل بين الموصوف
والصفة بمتعلّق « ربّ » المحذوفة ، وهو قوله « وردت » ، « وعليه الطير » جملة ،
وهي صفة ثانية مؤخّرة عن الصفة الواقعة ظرفا ، وهكذا أصل الكلام .

ويجوز أن يكون الماء موصوفا بثلاث صفات : هاتين الصفتين ، وقوله « قد
وردت » ويكون متعلّق ربّ إنّما هو قوله : « ذعرت به القطا » ولا يأبى هذا الوجه
قول أبي عُبيد ، ويكون إنّما قدر قوله « كالورق » مقدما ليُعلم أنّه من صلة ماء ؛
لأن ما قبله غير صفة .

وقوله : « حتى تلجّن » أي حتى تلتزج ، ومنه قولهم : لجنت الخطميّ ونحوه .
إذا ضربته ليثجنّ ، وتلجّن رأسه إذا لم يُنقّ وسخه .

(١) البيت للكميت ، كما ذكر المصنف . وانظر الخزانة ٦ / ١٥٧ .

(٢) البيتان في ديوانه ٩١ ، ٩٢ ، اللسان ١٣ / ٣٧٨ ، ٣٨٨ .

(٣) هكذا في الأصول . ولعل صوابها : قوله .

واللَّجِين : الخَبَط . عن ابن السَّكِّيت ، وهو ما سقط من الورق عند الخبط ، وأنشد عليه البيت .

والذُّعْر : الفرع ، يقال : ذعرتُه أذعَرَه ذُعْراً : أفزعته ، والذُّعْر بالضم : الاسم . وقوله « مقام » محمول على أنه صلة ، أى ونفيتُ عنه الذُّب ، وهو أحد القولين فى قوله سبحانه : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ^(١) .

وقوله : « اللعين » لا يتعين أن يكون صفة للذُّب ، كما ذكر ، بل يجوز أن يكون صفة للرجل ، أى كالرجل المُبْعَد الطريد ، وربما يكون ذلك أحسن ؛ فإن التشبيه ليس بالرجل من حيث هو ، بل بالرجل الموصوف باللعين . قاله الشيخ جمال الدين عبد الله بن هشام فى بعض مجاميعه ^(٢) .

(ذكر أن الشافعى وأبا عبيد رضى الله عنهما تناظرا فى القراء)

● فكان الشافعى يقول : إنه الحيض ، وأبو عُبيد يقول : إنه الطهر . فلم يزل كل منهما يقرر قوله ، حتى تفرقا وقد انتحل كل واحد منهما مذهب صاحبه ، وتأثر بما أورده من الحجج والشواهد .

قلت : وإن صحت هذه الحكاية ، ففيها دلالة على عظمة أى عُبيد ، فلم يبلغنا عن أحد أنه ناظر الشافعى ، ثم رجع الشافعى إلى مذهبه .

وقد حكى الرافعى فى « شرحه » هذه الحكاية ، وقال : إنها تقتضى أن يكون للشافعى قول قديم أو حديث يوافق مذهب أى حنيفة .

قلت : وليس ذلك بلازم ، فقد يُناظر المرء على ما لا يراه ، إشارة للفائدة ، وإبرازا لها وتعليما للجدل ؛ فلعله لما رأى أبا عُبيد يعتقد أنه الحيض ، انتصب عنه مستدلا عليه ؛

(١) سورة الرحمن ٤٦ .

(٢) وإذا جاز أن يكون « اللعين » صفة لـ « الرجل » كذلك يجوز أن يكون « كالورق اللجين » حالا من الطير ، بمعنى أن تكاثر الطير على الماء كتكاثر اللجين ، وهو ما سقط من الشجر عند الخبط ، وحينئذ فلا حاجة إلى الفصل بين الموصوف والصفة بمتعلق رب المحذوفة . وفى شرح الشنقيطى على الديوان عزو الرايين جميعا إلى أى على الفارسي . وانظر كلام أى على فى البصريات ٦١١ ، وكتاب الشعر ٢٦٠ .

لينقطع معه ، فيعلم أبو عُبيد ضعف مذهبه فيه ، ولهذا يتبين أن الشافعي لم يرجع إلى أبي عُبيد في الحقيقة ؛ لأن المناظرة لم تكن إلا لما ذكرناه .

وقوله : « حديث » كذا هو بالحاء والثاء ، لا جديد بالجيم والدال ؛ لأن أبا عُبيد من أصحابنا العراقيين ، فمنظرته إن صحت كائنة ببغداد ، فيكون ذلك قولاً قديماً للشافعي ، أو حديثاً حدث له بعد أن كان يختار أنه الطهر ، فيكون الشافعي قائلاً بأنه الطهر ، ثم بأنه الخيض ، ثم عائداً إلى القول بأنه الطهر ، وعليه مات . وربما صحف بعضهم حديثاً بجديد ، وليس بجيد .

ثم قال الرافعي : لو أعلم قول الغزالي : الأقرء الأطهار بالواو وللمناظرة المحكية لم يكن بعيداً . واعترضه الزنجاني شارح « الوجيز » بأنه إن قال هذا عن نقل فلا كلام ، وإلا فالحكاية لا تدل عليه ؛ لأن الإنسان قد ينظر غيره فيما لا يعتقده .

قلت : وعجبت له من ذلك ، فإن الرافعي لم يُعلم بالقاف^(١) حتى يقال له هذا ، وإنما أعلم بالواو ، وإشارة إلى مقالة أبي عُبيد ، وعدّها وجهاً في المذهب ؛ لكونه على الجملة من أصحابنا ، فلا يبعد أن تُعدّ مقالاته وجوهاً ، وقد لا تُعد ؛ لأنه يتحدث في هذه المسألة على قضية اللغة ، لا على قواعد إمام المذهب . وهذا هو الأشبه ، ولذلك^(٢) ناظر صاحب المذهب نفسه ولو كان مُخرّجاً على قاعدته لما ناظره .

٣٧

قَحْزَم بن عبد الله بن قَحْزَم

أبو حنيفة ، الأسواني ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة ثم زاي مفتوحة ثم ميم* هو آخر من صحب الشافعي موتاً .

(١) في المطبوعة : بالفاء . والمثبت : من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : وبذلك ، وفي د : وبه قد ناظر . والمثبت من : ج .

* ذكره ابن السبكي في الطبقات الوسطى ، وقال : كان من جلة أصحاب الشافعي ، قيل : وإنما أحمل ذكره إقامته بأسوان ، وله ترجمة في الأنساب لوحة ٣٨ ، الطالع السعيد ٢٥٩ .

قال ابن عبد البر : روى عنه كثيرا من كتبه ، وكان مفتيا ، وأصله من القِبْط^(١) .
وقال ابن يونس : توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين .

٣٨

موسى بن أبى الجارود
أبو الوليد ، المكي *

راوى كتاب « الأمالى » عن الشافعى ، وأحد الثقات من أصحابه والعلماء .
قال أبو عاصم : يُرجع إليه عند اختلاف الرواية .
روى عن يحيى بن معين وأبى يعقوب البُوَيْطِى
روى عنه الزعفرانى ، والريبع ، وأبو حاتم الرّازى .
وكان فقيها جليلا ، أقام بمكة يفتى الناس على مذهب الشافعى .
قال أبو الوليد : سمعت الشافعى يقول : إذا قلت قولاً وصحّ عن رسول الله ﷺ
خلافه ، فقولى ما قاله رسول الله ﷺ . وهكذا رواه الحُمَيدى ، والريبع ، وأبو
نُور ، وغيرهم عن الشافعى .
وقال أيضا : قال الشافعى : ما ناظرْتُ أحداً فأحببت أن يخطئ .
وقال : كان يقال : إن محمد بن إدريس وحده يُحتج به ، كما يُحتج بالبطن من
العرب .

قلت : ويوافقه قول الأصمعى : صححت أشعار الهذليين على شاب من قریش
بمكة ، يقال له محمد بن إدريس . وقول عبد الملك بن هشام : الشافعى ممن تؤخذ
عنه اللغة . وقول أبى عثمان المازنى : الشافعى حجة عندنا فى النحو .
قلت : ومسألة الاحتجاج بمنطق الشافعى فى اللغة ، والاستشهاد بكلامه نظماً ونثراً
مما تدعو الحاجة إليه ، ولم أجد من أشبع القول فيه . وإمام الحرمين نازع فيه فى كتاب

(١) الانتقاء ١١٥ .

* له ترجمة فى : تهذيب التهذيب ٣٣٩/١٠ ، طبقات الشيرازى ٨١ ، طبقات ابن هداية الله ٧ .

« البرهان » عند الكلام في مفهوم الصفة ، وشاققناه نحن في « شرح مختصر ابن الحاجب » .

● وسمعت أن أبا حيان جمعه والشيخ الإمام مجلس ، وكان أبو حيان يرى وجوب حذف خبر لولا مطلقا ، والشيخ الإمام يرى رأى ابن مالك من الفرق بين كذا^(١) ...

٣٩

يوسف بن يحيى

الإمام الجليل ، أبو يعقوب البُويطى ، المصرى*

وبُويط من صعيد مصر ، وهو أكبر أصحاب الشافعى المصرين .

كان إماما جليلا ، عابدا زاهدا ، فقيها عظيما ، مناظرا ، جبلا من جبال العلم والدين ، غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم ، غالب ليله التهجد والتلاوة ، سريع الدمعة .

تفقه على الشافعى ، واختص بصحبته .

وحدث عنه ، وعن عبد الله بن وهب ، وغيرهما .

(١) في ج : من الفرق بين كذا ، وفي د : من الفرق ... ، والمثبت من المطبوعة ، وما بعد هذا ساقط من الأصول . وأما رأى ابن مالك في وجوب حذف خبر لولا ، فقد ذكره الأشموني في شرحه للألفية ١ / ٢١٥ فقال : (وبعد لولا) الامتناعية (غالبا) أى في غالب أحوالها ، وهو كون الامتناع معلقا بها على وجود المبتدأ الوجود المطلق (حذف الخبر حتم) نحو : ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ أى : ولولا دفع الله الناس موجود ، حذف « موجود » وجوبا للعلم به ، وسد جوابها مسده . أما إذا كان الامتناع معلقا على الوجود المقيد ، وهو غير الغالب عليها ، فإن لم يدل على المقيد دليل وجب ذكره ، نحو : لولا زيد سالمتنا ما سلم ، وجعل منه قوله عليه الصلاة والسلام : « لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكَفَرٍ لَبَنَيْتُ الْكَعْبَةَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ » . وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه ، نحو : لولا أنصار زيد حموه ما سلم . وجعل منه قول المعرى :

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْعِمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٤ / ٢٩٩ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٢٧ ، شذرات الذهب ٢ / ٧١ ، طبقات الشيرازي ٧٩ ، طبقات ابن هداية الله ٤ ، العبر ١ / ٤١١ ، اللباب ١ / ١٥٤ ، النجوم ٢ / ٢٣١ ، وفيات الأعيان ٦ / ٦٠ .

رَوَى عَنْهُ الرِّبِيعُ الْمُرَادِيُّ ، وَهُوَ رَفِيقُهُ ، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَبُو حَاتِمٍ ، وَقَالَ : صَدُوقٌ ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ فِيلٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ هِشَامِ السُّمَّسَارِ ، وَآخَرُونَ .

وَلَهُ « الْمَخْتَصَرُ » الْمَشْهُورُ ، وَالَّذِي اخْتَصَرَهُ مِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ أَبُو عَاصِمٍ : هُوَ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، عَلَى نَظْمِ أَبْوَابِ « الْمَبْسُوطِ » .
قُلْتُ : وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ .

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ : كَانَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْتَمِدُ الْبُؤَيْطِيَّ فِي الْفُتْيَا ، وَيَحِيلُ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَتْهُ مَسْأَلَةٌ .

قَالَ : وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَتَخَرَّجَتْ عَلَى يَدَيْهِ أُمَّةٌ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، وَنَشَرُوا عِلْمَ الشَّافِعِيِّ فِي الْآفَاقِ .

وَقَالَ الرِّبِيعُ : كَانَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنَ الشَّافِعِيِّ بِمَكَانٍ مَكِينٍ^(١) .

وَقَدْ قَدِمْنَا فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ إِمَامِ الْأُئِمَّةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خُزَيْمَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ أَعْلَمَ مَنْ رَأَيْتُ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبُؤَيْطِيِّ وَحِشَةٌ عِنْدَ مَوْتِ الشَّافِعِيِّ ، فَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ السُّكَّرِيُّ قَالَ : تَنَازَعَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَالْبُؤَيْطِيُّ مَجْلِسَ^(٢) الشَّافِعِيِّ ، فَقَالَ الْبُؤَيْطِيُّ : أَنَا أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ . وَقَالَ الْآخَرُ كَذَلِكَ .

فَجَاءَ الْحُمَيْدِيُّ ، وَكَانَ تِلْكَ الْأَيَّامَ بِمَصْرَ فَقَالَ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ بِمَجْلِسِي مِنْ يَوْسُفَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَمُ مِنْهُ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : كَذِبَتْ .

قَالَ لَهُ : كَذِبْتَ أَنْتَ ، وَأَبُوكَ وَأُمُّكَ .

وَغَضِبَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَجَلَسَ الْبُؤَيْطِيُّ فِي مَجْلِسِ الشَّافِعِيِّ ، وَجَلَسَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي الطَّاقِ الثَّالِثِ .

(١) بَعْدَ هَذَا فِي الطَّبَقَاتِ الْوَسْطَى تَوْضِيحٌ لَهُ ، إِذْ يَقُولُ : وَكَانَ الرَّجُلُ رُبَّمَا يَسْأَلُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيَقُولُ : سَلْ أَبَا يَعْقُوبَ . فَإِذَا أَجَابَ أَخْبَرَهُ فَيَقُولُ : هُوَ كَمَا قَالَ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ : فِي مَجْلِسِ الشَّافِعِيِّ . وَالثَّبْتُ مِنْ : ج ، د . وَرَاجِعَ ٦٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

وعن الربيع : أن البُوَيْطَيَّ وابن عبد الحكم تنازعا الحلقة في مرض الشافعي ، فأخبر بذلك فقال : الحلقة البُوَيْطَيَّ .

وكانت الفتاوى ترد على البُوَيْطَيَّ من السلطان فمن دونه ، وهو مُتَنَوِّع^(١) في صنائع المعروف ، كثير التلاوة ، لا يمر يوم وليلة غالبا حتى يختم ، فسعى به من يحسده ، وكتب فيه إلى ابن أبي دُوَاد بالعراق ، فكتب إلى والي مصر أن يمتحنه ، فامتحنه فلم يجب ، وكان الوالى حسن الرأى فيه ، فقال له : قل فيما بيني وبينك . قال : إنه يقتدى بى مائة ألف ، ولا يدرون المعنى .

قال : وكان أمر أن يُحْمَلَ إلى بغداد في أربعين رطل حديد .

قيل : وكان المُزَنِّي ، وحرملة ، وابن الشافعي ممن سعى بالبُوَيْطَيَّ .

قال جعفر الترمذى : فحدثني الثقة ، عن البُوَيْطَيَّ ، أنه قال : برئ الناس من دمي إلا ثلاثة : حرملة ، والمُزَنِّي ، وآخر .

قلت : إن صحت هذه الحكاية ، فالذى عندنا في إبهام الثالث أنه راعى فيه حق والده رضوان الله عليه .

قال الربيع : كان البُوَيْطَيَّ أبدا يحرك شفتيه بذكر الله ، وما أبصرت أحدا أنزع بحجة من كتاب الله من البُوَيْطَيَّ ، ولقد رأيته على بغل ، وفي عنقه غُلٌّ ، وفي رجله قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة حديد ، وهو يقول : إنما خلق الله الخلق بكن ، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقا خلق بمخلوق ، ولئن أدخلت عليه لأصدقته - يعني الواثق - ولأموتن في حديدى هذا ، حتى يأتى قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم .

وقال أبو يعقوب أيضا : خلق الله الخلق بكن ، أفتراه خلق مخلوقا بمخلوق ؟ والله يقول بعد فناء الخلق : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾^(٢) ولا مجيب ولا داعى ، فيقول تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ فلو كان مخلوقا مجيبا لفنى حتى لا يجيب . وكان^(٣) يقول : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

(١) في المطبوعة : متبوع ، والمثبت من : ج ، د . وفي القاموس (ن و ع) : مكان متنوع : بعيد .

(٢) سورة غافر ١٦ .

(٣) في ج ، د : كان . والمثبت في المطبوعة .

قلتُ : يرحم الله أبا يعقوب ، لقد قام مقام الصّديقين .

قال السّاجيّ : كان البوّيطيّ وهو في الحبس يغتسل كل جمعة ، ويتطّيب ، ويغسل ثيابه ، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء ، فيرده السّجّان ، ويقول : ارجع ، رحمك الله . فيقول البوّيطيّ : اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني .

وقال أبو عمرو المُستملّي : حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذّهليّ ، فقرأ علينا كتاب البوّيطيّ إليه ، وإذا فيه : والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث ، لعل الله يخلصني بدعائهم ، فإني في الحديد ؛ وقد عجزت عن أداء الفرائض ؛ من الطهارة ، والصلاة ، فضج الناس بالبكاء ، والدعاء له .

قلتُ : انظر إلى هذا الخبر رحمه الله ، لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ، ولم يتأثر بالقيّد ولا بالسجن ، فرضى الله عنه ، وجزاه عن صبره خيرا .

وما كان أبو يعقوب يموت إلا في الحديد ، كيف ؛ وقد قال الربيع : كنت عند الشافعيّ أنا والمُزنيّ ، وأبو يعقوب ، فقال لي : أنت تموت في الحديث . وقال لأبي يعقوب : أنت تموت في الحديد . وقال للمُزنيّ : هذا لو ناظره الشيطان لقطعه . قال الربيع : فدخلت على البوّيطيّ أيام المحنة ، فرأيتُه مقيدا إلى أنصاف ساقيه ، مغلوله يده إلى عنقه .

وقال الربيع أيضا : كتب إليّ البوّيطيّ : أن اصبر نفسك للغرباء ، وحسن خُلُقك لأهل حَلَقَتِكَ ، فإني لم أزل أسمع الشافعيّ رحمه الله يكثر أن يتمثل بهذا البيت :

أهينُ لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تُكْرَمَ النَّفْسُ التي لا تُهينُها^(١)

مات البوّيطيّ في شهر رجب ، سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، في سجن بغداد ، في القيّد والغُل .

(١) آداب الشافعي ١٢٧ ، وحواشيه .

(ومن الفوائد عن أبي يعقوب)

قال أبو جعفر الترمذى : سمعت البُوَيْطِىَّ يحكى عن الشافعى أنه قال : ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه^(١) . روى ذلك الحاكم أبو عبد الله بن البيع في مناقب الشافعى . ورواه غيره أيضا .

● قال البُوَيْطِىَّ : سئل الشافعى : كم أصول الأحكام ؟ قال : خمسمائة^(٢) قيل له : وكم أصول السنة ؟ قال : خمسمائة^(٣) قيل له : كم منها عند مالك ؟ قال : كلها إلا خمسة وثلاثين . قيل له : كم عند ابن عُيَيْنَةَ منها ؟ قال : كلها إلا خمسة .

(وهذه غرائب استخرجها النووى رحمه الله من مختصر البُوَيْطِىَّ)

● قال الشافعى رضى الله عنه في « باب النشوز » من البُوَيْطِىَّ : إذا تزوج الحر أمة ، ثم خالعه سيدها على نفس الأمة ، فجعلها عوض الخلع لم يصح الخلع ، وهى امرأته بحالها ؛ لأن الخلع لا يتم إلا بملكه ، وإذا ملكها انفسخ النكاح ، وصارت ملكا له ، ولا يقع الطلاق على ملك .

● وفى « باب الدعوى والبيئات » منه : لو ادعى رجل على رجل ، أو^(٣) امرأة بالعبودية ، وهما معروفان بالحرية ، فأقرّا بذلك لم يجز .

● وفى الباب المذكور منه أيضا : لو قال رجل : مَنْ رمانى ، أو من دخل المسجد ، أو البيت ، فهو ابن الزانية ، فرماه رجل ، أو دخل رجل ، لم يجب عليه حد القذف . وكذا لو قال ذلك لإنسان بعينه ، لم يجب عليه الحد ؛ لأنه يعرف كذبه ، فإنه لا يكون بدخوله أو رميه زانيا .

● وفى « باب طلاق الحر والأمة الحرة ثلاثا » : إذا كانت الأمة تحت عبد فطلقها ، وأراد سيدها أن يسافر بها ، سافر .

(١) توالى التأسيس ١٣٦ .

(٢) ساقط من : د ، وفى المطبوعة : قال : وكم أصول السنة ، والمثبت من : ج .

(٣) فى المطبوعة : وامرأة . والمثبت من : ج ، د .

● وفي الباب المذكور منه أيضا : ولو قال لامرأته : كلما ولدت ولدا فأنت طالق ، فولدت اثنين في بطن طلقت بالأول ، وانقضت عدتها بالآخر . وإن وضعت ثلاثة ، طلقت ثنتين ، وانقضت عدتها بالثالث . وإن ولدت أربعاً ، طلقت بالثلاث ، وانقضت عدتها بالرابع .

(وهذه غرائب استخرجها الشيخ الإمام الوالد رحمه الله من مختصر البَوَيْطِيِّ) :

● قال الشيخ الإمام رحمه الله : نص الإمام الشافعي في « البويطي » على أن الأكل من رأس الثريد ، والقران بين الثمرتين ، والتَّعْرِيس على قارعة الطريق ؛ أى النزول ليلاً ، واشتِمال الصَّمَاء^(١) حرام .

● قلتُ : وللشيخ الإمام تصنيف في هذه المسائل ، ضم إليها أن الشافعي نص في « الأم » أيضا على تحريم احتباء الرجل بثوب واحد مفضيا بوجهه إلى السماء ، وتحريم أكله مما لا يليه .

وفي « الرسالة »^(٢) نحو ذلك ، وقد ذكره أبو بكر الصِّيرَفِيُّ شارحها ، مُصَوِّباً له .

(وهذه غرائب استخرجتها أنا ، فأقول) :

● قال في « البَوَيْطِيِّ » في « باب غسل الجمعة » وهو بعد « باب التيمم » كيف هو وقبل « كتاب الصلاة » : وإذا ولغ الكلب في الإناء ، غُسل سبعا أولا هن أو أخرهن بالتراب ، لا يطهره غير ذلك ، وكذلك رَوَى عن رسول الله ﷺ ، والخنزير قياساً عليه يُغسل سبعا ، ويُهْرَق ما ولغ فيه الخنزير والكلب من ماء ، أو سمن أو عسل ، أو لبن ، أو غير ذلك ، إذا كان ذائبا ، وإن كان جامدا ألقى ما أكلا ، وأكل ما بقي . انتهى .

(١) ذكر أبو عبيد أن الفقهاء يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ويتغطى به ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه فرجه . اللسان (ص م م) ١٢ / ٣٤٦ .

(٢) الرسالة ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وهذا نص وقفْتُ عليه في حياة الوالد رحمه الله ، وكتبته إذ ذاك في « شرح منهاج البيضاوي » ، ثم كتبته في « شرح مختصر ابن الحاجب » ، ولم أزل أعتبط به .

● ثم الآن وقفْتُ في « مختصر البُويطَيَّ » أيضًا في أواخره في « باب اختلاف مالك والشافعي » : قال مالك في الكلب يَلْغ في الإناء ، وفيه لبن بالبادية : إنه يشرب اللبن ، ويغسل الإناء سبعا ، أولاهن أو أخراهن بالتراب . انتهى .

ولو تجرَّد هذا عما نص عليه في « باب غسل الجمعة » لقليل : إنه إنما قاله نقلا عن مالك ، لكن تبين لي أن منقوله عن مالك الذي أشار إلى مخالفة الشافعي له فيه إنما هو شرب اللبن ، أما تعيين الأولى أو الأخرى للغسل فالمذهبان متوافقان عليه .

ومن العجب أن النووي في « المنشورات » مع تجرده لغرائب البُويطَيَّ لم يذكر هذا النص ، وذكر السؤال المشهور على الأصحاب في اقتصارهم على السبعة في إحداهن ، من غير تعيين الأولى والأخرى في المطلق على المقيّد ، وأجاب عنه ، ولم يشتغل بذكر هذا النص ، فما أظنه وقف عليه ، وقد بينا بعد الكشف أن هذا النص أمر مفروغ منه عند المتقدمين ، ثابت في كل الروايات .

وقد نقله صاحب « جمع الجوامع » أبو سهل بن العفريس ، ولفظ النص عنده : وكلُّ ما أصاب فيه آدمي : مسلم ، أو كافر يده ، أو شرب منه ، أو شربت منه دابة فليست تنجّسه ، إلا دابتان : الكلب ، والخنزير . فإن شرب منه كلب أو خنزير لم يَظْهَرُ إلا بأن يُغسل سبعا ؛ أولاهن أو أخراهن بالتراب ، لا يظهر إلا بذلك . انتهى .

ذكره في « باب الماء الراكد » وهي عبارة الشافعي رضي الله عنه ؛ لأن أبا سهل لا يغيّر من العبارة شيئا ، إنما يحكي النصوص بألفاظها ، وكذلك سائر من يجمع النصوص ، ليس لهم في ألفاظ الشافعي رضي الله عنه تصرف . لكن رأيت في أصل قديم بكتاب ابن العفريس : « أو إحداهن » . فجوّزْتُ أن يكون « إحداهن » بالدال تصحّفت « بأخراهن » بالراء ، كما قيل مثله في الحديث .

وكذلك وجدتُ في كتاب « الإشراف » لابن المُنذِر ما نصه : وكان الشافعيّ ، وأبو عُبيد ، وأبو ثور ، وأصحاب الرأي يقولون : الماء الذي وَلَغ الكلاب فيه نجس ، يُهراق ويغسل الإِناء ، أولاهن أو أخرهن^(١) بالتراب . انتهى .

(أولاد الموالى ، وموالى الموالى هل يدخلون في الوقف على الموالى ؟)

● هذا فرع حسن ، نص البُويطيّ على أن أولاد الموالى يدخلون ، وموالى الموالى ، أى عُتقائهم ، لا يدخلون . وهذه عبارته :

قال رحمه الله في أواخر « باب الأُخباس » قبل « باب بلوغ الرشد » وهو في أواخر الكتاب : قال أبو يعقوب : وإذا قال : دارى حَبَس على موالِيّ ، وله موالٍ مِنْ فوق ، ومن أسفل^(٢) . ولم يبيّن . فقد قيل : هو بينهما ، وقيل بوقفه حتى يصطلحوا .

وإن قال : موالِيّ من أسفل ، ولولده موالٍ من أسفل لم يدخل في ذلك إلا مواليه خاصة ، وولد مواليه ، ولم يدخل في ذلك موالى مواليه ؛ لأن الولاء لهم قبله ، ويُنسبون إليهم ، وأولادهم بمنزلة آبائهم ؛ لأنهم مواليه . انتهى . وهو من كلام أبى يعقوب ، لا من كلام الشافعيّ رضى الله عنه .

وقوله : « وقيل بوقفه حتى يصطلحوا » في المسألة الأولى ، هو القول الذى حكاه الرافعيّ في « باب الوصية » عن حكاية البُويطيّ ، ولم يذكره في « كتاب الوقف » وحكاية النوويّ في « الوقف » وجها من زيادته عن حكاية الدارميّ ، ثم قال : إنه ليس بشيء .

● واعلم أن صاحب « البحر » نقل مسألة أولاد الموالى ، وموالى الموالى ، فقال : الأختان يجتمعان في الملك فيطأ المالك واحدة ، ثم يطأ الأخرى قبل أن يُحرّم الأولى . قال أصحابنا قاطبة : إذا كان له أمتان ، وهما أختان ، فوطئ إحداهما حرّمت الأخرى ، حتى تُحرّم الأولى عليه بتزويج ، أو كتابة ، ونحو ذلك . فإن أقدم ووطئها قبل ذلك أثم ، ولم يجب

(١) في المطبوعة : أو إحداهن . والمثبت من : ج ، د .

(٢) بعد هذا في المطبوعة : ولولده موال من أسفل . وهى كلمات أقحمت على النص من المسألة الآتية .

الحد للشبهة ، ثم الثانية مستمرة على التحريم كما كانت ، والأولى مستمرة على الحل ، والحرام لا يُحرَّم الحلال .

وعن أبي منصور بن مِهْران ، أستاذ الأودنِّي^(١) : إنه إذا أحْبَل الثانية حَلَّت وحرَّمت الموطوءة ، وعلى هذين الوجهين اقتصر الرافعي .

قال الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في « شرح المنهاج » : وفي البُويطِّي : إذا كان عنده أمتان أختان ، فوطئهما قيل له : لا تقرَّبُهما حتى تُحرَّم فرَج إحداهما . قال الشيخ الإمام : وهذا يقتضى إثبات قول آخر : أنه بوطء الثانية يحرمان جميعاً .

قلتُ : وقد وقفتُ على النص في البُويطِّي في « باب الجمع بين الأختين » وهو نحو نصف الكتاب ، وقد أخطأ بعض الناس ففهم من هذا النص أن الحال بوطء الثانية يُصيرُهما كما لو اشتراهما ابتداء ؛ بحيث يجوز له أن يُقدِّم بعده على وطء مَنْ شاء منهما ، ثم يُحرَّم الأخرى ، وهو سوء فهم ، وفي قوله : « لا يقرَّبُهما » ما يرد قوله .

٤٠

يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيَّان
الإمام الكبير ، أبو موسى الصدَّقِي ، المصري ، الفقيه ، المُقَرِّي*

ولد في ذى الحجة ، سنة سبعين ومائة .
وقرأ القرآن على ورش ، وغيره ، وأقرأ الناس .
وسمع الحديث من سفيان بن عُيينة ، وابن وهب ، والوليد بن مسلم ، ومَعْن بن عيسى ، وأبي ضَمْرَةَ أنس بن عِيَّاض ، والشافعي ، وأخذ عنه الفقه ، وطائفة أخرى .

(١) بضم الألف وسكون الواو وفتح الدال المهملة والنون ، هذه النسبة إلى قرية من قرى بخارى ، يقال لها أودنة . الباب ١ / ٧٤ .

* له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٩٨ ، تهذيب التهذيب ١١ / ٤٤٠ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٥٨٥ ، شذرات الذهب ٢ / ١٤٩ ، طبقات الشيرازي ٨٠ ، طبقات القراء ٢ / ٤٠٦ ، طبقات ابن هداية الله ٧ ، العبر ٢ / ٢٩ ، الباب ٢ / ٥١ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٤٧ .

روى عنه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأبو عوانة ، وأبو بكر بن زياد
النيسابوري ، وأبو الطاهر المديني ، وخلق .

وانتهت إليه رئاسة العلم بديار مصر .

وروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت بمصر أحدا أعقل من يونس
ابن عبد الأعلى .

وقال يحيى بن حسان : يونسكم هذا من أركان الإسلام .

وكان يونس من جملة الذين يتعاطون الشهادة ، أقام يشهد عند الحكام ستين
سنة .

قال النسائي : يونس ثقة .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يوثق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه ^(١) .
قلت : لم يتكلم أحد في يونس ، ولا نقموا عليه إلا تفرد به عن الشافعي بالحديث
الذي في متنه : « وَلَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ » فإنه لم يروه عن الشافعي غيره .
ولكن ذلك غير قادح ، فالرجل ثقة ثبت .

وكان شيخنا الذهبي رحمه الله يُنبّه على فائدة ، وهي أن حديثه المذكور عن
الشافعي إنما قال فيه : حَدَّثْتُ عن الشافعي ، ولم يقل : حَدَّثَنِي الشافعي . قال :
هكذا هو موجود في كتاب يونس ، رواية أبي الطاهر أحمد بن محمد المديني عنه .
ورواه جماعة عنه عن الشافعي ، فكأنه دَلَّسه بلفظة « عن » وأسقط ذكر مَنْ حَدَّثَهُ به
عن الشافعي ، فالله أعلم . هذا كلام شيخنا رحمه الله تعالى ^(٢) .

وأنا أقول : قد صرّح الرواة عن يونس بأنه قال : حدثنا الشافعي .

فأخبرنا محمد بن عبد المحسن السبكي الحاكم ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال :
أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن الحُبُوبِي ،
سماعاً عليه ، عن أبي الوفاء محمود بن إبراهيم بن سفيان بن منّدة ، أخبرنا أبو
الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن عمر البَاغِيَان ^(٣) ، أخبرنا أبو عمرو

(١) الجرح والتعديل ٩ / ٢٤٣ .

(٢) راجع سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٥١ .

(٣) بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وباء أخرى وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى حفاظ الباغ ، وهو
الباستان . الباب ١ / ٨٩ .

عبد الوهاب بن أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن مَنْدَةَ ، أخبرنا أبي الإمام أبو عبد الله ، أخبرنا أبو علي الحسن بن يوسف الطَّرَائِفِيُّ^(١) بمصر ، وأحمد بن عمر ، وأبو الطاهر ، قالا : حدثنا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن مَيْسَرَةَ الصَّدْفِيُّ ، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي ، حدثنا محمد بن خالد الجَنَدِيُّ^(٢) ، عن أَبَان بن صالح ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِذْبَارًا ، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، وَلَا مَهْدِيٌّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ » .

وأخبرناه أيضا أبي الشيخ الإمام رحمه الله ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن صَصْرَى بدمشق ، وإسماعيل بن نصر [الله]^(٣) ابن أحمد بن عساكر بالقاهرة ، قالا : أخبرنا أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الرحمن ابن عبد الواحد الأزدي ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم الشافعي ، أخبرنا أبو الحسن علي ابن الحسن بن الحسين المَوَازِينِي ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان ابن أبي نصر ، أخبرنا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم المِيَانَجِي ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَةَ النَّيْسَابُورِي ، وأحمد بن محمد بن شاکر الزُّنْجَانِي ، بالميانج ، وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، بالري ، وزكريا بن يحيى السَّاجِي ، بالبصرة ، وأحمد بن محمد الطَّحَاوِي ، وغيرهم بمصر ، والقاضي عبد الله بن محمد القَزْوِينِي ، قالوا : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، فذكره بلفظه .

انفرد بإخراجه ابن ماجه^(٤) فرواه في سننه ، عن يونس .

(١) بفتح الطاء والراء وكسر الياء المثناة من تحتها وفي آخرها فاء ، هذه النسبة إلى بيع الطرائف وشرائها ، وهي الأشياء الحسنة المتخذة من الخشب . الباب ٢ / ٨٤ .

(٢) بفتح الجيم والنون وفي آخرها الدال المهملة ، نسبة إلى الجند ، وهي بلدة مشهورة باليمن . الباب ١ / ٢٤١ ، وانظر طبقات فقهاء اليمن ٦٦ .

(٣) ساقط من المطبوعة ، وهو في : ج ، د .

(٤) سننه في (باب شدة الزمان ، من كتاب الفتن) ٢ / ١٣٤٠ .

وقيل : إن الشافعي تفرّد به ، عن محمد بن خالد الجندي ، وليس كذلك ، إذ قد تابعه عليه زيد بن السّكن ، وعلى بن الزيد اللّحجّي^(١) ، فروياه عن محمد بن خالد . وتكلم جماعة في هذا الحديث ، والصحيح فيه أن الجندي تفرّد به . وذكر أبو عبد الله الحاكم أن الجند رجل مجهول ، قال : وقال صامت بن معاذ^(٢) : عدلتُ إلى الجند مسيرة يومين من صنعاء ، فدخلت على محدّث لهم ، فطلبت هذا الحديث ، فوجدته عنده : عن محمد بن خالد الجندي ، عن أبان بن أبي عيَّاش ، وهو متروك ، عن الحسن ، عن رسول الله ﷺ . وهو منقطع . وأما الشافعي فلم يروه عنه غير يونس . وأما يونس فرواه عنه جماعة ، منهم : أبو عوّانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني ، وابن ماجه ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ، وأبو بكر بن زياد ، وهؤلاء أئمة ، رحمهم الله أجمعين . مات يونس في ربيع الآخر ، سنة أربع وستين ومائتين . وبذكره نختم الطبقة الأولى ، ونقتصر فيها على من ذكرناه . واعلم أن في الرواة عن الشافعي كثرة ، وقد أفردهم الحافظ أبو الحسن الدارقطني في جزء ، ونحن لم نذكر إلا من تمذهب بمذهبه ، أو كان كبير القدر ؛ لئيبن أنه إنما حصل على ما حصل بسببه ، وإلا فقد أهملنا الكثير من الرواة عنه ، وأسقطنا ما لا نرى لذكره معنى غير سواد في بياض^(٣) .

(١) بفتح اللام وسكون الحاء وفي آخرها جيم ، هذه النسبة إلى لحج ، وهي قرية من أبين ، من بلاد اليمن ، نزها بنو لحج بن وائل ، بطن من حمير . اللباب ٣ / ٦٧ .

(٢) في الأصول « عباد » . وأثبتنا ما في طبقات فقهاء اليمن ٧١ ، ٧٤ ، والمستدرک ٤ / ٤٤١ .

(٣) علل ابن السبكي في الطبقات الوسطى لذلك فقال : إذ فيهم العارى من الفقه ، ومن هو فقيه إلا أنه غير شافعي ، فلا يتوهم المتوهم فينا تقصيرا في تعدادهم .

(ومن الفوائد والمسائل عن يونس)

قال يونس : سمعتُ الشافعيّ يقول : لولا مالك ، وابن عُيينة لذهب علم الحجاز .

قال : وسمعتُه يقول : إذا جاء مالك فمالك النجم .

قال يونس فيما رواه ابن عبد البر في « كتاب العلم » : سمعتُ الشافعيّ يقول : إذا سمعتُ الرجل يقول : الاسم غير المُسمّى ، أو الاسم المُسمّى فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له ^(١) .

قلتُ : وهذا وأمثاله مما رُوي في ذم الكلام ، وقد روى ما يعارضه ، وللحافظ ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفتري » على أمثال هذه الكلمة ، كلام لا مزيد على حسنه ^(٢) ، ذكرت بعضه مع زيادات في كتاب « منع الموانع » .

حكى يونس ، عن الشافعيّ في « باب العدد » : أنه قال : اختلف عمر وعلى رضى الله عنهما في ثلاث مسائل ، القياس فيها مع عليّ ، وبقوله أقول :

● إحداها : إذا تزوجتُ في عِدَّتِها ، ودخل بها الثاني ، حرّمها على الثاني أبداً عمرُ بن الخطاب . وبه أخذ مالك ، وأحمد في رواية ، وهو قول قديم ، وعند عليّ لا تحرم على التأييد . وهو الجديد .

وهكذا الخلاف في كل وطء أفسد النسب ، هل يحرم به على المفسد أبداً ، مثل وطء زوجة غيره بشبهة ، أو أمة غيره بشبهة ؟

ووجّههُ المؤيدون بأنه استعجل الحق قبل وقته ، فحرّمه الله تعالى في وقته كالْميراث ، إذا قُتل مُورثه لم يرثه ، وبأنه سبب يُفسد فيحرم به على التأييد كاللّعان .

وحجة الجديد قوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ ^(٣) وهذه من وراء ذلكم ، ولأنه لو كان مباحاً لم يحُرّم به على التأييد ، فكذلك إذا كان حراماً بالزنا ، ولأن الخصوم فرقوا بين العالم ، فلم يُحرّموها عليه أبداً ، قالوا : لأنه جاره ^(٤) بالحد . والجاهل ففيه

(١) ذكر ابن عبد البر هذا في الانتقاء ٧٩ ، أما الذي في جامع بيان العلم ٢ / ٩٥ فنحو منه .

(٢) تبين كذب المفتري ٣٣٣ - ٣٥٩ .

(٣) سورة النساء ٢٤ .

(٤) هكذا في الأصول .

حرموها أبداً ، والفرق فاسد ؛ لأن العالم أشد جرمًا ، وبالنزنا يفسد النسب أيضا .
في كلمات كثيرة لعلمائنا .

ووجه الشافعيّ كون القياس مع عليّ كرم الله وجهه بأن الوطء لا يقتضي تحریم الموطوءة على الواطيء ، بل تحریم غيرها على الواطيء ، وتحریمها على غير الواطيء ، فما قالوه خلاف الأصول . وأطال أصحابنا في هذه المسألة ، حتى أنكر أهل البصرة أن يكون للشافعيّ قول قديم فيها ، قالوا : وإنما ذكره حكاية ، لا مذهبا .

● الثانية : امرأة المفقود ، قال عمر : تُنكح بعد التربُّص ، وهو القديم . وقال عليّ : تصير أبداً ، وهو الجديد ، ولفظ عليّ : إنها امرأة ابتليت فلتصير .

● والثالثة : إذا تزوّجت الرجعية بعد انقضاء العدة ، وكان زوجها المطلق غائبا ، ودخل بها الثاني ، ثم عاد المطلق وأقام بيّنة أنه كان راجعها قبل انقضاء عدتها . قال عمر : الثاني أحق بها . وقال عليّ : بل هي للأول . وهو قولنا .

ذكر هذا كله « الرويانيّ » في « البحر » في « كتاب العَدَد » ، ولم يذكره الماورديّ في « الحاوي » مع تتبعه لأمثال ذلك ، وهو ثابت عن الشافعيّ ، مروى بإسناد صحيح إليه . رواه ابن أبي حاتم ، وابن حَمَكَانَ في « مناقب الشافعيّ » وغيرهما .

● وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه في « آداب الشافعيّ » أنه سمع يونس يقول : سمعتُ الشافعيّ يقول : لو أتم مسافر الصلاة متعمدا مُتَكِرًا لِلْقَصْرِ^(١) ، فعليه إعادة الصلاة . وهذا شيء غريب .

قال ابن حُزَيْمَةَ : سمعتُ يونس وذكر الشافعيّ فقال : كان ينظر الرجل حتى يقطعه ، ثم يقول لمناظره : تقلّد أنت الآن قولي ، وأتقلّد قولك ، فيتقلّد المناظر قوله ، ويتقلّد الشافعيّ قول المناظر ، فلا يزال ينظره حتى يقطعه . وكان لا يأخذ في شيء إلا تقول : هذه صناعته .

(١) في آداب الشافعي ٢٨٤ : « للنقصير » .

● قال يونس : قال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾^(١) الفاحشة : أن تَبْذُؤَ^(٢) على أهل زوجها .

● وقال : أصح المعاني في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾^(٣) : الولد ، والحَيْضَةُ ، لا تكتم ذلك عن زوجها ، مخافة أن يراجعها .

● وقال يونس : قال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ ﴾^(٤) : الآية كلها نُسخَت بالحديث ، قال النبي ﷺ : « خُذُوا عَنِّي ، خُذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ، عَلَى الْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَعَلَى الثَّيِّبِ الرَّجْمُ » . قلت : هذا يدل على أن الشافعي لا يمنع نسخ القرآن بالسنة ، وقد أطلنا في الكلام على ذلك في أصول الفقه .

● قال الإمام الجليل أبو الوليد التيسابوري : حدثنا إبراهيم بن محمود ، قال : سألت إنسان يونس بن عبد الأعلى ، عن معنى قول النبي ﷺ : « أَقْرِؤْوا الطَّيْرَ عَلَى مَكْنُاتِهَا »^(٥) فقال : إن الله يحب الحق ، إن الشافعي قال : كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الحاجة أتى الطير في وَكْرِهِ ، فنَفَرَهُ ، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته ، وإن أخذ ذات الشِّمَالِ رجع ، فهى النبي ﷺ عن ذلك .

قال : وكان الشافعي رحمه الله نسيج وحده في هذه المعاني .

وقال محمد بن مهاجر : سألت وكيعا عن تفسير هذا الحديث ، فقال : هو صيد الليل . فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه ، وقال : ما كنا نظنه إلا صيد الليل .

(١) سورة الطلاق ١ .

(٢) بذو من البذاء ، وهو الكلام القبيح . القاموس (ب ذ و)

(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .

(٤) سورة النساء ١٥ .

(٥) في اللسان (م ك ن) ١٣ / ٤١٢ : قيل يعنى يبضها على أنه مستعار لها من الضبة ؛ لأن الممكن ليس للطير . وقيل : عنى مواضع الطير . قال أبو عبيد : وجائز في كلام العرب أن يستعار مكن الضباب فيجعل للطير تشبيها بذلك . وانظر غريب الحديث له ١٣٧ / ٢ .

قلتُ : المَكِنَاتُ واحدها مَكِنَةٌ بكسر الكاف وقد تفتح ، وهى فى الأصل :
بَيض الضَّبَاب ، وقيل : هى هنا بمعنى الأمكنة ، وقيل : مَكِنَاتُها : جمع مُكُنْ ،
وَمُكُنْ جمع مكان ، كصُعُودات فى صُعُد ، وَحُمُرَات فى حُمُر^(١) .

● قال يونس : قلتُ للشافعى : ما تقول فى رجل يصلى ورجل قاعد ، فعطس
القاعد ، فقال له المصلى : رحمك الله ؟

قال له الشافعى : لا تنقطع صلاته .

قال له يونس : كيف ؟ وهذا كلام .

قال : إنما دعا الله له ، وقد دعا رسول الله ﷺ فى الصلاة لقوم ، وعلى آخرين .

قلتُ : وقد صحح الرويانى هذا النص ، وصحح المتأخرون بطلان الصلاة به .

● قال يونس : كنا فى مجلس الشافعى فقال : ما أُبين من حَيٍّ فهو ميت . فقام
إليه غلام لم يبلغ الحُلُم ، فقال : يا أبا عبد الله لا يختلف الناس أن الشعر والصوف
مجزوز من حَيٍّ ، وهو طاهر . فقال الشافعى : لم أُرِدْ إلا فى المتعبدين .

نقله الأبرى فى « كتابه » وقال : يعنى بالمتعبدين الآدميين ، بخلاف البهائم .

قال يونس : سمعتُ الشافعى يقول : أَوْحَى الله إلى داود عليه السلام : يا داود ،
وعزّنى وجلالى لأُبْتَرَنَّ كل شفتين تكلمتا بخلاف ما فى القلب .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا نصر أحمد بن الحسين بن أبى مروان ، يقول : سمعتُ
ابن حُزَيْمَةَ ، يقول : سمعتُ يونس بن عبد الأعلى ، يقول : إن أم الشافعى رضى الله عنه
فاطمة بنت عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وإنها هى التى حملت

(١) العبارة فى الأصول : وقيل مكناتها جمع مكن ، ومكن جمع مكنات ؛ كصعودات فى صعد ، وجمرات فى جمر .
والنصويب من النسان ١٣ / ٤١٣ ، (م ك ن) نقلا عن الزمخشري . وانظر الفائق ٣ / ٤٢ .

الشافعي رضي الله عنه إلى اليمن وأدبته ، وإن يونس كان يقول : لا أعلم هاشميا ولدته هاشمية إلا على بن أبي طالب ، والشافعي رضي الله عنهما .

قلتُ : وهذا قول من قال : إن أم الشافعي رضي الله عنه من ولد علي كرم الله وجهه ، وعليه الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الفارسي ، فإنه نصره في كتابه الذي صنّفه في « نسب الشافعي » ، لكن أنكره زكريا الساجي ، وأبو الحسن الأبري ، والبيهقي ، والخطيب ، والأردستاني ، وزعموا أنها كانت أزدية ، ومنهم من قال : أسدية ، واحتج هؤلاء بأنه لما قدم مصر سأله بعض أهلها أن ينزل عنده فأبى ، وقال : [إني] ^(١) أنزل على أخوال الأُسديين .

قلتُ : وأنا أقول : لا دلالة في هذا على أن أمه أسدية ؛ لجواز أن تكون الأسدية أم أبيه ، أو أم جده ، ونحو ذلك ، ويكون اقتدى في ذلك قولاً وفعلاً برسول الله ﷺ ، لما هاجر وقدم المدينة ، ونزل على أخوال عبد المطلب إكراماً لهم . فما ذكره يونس من أن أمه من ولد عليّ قول لم يظهر لي فساده ، بل أنا أميل إليه .

فإن قلتُ : قد ضعفه من ذكرت من الأئمة ؛ وجعل البيهقي الحمل فيه على أحمد ابن الحسين ابن أبي مروان ، واحتج بمخالفة سائر الروايات له .

قلتُ : لم يتبين لي مخالفتها ؛ فإن غايتها ما ذكرت من أنه رضي الله عنه قال : أنزل على أخوال الأُسديين ، وقد بينّا أنه يمكن حمل ذلك على أخوال الأب ، ونحوه ، والمصير إلى ذلك متعين ؛ للجمع بينه وبين هذه الرواية الصريحة في تعيين اسم أمه ، وسياق نسبها إلى عليّ كرم الله وجهه ، وضعف ابن أبي مروان لم يثبت عندنا ، ولو كان ، لم يسكت عنه الحاكم إن شاء الله .

والذين قالوا : إن أمه أسدية ربما قالوا أيضاً : أزدية ، ثم قالوا : الأزدي والأسدي شيء واحد ، ولم يعينوا لها اسماً ، ولا ساقوا نسباً ، وغاية بعضهم أن كناها أم حبيبة ^(٢) .

(١) زيادة من : ج ، د . وتقدم مثل هذا في الجزء الأول ١٩٣ .

(٢) في المطبوعة : صبية . والمثبت من : ج ، د .

فإن قلت : قد ذكروا أن ابن عبد الحكم قال : سمعتُ الشافعي يقول : أمي من الأزد .

قلتُ : وقد ذكرنا أن يونس قال ما أبديناه ، والله أعلم أي الأمرين أثبت ، والجمع بينهما عند الثبوت ممكن بالطريق التي ذكرنا .

فإن قلت : فقد وافق ابن المُقرئ الجماعة على تضعيف كونها علوية ؛ محتجا بقول الشافعي في حكايته مع إبراهيم الحَجَّبي ، الذي تقدمت في ترجمة الحارث الثَّقَال : عليّ ابن عمي^(١) . قال : ولم يقل جدّي . قال : ولو كان جده لذكر ذلك ؛ لأن الجدودة أقوى من الخؤولة والعمومة .

قلتُ : يحتمل أن يقال : إنما اقتصر على كونه ابن عمه ؛ لأنها القرابة من جهة الأب ، وأما الجدودة فإنها قرابة من جهة الأم ، والقرابة من جهة الأم لا تُذكر غالبا ، ثم الأمر في هذه المسألة موهوم ، فلسنا فيها على قطع ولا ظن غالب ، وما ذكرناه من اقتصاره على أنه ابن عمه للمعنى الذي أبديناه ، حسنٌ في الجواب لو وقع الاختصار عليه في كل الروايات ، لكن في بعضها ابن عمي وابن خالتي ، وذكر الخؤولة يضعف ما أبديناه ، ولا عظيم في المسألة ، وأي الأمرين منها ثبت فشرّفه بين ، فإن الأزد أيضا قال فيهم رسول الله ﷺ ، فيما رواه الترمذي : « الأزدُ أُسْدُ^(٢) الله في الأرض ، يُريدُ النَّاسُ أَنْ يَضَعُوهُمْ ، وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَهُمْ » الحديث .

● وكانت أمه رضى الله عنها باتفاق النقلة من العابدات ، القانتات ، ومن أذكى الخلق فطرة ، وهى التى شهدت هى وأم بشر المريسي بمكة عند القاضي ، فأراد أن يفرق بينهما ؛ ليسألهما منفردتين عما شهدتا به استفسارا . فقالت له أم الشافعي : أيها القاضي ليس لك ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾^(٣) فلم يفرق بينهما .

(١) في هذا الجزء ١١٣ .

(٢) في الأصول « أزد » والتصحيح من الترمذي . عارضة الأحوذى (أبواب المناقب) ١٣ / ٢٨٨ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٢ .

قلتُ : وهذا فرع حسن ، ومعنى قوى ، واستنباط جيد ، ومنزِع غريب ، والمعروف في مذهب ولدها رضى الله عنه إطلاق القول بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود استُحب له التفريق بينهم ، وكلامها رضى الله عنها صريح في استثناء النساء ، للمنزِع الذى ذكرته ، ولا بأس به .

فإن قلتُ : هذا الذى جاء في بعض الروايات ، من قول الشافعى في على كرم الله وجهه : ابن خالتي . ما وجهه ؟ فإن كونه ابن عمه واضح ، وأما كونه ابن خالته فغير واضح .

قلتُ : قد وجهوه بأن أم السائب بن عبيد جد الشافعى رضى الله عنه ، هى الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف ، وأم هذه المرأة تحليدة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وأم على ^(١) بن أبى طالب كرم الله وجهه فاطمة بنت أسد بن ^(٢) هاشم ابن ^(٣) عبد مناف ، فظهر أن عليا كرم الله وجهه ابن خالة الشافعى ، بمعنى ابن خالة أم جدّه

خاتمة لهذه الطبقة الأولى

اعلم أن في الرواة عن الشافعى رضى الله عنه كثرة ، وقد أفردهم الحافظ أبو الحسن الدارقطني بجزء ، ونحن اقتصرنا على من تمذهب بمذهبه ، أو كان كبير القدر في نفسه ، وأسقطنا ذكر من لا نرى لذكره كبير معنى ، غير سواد في بياض ، بحيث أسقطنا ذكر جماعة ذكرهم أبو عاصم العبادي ، وغيره ممن صنف في الطبقات ، وفيمن أخذ علم الشافعى وعزى إليه ، وعاصره .
وذكر الأصحاب في الطبقات عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان ، أما عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن ^(٢) ...

(١) زيادات من : ج ، د على ما في المطبوعة .

(٢) لم يتح لابن السبكي أن يكمل حديثه ، ويلاحظ أنه كرر ما سبق أن ذكره في صفحة ١٧٣ وزاد عليه .

الطبقة الثانية

فيمَن توفى بعد المائتين ، ممن لم يصحب الشافعيّ وإنما اقتفى أثره

واكتفى بمن استطلع خبره ، واصطفى طريقه ، الذي أطلع

في دياجي الشكوك قمره

أحمد بن سيَّار بن أيوب
أبو الحسن ، المَرْوَزِيُّ*

الزاهد الحافظ ، أحد الأعلام .

سمع عفَّان ، وسليمان بن حرب ، وعبدان ، ومحمد بن كثير ، وصفوان بن صالح
الدمشقي ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن بُكير ، وطبقته .

وروى عنه النسائي ، ووثقه ، وقال في موضع آخر : ليس به بأس . وابن
خزيمة ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِيُّ ، وحاجب الطوسي ، وخلق .

وفي صحيح البخاري : حدثنا أحمد ، حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمِي^(١) .
فقليل : إن أحمد المشار إليه هذا .

وكان يشبهه بابن المبارك في زمانه .

وهو مصنف « تاريخ مرو » .

وتوفى في ربيع الآخر ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقد استكمل سبعين سنة .

● ومن مسائله قوله : إن المصلى إذا لم يرفع يديه للافتتاح لا تصح صلاته .

قال ابن الصلاح : وقد نظرت فلم أجد ذلك محكياً عن أحد .

قلتُ : سيأتى إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن خزيمة ما يوافقه .

ونقله النووي في « تهذيب الأسماء » عن داود^(٢) .

● ومنها : أنه قال بإيجاب الأذان للجمعة ، دون غيرها .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٤ / ١٨٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٤٦ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٥ ،
شذرات الذهب ٢ / ١٥٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٦ ، العبر ٢ / ٣٧ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٤٤ .

(١) صحيح البخاري (باب وكان عرشه على الماء . من كتاب التوحيد) ٩ / ١٥٢ ، وانظر الفتح ١٣ / ٤١١ .

(٢) يعنى : داود الظاهري ، كما في تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٤٧ .

أحمد بن عبد الله بن سيف
أبو بكر السجستاني

● حكى أنه سمع المُرَني يقول ، وقد سئل عن تزوج امرأة على بيت شعر :
يجوز على معنى قول الشافعي : إذا كان مثل قول القائل :

يُرِيدُ المرءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا مَا أَرَادَا^(١)
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي وتقوى الله أكرمُ ما استفادَا

وروى عن يونس بن عبد الأعلى ، عن الشافعي رضي الله عنه : أنه سمع رجلين يتغتابان والشافعي يسمع كلامهما ، فقال لأحدهما : إنك لا تقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح ما بينك وبين الله ، ولا تبالي^(٢) بالناس .

ذكره الحافظ أبو سعد بن السمعاني في ترجمة الحافظ أبي مسعود عبد الجليل بن محمد بن كوثاه^(٣) .

● وروى عن المُرَني ، قال : قال الشافعي فيمن تكشّف في الحمّام : إنه لا تُقبَلْ شهادته ؛ لأن الستر فرض .

أحمد بن الحسين بن سهل
أبو بكر الفارسي*

صاحب « عيون المسائل » إمام جليل .

وهو ممن استبهم على أمره ؛ ففي « طبقات أبي عاصم العبادي » ذكره في الطبقة

(١) جاء هذا الشعر لأبي الدرداء . وقد أورده ابن عبد البر ، في الاستيعاب ٤ / ١٦٤٨ .

(٢) في الأصول « لا تبالي » . والتصحيح من تولى التأسيس ١٣٦ .

(٣) بضم الكاف ، وهو فارسي ، معناه : القصير . تاج العروس ٩ / ٤٠٨ (لك ت ه) .

* ترجمته في : تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢ / ١٩٥ ، طبقات الفقهاء للعبادي ٤٥ ، طبقات ابن هداية الله (بيروت) ٧٥ - ٧٧ ، كشف الظنون ١١٨٨ . وقطع المصنف بأن ذكر أبي بكر الفارسي في الطبقة الثالثة أحق من ذكره في هذه الطبقة ، ولم يترجمه فيها . وفي النسخ : « بن الحسن » .

الثانية ، مع ابن خزيمة وأنظاره ، قبل أبي عبد الله البوشنجي ، ومحمد بن نصر ، وغيرهما . وقضية هذا أن يكون أخذ عمّن لقى الشافعي رضي الله عنه ، ويؤيد ذلك أن محمود الخوارزمي ذكر أنه تفقّه على المزنّي وأنه أول من درّس مذهب الشافعي ببلخ ، برواية المزنّي . كذا نص عليه في ترجمة أبي الحياة محمد بن أبي قاسم عبد الله ابن أبي بكر محمد بن أبي علي الحسن بن أبي الحسن علي بن الإمام أبي بكر أحمد بن الحسن بن سهل ، وقال : سمعته - يعني أبا الحياة - يذكر أن سهلا الذي في نسبه من التابعين .

ويوافق هذا قول من قال : إن أبا بكر الفارسي توفي سنة خمس وثلثمائة ، قبل ابن سريج ، وهو ما ذكرته في « الطبقات الوسطى » لكنني على قطع بأن صاحب « عيون المسائل » توفي بعد ابن سريج ؛ لأنني رأيت أصلا أصيلا من كتابه ، موقوفا بخزانة المدرسة الباذرائية^(١) بدمشق ، ومما دلّني على أنه كُتب في حياته قول كاتبه فيما دعا به لمصنّفه : مدّد الله في عمره ، وأدام عزّه^(٢) . وذكر في آخر الجزء الأول منه : أنه فرغ منه ليلة الأحد لليلة مضت من ذي الحجة ، سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، بسمرقند ، في ولاية الأمير أبي محمد نوح بن نصر ، مولى أمير المؤمنين . هذه صورة خطه ، وذكر في آخر الكتاب أنه فرغه في شوال ، سنة إحدى وأربعين وثلثمائة . وهذه النسخة مجزأة ثمانية أجزاء ، ضمن مجلد واحد ، وقد استكتبت منها نسخة ليحيى هذا الكتاب ؛ فإني لم أجد به إلا هذه النسخة .

وفيما ذكرته ما يدل على أنه كان موجودا سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، ويوافق هذا منام لابن سريج شهير ، ممّن حكاه عنه أبو بكر الفارسي ، سنذكره في ترجمة ابن سريج إن شاء الله ، مع قرائن مُحَقِّقة بأنه من تلامذة ابن سريج ، وعند هذا قد يقف الذهن ، أو يقضى بأنهما فارسيان ، ولا شك أن لنا فارسيتين : أحدهما أبو بكر صاحب « العيون » ، والثاني أبو محمد أحمد بن ميمون ، الذي ذكره الأصحاب ، منهم الرافعي ، عند نقلهم عنه :

(١) في الأصول : البادرانية ، والصواب ما أثبتناه . انظر الباب ١ / ٨٣ ، مناداة الأطلال ٨٧ .

(٢) في هامش ج : هذا لا يدل ؛ لاحتمال أن يكون الكاتب مغفلا ، وجد ما نصه : أمد الله في عمره ، فكتبها .

● أن الأمة إذا سُلِّمَتْ لزوجها في الليل دون النهار يجب لها نصف النفقة .

أما فارسِيَّان ، كل منهما أبو بكر فبعيد ! وبتقديره فكل منهما أبو بكر أحمد بن الحسن بن سهل أبعد ، وبتقديره فما صاحب « العيون » بمقدم على ابن سُرَّيج ، ولا بتلميذ للمُزَنِّي ، ولا بمدرك زمانه قطعاً . وقد قضى العَبَّادِيُّ بأنَّ أبا بكر الفارسيَّ هو صاحب « العيون » و « كتاب الانتقاد » ، وغيرهما ، فكيف هذا ؟
وليقع الاكتفاء بترجمة صاحب « العيون » فإنه المذكور في بطون الأوراق ، وليكن ذكره في الطبقة الثالثة ، فيمن توفي بعد الثلاثئة ، فذكره هناك أحق منه هنا .

٤٤

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الإمام أبو محمد ، ويقال أبو عبد الرحمن ابن بنت الشافعيّ رضي الله عنهم*
كذا ساق نسبه الشيخ أبو زكريا النَّوَوِيُّ رحمه الله ، في « باب الحيض » من « شرح المذهب » ، وقال : إنه يقع في اسمه وكنيته تحبيط في كتب المذهب ، وإن المُعْتَمَدَ هذا الذي ذكره ، وإن أمه زينب بنت الإمام الشافعيّ ، وإنه روى عن أبيه ، عن الشافعيّ .
وقال : كان إماماً مبرِّزاً ، لم يكن في آل شافع بعد الشافعيّ مثله ، سرت إليه بركة جَدِّه .

قال : وقد ذكرت حاله في « تهذيب الأسماء » وفي « الطبقات » .

٤٥

أحمد بن نصر بن زياد
أبو عبد الله ، القرشيّ ، النَّيسَابُورِيُّ**
المُفَرِّى ، الزاهد ، الرَّحَّال .

* له ترجمة مستوفاة في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٨٥ . وانظر المجموع شرح المذهب ٢/ ٥٠١ .
** له ترجمة في : تهذيب التهذيب ١/ ٨٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١١٠ ، طبقات القراء ١/ ١٤٥ ، العبر ١/ ٤٠٨ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٢ .

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تُمَيْرٍ ، وَابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ ، وَأَبِي أُسَامَةَ ، وَالنَّضْرَ بْنَ شُمَيْلٍ ، وَجَمَاعَةٍ .

سَمِعَ مِنْهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، وَهُوَ مِنْ شَيْوِخِهِ .

وَحَدَّثَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَأَبُو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيُّ .

قَالَ الْحَاكِمُ : كَانَ فقيه أهل الحديث في عصره ، كثير الحديث والرحلة ، رحل إلى أَبِي عُبَيْدٍ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ^(١) مُتَفَقِّهًا ، فَأَخَذَ عَنْهُ ، وَكَانَ يُفْتِي بَنِيْسَابُورَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَعَلَيْهِ تَفَقُّهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ .

تُوفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ الْفَارِسِيُّ ،

أَبُو بَكْرٍ^(٢)

لَأَصْحَابِنَا فِيمَا يَظْهَرُ اثْنَانِ ، كُلُّ مَنِمَا أَبُو بَكْرٍ الْفَارِسِيُّ ، أَحَدُهُمَا صَاحِبُ « عَيُونِ الْمَسَائِلِ » .

٤٦

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ

الشَّيْخُ الْإِمَامُ ، أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ *

شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِالْعِرَاقِ قَبْلَ ابْنِ سُرَيْجٍ .

رَحَلَ وَسَمِعَ يَحْيَى بْنَ بُكَيْرٍ ، وَيُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ الْحَزَامِيَّ^(٣) وَالْقَوَارِيرِيَّ ، وَطَبَقْتَهُمْ .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : سَنَهُ . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ : ج ، د .

* لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي : تَارِيخِ بَغْدَادِ ١ / ٣٦٥ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢ / ٢٢٠ ، طَبَقَاتُ ابْنِ هَدَايَةِ اللَّهِ ١٠ ، طَبَقَاتُ الشَّيْرَازِيِّ ٨٦ ، الْعَبَرِ ٢ / ١٠٣ .

(٢) انْظُرْ مَا تَقْدِمُ فِي صَفْحَةِ ١٨٤ .

(٣) فِي الْمَطْبُوعَةِ ، د : الْحَرَّانِيُّ . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ : ج ، الْمَشْتَبَهَ ٢٢٣ وَتَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ صَفْحَةُ ٨٢ .

رَوَى عَنْهُ عَبْدُ الْبَاقِي بْنِ قَانِعٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ .
تَفَقَّهَ عَلَى أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ .

وَكَانَ إِمَامًا ، زَاهِدًا ، وَرِعًا ، قَانِعًا بِالْيَسِيرِ .
حَكَى أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ السَّرِيِّ الرَّجَّاجَ : أَنَّهُ كَانَ يُجْرَى عَلَيْهِ فِي الشَّهْرِ
أَرْبَعَةُ دِرَاهِمٍ .

قَالَ : وَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَّادٍ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَقَوَّتْ بِضْعَةُ عَشْرِ يَوْمًا بِخَمْسِ
حَبَّاتٍ ، قَالَ : وَلَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، فَاشْتَرَيْتُ بِهَا لِفَتًا ، وَكُنْتُ آكُلُ مِنْهُ .
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ : لَمْ يَكُنْ لِلشَّافِعِيَّةِ بِالْعِرَاقِ أَرَأْسُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْرَعُ ، وَلَا أَكْثَرُ
تَقْلُلًا .

وَقَالَ الدَّارَقُطَنِيُّ : ثِقَةٌ ، مَأْمُونٌ ، نَاسِكٌ .

تَوَفَّى أَبُو جَعْفَرٍ فِي الْحَرَمِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ كَمَّلَ أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ
سَنَةً .

وُنُقِلَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ بِأَخْرَةٍ .

وَلَهُ فِي الْمَقَالَاتِ كِتَابُ سَمَاءَ « كِتَابُ اخْتِلَافِ أَهْلِ الصَّلَاةِ » فِي الْأَصُولِ . وَقَفَّ
عَلَيْهِ ابْنُ الصَّلَاحِ ، وَانْتَقَى مِنْهُ فَقَالَ : وَمَنْ خَطَبَهُ نَقَلْتُ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ قُلٌّ مَا^(١) تَعَرَّضَ
فِي هَذَا الْكِتَابِ لِمَا يَخْتَارُ هُوَ ، وَأَنَّهُ رَوَى فِي أَوَّلِهِ حَدِيثَ : « تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ .

وَأَنَّهُ بَالِغٌ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ فَضَّلَ الْغَنَى عَلَى الْفَقْرِ .

وَأَنَّهُ نَقَلَ أَنَّ فِرْقَةً مِنَ الشَّيْعَةِ ، قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، غَيْرَ أَنَّ عَلِيًّا أَحَبُّ إِلَيْنَا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَلَحَقُوا بِأَهْلِ الْبِدْعِ ، حَيْثُ ابْتَدَعُوا خِلَافَ مَنْ مَضَى .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : قَالَ مَا . وَالثَّبْتُ مِنْ : ج ، د .

محمد بن أحمد بن عليّ الخِلَالِيّ
أبو بكر*

من أصحاب المُزَنِّيّ ، ذكره العَبَادِيّ . وهو من أصحاب المُزَنِّيّ ، والربيع .
رَوَى عنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن المُقَرِّي ، وقال : هو ثقة ،
صاحب المُزَنِّيّ والربيع .

وقال ابن نُقْطَة في « التقييد » : إنه الخِلَالِيّ ، بكسر الحاء المعجمة وتخفيف
اللام ، وزعم أنه نقل ذلك من خطٍ مُؤَثَمَن ، في غير موضع^(١) .

محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى
وقيل : موسى بن عبد الرحمن ، أبو عبد الله ، البُوشَنجِيّ ، العَبْدِيّ**
شيخ أهل الحديث في زمانه بنيسابور^(٢) .

سمع من إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامِيّ ، والحارث بن سُرَيْج الثَّقَالِيّ ، وأبي جعفر عبد
الله بن محمد الثَّقَلِيّ^(٣) وعبد العزيز بن عِمْران بن مِقْلَاص ، وعلي بن الجَعْد ، وأبي
كَرْبِيب محمد بن العلاء ، ومُسَدَّد بن مُسْرَهْد ، ويحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، وسعيد
ابن منصور ، وأبي نصر التَّمَار ، وغيرهم .

روى عنه محمد بن إسحاق الصَّعَّانِيّ ، ومحمد بن إسماعيل البخاريّ ، وهما أكبر منه ،

* انظر المشتبه ١٩٧ .

(١) وترجم له ابن نُقْطَة في تكملة الإكمال ١٩٢/٢ بهذا الكلام .

** له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٠٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٨ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٤٥٥ ،
شذرات الذهب ٢ / ٢٠٥ ، طبقات ابن هداية الله ٨ ، العبر ٢ / ٩٠ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٣٣ ، الوافي
بالوفيات ١ / ٣٤٢ .

(٢) في الطبقات الوسطى : نزل نيسابور ، وسكنها ، وبها مات .

(٣) بضم النون وفتح الفاء وسكون الباء تحتها نقطتان وبعدها لام ، نسبة إلى الجد . الباب ٣ / ٢٣٤ .

وابن خُزَيْمَة ، وأبو العباس الدَّغُولِيّ ، وأبو حامد بن الشَّرْقِيّ^(١) ، وأبو بكر بن إسحاق الصَّبْغِيّ^(٢) ، وإسماعيل بن نُجَيْد ، وخلق كثير .
وقيل : إن البخاريّ روى عنه حديثاً في « الصحيح » ذكر ذلك محمد بن يعقوب ابن الأَحرَم^(٣) .

وفي « الصحيح » للبخاريّ : حدثنا محمد ، حدثنا الثَّقَلِيّ . ذكره في تفسير سورة البقرة^(٤) .

قال شيخنا الذهبيّ : فإن لم يكن البُوشَنجِيّ ، وإلا فهو محمد بن يحيى^(٥) .
قال : والأغلب أنه البُوشَنجِيّ ؛ فإن الحديث بعينه رواه الحاكم عن أبي بكر بن أبي نصر ، حدثنا البُوشَنجِيّ ، حدثنا الثَّقَلِيّ ، حدثنا مسكين بن بُكَيْر ، حدثنا شُعْبَة ، عن خالد الحَدَّاء ، عن مروان الأصغر ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وهو ابن عمر : أَنَّهَا تُسَيِّحُ ﴿ إِن تَبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾^(٦) الآية .
قلت : ولذلك ذكره شيخنا المِزِّيّ في « التهذيب » .
وكان البُوشَنجِيّ من أجل الأئمة ، وله ترجمة طويلة عريضة ذات فوائد في « تاريخ الحاكم » .

قال ابن حمدان : سمعتُ ابن خُزَيْمَة ، يقول : لو لم يكن في أبي عبد الله من البخل بالعلم ما كان^(٧) ، ما خرجت إلى مصر .
وكان إماماً في اللغة ، وكلام العرب .
قال أبو عبد الله الحاكم : سمعتُ أبا بكر بن جعفر ، يقول : سمعتُ أبا عبد الله البُوشَنجِيّ يقول للمُستَمَلِيّ : الزم لفظي وحُلاك ذمّ .

(١) في المطبوعة : ابن الشرفي . والمثبت من : ج . والطبقات الوسطى ، وتهذيب التهذيب . وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفي آخرها قاف ، نسبة إلى الجانب الشرق من نيسابور . الباب ١٧ / ٢ .

(٢) في المطبوعة : الضبعي ، والتصويب من : ج ، د ، واللباب ٤٩ / ٢ .

(٣) في المطبوعة : ابن الأحرَم . والتصويب من : ج ، تهذيب التهذيب .

(٤) صحيح البخاري ٤١ / ٦ .

(٥) نص صاحب « الجمع » على أنه البوشنجي . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٧ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٤ .

(٧) في تهذيب التهذيب زيادة : وكان يعلمني .

وقال أبو عبد الله بن الأخرم : سمعت أبا عبد الله البوشنجي غير مرة يقول : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، وذكره يميل^(١) الفم .

وقال دعلج ؛ حدثني فقيه أن أبا عبد الله حضر مجلس داود الظاهري ببغداد ، فقال داود لأصحابه : حضركم من يفيد ، ولا يستفيد .

وكان أبو عبد الله البوشنجي قوي النفس ، أشار يوما إلى ابن خزيمة ، فقال : محمد ابن إسحاق كيّس ، وأنا لا أقول هذا لأبي ثور .

ولما توفى الحسين بن محمد القباني ، قُدم أبو عبد الله للصلاة عليه فصلي ، ولما أراد أن ينصرف قُدمت دابته ، وأخذ أبو عمرو الخفاف بلجامه ، وأبو بكر محمد بن إسحاق بركابه ، وأبو بكر الجارودي وإبراهيم بن أبي طالب يسويان عليه ثيابه ، فمضى ولم يكلم واحدا منهم .

وفي لفظ : ولم يمنع واحدا منهم . والمعنى هنا واحد ؛ فإن مراد من قال : ولم يكلم أنه لم يمنع .

وقال أبو الوليد النيسابوري : حضرنا مجلس البوشنجي ، وسأله أبو علي الثقف عن مسألة ، فأجاب . فقال له أبو علي : يا أبا عبد الله ، كأنك تقول فيها بقول أبي عبيد . فقال : يا هذا لم يبلغ بنا التواضع أن نقول بقول أبي عبيد .

وقال ابن خزيمة ، وقد سئل عن مسألة بعد أن شيع جنازة أبي عبد الله : لا أفتي حتى تواريه لحده .

وكان البوشنجي جوادا سخيا ، وكان يقدم لسنانيه من كل طعام يأكله . وبات ليلة ثم ذكر السناني بعد فراغ طعامه ، فطبخ في الليل من ذلك الطعام وأطعمهم .

وقال السيد الجليل أبو عثمان سعيد بن إسماعيل : تقدمت يوما لأصافح أبا عبد الله البوشنجي ، تبرّكا به ، فقبض يده عني ، وقال : لست هناك .

(١) في المطبوعة : يملأ . ورسم الكلمة غير واضح في : ج ، د . والمثبت في تذكرة الحفاظ .

وقال الحسن بن يعقوب : كان مُقام أُنَى عبد الله بنيسابور على اللَّيْثِيَّة ، فلما انقضت أيامهم خرج إلى بُخارى ، إلى حضرة إسماعيل الأمير ، فالتمس منه بعد أن أقام عنده برهة أن يكتب أرزاقه بنيسابور .

قلتُ : اللَّيْثِيَّة : يعقوب بن الليث الضُّفَّار ، وأخوه عمرو ، وذووهما ، ملكوا فارس متغلبين عليها ، وبلغتُ بهما تنقلات^(١) الأحوال إلى أن بلغا درجة السلطنة بعد الصَّنعة في الصُّفَر^(٢) ، وجرت لهم أمور يطول شرحها .

وقال الحاكم : سمعتُ الحسين بن الحسن الطُّوسِيَّ ، يقول : سمعتُ أبا عبد الله البُوشَنجِيَّ ، يقول : أخذتُ من اللَّيْثِيَّة سبعمائة ألف درهم .

قيل : مات أبو عبد الله البُوشَنجِيَّ في غرة المحرم ، سنة إحدى وتسعين ومائتين . وقيل : بل سلخ ذى الحجة ، سنة تسعين ، ودفن من الغد . وهو الأشبه عندى . وصلى عليه إمام الأئمة ابن خزيمة .

ومولده سنة أربع ومائتين .

(ومن الرواية عنه)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذا خاصا ، أخبرنا محمد بن عبد السلام ، وأحمد ابن هبة الله ، وزينب بنت كِنْدِيَّ^(٣) قراءة ، عن المؤيد الطُّوسِيَّ ، أن أبا عبد الله الفَرَاوِيَّ أخبره ، وعن عبد المعز الهَرَوِيَّ أن تميما المؤدَّب أخبره ، وعن زينب الشَّعْرِيَّة ، أن إسماعيل بن أبي قاسم^(٤) أخبرها ، قالوا : أخبرنا عمر بن أحمد بن مسرور ، أخبرنا إسماعيل بن نُجَيْد الزاهد ، سنة أربع وستين وثلاثمائة ، حدثنا محمد بن إبراهيم البُوشَنجِيَّ ، حدثنا رَوْح بن صلاح المِصْرِيَّ ، حدثنا موسى بن عَلِيٍّ^(٥) بن رباح ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « الْحَسَدُ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ

(١) في المطبوعة : تقلبات . والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : بعد الضبيعة في الصغر . والمثبت من : ج ، د . والصفر : النحاس .

(٣) انظر القاموس (ك ن د) . وانظر هذه الرواية في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٨ .

(٤) في المطبوعة : القاسم . والمثبت من : ج ، د .

(٥) انظر المشتبه ٤٦٩ .

وَحَرَّمَ حَرَامَهُ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَوَصَلَ مِنْهُ أَقْرَبَاءَهُ وَرَحِمَهُ ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ - تمنى أن يكون مثله - وَمَنْ تَكُنْ فِيهِ أَرْبَعٌ فَلَا يَضُرُّهُ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنَ الدُّنْيَا : حُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعَقَافٌ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحِفْظُ أَمَانَةٍ .

أخبرنا المُسْنِدُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرَاغِيّ ، بقراءتي عليه ، أخبرنا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبُخَارِيِّ إِجَازَةً ، أخبرنا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سُكَيْنَةَ ، كِتَابَةً ، عَنْ زَاهِرِ بْنِ طَاهِرٍ ، عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي عِثْمَانَ الصَّابُونِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، سَمَاعًا عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي نَصْرٍ الدَّائُودِيُّ^(١) بِمَرٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنَجِيُّ بِمَرٍّ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْفَزَارِيُّ ، كُوفِيٌّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ أَبِي قُرَّةٍ ، قَالَ : لَمَّا أَصَابَ امْرَأَةً الْعَزِيزِ الْحَاجَةَ ، قِيلَ لَهَا : لَوْ أَتَيْتِ يُوسُفَ . فَاسْتَشَارَتْ فِي ذَلِكَ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَخَافُ [عَلَيْكَ]^(٢) قَالَتْ : كَلَّا ، إِنِّي لَا أَخَافُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَرَأَتْهُ فِي مَلَكَةٍ ، قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجْعَلُ الْعَبِيدَ مَلُوكًا بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجْعَلُ الْمُلُوكَ عَبِيدًا بِمَعْصِيَتِهِ .

قَالَ : فَتَزَوَّجَهَا فَوَجَدَهَا بِكَرًا ، فَقَالَ : أَلَيْسَ هَذَا أَحْسَنَ ، أَلَيْسَ هَذَا أَجْمَلَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي ابْتَلَيْتُ بِكَ بِأَرْبَعٍ : كُنْتُ أَجْمَلُ أَهْلَ زَمَانِكَ ، وَكُنْتُ أَجْمَلُ أَهْلَ زَمَانِي ، وَكُنْتُ بِكَرًا ، وَكَانَ زَوْجِي عَيْنِي .

قَالَ : وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْإِخْوَةِ مَا كَانَ ، كَتَبَ يَعْقُوبُ إِلَى يُوسُفَ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُوسُفُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَزِيزِ آلِ فِرْعَوْنَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ مُوَلَّعٍ بِنَا أَسْبَابُ الْبَلَاءِ ، كَانَ جَدِّي إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ أُلْقِيَ فِي النَّارِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ ، فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَدِّي أَنْ يَذْبَحَ أَبِي ، فَفَدَاهُ اللَّهُ بِمَا فَدَاهُ بِهِ ، وَكَانَ لِي ابْنٌ وَكَانَ مِنْ

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : الدَّارِبَرْدِيُّ . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ : ج ، د .

(٢) سَاقَطَ مِنْ : ج .

أحب الناس إليّ ، ففقدته فأذهب حزني عليه نورَ بصرى ، وكان لى آخر من أمه ، كنت إذا ذكرته ضمّته إلى صدرى ، فأذهب عني بعضَ وجدى ، وهو المحبوس عندك فى السرقة ، وإنى أخبرك أنى لم أسرق ، ولم ألد سارقاً^(١) . فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح ، فقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ اِنِ يَأْتِ بِصِيرًا ﴾^(٢) .

(ومن شعره)

قال أبو عثمان الصّابُونى : أنشدنى أبو منصور بن حمّشاد^(٣) ، قال : أنشدت لأبى عبد الله البوشنجى فى الشافعى ، رضى الله عنه :

وَمِنْ شُعْبِ الْإِيْمَانِ حُبُّ ابْنِ شَافِعٍ وَفَرَضُ أَكِيْدٍ حُبُّهُ لَا تَطْوُعُ
وَإِنِ حَيَاتِي شَافِعِيٌّ وَإِنْ أَمْتُ فَتَوْصِيَّتِي بَعْدِي بِأَنْ تَتَشَفَّعُوا^(٤)

● ذكر الحاكم بسنده إلى أبى عبد الله البوشنجى ، حدثنا عبد الله بن يزيد الدمشقى ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : رأيت فى المقسلاط^(٥) ، وهو موضع بسوق الدقيق من دمشق صنما من نحاس ، إذا عطش نزل فشرب . قال البوشنجى : ربما تكلمت العلماء على قدر فهم الحاضرين تأديبا وامتحانا ، فهذا الرجل ابن جابر أحد علماء الشام ، ومعنى كلامه أن الصنم لا يعطش ، ولو عطش لنزل فشرب ، فنفى عنه النزول والعطش .

قلتُ : لكن قوله : « إذا عطش » قد ينازع فى هذا ؛ فإن صيغة « إذا » لا تدخل إلا على المتحقق ، فلا بد وأن يكون صدور العطش والنزول منه متحققا ، وإلا فلا يصح الإتيان بصيغة إذا ، ولو كانت العبارة « إن » لم يكن اعتراض ، والحاصل أن الممتنع إذا فُرِضَ جائزا ترتب عليه جواز ممتنع آخر ، وقد ظُرف القائل :

(١) فى المطبوعة : ولم ألد ولدا سارقا . والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة يوسف ٩٣ .

(٣) ترجمة المصنف فى الطبقة الثالثة وسماه محمد بن عبد الله . وراجع تاج العروس (ح م ش د) ٢ / ٣٤١ .

(٤) فى ج ، د : فوصيتى ، والمثبت فى المطبوعة ، والوزن بها أتم . وفى رواية على هامش د : فوصيتى للناس أن يتشفعوا .

(٥) فى المطبوعة : المسلاط . والمثبت من : ج ، د ، والطبقات الوسطى .

ولو أن ما بي من ضئى وصباية على جميل لم يدخل النار كافر

فإن معناه : لو كان ما بي من الصباية بالجميل لضعف ورق وصار بحيث يلج في سم الخياط ، ولو ولج^(١) في سم الخياط لدخل الكافر الجنة ، على ما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾^(٢) ولو دخل الجنة لم يدخل النار ، فوضح أن ما بي من الحب لو كان بالجميل لم يدخل النار كافر .

● وأبو عبد الله البوشنجي هو الناقل : أن الربيع ذكر أن رجلا سأل الشافعي عن خالف قال : إن كان في كمي دراهم أكثر من ثلاثة فعبدي حر . فكان فيه أربعة ، لا يعتق ؛ لأنه استثنى من جملة ما في يده دراهم وهو جمع ، ودرهم لا يكون دراهم . فقال السائل : آمنت بمن فوهك هذا^(٣) العلم . فأنشأ الشافعي يقول :

إذا المضطلات تصدّينني كشفت حقائقها بالنظر

الآيات التي سقناها في الباب المعقود ليسير من نظم الشافعي ، رضى الله عنه .

(وهذه فوائد ونخب عن أبي عبد الله رحمه الله)

● قال الحاكم : أخبرني أبو محمد بن زياد ، حدثنا الحسن بن علي بن نصر الطوسي ، قال : سمعت أبا عبد الله البوشنجي بسمرقند ، وسأله أعرابي ، فقال له : أي شيء القرطبان ؟ قال : كانت امرأة في الجاهلية يقال لها : أم أبان ، وكان لها قرطب ، والقرطب : هو السدر ، وكان لها تيس في ذلك القرطب ، وكانت تنزى تيسها بدرهمين ، وكان الناس يقولون : نذهب إلى قرطب أم أبان تُنزى تيسها على مغزانا . فكثر ذلك ؛ فقالت العامة : قرطبان^(٤) .

قلت : وهذه التثنية مما جاء على خلاف الغالب ، فإن التثنية عند العرب جعل الاسم

(١) في المطبوعة : دخل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة الأعراف ٤٠ .

(٣) في المطبوعة ، د : بهذا . والمثبت من : ج . وفوهه العلم : أنطقه به .

(٤) نقل الزبيدي مقالة ابن السبكي في تاج العروس (ق ر ط ب) ١ / ٤٢٧ ، عن الطبقات .

القابل دليل اثنين متفقين في اللفظ غالبا ، وفي المعنى على رأى ، بزيادة ألف في آخره رفعا ، وياء مفتوح ما قبلها جرا ونصبا ، يليهما نون مكسورة ، فتحها لغة ، وقد تُضم ، والحرثيون يُلزمون الألف . قال النحاة : فمتى اختلفا في اللفظ لم يجز تثنيتهما ، وما ورد من ذلك يُحفظ ولا يقاس عليه .

قال شيخنا أبو حَيَّان : والذي ورد من ذلك إنما رُوِيَ فيه التغليب ، فمن ذلك : القمران ؛ للشمس والقمر .

والمُعمران ؛ لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما .

والأبوان ؛ للأب والأم ، وفي الأب والخالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ^(١) .

والأمان ؛ للأُم والجدة .

والزَّهْدَمَان ؛ في زَهْدَم وكَرْدَم ابني قيس .

والمُعمران ؛ لعُمرو بن حارثة ، وزيد بن عمرو .

والأَحْوصَان ؛ الأحوص بن جعفر ، وعمرو بن الأحوص .

والمُصْعَبَان ؛ مُصْعَب بن الزبير ، وابنه .

والبَحِيرَان ^(٢) ؛ بَحِير وفِرَاس ابنا عبد الله بن سَلَمَة .

والحُرَّان ؛ الحر ، وأخوه . أُبَي ^(٣) .

والمُعْجَاجَان ؛ في العَجَّاج ، وابنه . هذا جميع ما أورده شيخنا في « شرح

التسهيل » .

ورأيت الأخ ، سيدى الشيخ الإمام أبا حامد ، سلمه الله ، ذكر في « شرح

التلخيص » في المعانى والبيان ما ذكره أبو حَيَّان ، وزاد فقال :

والخافِقَان ؛ للمغرب ، والمشرق ، وإنما الخافق حقيقة اسم للمغرب ، بمعنى

مخفوق فيه .

والبَصْرَتَان ؛ للبصرة ، والكوفة .

والمَشْرِقَان ؛ للمشرق ، والمغرب .

(١) سورة يوسف ١٠٠ .

(٢) في الأصول : « والبجيران بحير وفارس » والتصحيح من تهذيب إصلاح المنطق ٨٢٩ ، والمخبر ١٣٩ ، والتاج

(بحر) .

(٣) في ج ، د « رؤية » ولم يأت في المطبوعة . وأثبتنا « أُبَي » من إصلاح المنطق ٤٠١ ، وتهذيبه . أما « رؤية »

فحقها أن تكون في السطر التالى بعد « وابنه » .

والمَغْرِبَان ؛ لهما أيضًا .

والْحَنِيفَان ؛ الحنيف ، وسيف ابنا أوس بن حِمَيْرٍ .

والأَقْرَعَان ؛ الأقرع بن حابس ، وأخوه مَزِيد .

والطُّلَيْحَتَان ؛ طليحة بن خُوَيْلِدِ الأَسَدِيِّ وأخوه حِبَال^(١) .

والخُزَيْمِيَّان^(٢) والرَّيْبِيَّان ؛ خُزَيْمَةُ وربيبة ، من باهلة بن عمرو .

فهذا مجموع ما ذكره الشيخ والأخ . وفاتهما :

القرطبان ، كما عرفت .

والدُّخْرُضَان ؛ اسم للماءين ، يقال لأحدهما : الدُّخْرُضُ ، وللآخر : وَسِيعٌ ، قال

الشاعر^(٣) :

شَرِبْتُ بَمَاءِ الدُّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زُرَّاءَ تَنْفُرٍ عَنْ حِيَاظِي الدَّيْلَمِ

وَالْأَسْوَدَانِ ؛ للتمر ، والماء . قال عليه السلام : « الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ » .

وَالْفَمَانِ ؛ للقم ، والأنف . ذكره الشيخ جمال الدين ابن مالك .

وَالْأُخْوَانِ ؛ لأخ ، وأخت .

وَالْأَذَانَانِ ؛ الأذان ، والإقامة ، وقال عليه السلام : « بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ » أجمعوا أن

المراد به الأذان والإقامة .

وَالْجَوْنَانِ ؛ معاوية ، وحسَّان ابنا الجَوْنِ الكِنْدِيِّانِ . ذكره أبو العباس المبرِّد في

أوائل « الكامل » بعد نحو خمس كراريس منه ، وأنشد [عليه]^(٤) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا وَعَمَرُو بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ وَالصَّفَا وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

وَالْعَاشِقَانِ ؛ اسم للعاشق ، والمعشوق . وعليه قول العَبَّاسِ بن الأحنف^(٥) :

(١) القاموس (ح ب ل) .

(٢) في المطبوعة : والخزيمان . والمثبت من : ج ، د .

(٣) البيت لعنترة . اللسان (د ح ر ض) ٧ / ١٤٩ .

(٤) زيادة من : ج ، د . والبيتان في الكامل ١ / ١٩٤ .

(٥) في المطبوعة ، د بعد هذا زيادة : حيث يقول . والأبيات في ديوانه ٢٨ .

العاشقان كلاهما مُتغَضِّبٌ وكلاهما مُتَوَجِّدٌ مُتَحَبِّبٌ^(١)
 صَدَّتْ مُغَاضِبَةٌ وَصَدَّ مُغَاضِبًا وكلاهما مما يُعَالَجُ مُتَعَبٌ^(٢)
 راجعُ أَحَبَّتِكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمُتَيْمِّمَ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
 إِنَّ التَّبَاعِدَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمَا دَبَّ السُّلُوكُ لَهُ فَعَزَّ الْمَطْلَبُ^(٣)

أراد بالعاشقين : الخليفة ، وواحدة من حظاياه ، كان وقع بينه وبينها شتآن فتهاجرا ، فحدّث العباس في ذلك ، فأنشده هذه الأبيات ، فقام إليها وصالحها .
 والأنفان ، اسم للأنف ، والفم . ذكره ، وأنشد عليه :

إِذَا مَا الْغَلَامُ الْأَحْمَقُ الْأُمُّ سَافَنِي بِأَطْرَافِ أَنْفِيهِ اشْمَازُ فَأَنْزَعَا^(٤)

واعلم أن شيخنا أبا حَيَّان استشهد على أن القمرين اسم لأبي بكر وعمر بقول الشاعر^(٥) :

مَا كَانَ يُرْضَى رَسُولَ اللَّهِ فَعُلُهُمُ والعمران أبو بكر ولا عمرُ
 وَأَنَا مَا أَحْفَظُ هَذَا الْبَيْتَ إِلَّا : « وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ » والوزن به أتم .
 واستشهد على أن القمرين اسم للشمس والقمر بقول الفَرَزْدَقِ^(٦) :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالُغُ
 وكان الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يقول : إنما أراد بالقمرين : النبي ﷺ ،
 وإبراهيم عليه السلام ، وبالنجوم الصحابة ، وهذا ما ذكره ابن الشَّجَرِيِّ في
 « أماليه »^(٧) .

ورأيت في ترجمة هارون الرشيد ، أنه سأل مَنْ حضر مجلسه عن المراد بالقمرين في
 هذا البيت ، فأجاب بهذا الجواب . نعم أنشد ابن الشَّجَرِيِّ على القمرين للشمس
 والقمر قول المتنبي^(٨) :

وَاسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَيْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

(١) في الديوان : متشوق متطرب .

(٢) في الديوان : صدت مراغمة وصد مراغما .

(٣) في الديوان : إن التجنب .

(٤) في ج ، د : استمر . والمثبت في المطبوعة . وساف الشيء . شمه .

(٥) جري . ديوانه ١٥٩ ، بالرواية التي يحفظها المصنف . وهو برواية التغليب في الكامل ١٨٧ ، وغيره .

(٦) ديوانه ٥١٩ ..

(٧) في الجزء الأول ١٤ .

(٨) ديوانه ١٠٨ .

● وقال أبو عبد الله البوشنجي ، في قوله ﷺ : « الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ » ثلاثا ، البَذَاذَةُ خلاف البَذَاذَةِ ، إنما البَذَاذَةُ طول اللسان برمي الفواحش والبهتان ، يقال : فلان يَذِي اللسان . والبَذَاذَةُ : رثاء الثياب في الملابس والمفرش ، وذلك تواضع عن رفيع الثياب ، وهي ملابس أهل الزهد .

وقال الحاكم : حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ، حدثنا أبو عبد الله البوشنجي ، حدثنا الثَّقَلَيْنِ ، حدثنا عِكْرِمَةُ بن إبراهيم الأزدِي ، قاضي الرِّي ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن موسى بن طلحة ، قال : ما رأيت أخطبَ من عائشة ، ولا أعرب ، لقد رأيتها يوم الجمل ، وثار إليها الناس ، فقالوا : يا أم المؤمنين ، حدثينا عن عثمان وقتله . فاستجلست الناس ، ثم حمدت الله وأثنت عليه ، ثم قالت : « أما بعدُ ، فإنكم تَقْمَتُم على عثمان خِصَالاً ثلاثا : إمرة الفتى ، وضَرْبَةُ السَّوْطِ ، وموقع الغمامة الْمُحَمَّاة ، فلما أَعْتَبْنَا منهن مُصْتَمُوهُ مَوْصٍ الثوب بالصابون ، عَدَوْتُم به الْفُقَرُ الثلاث ، عَدَوْتُم به حُرْمَةُ الشهر الحرام ، وحُرْمَةُ البلد الحرام ، وحُرْمَةُ الخلافة . والله لَعَثْمَان كان أَتَقَامُك للرب ، وأوصلكم للرحم ، وأحصنكم فَرْجَا ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

قال الحاكم : سمعت أبا زكريا العنبري ، وأبا بكر محمد بن جعفر ، يقولان : سمعت أبا عبد الله البوشنجي ، يقول في عقب هذا الحديث : أما قولها : « إمرة الفتى » فإن عثمان ولَّى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ؛ لقربته منه ، وعزل سعد بن أبي وقاص .

وأما قولها : « ضَرْبَةُ السَّوْطِ » فإن عثمان تناول عَمَّار بن ياسر ، وأبا ذَرٍّ ببعض التَّقْوِيم ، كما يُودب الإمام رعيته .

وأما قولها : « موقع الغمامة المحمَّاة » فإن عثمان حَمَى أحماء في بلاد العرب لإبل الصدقة ، وقد كان عمر حمى أحماء أيضًا كذلك ، فلم ينكر الناس ذلك على عمر .

فهذه الثلاث التي قالتها عائشة ، فلما استعبوه منها أَعْتَبَهُم ، ورجع إلى مُرَادِهِم ، وهو قولها : « مُصْتَمُوهُ مَوْصٍ الثوب بالصابون » والمَوْصُ : هو الغسل ، والفُقَرُ : الْفُرُصُ^(١) ،

(١) روى ابن منظور عن أبي الهيثم قال : الفقرات هي الأمور العظام ، جمع فقرة بالضم كما قيل في قتل عثمان رضي الله عنه : استحلوا فقر الثلاث . اللسان (ف ق ر) ٦٤ / ٥ . وقيل : هي الْفُقَرُ ، جمع فقرة ، بكسر القاف ، وهي تَحَزَّات الظهر . النهاية ٣ / ٤٦٣ .

يقال : أفقر الصيد إذا وجد الصائد فرصته ، وكان عثمان آمنا أنهم لا يفتنون عليه في الشهر الحرام ، وأنهم لا يستحلون حرم رسول الله ﷺ ؛ وهى المدينة ، وكانت الثالثة حرمة الخلافة .

قلت : ومع هذا لم يشر الشاعر فى قوله^(١) :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحَرَّمًا ودعا فلم أر مثله مخدولا

إلى شىء من الحرمات الثلاث ، ولا حرمة الإحرام ؛ فإن عثمان لم يكن أحرم بالحج ، وإنما أراد - على ما ذكر الأصمعى - أنه لم يكن أتى مُحَرَّمًا يُحِلُّ عقوبته ، كما سنذكره عن الأصمعى إن شاء الله تعالى ، فى ترجمة أبى نصر أحمد بن عبد الله الثائبي^(٢) البخارى فى الطبقة الرابعة .

وقولنا فى سياق هذا السند : سمعت أبَا زكريا وأبا بكر ، يقولان : سمعت أبَا عبد الله ، كذا هو فى « مقتضب تاريخ نيسابور » للحافظ أبى بكر الحازمى بخطه ، وقد كتب كما رأيته بخطه فوق سمعت « صح » وقد أجاد ؛ فإنه حاك عن اثنين قولهما ، فكل منهما يقول سمعت ، فافهمه فهو دقيق .

ويشبه هذا الأثر عن عائشة رضى الله عنها فى اجتماع كثير من غريب اللغة فيه ، حديث زَبَّان بن قيسور الكلفى ويقال : زَبَّان^(٣) بن قسور ، قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وهو نازل بوادى الشَّوْحَط^(٤) . وهو عند إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن زَبَّان . وهو حديث ضعيف الإسناد ، ليس دون إبراهيم بن سعد مَنْ يُحْتَجُّ به .

(١) البيت للراعى التميمى ، وقد ذكر ابن الأثير لـ « محرما » معنى آخر ، هو صائم ، وأنشد عليه بيت الراعى .
النهاية ١ / ٣٧٢ . وهو فى ديوانه ١٤٤ .

(٢) يفتح التاء المثلثة وبعد الألف باء موحدة وفى آخرها التاء ثالث الحروف ، هذه النسبة إلى الجد . اللباب ١ / ١٩١ .

(٣) فى المطبوعة : حديث ريان بن قيسور الكلفى . ويقال زيان بن قيسور ، والمثبت من : ج - ضبط قلم - ، د . وفى الإصابة ٣ / ٣ : زيان - يفتح أوله وتشديد الباء الموحدة ثم نون ، ويقال براء بدل النون - ورجحه عبد الغنى - بن قيس ، ويقال قيسور الكلبى .

(٤) الشوحت : شجر تتخذ منه القسي ، ينبت فى حضيض الجبل . القاموس (ش ح ط) .

وقد ساقه السُّهَيْلِيُّ في « الروض الأنْف »^(١) بدون إسناد .
ونحن نرى^(٢) أن نذكر حديث زَبَّان بن قيسور ، فإن ابن الأثير لم يذكره في
« نهاية غريب الحديث » مع شدة تفحصه ، فنقول :
عن زَبَّان بن قيسور رضى الله عنه ، قال : رأيت النبي ﷺ ، وهو نازل بوادى
الشَّوْحَط ، فكلَّمته ، فقلت : يا رسول الله ، إن معنا لُوبًا ، كانت في عَيْلَم ،
لنا به طِرمٌ وشَمْعٌ^(٣) ، فجاء رجل فضرب مَيِّتَيْنِ فَأَنْتَجَ حَيًّا ، وكَفَّنَه بِالثَّمَام ،
وَنَحَسَه ، فطار اللُّوب هاربا ، ودَلَّى^(٤) مِشْوَارُهُ في الْعَيْلَم ، فاشتار
العسل ، فمضى به . فقال رسول الله ﷺ : « مَلْعُونٌ ، مَلْعُونٌ مَنْ سَرَقَ شَرَوْ قَوْمٍ
فَأَضَرَّ بِهِمْ . أَفَلَا تَبْعُثُمُ أَثَرَهُ ، وَعَرَفْتُمُ خَبْرَهُ ! » قال : قلت يا رسول
الله : إنه دخل في قوم لهم مَنعة ، وهم جِيرَتُنَا^(٥) من هُذَيْل . فقال رسول الله ﷺ :
« صَبْرَكَ ، صَبْرَكَ ، تَرِدُ نَهْرَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ سَعَتَهُ كَمَا بَيْنَ اللَّقِيْقَةِ
وَالسُّحَيْقَةِ ، يَتَسَبَّبُ جَرِيًّا بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَدَاهُ ، مَا تَقْيَاهُ لُوبٌ ، وَلَا
مَجَهٌ نُوبٌ » حديث غريب .

وكان ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، فيخاطب كل قوم بلغتهم .
« واللُّوب » بضم اللام وسكون الواو : النحل . قاله السُّهَيْلِيُّ ، وحكاه
ابن سيده في « المحكم » وأغفله الجَوْهَرِيُّ ، والأزْهَرِيُّ .
و « الْعَيْلَم » بفتح العين المهملة وسكون آخر الحروف ، قال السُّهَيْلِيُّ : هى
البئر ، وأراد بها هنا وَقْبَةٌ^(٦) النحل أو الخلية ، وقد يقال لموضع النحل إذا
كان صَدْعًا في جبل : شَيْقٌ وجمعه شَيْقَانٌ^(٧) .

(١) ١٧٠ / ٢ .

(٢) في المطبوعة : نريد . والمثبت من : ج ، د .

(٣) في الأصول : سمع . والمثبت من السهيلي . والشمع معروف .

(٤) في الأصول : وولى . والتصويب من السهيلي .

(٥) في الروض الأنف : جيراننا .

(٦) في الأصول : وفيه . والتصويب من السهيلي . والوقبة : النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء . القاموس

(و ق ب) .

(٧) في الأصول : شقق وجمعه شققان . والتصويب من السهيلي .

و « الطَّرْم » بكسر الطاء المهملة وإسكان الراء : العسل عامة . قاله ابن سيده وغيره ، وحكى الأزهري عن الليث أنه الشَّهْد .

وقوله : « ف ضرب ميتين فاستخرج حيًّا » يريد أورى نارا من زندين ضربهما ، فهو من باب الاستعارة ، شبه الزناد والحجر بالميتين ، والنار التي تخرج منهما بالحي .

و « الثَّمَام » قال الجوهري : « نبت ضعيف ذو خوص ، وربما حُشِي منه أوسد به خصاص البيوت » . فمعنى قوله أنه كفنه بالثَّمَام : أنه ألقى ذلك النبت على النار التي أوراها ، حتى صار لها دخان ، وهو المراد بقوله « نَحَسه » قال السُّهيلي : يقال لكل دخان نُحَّاس^(١) ، ولا يقال إِيَام^(٢) إلا لدخان النحل خاصة ، يقال : آمَهَا يُوومُهَا إذا دَخَّنَهَا ، قاله أبو حنيفة .
ويقال : شار العسل يَشُورُهُ ويشْتَارُهُ ، إذا اجْتَنَاهُ مِنْ خَلَاياه ومواضعه .

و « المِشْوَار » الآلة التي يُقَطَف بها .
وقوله ﷺ : « مَنْ سَرَقَ شَرَوْ قَوْمٌ » كذا هو في أصل مُعْتَمَد بكسر الشين المعجمة وإسكان الراء وبعدها واو ، لم أجد هذه اللفظة في كتب اللغة^(٣) .
وكذلك قوله ﷺ عن نهر الجنة « سَعْتُهُ مَا بَيْنَ اللَّيْقَةِ وَالسُّحَيْقَةِ » وكأنهما اسم موضعين يعرفهما المُخَاطَب ، وألْفَيْتُهُمَا كذلك مضبوطين ، بضم أولهما .

وقوله ﷺ : « صَبْرَكَ ، صَبْرَكَ » أضمر فيه الفعل ، أى الزم صبرك ، وأغنى التكرار عن لزوم الفعل كما في التحذير .
و « يَتَسَبَّبُ » أى يجرى . قال الأزهري : يقال : سَبَسَبَ ، إذا سار سيرا ليِّنا ؛ فكأنه استعير لجرى النهر باللين .

و « الثُّوب » أيضا من أسماء النحل ، وهو بضم النون وإسكان الواو ، قال أبو ذؤيب^(٤) :

(١) في القاموس (ن ح س) بثليث النون ، وفي اللسان (ن ح س) ٢٢٧ / ٦ : بضم النون وقيل بكسرها .

(٢) في الأصول : أَمَام ، والتصويب من القاموس (أوم) .

(٣) في القاموس (ش ر و) : الشرو : العسل ، وبكسر .

(٤) البيت له في ديوان الهذليين ١ / ١٤٣ .

إِذَا لَسَعَتْهُ النُّحْلُ لَمْ يَرْجُ لِسْعَهَا وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ ثُوْبٍ عَوَاسِلٍ^(١)
أَي لَمْ يَخْفُ لِسْعَهَا .

قال أبو عُبيدة : سُمِّيَتْ ثُوْبًا ، لأنها تضرب إلى السواد .
ومن هذا المِهْجِ يقال له « باب المُعاياة » وصنف فيه الفقهاء فأكثرُوا :

● وَرَوَوْا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِأَبْنَى حَنيفَةٍ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ : إِنِّي لَا أَرْجُو الْجَنَّةَ ،
وَلَا أَخَافُ النَّارَ ، وَآكَلَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ، وَأَصْدَقَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وَأَبْغَضَ الْحَقَّ ،
وَأَهْرَبَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَأَشْرَبَ الْخَمْرَ ، وَأَشْهَدُ بِمَا لَمْ أَرَ ، وَأَحْبَبَ الْفِتْنَةَ ، وَأَصْلَى بَغَيْرِ
وَضُوءٍ ، وَأَتْرَكَ الْغَسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَأَقْتَلَ النَّاسَ ؟

فَقَالَ أَبُو حَنيفَةٍ لِمَنْ حَضَرَهُ : مَا تَقُولُ فِيهِ ؟
فَقَالَ : هَذَا كَافِرٌ .

فَتَبَسَّمَ ، وَقَالَ : هَذَا مُؤْمِنٌ . أَمَا قَوْلُهُ : لَا أَرْجُو الْجَنَّةَ ، وَلَا أَخَافُ النَّارَ ،
فَأَرَادَ : إِنَّمَا أَرْجُو وَأَخَافُ خَالِقَهُمَا .

وَأَرَادَ بِأَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ ، السَّمَكِ وَالْجَرَادِ ، وَالْكَبِدِ ، وَالطَّحَالِ .
وَبَقَوْلِهِ : أَصْدَقَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، قَوْلُ كُلِّ مِنْهُمْ : إِنَّ أَصْحَابَهُ لَيْسُوا عَلَى
شَيْءٍ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْهُمْ .

وَبَقَوْلِهِ : أَهْرَبَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ : الْهَرُوبَ مِنَ الْمَطَرِ .
وَيَقُولُهُ : أَبْغَضَ الْحَقَّ ، يَعْنِي الْمَوْتَ ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ لَا بَدَّ مِنْهُ .
وَبَشْرَبَ الْخَمْرَ ، شَرَبَهُ فِي حَالِ الْاضْطِرَارِ .

وَبِحَبِّ الْفِتْنَةِ ، الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ ﴾^(٢) .

وَبِالشَّهَادَةِ عَلَى مَا لَمْ يَرَ ، الشَّهَادَةَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَأَنْبِيَائِهِ ، وَرَسُولِهِ .

(١) فِي دِيْوَانِ الْهَذْلِيِّينَ : إِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبِيرُ . وَرَوَايَةٌ : وَخَالَفَهَا . وَفِي ج ، د : نَوْبَ عَوَامِلِ .

(٢) سُورَةُ التَّغَابُنِ ١٥ .

وبالصلاة بغير وضوء ولا تيمُّم ، الصلاة على النبي ﷺ .

وبترك الغسل من الجنابة ، إذا فقد الماء .

وبالناس الذين يقتلهم ، الكفار ، وهم الذين سماهم الله ﴿النَّاسَ﴾ في قوله : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (١) .

● وَرَوَى أَن مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ سَأَلَ الشَّافِعِيَّ عَنْ : خَمْسَةِ زَنَوْا بِامْرَأَةٍ ، فَوَجِبَ عَلَى وَاحِدِ الْقَتْلِ ؛ وَالْآخِرُ الرَّجْمُ ، وَالثَّالِثُ الْجَدُّ ، وَالرَّابِعُ نَصْفُ الْحَدِّ ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَى الْخَامِسِ شَيْءٌ .

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : الْأَوَّلُ ذِمِّيٌّ زَنَى بِمُسْلِمَةٍ ، فَانْتَقَضَ عَهْدُهُ ، فَيُقْتَلُ .

وَالثَّانِي زَانٍ مُّحْصَنٍ ، وَالثَّالِثُ بَكَرٍ حُرٍّ ، وَالرَّابِعُ عَبْدٌ ، وَالْخَامِسُ مُجْنُونٌ .

● وَرَوَى أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ : امْرَأَةٍ فِيهَا لَقْمَةٌ ؛ قَالَ زَوْجُهَا : إِنْ بَلَغَتْهَا فَأَنْتَ طَالِقٌ ، وَإِنْ أَخْرَجْتَهَا فَأَنْتَ طَالِقٌ . مَا الْحِيلَةُ ؟

قَالَ : تَبْلَعُ نَصْفَهَا ، وَتُخْرِجُ نَصْفَهَا .

وَأَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : حَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ لَا أَكَلِّمُ امْرَأَتِي قَبْلَ أَنْ تَكَلِّمَنِي . فَقَالَتْ : وَالْعِتَاقُ لَا زِمَ لِي لَا أَكَلِّمُكَ قَبْلَ أَنْ تَكَلِّمَنِي . فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟

فَقَالَ : اذْهَبْ فَكَلِّمِهَا ، وَلَا جُنْثَ عَلَيْكُمَا .

فَذَهَبَ إِلَى سَفِيَّانِ الثَّوْرِيِّ ، فَجَاءَ سَفِيَّانٌ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ مُغَضَّبًا ، فَقَالَ : أَتُبَيِّحُ

الْفُرُوجَ !

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَصَّ لَهُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : هُوَ كَذَا ؛ إِنَّهَا لَمَّا قَالَتْ لَهُ : إِنْ كَلِمَتُكَ فَعَلَلِي الْعِتَاقُ شَافَهْتُهُ بِالْكَلَامِ ، فَانْحَلَّتْ يَمِينُهُ ، فَإِذَا كَلِمَتُهَا بَعْدُ لَمْ يَقَعْ الطَّلَاقُ . فَقَالَ سَفِيَّانٌ : إِنَّكَ لَتَكْشِفُ مَا كُنَّا عَنْهُ غَافِلِينَ .

● وَعَنْ أَبِي يُونُسَ الْقَاضِي ، قَالَ : طَلَبَنِي هَارُونُ الرَّشِيدُ لَيْلًا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ إِذَا هُوَ جَالِسٌ ، وَعَنْ يَمِينِهِ عَيْسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لِي : إِنْ عِنْدَ عَيْسَى جَارِيَةٌ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَهْبِهَا لِي فَامْتَنَعَ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَبِيعَهَا فَامْتَنَعَ .

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

فقلتُ : وما منعك من بيعها ، أو هبتها لأمر المؤمنين ؟

فقال : إن عليّ يمينا أن لا أبيعها ولا أهبها .

فقال الرشيد : فهل [له] ^(١) في ذلك مخرج ؟

قلت : نعم ، يهبُ لك نصفها ، ويبيعُك نصفها ؛ فيكون لم يهبها ، ولم يبيعها .

قال عيسى : فأشهدك أني قد وهبتُك نصفها ، وبعْتُك نصفها .

فقال الرشيد بعد ذلك : أيها القاضي ، بقيت واحدة .

فقلت : وما هي ؟

فقال : إنها أمة ، ولا بد من استبرائها ، ولا بد أن أطلبها في هذه الليلة .

فقلتُ له : أعتقها ، وتزوجها ؛ فإن الحرّة لا تُستبرأ . ففعل ذلك ، فعقدتُ

عقدَه عليها ، وأمر لي بمال جزيل .

● وحضرت امرأة إلى أمير المؤمنين المأمون ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن أخي

مات وترك ستمائة دينار ، فلم أُعطَ إلا دينارا واحدا .

فقال : كأنى بك قد ترك أخوك زوجة ، وأما ، وبنيتين ، واثنتي عشرة أختا ،

وأنت .

فقالت : نعم ، كأنك حاضر .

فقال : أعطوكُ حقك ، للزوجة ثمنُ الستمائة ، وذلك خمسة وسبعون دينارا ،

وللأم السُّدُس ، وذلك مائة دينار ، وللبنيتين الثلثان ، وذلك أربعمائة دينار ، وللأختين

عشر أختا أربعة وعشرون دينارا ، ولك دينار واحد .

● وسئل القفال عن : بالغ عاقل مسلم ، هتك حرزا ، وسرق نصابا لا شبهة له

فيه بوجه ، ولا قطع عليه !

فقال : رجل دخل فلم يجد في الدار شيئا ، فقعد في دَنٍ . فجاء صاحب الدار

بمال ووضعه ، فخرج السارق وأخذه وخرج ، فلا يُقَطَّع ؛ لأن المال حصل بعد

هتك الحرز .

(١) زيادة من : ج ، د .

● وسئل بعض المشايخ عن : رجل خرج إلى السوق ، وترك امرأته في البيت ، ثم رجع فوجد عندها رجلا ، فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا زوجي ، وأنت عبدى ، وقد بعثك .

فقال الشيخ : هو عبدٌ زوجه سيده بابنته ، ودخل العبد بها ، ثم مات سيده ، ووقعت الفرقة ؛ لأنها ملكت زوجها بالإرث ، ثم إنها كانت حاملا ، فوضعت ، فانقضت العدة ، فتزوجت ، وباعت ذلك الزوج ؛ لأنه صار عبدها .

وسئل آخر عن : رجل نظر إلى امرأة أوّل النهار وهى حرام عليه ، ثم حلّت ضحوة ، وحرمت الظهر ، وحلّت العصر ، وحرمت المغرب ، وحلّت العشاء ، وحرمت الفجر ، وحلّت الضحى ، وحرمت الظهر !

فقال : هذا رجل نظر إلى أمة غيره بكرة ، واشتراها ضحوة ، وأسقط الاستبراء بحيلة فحلّت له ، وأعتقها الظهر فحرمت عليه ، فتزوجها العصر فحلّت ، فظاهر منها المغرب فحرمت ، فكفر عن يمينه العشاء فحلّت ، فطلّقها عند الفجر فحرمت ، فراجعها ضحوة فحلّت ، فارتدت الظهر فحرمت .

ولك أن تزيد ، فتقول : ثم حلّت العصر ، ثم حرمت المغرب حرمة مؤبّدة ؛ وذلك بأن تكون أسلمت العصر فبقيت على الزوجية ، ثم لاعنها المغرب .

● وسئل آخر عن : امرأة لها زوجان ، ويجوز أن يتزوجها ثالث ويطأها ! فقال : هذه امرأة لها عبدٌ وأمة ، زوجت أحدهما بالآخر ، فيصدق أنها امرأة لها زوجان . واللام في « لها » للملك ، وإذا جاء ثالث حر أراد نكاحها فله ذلك . ● وسئل آخر عن : رجل قال لامرأته ، وهى في ماء جارٍ : إن خرجت من هذا الماء فأنت طالق ، وإن لم تخرجي فأنت طالق .

فقال : لا تطلّق ، خرجت أو لم تخرج ؛ لأنه جرى وانفصل . نقله الرافعى في « فروع الطلاق » .

● وسئل آخر عن : رجل تكلم كلاما في بغداد ، فوجب على امرأة^(١) بمصر أن تعيد صلاة سنة !

(١) فى : ج ، د : امرأته . والمثبت من المطبوعة .

فقال : هذه جاريته ، أعتقها ببغداد ، وهي بمصر ، ولم يبلغها الخبر إلا بعد سنة ، وكانت تصلى مكشوفة الرأس ، فإذا بلغها الخبر ، يجب عليها إعادة الصلاة ؛ لأن صلاة الحرة مكشوفة الرأس لا تصح .

● وفي « الرافعي » في رجل قال لامرأته : إن لم أقل لك مثل ما تقولين لي في هذا المجلس فأنت طالق . فقالت^(١) : أنت طالق . إن الحيلة في عدم وقوع الطلاق أن يقول : أنتِ تقولين أنتِ طالق .

قلتُ : وفيه نظر ، فإن صيغتها « أنت » بفتح التاء ، وصيغته « أنتِ » بكسرها إذا أراد خطابها بالطلاق فقد يقال : يقول كما قالت : « أنتِ طالق » بفتح التاء ، ولا يقع الطلاق ؛ لأنه خطاب المذكر ، فلعلها قالت له : « أنتِ طالق » بكسر التاء .

٤٩

محمد بن إدريس بن المُنذر بن داود بن مِهْران ، العَطْفَانِي
الْحَنْظَلِي ، أبو حاتم الرَّازِي*

أحد الأئمة الأعلام .

ولد سنة خمس وتسعين ومائة .

سمع عُبيد الله بن موسى ، وأبا نُعَيْم ، وطبقتهما بالكوفة .

ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، والأصمعي ، وطبقتهما بالبصرة .

وعفان ، وهُوَذَة بن خليفة^(٢) ، وطبقتهما ببغداد .

وأبا مُسْهِر ، وأبا الجُمَاهِر محمد بن عثمان^(٣) ، وطبقتهما بدمشق .

(١) في المطبوعة : فقالت له .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٧٣ / ٢ ، تهذيب التهذيب ٣١ / ٩ ، شذرات الذهب ١٧١ / ٢ ، تذكرة الحفاظ ١٣٢ / ٢ ، طبقات القراء ٩٧ / ٢ ، المعبر ٥٨ / ٢ . مقدمة الجرح والتعديل ٣٤٩ - ٣٧٢ ، ٧ / ٢٠٤ .

(٢) في المطبوعة ، د : هودة . والمثبت من : ج ، والطبقات الوسطى ، تاريخ بغداد ، تذكرة الحفاظ ، وفي تهذيب التهذيب : هُوَذَة بن خالد .

(٣) هو كذلك في تهذيب التهذيب ٣٣٩ / ٩ ، وفي المعبر ١ / ٣٩٢ : محمد بن عمر .

وأبا اليمان ، ويحيى الوُحَاظِي ، وطبقتهما بِمُحْصَ .

وسعيد بن أبي مريم ، وطبقته بمصر .

وخلقًا بالنواحي ، والثغور .

وتردد في الرحلة زمانا . قال ابنه : سمعتُ أبي يقول : أول سنة خرجتُ في طلب الحديث أقمتُ سبع سنين ، أحصيتُ ما مشيتُ على قدمي زيادة على ألف فرسخ ، ثم تركتُ العدد بعد ذلك ، وخرجتُ من البحرين إلى مصر ماشيا ، ثم إلى الرملة ماشيا ، ثم إلى دمشق ، ثم إلى أنطاكية ، ثم إلى طرسوس ، ثم رجعت إلى حِمص ، ثم منها إلى الرقة ، ثم ركبتُ إلى العراق ، كل هذا وأنا ابن عشرين سنة .

حدّث عنه من شيوخه الصُّغار^(١) : يونس بن عبد الأعلى ، وعَبْدَةُ بن سليمان المَرْوَزِي ، والربيع بن سليمان المُرَادِي .

ومن أقرانه : أبو زُرْعَةَ الرَّازِي ، وأبو زُرْعَةَ الدمشقي .

ومن أصحاب السُّنَنِ : أبو داود ، والنسائي ، وقيل : إن البخاري ، وابن ماجه روى عنه ، ولم يثبت ذلك .

وروى عنه أيضًا : أبو بكر بن أبي الدنيا ، وابن صاعد ، وأبو عَوَانة ، والقاضي المَحَامِلِي ، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القَطَّان ، صاحب ابن ماجه ، وخلق كثير .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : قال لي موسى بن إسحاق القاضي : ما رأيت أحفظ من والدك .

وقال أحمد بن سلمة الحافظ : ما رأيت بعد إسحاق بن رَاهُوِيه ، ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث من أبي حاتم ، ولا أعلم بمعانيه .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت يونس بن عبد الأعلى ، يقول : أبو زُرْعَةَ ، وأبو حاتم إماما حُرَّاسَان ، بقاءُهما صلاحٌ للمسلمين .

(١) في المطبوعة : الصفار ويونس ، وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د ، والطبقات الوسطى .

وقال ابن أبي حاتم : سمعتُ أبي يقول : قلتُ على باب أبي الوليد^(١) الطَّيَالِسِيُّ : مَنْ أَغْرَبَ عَلَيَّ حَدِيثًا صحيحًا^(٢) ، فله درهم ، وكانَ ثَمَّ خَلْقٌ : أَبُو زُرْعَةَ ، فَمَنْ دُونَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِرَادِي أَنْ يُلْقَى عَلَيَّ مَا لَمْ أَسْمَعْ بِهِ ، فَيَقُولُونَ : هُوَ عِنْدَ فُلَانٍ . فَأَذْهَبَ وَأَسْمَعَهُ ، فَلَمْ يَتَّيِّأْ لِأَحَدٍ أَنْ يُعْرِبَ عَلَيَّ حَدِيثًا .

وسمعتُ أبي يقول : كان محمد بن يزيد الأسفَاطِيُّ^(٣) قد وَلَعَ بالتفسير ، وبحفظه ، فقال يوماً : ما تحفظون في قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلُوا فِي الْبِلَادِ ﴾^(٤) .

فسكتوا ، فقلتُ : حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : ضربوا في البلاد^(٥) .

وسمعتُ أبي يقول : قدم محمد بن يحيى النِّسَابُورِيُّ الرَّيِّ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدِيثًا مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، فَلَمْ يَعْرِفْ مِنْهَا إِلَّا ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ^(٦) .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله : إِنَّمَا أَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي مَعْرِفَةِ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، قَدْ جَمَعَهُ ، وَصَنَفَهُ ، وَتَبَّعَهُ ، حَتَّى كَانَ يُقَالُ لَهُ الزُّهْرِيُّ .

قال : وسمعتُ أبي يقول : بقيتُ بالبصرة سنة أربع عشرة^(٧) ثمانية أشهر ، فجعلتُ أبيع ثيابي حتى نفدتُ ، فمضيتُ مع صديق لي أدور على الشيوخ فأنصرف رفيقي بالعشي ، ورجعتُ فجعلتُ أشرب الماء من الجوع ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ ، فَعَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي ، فَطُفْتُ مَعَهُ

(١) في المطبوعة ، ج : قلت لأبي الوليد ، وفي د : قلت على باب الوليد . والمثبت من تاريخ بغداد ، مقدمة الجرح والتعديل ٣٥٥ .

(٢) في تاريخ بغداد ، تهذيب التهذيب : من أغرب على حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله درهم .

(٣) في المطبوعة ، د : الأسفَاطي ، وفي ج بدون إعجام . والمثبت من مقدمة الجرح والتعديل ٣٥٧ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٥٢٥ ، وهو بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء وبعد الألف الساكنة طاء مهملة ، نسبة إلى بيع الأسفَاط وعملها . اللباب ١ / ٤٣ .

(٤) سورة ق ٣٦ .

(٥) في مقدمة الجرح والتعديل ٣٥٧ ، زيادة : « فاستحسن » .

(٦) في مقدمة الجرح والتعديل ٣٥٨ زيادة : « وسائر ذلك لم يكن عنده ولم يعرفها » .

(٧) في المطبوعة : سنة وثمانية أشهر ، والتصويب من : ج ، د ، وتقدمة الجرح والتعديل ٣٦٣ ، وفيها زيادة : « سنة أربع عشرة ومائتين » .

على جوع شديد ، وانصرفْتُ جائعًا ، فلما كان من الغد غدا عليّ^(١) ، فقلتُ : أنا ضعيفٌ لا يمكننى .

قال : ما بك ؟

قلتُ : لا أَكْتُمُكَ ، مضى يومان ما طَعِمْتُ فيهما شيئًا .

فقال : قد بقى معى دينار ، فنصفه لك ، ونجعل النصف الآخر فى الكراء .

فخرجنا من البصرة ، وأخذت منه نصف الدينار .

سمعت أئى يقول : خرجنا من المدينة من عند داود الجعفرى ، وصرنا إلى الجار^(٢) ، فركبنا البحر ، فكانت الريح فى وجوهنا ، فبقينا فى البحر ثلاثة أشهر ، وضاعت صدورنا وفنى ما كان معنا ، وخرجنا إلى البر نمشى أياما ، حتى فنى ما تبقى معنا من الزاد والماء ، فمشينا يوما لم نأكل ولم نشرب ، واليوم الثانى كمثل ، واليوم الثالث ، فلما كان المساء صلينا ، وألقينا بأنفسنا ، فلما أصبحنا فى اليوم الثالث^(٣) جعلنا نمشى على قدر طاقتنا ، وكنا ثلاثة ، أنا ، وشيخ نيسابورى ، وأبو زهير المروردى^(٤) ، فسقط الشيخ مغشيا عليه ، فجئنا نُحرِّكه وهو لا يعقل ، فتركناه ، ومشينا قدر فرسخ^(٥) ، فضعفت ، وسقطت مغشيا على ، ومضى صاحبى يمشى ، فرأى من بعيد قوما قُربوا سفينتهم من البر ، ونزلوا على بئر موسى ، فلما عاينهم لَوَّح بثوبه إليهم ، فجاءوه ومعهم ماء ، فسقوه ، وأخذوا بيده ، فقال لهم : ألحقوا رفيقَيْن لى ، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهى ، ففتحتُ عيني ، فقلت : اسقنى . فصب من الماء فى مشربته قليلا ، فشربت ، ورجعتُ إلى نفسى^(٦) ، ثم سقانى قليلا ، وأخذ بيدي ، فقلت :

(١) فى مقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ زيادة : « فقال : مر بنا إلى المشايخ » .

(٢) فى المطبوعة : الجاد ، وهو خطأ صوابه من : ج ، د ، مقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ ، القاموس (ج و ر) وهى بلد على البحر بينه وبين المدينة الشريفة يوم وليلة . انظر أيضا مراصد الاطلاع ٣٥٣ .

(٣) كذا فى ج ، د . وفى مقدمة الجرح والتعديل : « فلما أصبحنا اليوم الثالث » وفى المطبوعة : الرابع .

(٤) فى النسخ اضطراب فى هذا الاسم ، فهو فى ج : الميروردي ، وفى د : الميروردي . وفى المطبوعة : أبو زهير المروزي والمثبت من مقدمة الجرح والتعديل ٣٦٤ .

(٥) فى مقدمة الجرح والتعديل ٣٦٥ زيادة : « أو فرسخين » .

(٦) فى مقدمة الجرح والتعديل ٣٦٥ : « ورجعت إلى نفسى ، ولم يرونى ذلك القدر ، فقلت : اسقنى . فسقانى شيئا يسيرا ، وأخذ بيدي ... » .

ورأى شيخ مُلقًى . فذهب جماعة إليه ، وأخذ بيدي ، وأنا أمشي وأجر رجلي حتى إذا بلغت عند سفينتهم ، وأتوا بالشيخ ، وأحسنوا إلينا ، فبقينا أياما ، حتى رجعت إلينا أنفسنا ، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها : راية^(١) ، إلى واليهم ، وزودونا^(٢) من الكعك والسويق والماء ، فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والقوت ، فجعلنا نمشي جِيعا على شطّ البحر ، حتى دُفِعنا^(٣) إلى سُلْحَفَاةٍ مِثْلِ الثُّرْس ، فعمدنا إلى حجر كبير ، فضربنا على ظهرها ، فانفلق ؛ فإذا فيه مثل صُفْرة البيض ، فحسبناه حتى سكن عَنَّا الجوع ، حتى وصلنا إلى مدينة الرَّايَة ، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها ، فأُنزلنا في داره ، فكان يُقدِّم إلينا كل يوم القرع ، ويقول لحادِمه : هاتِ^(٤) لهم اليَقْطِينَ المبارك ، فيقدمه مع الخبز أياما . فقال واحد منا : ألا تَدْعُو باللحم المَشْثُوم^(٥) . فسمع صاحب الدار ، فقال : أنا أحسن بالفارسية ؛ فإن جدتي كانت هَرَوِيَّة . وأتانا بعد ذلك باللحم ، ثم زودنا إلى مصر .

سمعتُ أبى يقول : لا أحْضِرُ^(٦) كَمْ مرةً سرْتُ من الكوفة إلى بغداد .
وقال أبو محمد الإيادي ، يرثى أبا حاتم من قصيدة :

أَنْفَسِي مَالِكٌ لَا تَجْزَعِينَا وَعَيْنِي مَالِكٌ لَا تَدْمَعِينَا
أَلَمْ تَسْمِعِي بِكَسُوفِ الْعُلُوِّ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مَحَقًّا مَدِينَا^(٧)
أَلَمْ تَسْمِعِي خَبَرَ الْمُتَرْضَى أَبَى حَاتِمٍ أَعْلَمَ الْعَالَمِينَ
توفى أبو حاتم الرَّازِيّ في شعبان ، سنة سبع وسبعين ومائتين ، وله اثنتان وثمانون سنة .

(ومن الفوائد عنه)

... (٨)

-
- (١) هي راية القلزم ، كورة من كور مصر القبلية . ياقوت ٢ / ٢٤٦ .
(٢) في ج : فزورونا ، وفي د : فتزورنا . والمثبت في المطبوعة .
(٣) في مقدمة الجرح والتعديل : ٣٦٥ « حتى وقفنا إلى » .
(٤) في المطبوعة : هات . والمثبت من : ج ، د ، والتقدمة .
(٥) في الأصول : المشوم ، والمثبت من التقدمة ٣٦٦ ، وفيها : « فقال واحد منا بالفارسية : لا تدعو باللحم المشؤوم ؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار » .
(٦) في التقدمة ٣٦٠ : « لا أحصى » .
(٧) في التقدمة ٣٦٩ : « لكسوف العلوم ... حقا مدينا » .
(٨) بياض في كل الأصول .

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه

- بفتح الباء الموحدة بعدها راء ساكنة ثم دال مكسورة مهملة ثم زاي ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء - ابن يَذْذِبُه - بباء موحدة مفتوحة ثم دال معجمة مكسورة ثم ذال ثانية معجمة ساكنة ثم باء موحدة مكسورة ثم هاء - هذا ما كنا نسمعه من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله .
وقيل بدل بَرْدَزْبِه : الأحنف ، وقيل غير ذلك*

هو إمام المسلمين، وقدوة الموحدين، وشيخ المؤمنين، والمُعَوَّل عليه في أحاديث سيد المرسلين، وحافظ نظام الدين، أبو عبد الله الجُعْفَيّ مولاهم، البخاريّ، صاحب «الجامع الصحيح» وسأحب ذيل الفضل للمستميح^(١) .

عَلَا عَنِ الْمَدْحِ حَتَّى مَا يُزَانُ بِهِ	كَأَنَّمَا الْمَدْحُ مِنْ مَقْدَارِهِ يَضَعُ
لَهُ الْكِتَابُ الَّذِي يَتْلُو الْكِتَابَ هُدًى	هَذِي السِّيَادَةُ طَوْدًا لَيْسَ يَنْصَدِعُ
الْجَامِعُ الْمَانِعُ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَسُنْدَ	ةِ الشَّرِيعَةِ أَنْ تَغْتَالَهَا الْبِدْعُ
قَاصِي الْمَرَاتِبِ دَانِي الْفَضْلِ تَحْسِبُهُ	كَالْشَّمْسِ يَبْدُو سَنَاهَا حِينَ تَرْتَفِعُ
ذَلَّتْ رِقَابُ جَمَاهِيرِ الْأَنَامِ لَهُ	فَكُلُّهُمْ وَهُوَ عَالٍ فِيهِمْ خَضَعُوا
لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ الْخَاسِدِينَ لَهُ	فَإِنَّ ذَلِكَ مَوْضِعٌ وَمُنْقَطِعُ
وَقُلْ لِمَنْ رَامَ يَحْكِيهِ اصْطِبَارُكَ لَا	تَعْجَلْ فَإِنَّ الَّذِي تَبْغِيهِ مُمْتَنِعُ
وَهَبْكَ تَأْتِي بِمَا يَحْكِي شِكَالَتُهُ	أَلَيْسَ يَحْكِي مُحِيًّا الْجَامِعَ الْبَيْعُ

* له ترجمة في تاريخ بغداد ٢ / ٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٧ ، شذرات الذهب ٢ / ١٣٤ ، طبقات الخنابلة ١ / ٢٧١ ، العبر ٢ / ١٢ ، كتاب المرح والتعديل ق ٢ ، ج ٣ ، ص ١٩١ ، معجم البلدان ١ / ٥٣١ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥ ، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٠٦ ، وفیات الأعيان ٣ / ٣٢٩ .
(١) في المطبوعة : وصاحب الفضل المستميح ، وفي د : للمستبيح ، والمثبت من : ج . والمستميح : طالب العطاء .

كان والده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم من العلماء الورعين .
سمع مالك بن أنس ، ورأى حمّاد بن زيد ، وصالح بن المبارك .
وحدّث عن أبي معاوية ، وجماعة .
روى عنه أحمد بن حفص ، وقال : دخلتُ عليه عند موته ، فقال : لا أعلم في
جميع مالي درهما من شبهة .
قال أحمد بن حفص : فتصاغرتُ إلى نفسي عند ذلك .
ولد البخاريّ سنة أربع وتسعين ومائة ، ونشأ يتيما .
وأول سماعه سنة خمس ومائتين ، وحفظ تصانيف ابن المبارك ، وحُبّب إليه العلم
من الصغر ، وأعاناه عليه ذكاؤه المُفْرِط .
ورحل سنة عشر ومائتين ، بعد أن سمع الكثير ببلده من : محمد بن سلام^(١)
البيكنديّ ، ومحمد بن يوسف البيكنديّ ، وعبد الله بن محمد المُسِنْدِيّ ، وهارون
ابن الأشعث^(٢) ، وطائفة .
وسمع ببلخ من : مكيّ بن إبراهيم ، ويحيى بن بشر الزاهد ، وقُتَيْبَة ، وجماعة .
وبمرو من : علي بن الحسن بن شقيق ، وعبدان ، وجماعة .
وبنيسابور من : يحيى بن يحيى ، وبشر بن الحَكَم ، وإسحاق ، وعِدَّة .
وبالريّ من : إبراهيم بن موسى الحافظ ، وغيره .
وببغداد من : شُرَيْح بن النُّعْمَان ، وعفّان ، وطائفة .
وبالبصرة من : أبي عاصم النبيل ، وبَدَل بن المُجَبَّر ، ومحمد بن عبد الله
الأنصاريّ ، وغيرهم .
وبالكوفة من : أبي نُعَيْم ، وطَلِق بن غنّام ، والحسن بن عطية ، وخَلاد بن يحيى ،
وقبيصة ، وغيرهم .

(١) بتخفيف اللام . المشتهر ٣٧٨ .

(٢) في المطبوعة : وإبراهيم بن الأشعث . والتصويب من ج ، د ، وانظر تهذيب التهذيب ١١ / ٣ ، الوافي
بالوفيات ٢ / ٢٠٦ .

وبمكة من : الحُمَيْدِيّ ، وعليه تفقّه عن الشافعيّ .

وبالمدينة من : عبد العزيز الأويّسيّ ، ومُطَرِّف بن عبد الله .

وبواسط ، ومصر ، ودمشق ، وقيساريّة^(١) ، وعسقلان ، وحمص ، من خلائق يطول سردهم . ذكر أنه سمع من ألف نفس ، وقد خرّج عنهم مشيخةً ، وحدث بها ، ولم نرها .

وفي « تاريخ نيسابور » للحاكم أنه سمع بالجزيرة من أحمد بن الوليد بن الورثيّس الحرّانيّ ، وإسماعيل بن عبد الله بن زُرّارة الرّقّيّ ، وعمرو بن خالد ، وأحمد بن عبد الملك بن^(٢) واقد الحرّانيّ .

وهذا وهم ؛ فإنه لم يدخل الجزيرة ، ولم يسمع من أحمد بن الوليد ، إنما روى عن رجل عنه ، ولا من ابن زُرّارة ، إنما لإسماعيل بن عبد الله ، الذي يروى عنه هو إسماعيل بن أبي أُويس ، وأما ابن واقد ، فإنه سمع منه ببغداد ، وعمرو بن خالد سمع منه بمصر . نبه على هذا شيخنا الحافظ الجزّيّ فيما رأيته بخطه .

وأكثر الحاكم في عدّ شيوخه ، وذكر البلاد التي دخلها ، ثم قال : وإنما سمّيت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ؛ ليُسْتَدَلَّ بذلك على عالى إسناده ؛ فإن مسلم بن الحجاج لم يدرك أحداً ممن سمّتهم ، إلا أهل نيسابور .

واعترضه شيخنا الذهبيّ كما رأيته بخطه ، بأنه أدرك أحمد ، وعمر بن حفص ، يعنى : وهما ممّن عدّد الحاكم .

ذكر أبو عاصم العباديّ أبا عبد الله في كتابه « الطبقات » ، وقال : سمع من الزّعفرانيّ ، وأبي ثور ، والكرايسيّ .

قلت : وتفقّه على الحُمَيْدِيّ ، وكلهم من أصحاب الشافعيّ .

(١) قيسارية : بلدة على ساحل بحر الشام ، تعد في فلسطين ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . مراصد الاطلاع ١١٣٩ .

(٢) في المطبوعة : ابن أحمد ، وما أثبتناه من : ج ، د ، وهو يوافق ما أورده المصنف بعد ذلك ، وانظر تهذيب التهذيب ٥٧ / ١ .

قال : ولم يَرَوْ عن الشافعيّ في « الصحيح » لأنه أدرك أقرانه ، والشافعيّ مات مكتهلاً ، فلا يرويه نازلاً ، ورَوَى عن الحسين ، وأبى ثور مسائل عن الشافعيّ . قلتُ : وذكر الشافعيّ في موضعين من « صحيحه » في « باب [في] ^(١) الرّكاز الخمس » ^(٢) وفي « باب تفسير العرايا » ^(٣) من « البيوع » .

ورقم شيخنا الميزيّ في « التهذيب » للشافعيّ بالتعليق ، وذكر هذين المكانين . حدّث البخاريّ بالحجاز ، والعراق ، وخراسان ، وما وراء النهر ، وكتب عنه المُحدّثون وما في وجهه شعرة .

رَوَى عنه أبو زُرْعَة ، وأبو حاتم ، والترمذيّ ، ومسلم خارج « الصحيح » ، ومحمد بن نصر المروزيّ ، وصالح بن محمد جَزْرة ، وابن خزيمة ، وأبو العباس السراج ، وأبو قريش ^(٤) محمد بن جمعة ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وأبو حامد بن الشرقيّ ، وخلق .

وآخر من رَوَى عنه « الجامع الصحيح » منصور بن محمد البزدويّ ^(٥) ، المتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وآخر من زعم أنه سمعه منه موتا ، أبو ظهير عبد الله بن فارس البلخيّ ، المتوفى سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

وآخر من رَوَى حديثه عاليًا خطيبُ الموصِل ، في « الدعاء » للمحامليّ ، بينه وبينه ثلاثة رجال .

وأما كتابه « الجامع الصحيح » فأجلُّ كتب الإسلام ، وأفضلها بعد كتاب الله ، ولا عبرة بمن يُرجّح عليه « صحيح مسلم » ؛ فإن مقالته هذه شاذّة ، لا يُعوّل عليها .

(١) زيادة من صحيح البخارى .

(٢) صحيحه ٢ / ١٥٩ .

(٣) صحيحه ٣ / ١٠٠ .

(٤) في المطبوعة : وابن قريش ، والتصويب من : ج ، د ، العبر ٢ / ١٥٨ .

(٥) بفتح الباء الموحدة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وفي آخرها الواو ، نسبة إلى قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف . اللباب ١ / ١١٨ ، ياقوت ١ / ٦٧٤ .

قال ابن عَدِيّ : سمعتُ الحسن بن الحسين البزار ، يقول : رأيتُ البخاريّ شيخًا نحيفًا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، عاش اثنتين وستين سنة ، إلا ثلاثة عشر يومًا .
وقال أحمد بن الفضل^(١) البلخيّ : ذهبتُ عينا محمد في صغره ، فرأت أمه إبراهيم عليه السلام ، فقال : يا هذه ، قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة بكائك أو دعائك ، فأصبح وقد ردّ الله عليه بصره .

وعن جبريل بن ميكايل : سمعتُ البخاريّ يقول : لما بلغتُ خراسان أُصبت ببصري^(٢) ، فعلمني رجل أن أحلق رأسي ، وأغلّفه بالخطميّ ، ففعلتُ ، فردّ الله عليّ بصري . رواها غُنْجار في « تاريخه » .

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الورّاق : قلتُ للبخاريّ : كيف كان بدءُ أمرِك ؟ قال : ألهمتُ حفظ الحديث في المكتب ولى عشر سنين أو أقل ، وخرجت من الكتاب بعد العشر ، فجعلتُ أختلف إلى الدّاخليّ وغيره ، فقال يوما فيما يقرأ على الناس : سفيان ، عن أبي الزُّبير ، عن إبراهيم . فقلتُ له : إن أبا الزُّبير لم يرو عن إبراهيم . فانتهرني ، فقلتُ له : ارجع إلى الأصل . فدخل ، ثم خرج ، فقال لي : كيف يا غلامُ ؟ قلتُ : هو الزُّبير بن عَدِيّ ، عن إبراهيم . فأخذ القلم مني وأصلحه ، وقال : صدقت . فقال للبخاريّ بعضُ أصحابه : ابن كم كنتُ ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة .

فلما طعنت في ست عشرة سنة ، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلامَ هؤلاء .

ثم خرجتُ مع أمي وأخي أحمد إلى مكة ، فلما حججتُ رجع أخى بها ، وتخلّفتُ في طلب الحديث .

فلما طعنتُ في ثمانى عشرة سنة ، جعلتُ أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وذلك أيام عُبيد الله بن موسى ، وصنفتُ « كتاب التاريخ » إذ ذاك عند قبر النبيّ صلى الله

(١) في المطبوعة : أحمد بن الفضل . والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : أصيب بصري ، والمثبت من : ج ، د .

عليه وسلم ، في الليالي المقمرة ، وقُلَّ اسمٌ في التاريخ إلا وله عندى قصة ، إلا أنى كرهت تطويل الكتاب .

وقال عمر بن حفص الأشقر : كنا مع البخارى بالبصرة نكتب الحديث ، ففقدناه أياما ، ثم وجدناه فى بيتٍ وهو عُريان ، وقد نَفِدَ ما عنده ، فجمعنا له الدراهم وكَسَوْنَاهُ .

وقال عبد الرحمن بن محمد البخارى : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : لقيتُ أكثر من ألف رجلٍ من أهل الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وخراسان ، إلى أن قال : فما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الأشياء : « أن الدين قول وعمل ، وأن القرآن كلام الله » .

وقال محمد بن أبى حاتم : سمعته يقول : دخلت بغداد ثمانى مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل ، فقال لى آخر ما ودَّعته : يا أبا عبد الله ، تترك العلم والناس ، وتصير إلى خراسان ! فأنا الآن أذكر قول أحمد .

وقال أبو بكر الأَعين^(١) : كتبنا عن البخارى ، على باب محمد بن يوسف الفريابى وما فى وجهه شُعرَة .

وقال محمد بن أبى حاتم ، وراق البخارى : سمعتُ حَاشِدَ^(٢) بن إسماعيل ، وآخر ، يقولان : كان البخارى يَخْتَلِفُ معنا إلى السَّماع وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أياما ، فكنا نقول له . فقال : إنكما قد أكثرثما على ، فاعرضاً على ما كتبثما ، فأخرجنا إليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلُّها على ظهر قلب ؛ حتى جعلنا نُحَكِّمُ كُتُبَنَا مِنْ حفظه ، ثم قال : أتروُنَ أنى اُخْتَلِفَ^(٣) هَذَرًا ، وأُضِيعَ أيامى ؟ فعرَفنا أنه لا يتقدَّمُه أحدٌ .

قالا : فكان أهل المعرفة يَعُدُّون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب ، حتى يغلبوه على نفسه ، ويُجَلِّسوه فى بعض الطريق ، فيجتمع عليه أُلُوف ، أكثرهم ممَّن يكتب عنه ، وكان شابًّا لم يَخْرُجْ وجهه .

(١) بفتح الألف وسكون العين المهملة وفتح الياء آخر الحروف وفى آخرها النون ، هذه الصفة لمن فى عينه سعة .
اللباب ١ / ٦١ .

(٢) فى المطبوعة : حامد ، والمثبت من : ج ، د ، تاريخ بغداد ٢ / ١٤ .

(٣) فى ج : أخلف ، وفى د : اختلف ، والمثبت فى المطبوعة ، تاريخ بغداد ٢ / ١٥ .

قال محمد بن أبي حاتم : وسمعتُ سليم بن مجاهد ، يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندی ، فقال لي : لو جئتُ قبلُ لرأيتُ صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث .

قال : فخرجتُ في طلبه ، فلقيته ، فقلت : أنت الذي تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة أو التابعين ، إلا عرفت مولدَ أكثرهم ، ووفاتهم ، ومساكنهم ، ولستُ أروى حديثًا من حديث الصحابة أو التابعين ، إلَّا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظًا ، عن كتاب الله ، أو سنة رسول الله ﷺ .

قال غنَّجار : حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد المقرئ ، حدثنا محمد بن يعقوب ابن يوسف البيكندی ، سمعتُ علي بن الحسين بن عاصم البيكندی ، يقول : قدم علينا محمد بن إسماعيل فاجتمعنا عنده ، فقال بعضنا : سمعتُ إسحاق بن راهويه ، يقول : كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي .

فقال محمد : أو تعجب من هذا ؟ لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه .

قال : وإنما عني به نفسه .

وقال ابن عدي : حدثني محمد بن أحمد القومسي^(١) : سمعتُ محمد بن خَمِيرَوَيْه^(٢) ، يقول : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : أحفظُ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح .

وقال إمام الأئمة ابن حُزَيْمَة : ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن إسماعيل البخاري .

وقال ابن عدي : سمعتُ عدَّة مشايخ يحكون أن البخاري قدم بغداد ، فاجتمع أصحاب الحديث ، فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا مُتُونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا

(١) نسبة إلى قومس ، وهي كورة كبيرة واسعة ، في ذيل جبال طبرستان . معجم البلدان ٤ / ٢٠٣ .

(٢) اضطربت الأصول فيه ، وأثبتنا صوابه من سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤١٥ ، والعبر ٢ / ٣٦٣ .

وإسناد هذا لمتن هذا ؛ ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ؛ ليلقوها على البخاريّ في المجلس ؛ فاجتمع الناس ، وانتدب^(١) أحدهم فقال^(٢) ، وسأله عن حديث من تلك العشرة . فقال : لا أعرفه . فسأله عن آخر . فقال : لا أعرفه . حتى فرغ من العشرة .

فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ، ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان لا يدرى قضى عليه بالعجز .

ثم انتدب آخر ، ففعل كفعل الأول ، والبخاريّ يقول : لا أعرفه . إلى فراغ العشرة أنفس ، وهو لا يزيدهم على : لا أعرفه .

فلما علم أنهم قد فرغوا ، التفت إلى الأول ، فقال : أمّا حديثك [الأول]^(٣) فإسناده كذا وكذا ، والثاني كذا وكذا ، والثالث ، إلى آخر العشرة ؛ فردّ كلّ متن إلى إسناده ، وفعل بالثاني مثل ذلك ، إلى أن فرغ . فأقرّ له الناس بالحفظ .

وقال يوسف بن موسى المروزيّ : كنتُ بجامع البصرة ، إذ سمعتُ منادياً ينادى ، يا أهل العلم ، لقد قديم محمد بن إسماعيل البخاريّ . فقاموا في طلبه ، وكنتُ فيهم ، فرأيتُ رجلاً شاباً يصلي خلف الأسطوانة ، فلما فرغ أصدقوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً للإملاء ، فأجابهم .

فلما كان من الغد ، اجتمع كذا وكذا ألف ، فجلس ، وقال : يا أهل البصرة ، أنا شابٌ وقد سأتموني أن أحدثكم ، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم ، تستفيدون الكل :

حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد ، بليديكم ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة عن منصور ، وغيره ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أنس : أن أعرابياً ، قال : يا رسول الله الرجل يحبُّ القوم ... الحديث .

ثم قال : ليس هذا عندكم ، إنما عندكم عن غير منصور . وأملَى مجلساً على هذا النسق .

(١) انتدب فلان لفلان : عارضه في كلامه . القاموس (ن د ب) .

(٢) في المطبوعة : فقام ، والمثبت من : ج ، د . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٩ .

(٣) زيادة من المطبوعة ، تاريخ بغداد ٢ / ٢١ على ما في : ج ، د .

قال يوسف : وكان دخولى البصرة أيام محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب .
وقال الترمذى : لم أر أحدا بالعراق ، ولا بخراسان ، فى معنى العِلل ، والتاريخ ،
ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل .

وقال إسحاق بن أحمد الفارسى : سمعت أبا حاتم ، يقول سنة سبع وأربعين
ومائتين : محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق ، ومحمد بن يحيى أعلم من
بخراسان اليوم ، ومحمد بن أسلم أورعهم ، وعبد الله الداريمى أثبتهم .

وعن أحمد بن حنبل ، قال : انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان : أبو
زُرعة ، ومحمد بن إسماعيل ، والداريمى ، والحسن بن شجاع البلخى .

وقال أبو أحمد الحاكم : كان البخارى أحد الأئمة فى معرفة الحديث وجمعه ، ولو
قلت لى لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه فى المبالغة والحسن ، لرجوت أن أكون
صادقا .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، إذنا خاصا ، قال : قرأت على عمر بن القواس ،
أخبركم أبو القاسم بن الحرستائى ، حضورا ، أخبرنا جمال الإسلام ، أخبرنا ابن
طلاب ، أخبرنا ابن جميع ، حدثنى أحمد بن محمد بن آدم ، حدثنى محمد بن يوسف
البخارى ، قال : كنت عند محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة ، فأحصيت عليه أنه
قام وأسرج ؛ ليستذكر أشياء يعلقها فى ليله ثمانى عشرة مرة^(١) .

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه فى سفر ، يجمعنا
بيت واحد ، إلا فى القيظ أحيانا ، فكنت أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة
إلى عشرين مرة ، فى كل ذلك يأخذ القداحة ، فيورى نارا ويسرج ، ثم يخرج
أحاديث ، فيعلم عليها ، ثم يضع رأسه ، وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة
ركعة ، وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك فى كل
هذا ، ولا توقظنى . قال : أنت شاب ، ولا أحب أن أفسد عليك نومك .

وقال القزوينى : قال لى محمد بن إسماعيل : ما وضعت فى الصحيح حديثا إلا
اغتسلت قبل ذلك ، وصليت ركعتين .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٤ .

وقال إبراهيم بن مَعْقِل : سمعته يقول : كنتُ عند إسحاق بن رَاهُوِيَه ، فقال رجل : لو جمعتم كتابا مُختَصَرًا للسنن . فوقع ذلك في قلبي ، فأخذتُ في جمع هذا الكتاب .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ : رُوِيَ من وجهين ثابتين عن البخاريّ ، أنه قال : أخرجتُ هذا الكتاب من نحو ستائة ألف حديث ، وصنّفته في ستّ عشرة سنة ، وجعلته حُجَّةً فيما بيني وبين الله^(١) .

وقال إبراهيم بن مَعْقِل : سمعته يقول : ما أدخلتُ في « الجامع » إلا ما صح ، وتركت من الصّحاح لأجل الطول .

وقال محمد بن أبي حاتم : قلتُ له : تحفظُ جميع ما في المصنّف ؟ قال : لا يخفَى عليّ جميع ما فيه ، ولو نشر بعض إسنادي ، هؤلاء لم يفهموا كتاب « التاريخ » ولا عرفوه ، ثم قال : صنّفته ثلاث مرات^(٢) .

وقد أخذَه ابن رَاهُوِيَه فأدخله على عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، ألا أريك سحرًا . فنظر فيه عبد الله ، فتعجّب منه ، وقال : لستُ أفهم تصنيفه .

وقال القرنبريّ : حدثني نجم بن الفضيل ، وكان من أهل الفهم ، قال : رأيتُ النبي ﷺ في النوم ، خرج من قرية ، ومحمد بن إسماعيل خلفه ، فإذا خطا خطوة يخطو محمد ، ويضع قدمه على قدمه ، ويتبع أثره .

وقال خَلَف الخيّام : سمعتُ أبا عمرو ، أحمد بن نصر الخفّاف ، يقول : محمد بن إسماعيل أعلمُ في الحديث من أحمد وإسحاق بعشرين درجة ، ومن قال : فيه شيء . فعليه مني ألف لعنة ، ولو دخل من هذا الباب لمِلْتُ منه رعبًا .

وقال أبو عيسى الترميذيّ : كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن مُنِير ، فلما قام من عنده ، قال له : يا أبا عبد الله ، جعلك الله زَيْن هذه الأمة . قال أبو عيسى : استُجيب له فيه .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

(٢) جمع المصنف هنا بين جوابين للبخاريّ ، أجاب بهما ابن أبي حاتم ، الأول عن المصنف ، والثاني عن التاريخ ، ويبدأ الثاني بقوله : « ولو نشر بعض إسنادي » انظر تاريخ بغداد ٢ / ٧ ، ٩ . وفي السير ٤٠٣ : « أستاذي » .

وقال جعفر بن محمد المُسْتَعْفِرِيُّ في « تاريخ نَسَف » ، وذكر البخاريّ : لو جاز لي لفضّلته على مَنْ لَقِيَ من مشايخه ، ولقلتُ : ما لَقِيَ بعينه مثل نفسه .

وقال إبراهيم الخوّاص : رأيْتُ أبا زُرعة كالصبيّ ، جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل ، يسأله عن عِلل الحديث .

وقال جعفر بن محمد القطّان : سمعتُ محمد بن إسماعيل ، يقول : كتبتُ عن ألف شيخ ، أو أكثر ، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، ما عندي حديث إلا أذكرُ إسناده .

قلتُ : فارق البخاريّ بُخاريّ ، وله خمس عشرة سنة ، ولم يره محمد بن سلام البيكَنْديّ بعد ذلك ، ^(١) وقد قال سليم بن مجاهد : كنت عند محمد بن سلام البيكَنْديّ ، فقال : لو جئتُ قبلُ لرأيتُ صبيا ، يحفظ سبعين ألف حديث . فخرجتُ حتى لحقته ، فقلت : أنت تحفظُ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم ، وأكثر ، ولا أُجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين ، إلا عرفت مولد أكثرهم ، ووفاتهم ، ومساكنهم ، ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين ، إلا ولى من ذلك أصل أحفظه حفظا ، عن كتاب أو سنة .

وقال بعضهم : كنت عند محمد بن سلام البيكَنْديّ ، فدخل محمد بن إسماعيل ، فلما خرج ، قال محمد بن سلام : كلما دخل عليّ هذا الصبيّ ، تحيرتُ والتبس عليّ أمرُ الحديث ، ولا أزال خائفا ما لم يخرج ^(٢) .

● وقال محمد بن أبي حاتم : سمعتُ محمد بن يوسف ، يقول : كنت عند أبي رجاء ، يعني قُتيبة ، فسُئِل عن طلاق السّكران ، فقال : هذا أحمد بن حنبل ، وابن المَدِينيّ ، وابن رَاهُويه ، قد ساقهم الله إليك . وأشار إلى محمد بن إسماعيل ، وكان مذهب محمد أنه إذا كان مغلوب العقل ، لا يذكُر ما يُحدث في سكره ، أنه لا يجوز عليه من أمره شيء .

(١) ساقط من : د . وهو في المطبوعة ، ج . وسبق هذا في صفحة ٢١٨ .

وسمعتُ عبد الله بن سعيد ، يقول : لما مات أحمد بن حَرَبِ النَّيسَابُورِيِّ ، ركب محمد وإسحاق يُشيعان جنازته ، فكنتُ أسمع أهل المعرفة بنيسابور ، ينظرون ، ويقولون : محمد أفقه من إسحاق .

وعن الفرَبرِيِّ : رأيتُ النبي ﷺ في المنام ، فقال لي : أين تُريد ؟ فقلت : أريد البخاري ، فقال : أقرأه مني السلام .

وكان البخاريّ يختم القرآن كل يوم نهاراً ، ويقرأ في الليل عند السَّحَرِ ثُلثاً من القرآن ، فمجموع وُردِهِ خَتْمَةٌ وثَلثُ خَتْمَةٍ .

وكان يقول : أرجو أن ألقى الله ، ولا يحاسِبُنِي باغْتِيَابُ أَحَدٍ .

وكان يصلي ذات يوم ، فلسعه الزُّبُورُ سبع عشرة مرة ، ولم يقطع صلاته ، ولا تغيَّرَ حاله .

وعن الإمام أحمد : ما أخرجتُ خراسان مثل البخاريّ .

وقال يعقوب بن إبراهيم الدُّورَقِيُّ : البخاريّ فقيهُ هذه الأمة .

وقال محمد بن إدريس الرَّازِيّ ، وقد خرج البخاريّ إلى العراق : ما خرج من خراسان أحفظ منه ، ولا قَدِمَ العراق أعلم منه .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا نصر أحمد بن محمد الورَّاق ، يقول : سمعتُ أبا حامد أحمد بن حَمْدُون ، يقول : سمعتُ مسلم بن الحَجَّاج ، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاريّ ، فقَبِلَ [ما]^(١) بين عَيْنَيْهِ ، وقال : دَعْنِي حَتَّى أَقْبِلَ رَجُلَيْكَ ، يا أستاذَ الأُستاذين ، ومُسْنِدِ^(٢) المُحدِّثين ، ويا طبيبَ الحديث في عِلَلِهِ : حَدِّثْكَ محمد بن سَلَام ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْحَرَّائِيُّ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ جُرَيْجٍ ، قال : حَدَّثَنِي موسى ابنُ عُقْبَةَ ، عن سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ .

فقال البخاريّ : وَحَدَّثَنَا أحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعِين ، قالَا : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : حَدَّثَنِي موسى بن عُقْبَةَ ، عن سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عن أَبِيهِ ، عن

(١) زيادة عن طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٣٢ ، ٤٣٦ .

(٢) في المطبوعة : وسيد ، وهو يوافق ما في طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٣ . والمثبت من : ج ، د .

أبى هريرة ، عن النبي ﷺ ، فى كفارة المجلس أن يقول ، إذا قام من مجلسه : « سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ » .

فقال محمد بن إسماعيل : هذا حديث مליح ، ولا أعلم بهذا الإسناد فى الدنيا حديثاً غير هذا ، إلا أنه معلول : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا سُهَيْل ، عن عَوْن بن عبد الله قوله .

قال محمد بن إسماعيل : هذا أولى . ولا نذكر لموسى بن عُقْبَةَ مُسْنَدًا عن سُهَيْل ، وهو سُهَيْل بن ذَكْوَانَ ، مولى جَوَيزِيَّة ، وهم إخوة : سُهَيْل ، وعَبَّاد ، وصالح ، بنو أبى صالح ، وهم من أهل المدينة .

وقال نسج^(١) بن سعيد : كان محمد بن إسماعيل البخارى إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، تجتمع إليه أصحابه ، فيصلّى بهم ، ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السَّحَر فى كل ثلاث ليال ، وكان يختم بالنهار فى كل يوم خَتْمَةً ، ويكون خَتْمُهُ عند الإفطار كل ليلة ، ويقول : عند كل خَتْم دعوة مُسْتَجَابَةٌ .

وقال بكر بن مُنِير : سمعت البخارى ، يقول : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أبى اغْتَبْتُ أحدا .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ : يشهد لهذه المقالة كلامه فى الجرح والتعديل ، فإنه أبلغ ما يقول فى الرجل المتروك أو الساقط : فيه نظر ، أو سكتوا عنه ، ولا يكاد يقول : فلان كَذَّاب ، ولا فلان يضع الحديث ، وهذا من شدة ورعه^(٢) .

قلتُ : وأبلغ تضعيفه قوله فى المجروح : مُنْكَر الحديث .

قال ابن القطَّان : قال البخارى : كُلُّ مَنْ قُلْتُ فِيهِ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ، فَلَا تَحِلُّ الرِّوَايَةُ عَنْهُ .

(١) هكذا فى الأصول ، وتاريخ بغداد ٢ / ١٢ ، وجاء فى سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٣٨ : مُسَبِّح .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٤٣٩ .

وقال أبو بكر الخطيب : سئل العباس بن الفضل الرازي الصائغ : أيهما أحفظ ، أبو زُرعة ، أو البخاري ؟ فقال : لقيت البخاري بين حُلوان وبغداد ، فرجعتُ معه مَرَحلة ، وَجَهِدتُ أن أجيء بحديث لا يعرفه ، فما أمكن ، وأنا أغرب على أبي زُرعة عددَ شَعْرَى .

وقال أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف : محمد بن إسماعيل أعلم بالحديث من إسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما ، بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئاً فمَنى عليه ألف لعنة .

ثم قال : حدثنا محمد بن إسماعيل التقي ، النقي ، العالم ، الذي لم أر مثله .

وقال محمد بن يعقوب الأخرم : سمعتُ أصحابنا ، يقولون : لما قدم البخاري نيسابور ، استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل ، سوى من ركب بغلاً أو حماراً ، وسوى الرِّجالة .

وقال أبو أحمد الحاكم في «الكنى» : عبد الله [بن] ^(١) الدَّيْلَمِي ، أبو بُسر . وقال البخاري ومسلم فيه : أبو بشر بشين معجمة . قال الحاكم : وكلاهما أخطأ في علمي ، إنما هو أبو بُسر ، وخليق أن يكون محمد بن إسماعيل مع جلالته ومعرفته بالحديث اشتبه عليه ، فلما نقله مسلم من كتابه تابعه على زلته ، ومن تأمل كتاب مسلم في «الأسماء والكنى» علم أنه منقول من كتاب محمد بن إسماعيل ، حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ^(٢) ، حتى لا يزيد عليه فيه إلا ما يسهل عدُّه ، وتجلَّد في نقله حق الجَلادة ؛ إذ لم ينسبه إلى قائله ، وكتاب محمد بن إسماعيل في «التاريخ» كتاب لم يسبق إليه ، ومن ألف بعده شيئاً من ^(٣) التاريخ

(١) زيادة من : ج ، د ، على ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : حذو القدم بالقدم . والمثبت من : ج ، د . وقد الريش : قطع أطرافه وحذفه على نحو الحذو والتدوير والتسوية ، وحذو القذة بالقذة ، يعني : كما تقدر كل واحدة منهن على صاحبها وتقطع . انظر اللسان ٥٠٣ / ٣ (ق ذ ذ) .

(٣) في المطبوعة : في . والمثبت من : ج ، د .

أو الأسماء ، أو الكُنى لم يستغن عنه ، فمنهم من نسبته إلى نفسه ، مثل أبى زُرعة ، وأبى حاتم ، ومسلم ، ومنهم من حكاه عنه ، فالله يرحمه ، فإنه الذى أصَّل الأصول . وذكر الحاكم أبو أحمد ، كلاما سوى هذا .

وقال محمد بن أبى حاتم : رأيت أبا عبد الله استلقى على قفاه يوما ، ونحن بقربر ، فى تصنيف « كتاب التفسير » وأتعب نفسه يومئذ ، فقلت : إني أراك تقول : إني ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت ، فما الفائدة فى الاستلقاء ؟ قال : أتعبنا أنفسنا اليوم ، وهذا ثغر من الثغور ، خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو ، فأحببت أن أستريح ، وآخذ أهبّة ، فإن غافصنا^(١) العدو كان بنا حراك ، وكان يركب إلى الرُمى ، فما أعلم أبى رأيت فى طول ما صحبتته أخطأ سهمه الهدف ، إلا مرتين ، وكان لا يُسبق .

وسمعه يقول : ما أردت أن أتكلّم بكلام ، فيه ذكر الدنيا ، إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه .

قال : وكان لأبى عبد الله غريم ، قطع عليه مالا كثيرا ، فبلغه أنه قدّم أمل ، ونحن بقربر ، فقلنا له : ينبغي أن تعبّر ، وتأخذه بمالك ، فقال : ليس لنا أن نرؤعه .

ثم بلغ غريمه ، فخرج إلى خوارزم ، فقلنا : ينبغي أن تقول لأبى سلّمة الكُشاني^(٢) ، عامل أمل ، ليكتب إلى خوارزم فى أخذه . فقال : إن أخذت منهم كتابا طمعوا منى فى كتاب ، ولست أبيع دينى بدنياى .

فجهدنا ، فلم يأخذ ، حتى كلّمنا السلطان عن غير أمره ، فكتب إلى وإلى خوارزم .

فلما بلغ أبا عبد الله ذلك وجدّ وجدّا شديدا ، وقال : لا تكونوا أشفق على من نفسى . وكتب كتابا ، وأردف تلك الكتب بكتب ، وكتب إلى بعض أصحابه بخوارزم : أن لا يتعرّض لغريمه .

(١) غافصه : فاجأه وأخذه على غرة .

(٢) بضم أولها والشين المعجمة وفى آخرها النون ، نسبة إلى كشانية ، وهى بلدة من بلاد الصغد ، بناوحى سمرقند . اللباب ٣ / ٤٢ .

فرجع غريمه ، وقصد ناحية مَرَو ، فاجتمع التجار ، وأُخْبِرَ السلطان ، فأراد التَّشْدِيدَ على الغريم ، فكره ذلك أبو عبد الله ، وصالح غريمه على أن يُعْطِيَه كُلَّ سنة عشرة دراهم ، شيئًا يسيرًا ، وكان المال خمسة وعشرين ألفًا ، ولم يصل من ذلك إلى درهم ، ولا إلى أكثر منه .

سمعتُ أبا عبد الله ، يقول : ما تولَّيتُ شراءَ شيءٍ قطَّ ، ولا بيعه .

قلتُ : فمن يتولَّى أمرَكَ في أسفارِكَ ؟

قال : كنتُ أَكْفَى أمرَ ذلك .

وذكر بكر بن منير : أنه حَمَلَ إلى البخاريّ بضاعةً ، أنفذها إليه ابنُه أحمد ، فاجتمع به بعض التجار ، فطلبوها [منه] ^(١) بربح خمسة آلاف درهم . فقال : انصرفوا الليلة . فجاءه من الغد تجار آخرون ، فطلبوها منه بربح عشرة آلاف درهم ، فقال : إني نويتُ البارحة بيعَها للذين اتُّوا البارحة .

قلتُ : وقال محمد بن أبي حاتم : سمعتُ أبا عبد الله يقول : ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالةٍ ، إذا دُعِيَ لم يُسْتَجَبْ له .

قال : وسمعتُه يقول : خرجتُ إلى آدم بن أبي إياس ، فتخلَّفتُ عني نفقتي ، حتى جعلتُ أَتناوُلُ الحشيشَ ، ولا أُخبر بذلك أحدًا ، فلما كان اليوم الثالث ، أتاني آتٍ لم أعرفه ، فناولني صُرَّةَ دنانير ، وقال : أنفق على نفسك .

وسمعتُ سُلَيْمَ بن مجاهد ، يقول : ما رأيتُ بعيني منذ ستين سنة أفقَه ، ولا أورَع ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، من محمد بن إسماعيل .

واعلم أن مناقبَ أبي عبد الله كثيرة ، فلا مطمَع في استيعاب غالِبِها ، والكتب مشحونة به ، وفيما أوردناه مَقْنَعٌ وبلاغ .

(١) زيادة من المطبوعة على ما في : ج ، د .

(قصته مع محمد بن يحيى الذهلي)

قال الحسن بن محمد بن جابر : قال لنا الذهلي ، لما ورد البخاري نيسابور :
أذهبوا إلى هذا الرجل الصالح ، فاسمعوا منه . فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على
السماع منه ، حتى ظهر الخلل في مجلس الذهلي ، فحسده بعد ذلك ، وتكلم فيه .

وقال أبو أحمد بن عدي : ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد
نيسابور ، واجتمعوا عليه حسده بعض المشايخ ، فقال لأصحاب الحديث : إن محمد
ابن إسماعيل يقول : اللفظ بالقرآن مخلوق ، فامتحنوه .

فلما حضر الناس ، قام إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول في اللفظ
بالقرآن ، مخلوق هو ، أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه ، ولم يجبه ، فأعاد السؤال ،
فأعرض عنه ، ثم أعاد ، فالتفت إليه البخاري ، وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق ،
وأفعال العباد مخلوقة ، والامتحان بدعة .

فشعب الرجل ، وشعب الناس ، وتفرقوا عنه ، وقعد البخاري في منزله .

قال محمد بن يوسف الفريزي : سمعت محمد بن إسماعيل ، يقول : أما أفعال العباد
فمخلوقة ؛ فقد حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا أبو مالك ،
عن ربيعي ، عن حذيفة ، قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ
وَصَنَعَتُهُ » ، وسمعت عبيد الله بن سعيد : سمعت يحيى بن سعيد ، يقول : ما زلت
أسمع أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة .

قال البخاري : حركاتهم ، وأصواتهم ، واكتسابهم ، وكتابتهم مخلوقة ؛ فأما
القرآن المثلوث ، المثبت في المصاحف ، المسطور ، المكتوب ، الموعى في القلوب ،
فهو كلام الله ، ليس بمخلوق ؛ قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (١) .

(١) سورة العنكبوت ٤٩ .

وقال : يُقال فلان حسن القراءة ، ورَدَى القراءة . ولا يقال : حسن القرآن ، ولا رَدَى القرآن ، وإنما يُنسَب إلى العباد القراءة ؛ لأن القرآن كلام الرب ، والقراءة فعلُ العبد ، وليس لأحد أن يُشَرِّع في أمر الله بغير علم ، كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا ، وألفاظنا به شيء واحد ، والتلاوة هي المتلُّو ، والقراءة هي المقرؤ .

ف قيل له : إن التلاوة فعلُ القارئ ، وعمل التالِي .

فرجع ، وقال : ظننَّهُما مُصدِرَين .

ف قيل له : هَلَّا أَمسَكْتَ كما أَمسَكَ كثير من أصحابك ، ولو بعثتَ إلى مَنْ كتب عنك ، واسترَدَدت ما أثبتَّ ، وضربتَ عليه .

فزعم أن كيف يُمكن هذا ، وقال : قلتُ ، ومضى .

ف قلت له : كيف جازَ لك أن تقول في الله شيئاً لا تقوم به شرحاً وبياناً ، إذا لم تميِّز بين التلاوة والمتلُّو . فسكت ، إذ لم يكن عنده جواب .

وقال أبو حامد الأعمشِيّ : رأيتُ البخاريَّ في جنازة سعيد بن مَرُوان ، والذُّهليَّ يسأله عن الأسماء والكنى والعِلل ، ويمرُّ فيه البخاريُّ مثل السَّهم ، فما أتى على هذا شهر ، حتى قال الذُّهليُّ : ألا مَنْ يَخْتَلِفُ إلى مجلسه فلا يأتينا ؛ فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ ، ونهيناه فلم يَنْتَه ، فلا تقرِّبوه .

قلتُ : كان البخاريُّ على ما رُوِيَ ، وسنحكي ما فيه ، مِمَّن قال : لفظي بالقرآن مخلوق .

وقال محمد بن يحيى الذُّهليُّ : مَنْ زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مُبتدِع لا يُجالس ، ولا يُكلَّم ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر .

وإنما أراد محمد بن يحيى - والعلم عند الله - ما أراده أحمد بن حنبل ، كما قدمناه في ترجمة الكرايسِيّ^(١) ، من النَّهي عن الخوض في هذا ، ولم يُرد مخالفة البخاريَّ ، وإن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المُحدَّثَتَيْن قديم ، فقد بَاءَ بأمرٍ عظيم ، والظن به خلاف ذلك ،

(١) صفحة ١١٨ من هذا الجزء .

وإنما أراد هو ، وأحمد ، وغيرهما من الأئمة النهى عن الخوض فى مسائل الكلام ، وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج إليه ، فالكلام فى الكلام عند الاحتياج واجب ، والسكوت عنه عند عدم الاحتياج سنة .

فافهم ذلك ، ودع خرافات المؤرخين ، واضرب صفحا عن تمويهاات الضالين ، الذين يظنون أنهم محدثون ، وأنهم عند السنة واقفون ، وهم عنها مبعدون ، وكيف يُظن بالبخارى أنه يذهب إلى شيء من أقوال المعتزلة ، وقد صح عنه فيما رواه الفربرى ، وغيره ، أنه قال : إني لأستجهل من لا يكفر الجهمية .

ولا يرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهللى لحقته آفة الحسد ، التى لم يسلم منها إلا أهل العصمة .

وقد سأل بعضهم البخارى ، عما بينه وبين محمد بن يحيى ، فقال البخارى : كم يعتري محمد بن يحيى الحسد فى العلم ، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء .

ولقد ظُرف البخارى ، وأبان عن عظيم ذكائه ، حيث قال ، وقد قال له أبو عمرو الخفاف : إن الناس خاضوا فى قولك « لفظى بالقرآن مخلوق » : يا أبا عمرو ، احفظ ما أقول لك : من زعم من أهل نيسابور ، وقوميس ، والرّى ، وهمذان ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، ومكة ، والمدينة ، أنى قلت : « لفظى بالقرآن مخلوق » فهو كذاب ، فإنى لم أقله ، إلا أنى قلت : أفعال العباد مخلوقة .

قلت : تأمل كلامه ، ما أذكاه ! ومعناه - والعلم عند الله - إنى لم أقل لفظى بالقرآن مخلوق ؛ لأن الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام ، وصفات الله [التى]^(١) لا ينبغى الخوض فيها ، إلا للضرورة ، ولكنى قلت : أفعال العباد مخلوقة ، وهى قاعدة مُغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر ؛ فإن كل عاقل يعلم أن لفظنا من جملة أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، فألفاظنا مخلوقة .

(١) زيادة من : ج ، د ، على ما فى المطبوعة .

لقد أفصح بهذا المعنى في رواية أخرى صحيحة عنه ، رواها حاتم بن أحمد [بن] ^(١) الكِنْدِي ، قال : سمعتُ مسلم بن الحجاج . فذكر الحكاية ، وفيها : أن رجلاً قام إلى البخاري ، فسأله عن اللفظ بالقرآن . فقال : أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا .

وفي الحكاية : أنه وقع بين القوم إذ ذاك اختلاف على البخاري ، فقال بعضهم : قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال آخرون : لم يقل . قلت : فلم يكن الإنكار إلا على من يتكلم في القرآن .

فالخاصل ما قدمناه في ترجمة الكرايسبي ، من أن أحمد ابن حنبل ، وغيره من السادات الموقفين ، نهوا عن الكلام في القرآن جملة ، وإن لم يخالفوا في مسألة اللفظ ، فيما نظنه فيهم ، لإجلالهم ، وفهما من كلامهم في غير رواية ، ورفعاً لمحلهم عن قول لا يشهد له معقول ولا منقول ، ومن أن الكرايسبي ، والبخاري ، وغيرهما من الأئمة الموقفين أيضاً أفصحوا بأن لفظهم مخلوق ، لما احتاجوا إلى الإفصاح ، هذا إن ثبت عنهم الإفصاح بهذا ، وإلا فقد نقلنا لك قول البخاري ، أن من نقل عنه هذا فقد كذب عليه .

فإن قلت : إذا كان حقاً لم لا يُفصح به ؟

قلت : سبحان الله ! قد أنبأناك أن السر فيه تشديدهم في الخوض في علم الكلام ، خشية أن يجرحهم الكلام فيه إلى ما لا ينبغي ، وليس كل علم يُفصح به ، فاحفظ ما تلقى ^(٢) إليك ، واشتد عليه يدك .

ويعجبني ما أنشده الغزالي في « منهاج العابدين » ^(٣) لبعض أهل البيت :

إني لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
يا رب جوهري علم لو أبوح به	لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال صالحون دمي	يروون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسني	إلى الحسين ووصى قبله الحسن ^(٤)

(١) زيادة من : ج ، د على ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : نقلته ، والمثبت من : ج ، د .

(٣) منهاج العابدين صفحة ٣ . وقد نسب الغزالي الأبيات إلى زين العابدين على بن الحسين بن علي ، كما ورد في حاشية د .

(٤) ورد هذا البيت في منهاج العابدين بعد قوله : « إني لأكتم .. » .

(ذكر النبأ عن وفاته رضى الله عنه)

قال ابن عديّ : سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقنديّ ، يقول : جاء البخاريّ إلى خرّثك ، قرية من قرى سمرقند ، على فرسخين منها ، وكان له بها أقرباء ينزل عندهم ، قال : فسمعتُه ليلة ، وقد فرغ من صلاة الليل ، يقول في دعائه : اللهم إني ضاقت على الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك .

قال : فما تمّ الشهر حتى قبضه الله ، وقبره بخرّثك .

وعن عبد الواحد بن آدم الطواويسيّ : رأيتُ النبيّ ﷺ في المنام ، ومعه جماعة من أصحابه ، فسلمتُ عليه ، فردّ عليّ السلام ، فقلت : ما وقوفك يا رسول الله ؟ فقال : « أَتَنْظُرُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ » ، فلما كان بعد أيام بلغني موته ، فنظرنا ، فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيتُ النبيّ ﷺ فيها .

قال الحاكم أبو عبد الله : سمعتُ أبا صالح خلف بن محمد بن إسماعيل البخاريّ ، يقول : سمعت أبا حسان مَهيب^(١) بن سُلَيْم الكَرْمَانِيّ ، يقول : مات محمد بن إسماعيل رحمه الله عندنا ، ليلة الفطر ، أول ليلة من شوال ، سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان بلغ عمره اثنتين وستين سنة ، غير ثنتي عشرة ليلة ، وكان مولده في شوال ، سنة أربع وتسعين ومائة ، وكان في بيتٍ وحده ، فوجدناه لما أصبحنا وهو ميّت .

وقال بكر بن مُنِير بن خُلَيْد البخاريّ : بعث الأمير خالد بن أحمد الدُّهْلِيّ ، مُتَوَلِّى بُخَارَى إلى محمد بن إسماعيل : أن يحمل إلَيّ كتاب « الجامع » و « التاريخ » وغيرهما ؛ لأسمع منك .

فقال لرسوله : أنا لأذِلُّ العلم ، ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كان له إلى شيء منه حاجةٌ فليحضُر في مسجدى ، أو في دارى ، وإن لم يعجبهُ هذا ، فإنه سلطان فليمنعني

(١) في المطبوعة ، ج « مهنّب » والمثبت من : د ، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٤ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٩٠ ، ٩١ ، ١٢/ ٦٨ .

من الجلوس ؛ ليكون لى عذرٌ عند الله يوم القيامة ؛ لئلا أكتَمَ العلم . فكان هذا سببَ الوحشة بينهما .

وقال أبو بكر بن أبى عمرو البخارى : كان سببُ منافرة البخارى أن خالد بن أحمد ، خليفة الظاهرية ببخارى سألَه أن يحضر منزله ، فيقرأ « الجامع » و « التاريخ » على أولاده ، فامتنع ، فراسله بأن يعقد مجلساً خاصاً لهم ، فامتنع ، وقال : لا أخصُّ أحداً . فاستعان عليه بخريث بن أبى الورقاء ، وغيره ، حتى تكلموا فى مذهبه ، ونفاه عن البلد ، فدعا عليهم ، فلم يأت إلا شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى على خالد فى البلد ، فتودى عليه على أتانٍ ، وأما خريث فابْتُلِيَ بأهله ، ورأى فيها ما يجِلُّ عن الوصف ، وأما فلان فابْتُلِيَ بأولاده .

رواها الحاكم ، عن محمد بن العباس الضببى ، عن أبى بكر هذا .
وخريث بن أبى الورقاء من كبار فقهاء الرأى ببخارى .

قال محمد بن أبى حاتم : سمعت غالب بن جبريل ، وهو الذى نزل عليه أبو عبد الله ، يقول : أقام أبو عبد الله عندنا أياماً ، فمرض ، واشتد به المرضُ ، حتى جاء رسول إلى سمرقند بإخراجه ، فلما وافى^(١) ، تهيأ للركوب ، فلبس خُفَّيه وتعمَّم ، فلما مشى قدرَ عشرين خطوة أو نحوها ، وأنا آخذ بَعْضُده ، ورجل آخر معى يقود الدابة ، ليركبها ، فقال رحمه الله : أرسلونى ، فقد ضعُفت ، فدعا بدعوات ، ثم اضطجع فقضى رحمه الله ، فسال منه [من]^(٢) العرق شىء لا يُوصَف ، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه فى ثيابه .

وكان فيما قال لنا ، وأوصى إلينا ، أن كَفَّنُونى فى ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها قميص ، ولا عِمامة ، ففعلنا ذلك .

فلما دفنناه فاح من تراب قبره رائحةٌ غالية ، فدام على ذلك أياماً ، ثم علَّت سوارى بيضٌ فى السماء مستطيلة ، بجذاء قبره ، فجعل الناس يَحْتَلِفون ويتعجبون .
وأما التراب ، فإنهم كانوا يرفعون عن القبر ، حتى ظهر القبر ، ولم يكن يُقدَّر على حفظ

(١) فى المطبوعة : فلما رأنا ، والمثبت من : ج ، د . وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٦٦ .

(٢) زيادة من : ج ، على ما فى المطبوعة ، د .

القبر بالحراس ، وغلَّبنا على أنفسنا ، فنصبَّنا على القبر خشباً مُشَبَّكاً ، لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر .

وأما ريح الطَّيِّب ، فإنه تداوم أياماً كثيرة ، حتى تحدَّث أهل البلدة ، وتعجَّبوا من ذلك .

وظهر عند مخالفته أمره بعد وفاته ، وخرج بعض مخالفه إلى قبره ، وأظهر التوبة والندامة .

قال محمد : ولم يعش غالبٌ بعده إلا القليل ، ودفن إلى جانبه .

وقال أبو علي العسائري الحافظ : أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكيني ، السمرقندي ، قدم علينا بلنسية عام أربع وستين وأربعمائة ، قال : قُحِطَ المطرُ عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، فاستسقى الناس مراراً فلم يُسَقُوا ، فأقَى رجل صالح معروف بالصِّلاح إلى قاضي سمرقند ، فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ونستسقى عنده ، فعسى الله أن يسقينا ، فقال القاضي : نعم ما رأيت .

فخرج القاضي ، والناس معه ، واستسقى القاضي بالناس ، وبكى الناس عند القبر ، وتشفَّعوا بصاحبه ، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير ، فقام الناس من أجله بحرثنك سبعة أيام أو نحوها ، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند ، من كثرة المطر وغزارته ، وبين سمرقند وخرثنك نحو ثلاثة أميال .

قلتُ : وأما « الجامع الصحيح » وكونه ملجأً للمعضلات ، ومُجرِّئاً لقضاء الحوائج فأمر مشهور ، ولو اندفعنا في ذكر تفصيل ذلك ، وما اتفق فيه لطال الشرح .

(ذكر نخب وفوائد ولطائف عن أبي عبد الله)

قال الحاكم أبو عبد الله : ومن شعر البخاري ، قرأت بخط أبي عمرو المُستَملي :
وأنشد البخاري :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعمى أن يكون موثك بعتة
كم صحيح رأيت من غير سقيم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة
قال : وأنشد البخاري :

خالق الناس بخلق واسع
لا تكن كلبًا على الناس تهر^(١)
قال : وأنشد أبو عبد الله :

مثل البهائم لا ترى آجالها
حتى تُساق إلى المجازر تُنحر
قال : وأنشد البخاري :

إن تبقُ تُفجع بالأحبة كلهم
وفناء نفسك لا أبا لك أفجع
قلت : هذا أحسن وأجمع من قول القائل :

ومن يُعمر يلق في نفسه
ما يتمناه لأعدائِهِ
ومن قول الطُّغرائي :

هذا جزاء امرئٍ أقرأه درجوا
من قبله فتمنى فسحة الأجل
وهي من قصيدته التي تسمى « لامية العجم » ، وهي هذه^(٢) :

أصالة الرأي صانتي عن الخطل
وحلية الفضل زانتي لدى العطل
مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل^(٣)

(١) في ج : بخلق واسع . والمثبت في المطبوعة ، د .

(٢) شرح الصفدي هذه القصيدة شرحا وافيا ، وأفرد لهذا مصنفًا سماه : « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » . وهي في ديوانه ٣٠١ - ٣٠٩ .

(٣) شرع : سواء . ورأد الضحى : ارتفاعه . والطفل : ما بعد العصر .

فِي مَ الْإِقَامَةُ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنَى
 نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفْرُ الرَّحْلِ مَنفَرْدٌ
 فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي
 طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي
 وَضَجَّ مِنْ لَعَبٍ نِضْوَى وَعَجَّ لِمَا
 أَرِيدُ بَسْطَةً كَفَّ أُسْتَعِينُ بِهَا
 وَالذَّهْرُ يَعْكُسُ أَمَالِي وَيُقْنِعُنِي
 وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرَّحْمِ مُعْتَقِلٌ
 حُلُوِ الْفُكَاهَةِ مَرُّ الْجَدِّ قَدْ مُرِجَتْ
 طَرْدَتْ سَرَّحَ الْكَرَى عَنْ وَرْدٍ مُقْلَتِهِ
 وَالرَّكْبُ يَمِيلُ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرِبٍ
 فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَى لَتَنْصُرَنِي
 تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ التَّجَمُّ سَاهِرَةٌ
 فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيِّ هَمَمْتُ بِهِ

بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَهْلِي^(١)
 كَالسَّيْفِ عُرِّي مَثْنَاهُ مِنَ الْخِلَلِ^(٢)
 وَلَا أُنَيْسٌ لَدَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
 وَرَحَلُهَا وَقَرَى الْعَسَالَةَ الدُّبُلِ^(٣)
 يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرُّكْبُ فِي عَذَلِي^(٤)
 عَلَى قَضَاءِ حَقْوِي لِلْعُلَى قَبْلِي
 مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ^(٥)
 لِمَثَلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلِ^(٦)
 بِقُوَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزْلِ^(٧)
 وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقْلِ^(٨)
 صَاحٍ وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى ثَمِيلِ^(٩)
 وَأَنْتَ تَحْذُلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلِيلِ^(١٠)
 وَتَسْتَحِيلُ وَصَبْعُ اللَّيْلِ لَمْ يَحِلْ^(١١)
 وَالْعَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الْفَشَلِ

(١) الزوراء : بغداد .

(٢) في الأصول : منفردا ، والمثبت من الغيث ١ / ١١٥ ، وفيه : صفر الكف ... عن الخلل . والخلل : بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف ، منقوشة بالذهب وغيره .

(٣) القارية من السنان : أعلاه ، والعسالة : الرماح ، والذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح ، كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة .

(٤) اللغب : الإعياء والتعب ، والنضو : البعير المهزول ، والعجيج : رفع الصوت ، وفي الغيث ١ / ١٦٦ : ألقى .

(٥) القفل : الرجوع من السفر .

(٦) الشطاط - بالفتح والكسر - : اعتدال القامة ، واعتقال الرمح : أن يضعه الفارس بين ساقه وركابه ، والوكل : العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٧) في ج : بقسوة الناس فيه رقة الغزل ، وفي د : بقوة البأس فيه ، وفي الغيث ١ / ٢٥٠ : بشدة البأس منه . والمثبت في المطبوعة .

(٨) السرح : السائم .

(٩) ميل : جمع أميل ، وهو الذي لا يستوى على السرج .

(١٠) الجلى : الأمر العظيم .

(١١) الاستحالة : التغير ، والصبغ : اللون .

إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْجِزْعِ مِنْ إِضْمٍ
يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ
فَسِرُّ بَنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُهْتَدِيًا
فَالْحَبُّ حَيْثُ الْعِدَى وَالْأُسْدُ رَابِضَةٌ
نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ
قَدْ زَادَ طَيْبَ أَحَادِيثِ الْكَرَامِ بِهَا
تَبِيْتُ نَارُ الْهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَيْدٍ
يَقْتُلُنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لَا حَرَكَ بِهِ
يُشْفَى لِدَيْعِ الْعَوَالِي فِي بَيوتِهِمْ
لَعَلَّ إِلْمَامَةً بِالْجِزْعِ ثَانِيَةً
لَا أَكْرَهُ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شَفَعَتْ
وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحَ الْبَيْضَ تُسْعِدُنِي

وقد حماه رماة الحى من ثعل^(١)
سود الغدائر حمر الحلى والحل^(٢)
فتفحة الطيب تهدينا إلى الحل^(٣)
حول الكناس لها غاب من الأسل^(٤)
نصالها بمياه العنج والكحل^(٥)
ما بالكرائم من جبن ومن بخل
حرى ونار القرى منهم على القل^(٦)
وينحرون كرام الخيل والإبل^(٧)
بنهله من غدير الخمر والعسل^(٨)
يدب منها نسيم البرء فى عللى
برشقة من نبال الأعين النجل
باللمح من صفحات البيض فى الكل^(٩)

- (١) الطرود : هو المجرى لبليل ، والجزع : منعطف الوادى ووسطه . وإضم : جبل بأرض المدينة ، وثعل : أبو حى من طى ، وهم مشهورون بإتقان الرمى . وفى الغيث ١ / ٣٣٠ : طرود الحى .
- (٢) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح ، والدان : جمع لدن ، وهو الدين .
- (٣) الذمام : الحرمة ، والحلل : جمع حلة ، وهى بيوت القوم . وفى الغيث ١ / ٣٤٦ : معتسفا .
- (٤) الحب - بالضم - : المحبة ، وبالكسر : الحبيب ، والكناس : موضع الظبى الذى يكنسه ، والأسل : نبات طويل له شوك ، والمراد هنا الرماح . وفى ج : حول الكباش .
- (٥) الأم : القصد ، والكحل : سواد يعلو جفون العين مثل الكحل ، من غير احتحال .
- (٦) القل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل . وفى ج : على قبل ، وفى المطبوعة : على قلل . والمثبت من : د ، والغيث ١ / ٣٨٣ .
- (٧) فى ج : يقللن . والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ١ / ٣٩٥ ، وفيه : لا حراك بهم . ونضو الحب : من أسقمه الهوى .
- (٨) فى ج : الغوالى ، والمثبت من : المطبوعة ، د ، والغيث ١ / ٤٠٨ ، والعوالى : الرماح . والنهله : الشربة الواحدة .
- (٩) فى الغيث ٢ / ١٧ : باللمح من خلل الأستار والكلل . والصفاح البيض : السيوف العريضة . والبيض : النساء ، والكلل : جمع كلة ، وهى الستر الرقيق ، يحاط كالبيت ، يتوق به .

ولا أُحِلُّ بِغَزْلَانِ أَغَاذِلَهَا
حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحَتْ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
رِضَا الدَّلِيلِ بِخَفْضِ الْعَيْشِ مَسْكَنَةً
فَإِذَا رَأَى بِهَا فِي نَحْوِ الْبَيْدِ جَافِلَةً
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوعَ عَلَا
أَهَيْتُ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِيعًا
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَصَهُمْ
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
لَمْ أَرْضَ بِالْعَيْشِ وَالْأَيَّامِ مُقْبِلَةً
غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ

ولو دَهَتْنِي أُسُودُ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ^(١)
عن المعالي وَيُغَرِّى الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ مُصْعَدًا فِي الْجَوْ فَاعْتَزِلْ^(٢)
رُكُوبَهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ
وَالْعِزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الْأَيْتَنِ الدُّلِيلِ^(٣)
مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدْلِ^(٤)
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنْ الْعِزُّ فِي الثَّقَلِ
لَمْ تَبْرَجِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ^(٥)
وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجُهَالِ فِي شُغْلِ
لَعِينِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَبَنَّى لِي
مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ^(٦)
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلٍ^(٧)
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَذِلِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلٍ^(٨)

(١) في ج : ولا أجل ، والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٠ . وأحل بالشئ : قصر فيه أو تركه ولم يأت به ، والغيل : الأجمة ، والشجر الملتف . والغيل : الدواهي .

(٢) في الغيث ٢ / ٤٤ : أو سلما .

(٣) في المطبوعة : يرضى ، وفي ج : يرضى الدليل بخفض العيش يخفضه . والمثبت من : د ، وفيه : منقصة . والغيث ٢ / ٦١ . والرسم : ضرب من سير الإبل .

(٤) ادراً بها : ادفع بها ، جافلة : مسرعة منزعة ، معارضات : مقابلات ، والمثاني : جمع مثني ، واللجام للخيول بمثابة الزمام للناقة ، والجدل : جمع الجدليل ، وهو زمام الناقة المجدول من آدم .

(٥) في الغيث ٢ / ٩٠ : بلوغ منى . والدارة : تكون للشمس والقمر ، ولعله أراد بها ما يدور حول الشئ ، والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر .

(٦) في الغيث ٢ / ١٣١ : ما أضيق الدهر .

(٧) في الغيث ٢ / ١٥٣ : لم أرتض العيش .

(٨) في ج : فليس ، والمثبت من المطبوعة ، د ، الغيث ٢ / ١٦٥ ، وزهى الرجل بكذا - بالبناء للمفعول - تاه وتكبر . وهو مما نطقت به العرب على سبيل المفعول وإن كان بمعنى الفاعل .

ما كنتُ أُوثرُ أن يمتدَّ لى زَمَنِ
 تقدَّمَتْنى رجالٌ كان شوطُهُمُ
 هذا جزاءُ امرئٍ أقرَّاهُ دَرَجُوا
 وإن عَلَانِي مَنْ دُونِي فلا عَجَبُ
 فاصْبِرْ لها غيرَ مُحْتالٍ ولا ضَجِرِ
 أَعْدَى عَدُوِّكَ أَذْنَى مَنْ وَثِقَتْ بِهِ
 وإنَّما رَجُلُ الدُّنْيَا وواحدا
 وحسُنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
 غاضَ الوفاءُ وفاضَ العَدْرُ وانفَرَجَتْ
 وشانَ صِدْقِكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمْ
 إن كان يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ
 يا وارِدا سُوْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ
 فِي مَ اعْتِراضُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ
 مُلْكُ الْقِنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا
 تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا
 أَيَا خَبِيرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطَّلِعًا

حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّقَلِ
 وَرَاءَ خَطَوِي لَوْ أَمْشَى عَلَى مَهَلٍ^(١)
 مِنْ قِبَلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ
 لى أَسْوَةً بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحَلٍ^(٢)
 فِي حَادِثِ الذَّهْرِ مَا يُعْنَى عَنِ الْحِيلِ
 فَحَاذِرِ النَّاسِ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلٍ^(٣)
 مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
 فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
 مَسَافَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
 وَهَلْ يُطَابِقُ مُعَوِّجٌ بِمُعْتَدِلٍ^(٤)
 عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقَ السَّيْفُ لِلْعَدْلِ^(٥)
 أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
 وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ^(٦)
 يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ^(٧)
 فَهَلْ سَمِعْتَ بِظَلٍّ غَيْرِ مُتَنَقِّلِ
 اصْصَمْتُ فَقَى الصَّمْتِ مَنْجَاةً مِنَ الزَّلَلِ^(٨)

(١) فى المطبوعة : ولو ، وفى ج : إذ أمشى ، والمثبت من : د ، والغيث ٢ / ١٨٥ .

(٢) زحل : نجم من النجوم الخمس فى السماء السابعة .

(٣) الدخلى : المكر والخديعة .

(٤) شان الشيء : عابه .

(٥) نجح فى ثباتهم : أفاد ثباتهم ، والعذل : اللوم ، وهو من قول العرب « سبق السيف العذل » يضرب مثلا فى الأمر الذى لا يقدر على رده ، راجع أصل المثل فى : الغيث ٢ / ٣١٩ .

(٦) فى الغيث ٢ / ٣٤٤ : فبم اقتحامك ، واللج : معظم الماء ، والوشل : الماء القليل .

(٧) خول الرجل : حشمه ، الواحد : خائل ، وقد يكون الخول واحدا ، وهو اسم يقع على العبد والأمة .

(٨) فى ج : أنصت فقى الصمت منجاة عن الزلل . والمثبت فى المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٧٦ .

قد رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطَنْتُ لَهُ فَأَرْبَابُ بَنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ^(١)

* * *

● في صحيح البخاري^(٢) عن الحسن : أن مَنْ عليه صوم رمضان ، إذا مات ، فصام عنه ثلاثون رجلا في يوم واحد أجزأه .

(فرع غريب)

يقع تفريعا على القول بأنه يُصام عن الميت ، وقد ذكره التَّوَوَّى في « شرح المهذب » ، وقال : لم أر لأصحابنا فيه كلاما ، قال : وهو الظاهر . وكذلك قال الوالد في « شرح المنهاج » : إن ما قاله الحسن هو الظاهر ، الذي نعتقده .

● استدل البخاري^(٣) على جواز النظر إلى المخطوبة ، بقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ^(٤) مِنْ حَرِيرٍ ، فَقَالَ لِي : هَذِهِ امْرَأَتُكَ ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكَ الثَّوْبَ ؛ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ » . قال الوالد رحمه الله في « شرح المنهاج » : وهذا استدلال حسن ؛ لأن فعل النبي ﷺ في النوم واليقظة سواء ، وقد كشف عن وجهها .

● ذكر أبو عاصم العبادي ، أن السَّاجِي ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، عن الحسين ، عن الشَّافِعِيِّ ، أنه قال : يُكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ^(٥) : قال الرسول . بل يقول : قال رسول الله ﷺ ؛ ليكون مُعْظَمًا . انتهى .
والحسين : هو الكَرَائِسِيُّ ، ومحمد بن إسماعيل : هو البخاري . فيما ذكر أبو عاصم .

(١) في ج : على الهمل ، والمثبت من المطبوعة ، د ، والغيث ٢ / ٣٨٧ . والهمل : الإبل بلا راع .

(٢) صحيحه في (باب من مات وعليه صوم ، من كتاب الصوم) ٣ / ٤٥ .

(٣) صحيحه في (باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ، من كتاب النكاح) ٧ / ١٨ .

(٤) في المطبوعة : شقة . والتصويب من : ج ، د والصحيح ٧ / ١٩٨ . والسرقة : شقة الحرير الأبيض ، أو الحرير عامة .

(٥) في طبقات العبادي ٥٤ : عن أبي ثور وحسين الحلواني ، ... أكره أن يقول... وتقدم هذا في ١٢٦ .

ورأيت بخط ابن الصلاح : أحسب أبا عاصم واهماً ، ومحمد بن إسماعيل هذا هو السُّلَمِيُّ^(١) .

● نقلتُ من خط الشيخ الإمام رحمه الله ، قال ابن بَشْكُوَال في « الصلة » في تاريخ الأندلس ، في ترجمة عبد الله بن محمد بن عبد البر ، والد أبي عمر : وقد جَوَّز البخاري أن يُحدِّث الرجلُ عن كتاب أبيه ، بتبيين^(٢) أنه خطُّه ، دون خط غيره . قال الوالد : قوله « دون خطِّ غيره » إن كان المراد بتبيين أنه ليس خط غيره ، فهو موافق لما قاله الناس ، وإن كان المراد أنه لا يُحدِّث عن خط غيره ، فغير معروف .

٥١

محمد بن عاصم بن يحيى

أبو عبد الله الأصبهاني ، كاتب القاضي*

رحل ، وأخذ عن أصحاب الشافعي ، وابن وهب .

وسمع من علي بن حرب ، وسلمة بن شبيب .

روى عنه أحمد بن بئدار ، والطبراني ، وغيرهما .

قال أبو الشيخ : صنَّف كتباً كثيرة^(٣) .

توفي سنة تسع وتسعين ومائتين .

(١) في المطبوعة : النفيلي . والمثبت من : ج ، د . وانظر العبر ٢ / ٦٤ .

(٢) في الصلة ١ / ٢٣٨ : يتيقن .

* له ترجمة في : تهذيب التهذيب ٩ / ٢٤١ ، ذكر أخبار أصبهان ٢ / ٢٣٣ .

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان ٤ / ٢٠٥ .

محمد بن عبد الله بن مَعْلَد
أبو الحسين الأصبهاني*

يُعرف بصاحب الشافعي ، وبوراق الربيع بن سليمان .
نزل مصر ، وحَدَّث عن قتيبة بن سعيد ، ومحمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، وهانيء
ابن المتوكل ، وداود بن رُشيد ، وجماعة .
روى عنه ابن جَوْصا ، وغيره .
توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين .
وقال أبو نُعَيْم : بل بعد ذلك^(١) .

محمد بن علي البجلي القيرواني**

.....(٢)

-
- * له ترجمة في : ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٢٩ ، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٣٩ .
(١) قال أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان : توفي بمصر قبل التسعين .
** له ترجمة في علماء إفريقية ٢٧٨ .
(٢) بياض في كل الأصول ، وقد أورد المصنف ترجمته في الطبقات الوسطى على هذا النحو :

محمد بن علي البجلي الشافعي
أبو عبد الله القيرواني

من فضلاء المغرب الشافعيين ، ومن أصحاب الربيع بن سليمان .
قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو عبد الله محمد بن علي البجلي الشافعي القيرواني ، وكان فاضلا ، قال :
حدثني الربيع بن سليمان قال : قال سمعت ابن هشام ، صاحب « المغازي » يقول : كان الشافعي حجة في
اللغة .

قال البجلي : وقال لي الربيع : كان الشافعي إذا خلا في بيته كالسيل يهدر بأبام العرب .

محمد بن عُقَيْل الْفَرِيَّابِيُّ

أبو سعيد ، وعُقَيْل بضم العين ثم قاف مفتوحة

من أصحاب أبي إسماعيل الْمُزَنِّي ، والربيع بن سليمان .

حدَّث بِمَصْرَ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، وداود بن مِخْرَاق ، وجماعة .

وعنه عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ الْوَاعِظُ ، وأبو محمد بن الْوَرْدِ ، وأبو طالب أحمد بن نَصْرٍ ، وغيرهم .

وكان من الفقهاء الشافعيِّين بِمَصْرَ .

توفي بها في صفر ، سنة خمس وثمانين ومائتين .

● قال البيهقي في « كتاب المدخل » : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو عبد الله الزبير بن عبد الواحد الحافظ الأسدي^(١) ، قال : سمعت أبا سعيد محمد بن عُقَيْل الْفَرِيَّابِي ، يقول : قال الْمُزَنِّي ، أو الربيع : كنا يوما عند الشافعيِّ ، بين الظهر والعصر ، عند الصُّحْنِ فِي الصُّفَّةِ ، والشافعيُّ قد استند ، إمَّا قال إلى الأُسْطُوَانَةِ ، وإمَّا قال إلى غيرها ، إذ جاء شيخ عليه جُبَّةٌ صُوفٌ ، وعمامة صُوفٌ ، وإزار صُوفٌ ، وفي يده عُكَّازُهُ ، قال : فقام الشافعيُّ ، وسَوَّى عليه ثِيَابَهُ ، واستوى جالسا ، قال : وسلَّم الشيخ ، وجلس ، وأخذ الشافعيُّ ينظر إلى الشيخ هَيَّيَّةً لَهُ ، إذ قال له الشيخ : أسأل ؟

قال الشافعيُّ : سَلْ .

قال : أَيْشُ الْحُجَّةُ فِي دِينِ اللَّهِ ؟

فقال الشافعيُّ : كِتَابُ اللَّهِ .

(١) بفتح الألف والسين والذال المهملتين والباء المفتوحة المعجمة بوحدة بين الألفين الساكنين وفي آخرها ذال معجمة ، نسبة إلى أسدأباد ، وهي بلدة على منزل من همدان إذا خرجت إلى العراق . الباب ١ / ٤١ . وفي المطبوعة : الاسترابادي ، وهو خطأ ، صوابه من : ج ، د ، اللباب .

قال : وماذا ؟

قال : وسنة رسول الله ﷺ .

قال : وماذا ؟

قال : اتّفاق الأُمَّة .

قال : مِن أين قلت اتّفاق الأُمَّة ؟

قال : مِن كتاب الله .

قال : مِن أين في كتاب الله ؟

قال : فتدبّر الشافعيّ ساعة .

فقال الشيخ : قد أَجَلْتُكَ ثلاثة أيام ولياليها ، فإن جئتَ بحجّةٍ من كتاب الله في الاتّفاق ، وإلا تُبِّ إلى الله عز وجل .

قال : فتغيّر لونُ الشافعيّ ، ثم إنه ذهب ، فلم يخرج ثلاثة أيام ولياليهنّ .

قال : فخرج إلينا في اليوم الثالث ، في ذلك الوقت ، يعنى بين الظهر والعصر ، وقد انتفخ وجهه ويداها ورجلاه ، وهو مسنّقام ، فجلس ، قال : فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ ، فسلم ، وجلس ، فقال : حاجتى .

فقال الشافعيّ : نعم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ^(١) لا نُصْلِيهِ عَلَى خِلافِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَهُوَ قَرَضٌ .

فقال : صدقت ، وقام ، وذهب .

قال الفريابيّ : قال المُرزبيّ ، أو الربيع : قال الشافعيّ : لما ذهب الرجل ، قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات ، حتى وقفت عليه .

(١) سورة النساء ١١٥ .

قلتُ : إن ثبتت هذه الحكاية ، فيمكن أن يكون هذا الشيخ الخضر عليه السلام ، وقد فهمه الشافعي حين أجله ، واستمع له ، وأصغى لإغلاظه في القول ، واعتمد إشارته ، وسند هذه الحكاية صحيح ، لا غبار عليه .

٥٥

محمد بن علي بن الحسن بن بشر

المحدث ، الزاهد ، أبو عبد الله ، الحكيم ، الترمذي *

الصوفي ، صاحب التصانيف .

سمع الكثير من الحديث بخراسان ، والعراق .

وحدث عن أبيه ، وعن قتيبة بن سعيد ، وصالح بن عبد الله الترمذي ، وصالح بن محمد الترمذي ، وعلي بن حجر السعدي ، ويعقوب الدورقي ، وسفيان بن وكيع ، وغيرهم .

روى عنه يحيى بن منصور القاضي ، وغيره من علماء نيسابور ؛ فإنه حدث بها في سنة خمس وثمانين ومائتين .

لقي الحكيم أبو عبد الله أبا ثراب النخشي^(١) ، وصحب يحيى بن الجلاء^(٢) . قال أبو عبد الرحمن السلمی : نفوه من ترمذ ، وأخرجوه منها ، وشهدوا عليه بالكفر ؛ وذلك بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » وكتاب « علل الشريعة » وقالوا : إنه يقول : إن للأولياء خاتما ، كما أن للأنبياء خاتما ، وإنه يفضل الولاية على النبوة ، واحتج بقوله عليه السلام : « يَغِيْطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » ، وقال : لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغطوهم ، فجاء إلى بلخ فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذهب ، ثم اعتذر السلمی عنه ببعد فهم الفاهمين .

* له ترجمة في: حلية الأولياء ١٠ / ٢٣٣ ، الرسالة القشيرية ٢٩ ، صفة الصفوة ٤ / ١٤١ ، طبقات الشعرا ١ / ١٠٦ ، طبقات الصوفية ٢١٧ .

(١) يفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمة وفي آخرها باء موحدة ، هذه النسبة إلى نخشب ، مدينة من بلاد ما وراء النهر . الباب ٣ / ٢١٩ .

(٢) يفتح الجيم وتشديد اللام ألف ، هو اسم لمن يجلو الأشياء كالمرآة والسيوف ونحوها . الباب ١ / ٢٥٩ .

قلتُ : ولعل الأمر كما زعم السُّلَمِيُّ ، وإلا فما نظن بمسلم ^(١) أنه يفضل بشراً غير الأنبياء عليهم السلام على الأنبياء ^(٢) .

ومن تصانيف التِّرْمِذِيِّ كتاب « الفروق » لا بأس به ، بل ليس في بابه مثله ، يفرّق فيه بين المُداراة والمُداهنة ، والمُحاجة والمُجادلة ، والمُنَاطرة والمُغالبة ، والانتصار والانتقام ، وهلم جرا ، من أمور متقاربة المعنى ، وله أيضاً كتاب « غرس الموحّدين » وكتاب « عود الأمور » وكتاب « المناهي » وكتاب « شرح الصلاة » .

٥٦

محمد بن نصر المَرْوَزِيُّ

الإمام الجليل ، أبو عبد الله *

أحد أعلام الأمة ، وعقلائها ، وعُبادها .

ولد سنة اثنتين ومائتين ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، وسكن سَمَرْقَنْد ، وكان أبوه مَرْوَزِيّاً .

سمع محمد بن نصر هشام بن عَمَّار ، وهشام بن خالد ، والمسيب بن واضح ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق ، وعلى بن بَحر القطّان ، والربيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلى وعمرو بن زُرّارة ، وعليّ بن حُجر ، وهُدَبة ، وشيبان ، ومحمد بن عبد الله بن ثُمَيْر ، وخلّفاً .

وتفقه على أصحاب الشافعيّ .

روى عنه أبو العباس السَّرَّاج ، وأبو حامد بن الشَّرْقِيّ ، ومحمد بن المُنذر شَكْرٌ ^(٢) ، وأبو عبد الله بن الأخرم ، وابنه إسماعيل بن محمد بن نصر ، وطائفة .

(١) كانت العبارة في المطبوعة هكذا : أنه يفضل بشراً على الأنبياء عليهم السلام . والمثبت من : ج ، د .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٣ / ٣١٥ ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٨٩ ، طبقات الشيرازي ٨٧ ، طبقات ابن هداية الله ٩ ، العبر ٢ / ٩٩ ، النجوم الزاهرة ٣ / ١٦١ .

(٢) في المطبوعة : سكر ، والمثبت من : ج ، د ، وانظر المشتبه ٣٦٣ .

قال الحاكم : هو الفقيه ، العابد ، العالم ، إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة .
وقال الخطيب : كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ، ومن بعدهم [في الأحكام]^(١) .

وقال ابن حزم في بعض تأليفه : أعلم الناس من كان أجمعهم للسُّنن ، وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها ، وأدراهم بصحتها ، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه ، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتمَّ منها في محمد بن نصر المروزي ، فلو قال قائل : ليس لرسول الله ﷺ حديث ، ولا لأصحابه ، إلا وهو عند محمد بن نصر ، لما بُعد عن الصدق .

وقال أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي : كان الصَّدْرُ الأوَّل من مشايخنا ، يقولون : رجال خراسان أربعة : ابن المبارك ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن نصر المروزي .

وقال أبو بكر الصَّيْرَفِيّ : لو لم يصنّف المروزيّ إلا كتاب « القسامة » لكان من أफقه الناس ، فكيف وقد صنف كتباً سواها !

وقال الشيخ أبو إسحاق الشَّيرَازِيّ : صنف محمد هذا كتباً ضمَّنها الآثار والفقه ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام ، وصنف « كتاباً فيما خالف فيه أبو حنيفة علياً وعبد الله رضي الله عنهما » .

وقال ابن الأَثرَم : انصرف محمد بن نصر من الرحلة الثانية ، سنة ستين ومائتين ، فاستوطن نيسابور ، ولم تزل تجارتُه بنيسابور ، أقام مع شريك له مُضارب ، وهو يشتغل بالعلم والعبادة ، ثم خرج سنة خمس وسبعين إلى سَمَرْقَنْد ، فأقام بها ، وشريكُه بنيسابور ، وكان وقتَ مُقَامِهِ هو المفتي والمقدَّم ، بعد وفاة محمد ابن يحيى ، فإن حَيَّكَان ، يعنى يحيى بن محمد بن يحيى ، ومن بعده أقرؤا له بالفضل والتَّقْدُم .

قال ابن الأَثرَم ؛ حدثنا إسماعيل بن قُتَيْبَة : سمعت محمد بن يحيى غير مرة ، إذا سُئِل عن مسألة ، يقول : سلُوا أبا عبد الله المروزيّ .

وقال أبو بكر الصَّبْغِيّ^(٢) ، فيما أخبرنا به الشيخ الإمام الفقيه ، شيخ الشافعية ،

(١) تكملة من : تاريخ بغداد ٣ / ٣١٥ .

(٢) في المطبوعة : الضبعي . والمثبت من : ج ، المشتبه ٤٠٧ .

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ، ابن شيخ الشافعية تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم الفَرَارِيُّ^(١) في كتابه إلى من دمشق ، وعمر بن الحسن المَرَاغِيّ بقراءتي عليه ، قال الأول : أخبرنا المُسْلِم بن محمد بن المُسْلِم القَيْسِيّ ، سماعا عليه ، وقال الثاني : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن المُجاوِر إجازة ، قال : أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدِيّ سماعا ، قال : أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزَاز ، سماعا ، قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، قال : أخبرني محمد بن علي بن يعقوب المُعَدِّل ، قال : أخبرنا محمد بن عبد الله النّيسابُورِيّ قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق ، يقول : أدركتُ إمامين لم أُرْزَق السماعَ منهما : أبا حاتم الرّازِيّ ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِيّ ؛ فأما محمد بن نصر فما رأيته أحسن صلاةً منه ، ولقد بلغني أن زُنبورا قعد على جبهته ، فسال الدم على وجهه ، ولم يتحرك .

وقال ابن الأَثرَم : ما رأيته أحسن صلاةً من محمد بن نصر ، كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ، ولا يَذْبُه عن نفسه ، ولقد كنا نتعجّب من حسن صلاته ، وخشوعه ، وهَيْئته للصلاة ، كان يَضَعُ ذَقْنَه على صدره : فينتصبُ كأنه خشبة منصوبة ، وكان من أحسن الناس خَلْقًا ، كأنما فُقِيَ في وجهه حُبُّ الرُّمَان ، وعلى خَدَّيه كالورد ، ولحيته بيضاء .

وقال السُّلَيْمَانِيّ : محمد بن نصر ، إمام الأئمة ، الموفّق من السماء .

وقال أحمد بن إسحاق الصَّبْغِيّ : سمعتُ محمد بن عبد الوهّاب الثَّقَفِيّ ، يقول : كان إسماعيل بن أحمد والي خُراسان ، يصل محمد بن نصر في السنة بأربعة آلاف درهم ، ويصله أخوه إسحاق بمثلها ، ويصله أهل سَمَرْقَنْد بمثلها ، فكان يُنفقُها من السنة إلى السنة من غير أن يكون له عيال ، فقيل له : لو ادَّخَرْتَ لنائبة . فقال : سبحان الله ! أنا بقيتُ بمصر كذا وكذا سنة ، قُوتِي ، وثيَابِي ، وكاغِدِي ، وحِجْرِي ، وجميع ماأنفقه على نفسي في السنة عشرون^(٢) درهما ، فترى إن ذهب ذَا لا يَبْقَى ذاك !

(١) في ج : المغراري ، وفي د : الفراري ، والمثبت في المطبوعة ، وهو الصواب ، وقد ترجم له المصنف في الطبقة السابعة ، وانظر الدرر الكامنة ١ / ٣٤ .

(٢) في الأصول : « عشرين » . وكذلك في أصل سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧ .

قلتُ : انْظُرْ حَالَةَ مَنْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ عِنْدَهُ .

أخبرنا محمد بن العلامة أبو^(١) إسحاق الفزاري ، إذنا ، أخبرنا المسلم بن محمد .

ح : وأخبرنا أبو حفص عمر بن الحسن بن مزيد بن أميلة المِراغي ، بقراءة عليه ، قال : أخبرنا يوسف بن يعقوب بن المُجاور ، إجازة ، قال : أخبرنا أبو اليُمن الكِندي ، أخبرنا أبو منصور الفَزَّاز ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، أخبرنا الجَوْهري ، أخبرنا ابن حَيَّويه ، حدثنا عثمان بن جعفر اللُّبان ، حدثني محمد بن نصر ، قال : خرجتُ من مصر ، ومعى جارية لى ، فركبتُ البحر أريد مكة ، فغرقتُ فذهب منى ألفا جزء ، وصرت إلى جزيرة ، أنا وجاريتي ، فما رأينا فيها أحدا ، وأخذني العطش . فلم أقدر على الماء ، فوضعت رأسي على فخذ جاريتي ، مستسلما للموت ، فإذا رجل قد جاءني ، ومعه كوز ، فقال : هاه . فشربتُ وسقيتها ، ثم مضى ، فلا أدري من أين جاء ، ولا من أين ذهب^(٢) .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءة عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القَّوَّاس ، أخبرنا زيد بن الحسن الكِندي ، إجازة ، أخبرنا أبو الحسن بن عبد السلام ، أخبرنا الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفَيْرُوزَابَادِي ، قال : رَوَى عنه ، يعنى محمد بن نصر ، أنه قال : كتبتُ الحديث بضعا^(٣) وعشرين سنة ، وسمعت قولاً ومسائل ، ولم يكن لى حسن رأى فى الشافعي ، فبينما أنا قاعد فى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، إذ أغفيتُ إغفاءةً ، فرأيتُ النَّبِيَّ ﷺ فى المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أكتبُ رَأْيَ أُمِّي حنيفة ؟ فقال : « لَا » فقلت : رَأْيَ مالِك ؟ فقال « أَكْتُبْ مَا وَافَقَ حَدِيثِي » فقلت : أكتبُ رَأْيَ الشافعي ؟ فطأطأ رأسه شبه العُضبان ، وقال : « تَقُولُ رَأْيَ ؟ لَيْسَ هُوَ بِالرَّأْيِ^(٤) » ، هُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ خَالَفَ سُنَّتِي » قال : فخرجت فى أثر هذه الرؤيا إلى مصر ، فكتبتُ كُتُبَ الشافعي .

(١) كذا فى الأصول . والمصنف يروى عن « أبى إسحاق » مباشرة ، كما أنهم لم يذكروا فى ترجمته ابنه « محمدا » هذا . وانظر ٣١٢ / ٩ .

(٢) كذا فى الأصول ، وتاريخ بغداد ٣ / ٣١٧ . وفى سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٨ : « من أين راح » .

(٣) فى طبقات الشيرازي ٨٧ : سبعا وعشرين .

(٤) فى طبقات الشيرازي : تقول برأى وليس بالرأى .

أخبرنا الإمام أبو إسحاق الشافعي ، إجازة ، والمُسْنِدُ أبو حفص المَرَاغِي ،
بقراءتي ، قال الأول : أخبرنا أبو الغنائم بن عَلَّان ، سماعا ، وقال الثاني : أخبرنا أبو
الفتح بن المُجَاوِر الشَّيْبَانِي ، إجازة ، قالوا : أخبرنا زيد بن الحسن ، أخبرنا أبو
منصور القَزَّاز ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ ، أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد
الدَّرْبَنْدِي^(١) ، أخبرنا محمد بن أحمد بن [محمد بن]^(٢) سليمان الحافظ ، ببخارى ،
قال : سمعت أبا صخر محمد بن مالك السَّعْدِي ، يقول : سمعت أبا الفضل محمد بن
عُبَيْد الله البَلْعَمِي^(٣) ، يقول : سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد ، يقول :
كنت بِسَمَرْقَنْد ، فجلست يوما للمَظَالِم ، وجلس أخى إسحاق إلى جنبي ؛ إذ دخل
أبو عبد الله محمد بن نصر ، فقممت له إجلالا لعلمه ، فلما خرج عاتبنى أخى
إسحاق ، وقال : أنت والى خُراسان ، يدخل عليك رجل من رعيَّتِكَ ، فتقوم إليه ،
وهذا ذهاب السياسة ! فبتُ تلك الليلة ، وأنا منقسم^(٤) القلب بذلك ، فرأيت النبي
ﷺ في المنام ، كأني واقف مع أخى إسحاق ، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعَضْدي ،
وقال : يا إسماعيل ثبت مُلْكُكَ . وملك ينيك ، بإجلالك لمحمد بن نصر ، ثم التفت
إلى إسحاق ، فقال : ذهب مُلْكُ إسحاق ، وملك بنيهِ ، باستخفافِهِ بمحمد بن
نصر^(٥) .

(حكاية إملاق المحدثين بمصر)^(٦)

قرأتُ على أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحُبَّاز ، قلت له : أخبرك
أبو الغنائم المُسْلِم بن محمد بن عَلَّان ، قراءة عليه وأنت تسمع ، فأقرَّ به ، أخبرنا أبو اليُمن

(١) في المطبوعة : الدرندى . وفي د : الدرندى ، والمثبت من : ج ، نسبة إلى درند ، وهو باب الأبواب .
معجم البلدان ٢ / ٥٦٤ .

(٢) زيادة من : ج ، د على ما في المطبوعة .

(٣) يفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح العين المهملة ، وفي آخرها الميم ، نسبة إلى بلعم ، بلدة من بلاد
الروم ، وفي سبب نسبة جد الوزير أوى الفضل إليها اختلاف ، انظره في الباب ١ / ١٤١ .

(٤) في المطبوعة : متألم ، والمثبت من : ج ، د .

(٥) بعد هذا في الطبقات الوسطى : فبقى ملك إسماعيل وبنيه أكثر من مائة وعشرين سنة .

(٦) في د : حكاية إملاق محمد بن نصر ، والمثبت في : المطبوعة ، ج .

زيد بن الحسن الكنديّ، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا الحافظ أبو بكر الخطيب، حدثني أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن محمد الخرجوشي^(١) الشيرازي، لفظاً، سمعت أحمد بن منصور بن محمد الشيرازي، يقول: سمعت محمد بن أحمد^(٢) الصّحّاف السّجستانيّ، يقول: سمعت أبا العباس البكريّ، من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يقول: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزيّ، ومحمد بن هارون الرويانيّ، بمصر فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوئهم، وأضرّ بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهيموا، ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة؛ فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلّي صلاة الخيرة، فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وتخصّص من قبل وإلى مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقبل: هو هذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا، فدفعها إليه^(٣) [ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارا. فدفعها إليه^(٤)] ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو هذا يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارا. ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ وفعل به كذلك، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً^(٥) بالأمس، فرأى في المنام خيالا، قال: إن المحامد طوّوا كشحهم جياعا، فأنفذ إليكم هذه الصرار. وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليّ أحدكم^(٥).

قلت: ابن نصر، وابن جرير، وابن خزيمة من أركان مذهبنا، وأما محمد بن هارون الرويانيّ، فهو الحافظ أبو بكر، له مُسنَد مشهور، روى عن أبي كريب، وبتدار، وهذه الطبقة، مات سنة سبع وثلثائة.

(١) بفتح الحاء وسكون الراء وضم الجيم وفي آخرها شين معجمة نسبة إلى خرجوش، بعض أجداده. الباب ٣٥٣ / ١.

(٢) في المطبوعة: أحمد بن محمد، والمثبت من: ج، د، والطبقات الوسطى.

(٣) ساقط من: د.

(٤) في المطبوعة: ناثما، والمثبت من: ج، د.

(٥) انظر تذكرة الحفاظ ٧٥٣ / ٢ (ترجمة محمد بن هارون).

وَحُكِّيَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ نَصْرٍ ، كَانَ يَتَمَنَّى عَلَى كِبَرِ سِنِهِ أَنْ يُولَدَ لَهُ ابْنٌ .

قَالَ الْحَاكِي : فَكَانَ عِنْدَهُ يَوْمًا ، وَإِذَا بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ جَاءَ ، وَسَارَّهُ فِي أُذُنِهِ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ ^(١) ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَهُ بِيَاظِنِ كَفِّهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ .

قَالَ الْحَاكِي : فَرَأَيْنَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي تِلْكَ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةَ ثَلَاثَ سُنَنٍ ؛ تَسْمِيَةَ الْوَلَدِ ، وَحَمْدَ اللَّهِ عَلَى الْمَوْهَبَةِ ، وَتَسْمِيَةَ إِسْمَاعِيلَ ؛ لِأَنَّهُ وَلَدَ عَلَى كِبَرِ سِنِهِ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آفَقْتَهُ ﴾ ^(٢) .

قُلْتُ : كَذَا أُسْنَدَ هَذِهِ الْحِكَايَةُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ قَصِدَ الثَّلَاثَ ، فَاسْتَفِيدَ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ وُلِدَ لَهُ ابْنٌ عَلَى الْكِبَرِ ، أَنْ يُسَمِّيَهُ إِسْمَاعِيلَ ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ حَسَنَةٌ ، وَأَحْسِبُ إِسْمَاعِيلَ هَذَا مِنْ خَنَّةَ ^(٣) بِخَاءٍ مَعْجَمَةٍ ثُمَّ نُونٍ ، وَهِيَ أَخْتُ الْقَاضِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ ، كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ قَدْ تَزَوَّجَهَا .
تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ بِسَمَرْقَنْدَ فِي الْحَرَمِ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

(وَمِنْ غَرَائِبِهِ)

● ذَهَبَ إِلَى أَنْ صَلَاةَ الصُّبْحِ تُقْصَرُ فِي الْخَوْفِ إِلَى رَكْعَةٍ .

● وَأَنَّهُ يُجْزَىءُ الْمَسْحُ عَلَى الْعِمَامَةِ .

● وَنَقَلَ فِي كِتَابِهِ « تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ » عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عِلَّةَ النَّهْيِ عَنِ السَّمَرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ لِأَنَّ مُصَلِّيَ الْعِشَاءِ قَدْ كَفَّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ بِصَلَاتِهِ ، فَيُخَشَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ الزَّلَّةُ ، فَيَتَدَنَّسُ بِالذَّنْبِ بَعْدَ الطَّهَارَةِ .

قُلْتُ : وَعَلَّلَهُ آخَرُونَ بِوُقُوعِ الصَّلَاةِ ، الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ خَاتَمَةً عَمَلِهِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ . وَآخَرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالْحَدِيثُ يَخْرِجُهُ عَنْ ذَلِكَ . وَآخَرُونَ

(١) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٣٩ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٩٠ .

(٣) الْمُشْتَبَهَ ٢١٩ .

بأن نومه يتأخر ، فيُخاف فواتُ الصبح عن وقتها ، أو عن أوله . وآخرون بخشية من له تهجدٌ فَوَاتَه .

قلتُ : ويمكن أن يُتعلق^(١) بكل من هذه المعاني ؛ بجواز^(٢) اجتماعها ، ولا يمكن أن يُقتصر على واحد من التعليلين الأخيرين ؛ لئلا يلزم اختصاصُ الكراهة بمن يخشى فوات الصبح ، واختصاصُهما^(٣) بمن له تهجدٌ يَخْشَى فَوَاتَه .

(حديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »)

هذا الحديث كثر ذكره على ألسنة الفقهاء والأصوليين ، وتكلمتُ عليه قديما فيما كتبتُه على أحاديث « منهاج البَيضَاوِيِّ » ثم وقفت على كتاب « اختلاف الفقهاء » للإمام محمد بن نصر ، وهو مختصر يذكر فيه خلافيات العلماء ، ويبدأ في كل مسألة بذكر سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فأبصرت فيه في « باب طلاق المكره وعتاقه » ما نصه : وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « رَفَعَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ ، وَمَا أَكْرَهُوا عَلَيْهِ » إلا أنه ليس له إسناده يُحْتَجُّ بمثله . انتهى .

فاستفدت من هذا ، أن لهذا اللفظ إسنادا ، ولكنه لا يثبت .

وقد وقع الكلام في هذا الحديث قديما بدمشق ، وبها الشيخ برهان الدين بن الفَرَكَاح ، شيخ الشافعية ثُمَّ إِذْ ذَاكَ ، وبالع في التنقيب عنه ، وسؤال المُحَدِّثِينَ ، وذكر في « تعليقاته على التنبيه » في « كتاب الصلاة » قولَ النَّوَوِيِّ في « زيادة الروضة » في « كتاب الطلاق » في الباب السادس ، في تعليق الطلاق ، إنه حديث حسن .

قال الشيخ بُرْهَانُ الدِّينِ : ولم أجد هذا اللفظ ، مع شهرته ، ثم ذكر أن في « كامل ابن عَدِيِّ » في ترجمة جعفر بن فَرْقَد ، من حديثه ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن أبي بَكْرَةَ ،

(١) في المطبوعة : يتعلل ، والمثبت من : ج ، د .

(٢) في المطبوعة : لجواز ، والمثبت من : ج ، د .

(٣) في المطبوعة : واختصاصها . والمثبت من : ج ، د .

قال : قال رسول الله ﷺ : « رَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثًا : الْخَطَأَ ، وَالنَّسْيَانَ ، وَالْأَمْرَ يُكْرَهُونَ عَلَيْهِ » وجعفر بن جسر^(١) وأبوه ضعيفان .

قلتُ : ثم وجد رفيقنا في طلب الحديث ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي الحديث بلفظه ، في رواية أبي القاسم الفضل بن جعفر بن محمد التميمي ، المؤذن ، المعروف بأخي عاصم ؛ فإنه قال : حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا محمد بن مُصَفَّى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ ، وَالنَّسْيَانُ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .

لكن ابن ماجه روى في سننه^(٢) الحديث بهذا الإسناد ، بلفظ غيره ، فقال : حدثنا محمد بن مُصَفَّى الجُمُصِيُّ ، عن الوليد بن مُسلم ، عن الأوزاعي ، عن عطاء ابن أبي رباح ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » ولفظ « الوضع » و « الرفع » متقاربان ، فلعل أحد الراويين^(٣) روى بالمعنى .

وسئل أحمد بن حنبل عن الحديث ، فقال : لا يصح ، ولا يثبت إسناده .

قلتُ : ورُوي من حديث ابن عباس : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ ، وَالنَّسْيَانَ ، وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ » كذا رواه الطبراني من حديث الأوزاعي . عن عطاء بن أبي رباح ، عن عُبيد بن عمير ، عن ابن عباس .

وبالجملة ، الأمر في الحديث وإن تعددت ألفاظه ، كما قال الإمامان أحمد بن حنبل ، ومحمد ابن نصر : إنه غير ثابت ، وذكر الخلال من الحنابلة في « كتاب العلم » أن أحمد قال :

(١) في المطبوعة : جعفر بن فرقد ، والمثبت من : ج ، د ، وهو جعفر بن جسر بن فرقد . ميزان الاعتدال ١٨٧ / ٢ . وانظر القاموس (ج س ر) .

(٢) سننه في (باب طلاق المكره ، والناسي ، من كتاب الطلاق) ٦٥٩ / ١ .

(٣) في المطبوعة ، د : الروایتين ، والمثبت من : ج .

مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَطَأَ وَالنَّسِيَانَ مَرْفُوعٌ ، فَقَدْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْجِبَ فِي قَتْلِ النَّفْسِ فِي الْخَطَأِ الْكَفَّارَةَ .

قُلْتُ : وَلَا مَحْمَلٌ لِهَذَا الْكَلَامِ ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ : أَرَادَ بِهِ مَنْ زَعَمَ ارْتِفَاعَهُمَا عَلَى الْعُمُومِ فِي خُطَابِ الْوَضْعِ وَخُطَابِ التَّكْلِيفِ ، وَإِلَّا فَقَائِلُ هَذَا الْمَقَالَةِ أَشْبَهَ بِوَفَاقِ الْإِجْمَاعِ .

٥٧

إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَدِيِّ

● نَقَلَ الْغَزَالِيُّ فِي « الْوَسِيطِ » أَنَّهُ رَوَى عَنِ الْمُزْنِيِّ ، عَنِ الشَّافِعِيِّ : أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ تَنْجِيسِ شَعْرِ الْآدَمِيِّ .

وَقَدْ سَبَقَ الْغَزَالِيُّ إِلَى هَذَا النِّقْلِ أَبُو عَاصِمٍ الْعَبَّادِيُّ ، وَالْقَاضِي الْمَآوَزِيُّ ، وَجَمَاعَاتُ .

وَالرَّجُلُ مَعْرُوفُ الْأَسْمِ بَيْنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَا يَنْبَغِي إِنْكَارُهُ ، غَيْرَ أَنْ تَرْجُمْتَهُ عَزِيزَةً ، لَمْ أَجِدْهَا إِلَى الْآنَ كَمَا فِي النَّفْسِ .

وَقَدْ ذَكَرَهُ الْعَبَّادِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ ، فِي الْمُقْلِّينَ الْمُنْفَرِدِينَ بِرَوَايَاتٍ ، وَسَيَأْتِي مَا يُؤَيِّدُ رَوَايَتَهُ ؛ فَإِنَّا إِنِ شَاءَ اللَّهُ سَنَذَكُرُ فِي الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ ، فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَوْلَهُ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ سُرَيْجٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْأَثْمَاطِيَّ ، يَقُولُ : إِنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ الْمُزْنِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ ، يَقُولُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرٍ : إِنَّ الشَّعْرَ لَا يَمُوتُ بِمَوْتِ ذَاتِ الرُّوحِ . فَقَدْ تَابَعَ الْأَثْمَاطِيُّ الْبَلَدِيَّ ، وَهَذِهِ مُتَابَعَةٌ جَيِّدَةٌ ، لَمْ أَجِدْ فِي الْبَابِ مِثْلَهَا .

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشر الحَرَبِيُّ
أبو إسحاق*

الفقيه ، الحافظ .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة .

وسمع هُوَذَةَ بن خليفة ، وأبا نُعَيْم ، وعبد الله بن صالح العِجْلِيّ ، وعاصم بن علي ، وعفان ، وأبا سَلَمَةَ التَّبُودَكِيّ ، ومُسَدَّد بن مُسَرَّهَد ، وأبا عُبَيْد القاسم بن سَلَام ، وشُعَيْث^(١) بن مُحَرِّز ، وغيرهم .

رَوَى عنه ابن صاعد ، وأبو بكر النَّجَّاد ، وأبو بكر الشافعيّ ، وعبد الرحمن بن العباس المُخَلَّص ، وخلق آخريهم موتا أبو بكر القَطِيعِيّ .

أخذ الفقه عن الإمام أحمد بن حنبل .

قال الخطيب : كان إماما في العلم ، وإماما في^(٢) الزهد ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالأحكام ، حافظا للحديث ، مُمَيِّزا لِعِلَلِهِ ، قَيِّما بالأدب ، جَمَاعا للغة ، صنف « غريب الحديث » وكتبها كثيرة .

أصله مِن مَرُو .

وكان يقول : أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجز مع القَدَر لم يَتَهَنَأْ^(٣) بعيشه .

قال^(٤) : وقميصي أنظف قميص ، وإزارى أوسخ إزار ، ما حدثت نفسي بأنهما يستويان

* له ترجمة في : إنباه الرواة ١/ ١٥٥ ، الأنساب ١٦٢ ، بغية الوعاة ١٧٨ ، تاريخ بغداد ٦/ ٢٧ ، شذرات الذهب ٢/ ١٩٠ ، صفة الصفوة ٢/ ٢٢٨ ، طبقات الشيرازي ١٤٥ ، طبقات ابن هداية الله ٩ ، العبر ٢/ ٧٤ ، فوات الوفيات ١/ ٣ ، معجم الأدباء ١/ ١١٢ ، معجم البلدان ٢/ ٣٣٤ ، النجوم الزاهرة ٣/ ١١٦ ، نزهة الألبا ٢٧٦ . والخرى نسبة إلى الخريبة ، محلة بغري بغداد .

(١) في المطبوعة ، د : شعيب ، والتصويب من : ج ، والمشتبه ٣٩٧ .

(٢) في تاريخ بغداد : كان إماما في العلم ، رأسا في الزهد .

(٣) في المطبوعة ، د : لم يهنأ بعيشه ، والمثبت من : ج ، د ، تاريخ بغداد .

(٤) في تاريخ بغداد : كان يكون قميصي .

قط ، وفرد عَقِبِي صحيح ، والآخر مقطوع ، ولا أَحَدٌ نفسى أنى أصلحها ، ولا شكوت لأهلى وأقاربى حُمَى أجدها ، ولى عشر سنين أُبْصِرُ بِفَرْدٍ عَيْنٍ ، ما أُخْبِرْتُ به أحدا ، وأفنيتُ من عمرى ثلاثين سنة برغيفين ، إن جاءتني بهما أمى أو أُختى ، وإلا بقيتُ جائعا إلى الليلة الثانية ، وأفنيت ثلاثين سنة برغيف فى اليوم واللييلة ، إن جاءتني به امرأتى أو بناتى ، وإلا بقيت جائعا ، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة ، وقام إفطارى فى رمضان هذا ، بدرهم ودانقين ، ونصف .

قال السُّلَمِىّ : سألتُ الدَّارِقُطَنِيَّ عن إبراهيم الحُرْبِيِّ ، فقال : كان يقاس بأحمد ابن حنبل فى زهده وعلمه ، وورعه .

وقال الحاكم : سمعت محمد بن صالح القاضى ، يقول : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم فى الأدب ، والفقه ، والحديث والزهد .

وقال أبو بكر الشافعى : سمعت إبراهيم الحُرْبِيَّ يقول : عندى عن على بن المَدِينِيّ قِمَطَرٌ ، ولا أَحَدٌ عنه بشيء ، لأنى رأيته بالمغرب ، ونعله بيده مبادرا ، فقلت : إلى أين ؟ قال : ألحق الصلاة مع أبى عبد الله . قلت : من أبو عبد الله ؟ قال^(١) : ابن أبى دُوَاد .

قلتُ : نُقِمَ عليه اقتداؤه بابن أبى دُوَاد ، القائل بخلق القرآن ، وقد كان ابن المَدِينِيّ ممن يقول بذلك ؛ فإنما نقم عليه فى الحقيقة نفس البدعة ، وأنا أنقم عليه مع البدعة مبادرته وسعيه ، والسنة أن يأتى الصلاة وهو يمشى ، وعليه السكينة ، ولا يأتىها وهو يسعى .

توفى الحُرْبِيُّ فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين ، وذكره فى الحنابلة أولى من ذكره فى الشافعية^(٢) .

(١) من هنا يبدأ السقط فى ج .

(٢) وترجمته فى طبقات الحنابلة ١ / ٨٦ - ٩٣ .

إسحاق بن موسى بن عمران الإسفرائيني
الفقيه ، الزاهد ، أبو يعقوب ، صاحب المُزَنِّي ، والربيع

تفقه على المُزَنِّي ، وسمع « المبسوط » من الربيع .
وسمع من قُتَيْبَةَ بن سعيد ، وإسحاق بن رَاهُويَه ، وعلى بن حُجْر ، وإبراهيم بن
يوسف البَلْخِي ، وجُبَارَةَ^(١) بن المُعَلِّس ، وهشام بن عَمَّار ، وخلق بالعراق ،
والشام ، ومصر .
رَوَى عنه مُؤَمِّل بن الحسن ، وأبو عَوَانَةَ ، ومحمد بن عَبْدِكَ^(٢) ، ومحمد بن
الأَنْحَرَم وجماعة .

وكان فقيها ، مُحَدِّثًا ، زاهدا ، ورعا .
ذكره الحاكم ، وذكر أن كنية والده أبو عمران ؛ فلذلك ربما قيل : إسحاق بن
أبي عمران .
وقال : - أعنى الحاكم - كان أحد أئمة الشافعيين ، والرَّحَالَة في طلب الحديث ،
توفي بإسفرائين ، سنة أربع وثمانين ومائتين .

قلتُ : هنا فائدتان ، إحداهما أن شيخنا الذهبي قال : إن هذا الشيخ هو والد أبي
عَوَانَةَ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد ، وإنه يظن أن الحاكم وَهَمَ في تسمية أبيه
بموسى بن عمران .

قال^(٣) : وقد ذكر أن أبا عَوَانَةَ رَوَى عنه ، وما يَبَيِّن أنه ولده ، وما ذكر في تاريخه
ترجمة أخرى لوالد أبي عَوَانَةَ ، وقد رأيتُ أنا في « صحيح أبي عَوَانَةَ » روايته عن أبيه
إسحاق بن أبي عمران^(٤) ، فهو أبوه ، والله أعلم . هذا كلام شيخنا الذهبي^(٥) .

(١) في المطبوعة : جنادة . والتصويب من : د .

(٢) في الأصل : عيدك . والتصويب من ميزان الاعتدال ٩٦ / ٣ .

(٣) ساقط من : د .

(٤) بعض هذا الكلام في سير أعلام النبلاء ٤٥٨ / ١٣ . وانظر الواقي بالوفيات ٤١٩ / ٨ .

والثانية : أن الذهبي قال عَقِيب هذه الترجمة : إسحاق بن أبي عمران ، أبو يعقوب اليَحْمَدِيُّ الإِسْتَرَابَازِيُّ ، هو إسحاق بن موسى بن عبد الرحمن بن عُبيد الشافعي ، الفقيه أيضا ، سمع قُتَيْبَةَ ، وابن رَاهُويَةَ ، وهشام بن عَمَّار ، وَحَرَمَلَةَ ، وطبقتهم بخراسان ، والشام ، ومصر ، والعراق ، رَوَى عنه أبو نُعَيْم بن عَدِيّ ، ووالد عبد الله بن علي بن القطّان ، ذكره حمزة في « تاريخ جُرْجَان » انتهى كلام شيخنا الذهبي .

والذي يقع لى أنهما واحد ، وليس هو والد أبي عَوَانَةَ ، بل غيره ، هذا إسحاق ابن موسى ، وربما قيل ابن أبي عِمْران ، ووالد أبي عَوَانَةَ غيره .

وقول شيخنا الذهبي . ما ظفرت له برواية عن إسحاق بن أبي عِمْران ، لا يلزم منه أن يكون هو أباه ، فإن أبا عَوَانَةَ لم يستوعب في مُسنَدِه شيوخه ، هذا إن صح أنه لم يذكر في كتابه إسحاق بن أبي عِمْران .

فإن قلت : لا شك أن روايته عن أبيه ، وعدم روايته عن إسحاق بن أبي عِمْران قرينة .

قلت : لكن ذكر الحاكم لأبي عَوَانَةَ في الرواة^(١) عن هذا الشيخ ، من غير تنبيه عنه على أنه ولده قرينة في أنه غيره ، أقوى من تلك ، مع ما يُنْضَمُ إليها من أن أبا عَوَانَةَ نفسه أخذ عن المُزَنِيِّ والربيع ، على أن الحال^(٢) مُحْتَمِل ، والخطب فيه يسير .

وأما تفرقة شيخنا بين إسحاق بن موسى بن عمران ، وإسحاق بن أبي عِمْران ، فلا أحسبه إلا وهما ، وما أرى إلا أنهما واحد ، والعلم عند الله تعالى .

(١) في المطبوعة : أنه يعقوب النجمدى . والمثبت من : د . واليحمدي بفتح الياء وسكون الحاء وفتح الميم وبعدها دال مهملة ، نسبة إلى يحمّد ، وهو بطن من الأزد . الباب ٣ / ٣٠٥ .

(٢) في د : الرواية ، والمثبت في المطبوعة .

(٣) في د : الحاصل ، والمثبت في المطبوعة .

الجُنَيْد بن محمد بن الجُنَيْد

أبو القاسم ، الثَّهَوْنْدِيُّ الأَصْل ، البَغْدَادِيُّ ، الْقَوَارِيرِيُّ ، الْخَزَّازُ*

سَيِّد الطائفة ، ومَقْدَّم الجماعة ، وإمام أهل الخِرقَة ، وشيخ طريقة التصوف ، وعَلَم الأولياء في زمانه ، وبُهِلُّوا العارفين .

تفقه على أبي ثَوْر ، وكان يُفْتَى بحلقته وله من العمر عشرون سنة .

وسمع الحديث من الحسن بن عَرَفَة ، وغيره .

واختصَّ بصحبة السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ ، والحارث بن أسد المُحَاسِبِيِّ ، وأبي حمزة البَغْدَادِيِّ .

قال جعفر الخُلْدِيُّ^(١) : لم نَر في شيوخننا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد ، إذا رأيتَ علمه رجَّحتَه على حاله ، وإذا رأيتَ حاله رجَّحتَه على علمه .

وعن أبي العباس بن سُرَيْج ، أنه تكلم يوماً ، فأعجب به بعض الحاضرين ، فقال ابن سُرَيْج : هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد رحمه الله .

وقال أبو القاسم الكَعْبِيُّ المتكلم المعتزلي : ما رأيت عيناى مثله ، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة لدِقَّة معانيه ، والمتكلمون لعلمه .

* له ترجمة في: الأنساب ٤٦٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، الرسالة القشيرية ٢٤، صفة الصفوة ٢/ ٣٢٥، طبقات الحنابلة ١/ ١٢٧، طبقات الصوفية ١٥٥، طبقات ابن هداية الله ١٠، العبر ٢/ ١١٠، الباب ٣/ ٩، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٣، والقواريري : يفتح القاف والواو وبعد الألف ياء ساكنة تحتها نقطتان بين راعين مهملتين مكسورتين ، نسبة إلى عمل القوارير وبيعها ، والخزاز : يفتح الحاء وتشديد الزاي الأولى ، بينها وبين الزاي الثانية ألف ، نسبة إلى بيع الخنز .
(١) بضم الحاء وسكون اللام وفي آخرها دال مهملة ، نسبة إلى الخلد ، محلة ببغداد ، وإنما سمي جعفر بن محمد بالخلدي ؛ لأنه كان يوماً عند الجنيد ، فسئل الجنيد عن مسألة ، فقال الجنيد : أجيبهم . فأجابهم ، فقال : يا خلدي ، من أين لك هذه الأجوبة ؟ فبقي عليه . الباب ١/ ٣٨٢ .

قال الخُلْدِيُّ : قال الجُنَيْد ذات يوم : ما أخرج الله إلى الأرض علما ، وجعل للخلق إليه سبيلا ، إلا وقد جعل لي فيه حظا ونصيبا .

قال الخُلْدِيُّ : وبلغني أن الجُنَيْد كان في سوقه ، وكان وُردَه في كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة .

قال : وسمعتَه يقول : ما نزعْتُ ثوبى للفراش منذ أربعين سنة .

قال : وكان^(١) الجُنَيْد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع ، ويصلي كل ليلة أربعمئة ركعة .

قال أبو الحسن المَحَلِّي^(٢) : قلت^(٣) للجُنَيْد : ممن استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأوما إلى درجة في داره . قال إسماعيل بن نُجَيْد : كان الجنيد يجيء كل يوم إلى السوق ، فيفتح حانوته ، فيدخله ، ويسبل السُّرَّ ، ويصلي أربعمئة ركعة ، ثم يرجع إلى بيته .

قال على بن محمد الحُلَوَانِي^(٤) : حدثني خَيْرٌ ، قال : كنت جالسا يوما في بيتي ، فخطر لي خاطر ، أن أبا القاسم الجُنَيْد بالباب ، أخرج إليه . فنفيت ذلك عن قلبي ، وقلت : وسوسة . فوقع لي خاطر ثان ، فنفيتَه ، فوقع خاطر ثالث ، فعلمت أنه حق ، وليس بوسوسة ، ففتحت الباب ، فإذا أنا بالجُنَيْد قائم ، فسلم عليّ ، وقال : يا خَيْرٌ ، ألا خرجت مع الخاطر الأول .

قال أبو عمرو بن عُلوَان : خرجت يوما إلى سوق الرُّحبة^(٥) في حاجة ، ف وقعت عيني

(١) في المطبوعة : ومكث ، والمثبت من : د ، وصفة الصفوة .

(٢) المحلية : بليدة بين الموصل وسنجار . مراصد الاطلاع ١٢٣٥ .

(٣) في د : قيل ، والمثبت في المطبوعة .

(٤) هذا الضبط من الطبقات الوسطى (ضبط قلم) ، ولم نجد على بن محمد الحلواني فيما بين أيدينا من مراجع ، وهو بضم الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها واو وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى مدينة حلوان ، وهي آخر السواد مما يلي الجبل . اللباب ١ / ٣١١ .

(٥) لعلها رحبة مالك بن طوق ، على الفرات بين الرقة وعانة ، انظر مراصد الاطلاع ٦٠٨ ، القاموس (ر ح ب) .

على امرأة مُسْفرة ، من غير تعمُّد ، فألححتُ بالنظر ، فاسترجعتُ ، واستغفرت الله ، وعدت إلى منزلي ، فقالت لي عجوز : يا سيدي ، مالى أرى وجهك أسود . فأخذت المرأة ، فنظرت ، فإذا وجهي أسود ، فرجعت إلى سِرِّي أنظر من أين دُهِيتُ فذكرت النظرة ، فانفردت في موضع أستغفر الله ، وأسأله الإقالة أربعين يوما ، فخطر في قلبي : أن زُر شيخك الجُنيد ، فانحدرت إلى بغداد ، فلما جئت الحجره التي هو فيها طرقت الباب ، فقال لي : ادخل يا أبا عمرو ، وتُذنب في الرَّحبة ، ونستغفر لك ببغداد .

قال أبو بكر العطار : حضرتُ الجُنيد عند الموت ، في جماعة من أصحابنا ، فكان قاعدا يصلى ، ويثنى رجله كلما أراد أن يسجد ، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله ، فَثَقُلَتْ عليه حركتها ، فمد رجله وقد تورّمتا ، فرآه بعض أصدقائه ، فقال : ما هذا يا أبا القاسم ؟ قال : هذه نِعَم ، الله أكبر . فلما فرغ من صلاته ، قال له أبو محمد الجَرِيرِي^(١) : لو اضطجعت ، قال : يا أبا محمد ، هذا وقتٌ يُؤخذ [منه]^(٢) الله أكبر . فلم يزل كذلك^(٣) حتى مات .

وعن الجُنيد : أَرِقْتُ ليلة ، فقمت إلى وِرْدِي ، فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة ، فأردت النوم ، فلم أقدر ، فأردت القعود ، فلم أُطِقْ ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فإذا رجل ملتفٌ في عِباءة ، مطروح على الطريق ، فلما أحس بى رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم إلى الساعة .

فقلت : يا سيدي ، من غير موعد !

فقال : بلى ، سألت مُحَرِّكَ القلوب أن يحرك [لى]^(١) قلبك .

فقلت : ما حاجتُك ؟

فقال : متى يصير داءُ النفس دواها ؟

(١) بفتح الجيم والياء المعجمة باثنتين من تحتها الساكنة بين الرايين المهملتين ، نسبة إلى جرير بن عبد الله البجلي .

الباب ١ / ٢٢٤ ، والمشتبه ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) زيادة من المطبوعة على ما فى : د .

(٣) فى د : فلم يزل ذلك حاله . والمثبت فى المطبوعة .

فقلت : إذا خالفتُ هواها ، صار دأؤها دواها .
فأقبل على نفسه ، فقال : اسمعي ، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات ، فأبيت
إلا أن تسمعيه من الجنيد ، فقد سمعت . وانصرف عني ، ولم أعرفه ، ولا وقفت
عليه .

وقال : كنت جالسا في مسجد الشونيزية^(١) أنتظر جنازة أصلي عليها ، وأهل
بغداد على طبقاتهم جلوس ، ينتظرون الجنازة ، فرأيت فقيرا عليه أثر التُّسْك ، يسأل
الناس . فقلت في نفسي : لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به . فلما
انصرفْتُ إلى منزلي ، وكان لي شيء من الورد بالليل ، من الصلاة ، والقراءة ،
والبكاء ، فثقلتُ على جميع أורادي ، فسهرتُ وأنا قاعد ، فغلبتني عيناي ، فرأيت
ذلك الفقير ، وقد جاءوا به ممدودا على حيوان ، وقالوا لي : كُل لحمه ، فقد اغتبهته .
فكشيف لي عن الحال ، وقلتُ : ما اغتبهته ، إنما قلت شيئا في نفسي .
فقال لي : ما أنت ممن يُرضى منك بمثل هذا ، اذهب إليه ، واستحله .
فأصبحتُ ولم أزل أتردد ، حتى رأيته في موضع يلتقط من أوراق البقل ، فسلمتُ
عليه ، فقال : تَعُودُ يا أبا القاسم ؟
فقلتُ : لا .

فقال : غفر الله لنا ولك .

(ومن كلام الجنيد رحمه الله)

الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلقه ، إلا على المقتفين آثار رسول الله
ﷺ ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٢)
وقال : لولا أنه يُروى ، أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أردلهم ، ما تكلمتُ
عليكم .

(١) الشونيزية : مقبرة ببغداد ، بالجانب الغربي ، فيها مسجد الجنيد ، وعنده خانقاه للصوفية . المراسد ٨٢١ .

(٢) سورة الأحزاب ٢١ .

وقال : أضرَّ ما على أهل الديانات الدَّعاوى .

وقال : المروءة احتمال زَلَل الإخوان .

وقيل له : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبةٌ تُحَلِّ الإصرار ، وخوفٌ يزيل الغرَّة ، ورجاءٌ مُزعِج إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلوب .

وقال : ليس بشنَّيع^(١) ما يرد عليَّ من العالم ؛ لأنِّي قد أصِلْتُ أصلا ، وهو أن الدارَ دارُغَمٍّ ، وهمٍّ ، وبلاء وفتنة ، وأن العالم كله شر ، ومن حُكِّمه أن يتلقَّاني بكل ما أكره ، وإن تلقَّاني بما أحب فهو فضل ، وإلا فالأصل الأول .

وقال : الزهد خلَّو القلب عما خلَّت منه اليد ، واستصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب .

وقال : الخوف توقُّع العقوبة مع مجارى الأنفاس .

وقال : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب .

وقال : التواضع خفض الجناح ، ولين الجانب .

وقال ، وسأله جماعة : أنطلبُ الرزق ؟ فقال : إن علمت أئى موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله فيه . قال : إن علمتم أنه يُنساكم فذكِّروه . فقالوا : أندخل البيت ونتوكل ؟ فقال : التجربة شلٌّ . فقالوا : فما الحيلة ؟ قال : تركُ الحيلة .

وفي بعض الكتب نسبة هذه الحكاية إلى الخوَّاص .

وقال : اليقينُ استقرار العلم الذى لا يتقلَّب ، ولا يحُول ، ولا يتغير فى القلب .

وقال أيضا : اليقين ارتفاع الرَّيب فى مشهد الغيب . فعرفَ اليقين بتعريفين ، وسيأتى عنه أيضا للشكر تعريفان ، والكل حق صحيح .

وقال : المَسِير من الدنيا إلى الآخرة سهل هيِّن على المؤمن ، وهَجْران الخلق فى جنب^(٢) الحق شديد ، والمَسِير^(٣) من النفس إلى الله صعب شديد ، والصبر مع الله تعالى أشد .

(١) فى صفة الصفوة : ليس يتسع على ، وفى الطبقات الوسطى : ليس يتشبع على .

(٢) فى د : فى حب الحق ، والمثبت فى المطبوعة .

(٣) فى د : اليقين ، والمثبت فى المطبوعة .

وقال : الصبر تجرُّع المرارة ، من غير تُعبس .

وقال : مَنْ تَحَقَّقَ فِي المراقبة خاف على قُوَّتِ حظه من الله تعالى .

وقال - وقد قال الشَّيْبَلِيُّ يوما بين يديه : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - : قولك ذا ضَيْقٍ صدر ، وهو ترك للرضا بالقضاء ، والرضا رفع الاختيار .

وقيل له : ما للمُريد في مجاراة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله ، يُقَوِّى بها قلوب المريدين . فسُئِلَ على ذلك شاهدا ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ^(١) .

وقيل له : ما الفرق بين المريد والمُراد ؟ فقال : المريد تتولَّاهُ ^(٢) سياسة العلم ، والمراد تتولَّاهُ ^(٣) رعاية الحق ، لأن المريد يسير ، والمراد يطير ، وأين السائر من الطائر ؟

وقال : الإخلاص سر بين الله وعبده ، ولا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيُميله .

وقال : الصادق يتقلَّب في اليوم أربعين مرة ، والمُرَائِي يثُبُّ على حالة واحدة أربعين سنة .

وسئل عن الحياء ، فقال : رؤية الآلاء ورؤية التَّقْصِير ، يتولد منهما حالة تسمى الحياء .

وقال : الفُتُوَّة كُفُّ الأذى ، وبذْلُ النَّدى .

وقال : لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

قلتُ : والناس يستشكلون هذه الكلمة ويتطلبون تقريرها ، وسألت عنها بعض العارفين بالتصوف ، فقال : معناها يظهر بضرب مثل ؛ وهو أن العَوَاصِ إِذَا غَاصَ فِي الْبَحْرِ مَنُقِبًا عَلَى نَفْسِ الْجَوَاهِرِ إِلَى أَنْ قَارِبَ قَرَارِهِ ، وَكَادَ يَحْظِي بِمَرَادِهِ أَعْرَضَ وَتَرَكَ ، كَانَ مَا فَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى الْحَقِّ أَلْفَ أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ أَعْرَضَ ، فَتَلَكَ

(١) سورة هود ١٢٠ .

(٢) في د : موله . والمثبت في المطبوعة .

اللحظة التي أعرض فيها لو لم يُعرض نتيجة عمل ألف ألف سنة ، فلما أعرض فاتته تلك النتيجة التي هي غاية عمل ألف ألف سنة ، فظهر أن ما فاتته أكثر ممّا ناله .
قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ : سمعت جَدِّي إِسْمَاعِيلَ بنَ نُجَيْدٍ يقول : دخل أبو العباس بن عطاء على الجُنَيْدِ وهو في النَّزْعِ ، فسَلَّمَ فلم يردّ عليه ، ثم رد عليه بعد ساعة ، وقال : اعذرني ، فإنني كنت في وِرْدِي . ثم حوّل وجهه إلى القبلة وكبّر ومات .

وقال أبو محمد الجَرِيرِيُّ : كنت واقفا على رأس الجُنَيْدِ في وقت وفاته ، وكان يوم الجمعة ، وهو يقرأ القرآن ، فقلت : يا أبا القاسم ، ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ، ما رأيْتُ أحداً أحوَجَ إليه مني في هذا الوقت ، وهو ذا تُطَوِّى^(١) صحيفتي .
ويقال : كان نَقْشُ خاتم الجُنَيْدِ « إذا كنت تأملُه فلا تأمنه » .
وكان يقول : ما أخذنا التصوفَ من القال والقال ، ولكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات .

قال أبو سهل الصُّعْلُو كَيَّ : سمعت أبا محمد المُرتَعِشَ ، يقول : قال الجُنَيْدُ : كنت بين يدي السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ الْعَبِّ ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر ، فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟
فقلت : أن لا تَعْصِيَ اللهَ بنعمه .
فقال : أخشى أن يكون حظُّك من الله لسائلك .
قال الجُنَيْدُ : فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها لي .
وعن الجُنَيْدِ : الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة .
وعن الجُنَيْدِ : أعلى درجة الكبر أن ترى نفسك ، وأدناها أن تخطُرَ ببالك ، يعني نفسك .

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ : سمعتُ عبد الواحد بن بكر الوَرثَانِيَّ^(٢) ، قال : سمعت محمد

(١) في المطبوعة ، د : « يطوى » بالياء . والمثبت من الطبقات الوسطى .

(٢) بفتح الواو والراء والثاء المثلثة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى ورثان ، بلد في حدود أذربيجان . اللباب ٣ / ٢٦٧ ، والمراسد ١٤٣٢ . هذا ولم يرو السلمي عن الورثاني هذا القول في طبقات الصوفية ، وإنما روى قول الجنيد الذي بعده عن الورثاني عن همام بن الحارث صفحة ١٥٧ .

ابن عبد العزيز ، يقول : سئِلَ الجُنَيْدُ عَمَّنْ لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصّ نواة ، فقال : المكائب عبد ما بقى عليه درهم .

ومن كلام الجنيد : باب كل علم نفيس جليل بذل المجهود ، وليس من عبد الله يبذل المجهود كمن طلبه من طريق الجود .

وقال : إن الله يَخْلُصُ إلى القلوب من يرّه ، حسب ما خَلَصَتْ القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك .

وقال أبو عمرو الرُّجَاجِي^(١) : سألت الجُنَيْدَ عن المحبة . فقال : تُريد الإشارة ؟ فقلت : لا . قال : تريد الدَّعْوَى ؟ قلت : لا . قال : فأيش تريد ؟ قلت : عين المحبة . فقال : أن تحب ما يحب الله في عبادته ، وتكره ما يكره في عبادته .

وسئِلَ عن قُرب الله تعالى ، فقال : قريب لا بالثَّلاق ، بعيد لا بافتراق . وقال : مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة .

توفى الجُنَيْدُ يوم السبت ، في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل سنة سبع وتسعين .

قال الخُلْدِيُّ : رأيته في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت تلك الرؤسوم ، وما نفعنا إلا رُكِيَعَاتُ كنا نركعها في^(٢) السحر .

(ذكر شيء من الرواية عنه)

وقد ذُكِرَ أنه لم يُحدِّثْ إلا بحديث واحد ، حدثناه الحافظ أبو العباس بن المُظَفَّرَ إملاء ، قال : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن المُجَاوِرَ ، إذنا ، أخبرنا الإمام أبو اليُمْنُ زيد بن الحسن الكِنْدِيُّ ، أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القَزَّازَ ، المعروف بابن زُرَيْقٍ ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ،

(١) في د : « أبو عمر » . والمثبت من المطبوعة . وهو : محمد بن إبراهيم بن يوسف . ترجمته في طبقات الصوفية ٤٣١ ، و « الرُّجَاجِي » بتخفيف الجيم .

(٢) في د : عند السحر ، والمثبت في : المطبوعة ، وصفة الصفوة .

أخبرنا أبو سعيد المَالِينِيّ ، أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن مُقْبِل ، أخبرنا جعفر الخُلْدِيّ ، حدثنا جُنَيْد بن محمد .

ح : وأخبرنا أبو العباس بن الْمُظَفَّر ، بقراءتي عليه ، أخبرنا القاضي محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد بن السُّلَم سماعا ، أخبرنا الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقِيّ ، أخبرنا أبو طاهر السُّلَفِيّ ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن الحسن ابن زكريا الصُّوفِيّ ، فيما قرأت عليه ، أخبرنا والدي أبو الحسن علي بن الحسن الطُّرَيْثِيّ^(١) ، حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل الهَرَوِيّ ، لفظا ، أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن مُقْبِل ، حدثنا جعفر بن محمد ابن نُصَيْر ، أخبرنا أبو القاسم الجُنَيْد ، حدثنا الحسن بن عَرَفَة .

ح : وبإسنادنا المشهور إلى ابن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير الكوفيّ ، عن عمرو ابن قيس المَلَائِيّ^(٢) ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » ثم قرأ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾^(٣) .

قال أبو بكر الخطيب : لا يُعرف للجُنَيْد غيرُ هذا الحديث .

قال أبو الفرج ابن الجَوَزِيّ : وقد رأيت له حديثًا آخر .

قلت : أخبرناه أبو العباس بن المظفّر الحافظ بقراءتي عليه ، عن أبي الحسن ابن البخاريّ ، عن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجَوَزِيّ ، أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا رزق الله بن عبد الوهاب ، أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ ، حدثنا أحمد بن عطاء الصوفِيّ ، حدثنا محمد بن علي بن الحسين ، قال : سئل الجُنَيْد عن الفِرَاسَة ، فقال : حدثنا الحسن بن

(١) بضم الطاء وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحته وكسر التاء المثناة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثناة ، نسبة إلى طريث ، ناحية كبيرة من نواحي نيسابور . اللباب ٢ / ٨٦ .

(٢) بضم الياء وبعدها لام ألف وياء مثناة من تحته ، نسبة إلى بيع الملاعة التي تستر بها النساء . اللباب ٣ / ١٩٦ .

(٣) سورة الحجر ٧٥ .

عَرَفَةُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زُرَّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنْتُ أَرعى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . وَقَالَ فِي آخِرِهِ : قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّكَ غُلِيمٌ مُعَلَّمٌ » .

أَخْبَرَنَا الْمُسْنِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَبَّازِ ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَّانِ الْقَيْسِيُّ ، سَمَاعًا عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْيُمْنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زُرَيْقٍ الشَّيْبَانِيُّ ، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ السَّرَّاجِ ، مِنْ حِفْظِهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْخُلْدِيَّ ، يَقُولُ : قَالَ لِيَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَطْرَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمَرْوَةِ ، وَالْإِسْتِثْنَاءِ بِهِمْ حِجَابٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالطَّمَعُ فِيهِمْ فَقَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ النَّابُلُسِيُّ الْحَافِظُ ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا أَقْضَى الْقَضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ صَاعِدٍ بْنِ السَّلْمِ النَّابُلُسِيُّ ، قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ الْأَوْقِي ، سَمَاعًا ، أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيُّ سَمَاعًا .

ح : وَكُتِبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَزَرِيُّ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ ، وَغَيْرُهُمَا ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي ، عَنْ السَّلْفِيِّ ، إِجَازَاتٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَخْبَرَنَا وَالِدِي ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَالِينِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا الْوَزِيرِ عَلِيَّ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الصُّوفِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمَنْصُورِيَّ ، يَقُولُ : سَأَلْتُ الْجُنَيْدَ : مَتَى يَسْتَوْجِبُ الْعَبْدُ أَنْ يُقَالَ لَهُ عَاقِلٌ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ سَرِيًّا يَقُولُ : هُوَ أَنْ لَا يَظْهَرُ فِي جَوَارِحِهِ شَيْءٌ قَدْ ذَمَّهُ مَوْلَاهُ .

وَبِهِ إِلَى الْمَالِينِيِّ ، سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ يَوْسُفَ بْنَ يَحْيَى ، سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَدْعُو : بِمَوْضِعِكَ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ دُلْنِي عَلَى رِضَاكَ ، وَأَخْرِجْ مِنْ قَلْبِي مَا لَا تَرْضَاهُ ، وَأَسْكِنْ فِي قَلْبِي رِضَاكَ .

● وبه قال : سمعت عثمان بن عبد الله الزُّنَجِيّ يقول : سمعت الجُنَيْد بن محمد يقول ، وقد سئل عن اليقين ما هو ؟ فقال : ترك ما تُرى لما لا تُرى .

وبه قال : سمعت أبا الحسين أحمد بن زيزى يقول : قلت للجُنَيْد : مَنْ أصحب بعدك ؟ قال : اصحبْ بعدى مَنْ تأمنه سرُّ الله فيك .

وبه قال : سمعت أبا الحسن على بن أحمد بن قُرْقُر^(١) ، يقول : سمعت أبا الحسن على بن محمد السَّيْرَوَانِيّ^(٢) ، يقول : سمعت أبا عمرو ابن عُلْران ، يقول : سمعت أبا القاسم الجُنَيْد بن محمد يقول : حضرتُ إِملاك بعض الأبدال^(٣) من النساء ببعض الأبدال من الرجال ، فما كان في جماعة مَنْ حضر إلّا مَنْ ضرب يده إلى الهواء ، فأخذ شيئاً وطرحه من دُرٍّ وياقوت ، وما أشبهه . قال أبو القاسم : فضربت يدي فأخذت رَعفرانا وطرحته ، فقال لى الحُضُر^(٤) : ما كان في الجماعة مَنْ أهدى ما يصلح للعرس غيرك .

وبه قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد ، سمعت إبراهيم بن داود البرْدَعِيّ ، يقول : سمعت الجُنَيْد يقول : نهاية الصابر في حال الصبر حملُ المؤمن لله حتى تنقضى أوقات المكروه .

وبه قال : سمعت أبا القاسم يوسف بن يحيى ، يقول : سمعت الجُنَيْد يدعو إذا سأله إنسان أن يدعو له : جمعَ الله همَّك ولا شئتَ سرَّك ، وقطعك عن كل قاطع يقطعك عنه ، ووصلك إلى كل واصل يوصلك إليه ، وجعل غناه في قلبك ، وشغلك به عمّن سواه ، ورزقك أدباً يصلح لمجالسته ، وأخرج من قلبك ما لا يرضى ، وأسكن في قلبك رضاه ، وذلك عليه من أقرب الطرق .

(١) انظر المشته ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت ٣ / ٢١٥ .

(٣) قال أبو عبد الرحمن السلمي : « هم في الأمم خلفاء الأنبياء والرسل ، صلوات الله عليهم ، وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون ، وأصحاب الفرائض الصادقة ، والآداب الجميلة ، والمتبعون لسنن الرسل صلوات الله عليهم أجمعين إلى أن تقوم الساعة » . طبقات الصوفية ٢ .

(٤) في المطبوعة ، د : « الخضر » . والمثبت من الطبقات الوسطى . والحضر : جمع حاضر .

● أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَبَّاز، بقراءتي عليه ، أخبرنا الشيخان أبو الفداء إسماعيل بن أبي عبد الله بن حمَّاد بن العسقلانيّ ، وأبو إسحاق إبراهيم بن حمَّد^(١) بن كامل ابن عمر المقدسيّ ، سماعًا ، قالوا : أخبرنا أبو محمد بن مَنِينا ، وعبد الوهَّاب بن سُكَيْنة ، إجازة ، قالوا : أخبرنا محمد بن عبد الباقي الأنصاريّ القاضي ، أخبرنا الخطيب أبو بكر ، أخبرنا محمد بن الحسن الأهوازيّ ، قال : سمعت أبا حاتم الطَّبريّ ، يقول : سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن التصوف ، فقال : استعمال كُلِّ خُلُقٍ سَيِّئٍ ، وترك كُلِّ خُلُقٍ ذَنبِيّ .

● وبه إلى الخطيب ، أخبرنا بكران بن الطَّيِّب الجَرْجَرائيّ^(٢) ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد ، قال : سمعت الجُنَيْد يقول : لا تكون من الصادقين أو تصدِّق [مكانا]^(٣) لا ينجيك إلا الكذب فيه .

أخبرنا المسند عز الدين أبو الفضل محمد بن ضياء الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن الحَمَوِيّ ، قراءةً عليه . وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن ابن البخاريّ ، أخبرنا أبو حفص بن طَبْرَزْد ، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاريّ ، أخبرنا [أبو حفص]^(٤) هَنَاد بن إبراهيم ، أبو المظفر القاضي النَّسَفِيّ ، قال : سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسيّ ، يقول : كان الجُنَيْد بات ليلة العيد في موضع غير الموضع الذي كان يعتاده في البرِّيَّة ، فلما أن صار وقت السَّحَر إذا بشابٍّ ملتفٍّ في عباءة ، وهو يبيكي ويقول :

بحُرْمَةِ غُرْبَتِي كم ذا الصُّدُودُ ألا تعطف عليّ ألا تجوِّدُ
سرورُ العيد قد عمَّ النَّوَاجِي وضُرِّي^(٥) في ازديادٍ لا يبيدُ
فإن كنتُ اقترفتُ خِلَالَ سوءٍ فعُذْرِي في الهوى أن لا أعوِّدُ

(١) في المطبوعة : « أحمد » . وأثبتنا ما في د ، والطبقات الوسطى .

(٢) في المطبوعة : « بن الطيب الجرجاني » والمثبت من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ٧ / ٢٤٥ ، وهو نسبة إلى جرجانيا ، بفتح الجيم وسكون الراء الأولى : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد ، ياقوت ٥٤ / ٢ .

(٣) من : تاريخ بغداد ٧ / ٢٤٥ .

(٤) من : د .

(٥) في : د « وحزني » والمثبت في المطبوعة ، والطبقات الوسطى .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا المشايخ أبو بكر إسماعيل بن الأنماطي ، وأخته رُقَيَّة ، وغيرهما ، حضورا ، عن أبي بكر بن أبي سعد الصفَّار ، أخبرنا أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشَّحَّامِي ، أخبرنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد المؤدِّن ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن باكويه ، أخبرنا نصر بن أبي نصر ، أخبرنا جعفر بن نُصَيْر^(١) ، قال سمعت الجُنَيْد قال : حججتُ على الوَحْدَةِ ، فجاورت بمكة ، فكنت إذا جنَّ الليلُ دخلت الطَّواف فإذا بجارية تطوف وتقول :

أَبَى الْحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَّا
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ فَإِنْ رُمْتُ قُرْبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا
وَيَبْدُو فَأَفْتَنِي ثُمَّ أَحْيِي بِهِ لَهُ وَيُسَعِدُنِي حَتَّى أَلْذَّ وَأَطْرَبَا

قال فقلت لها : يا جارية أما تتقين الله ، في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام ؟ فالتفتت إليَّ وقالت : يا جُنَيْد ،

لَوْلَا التَّقَى لَمْ تَرْنِي أَهْجُرُ طَيْبَ الْوَسَنِ
إِنْ التَّقَى شَرَّدَنِي كَمَا تَرَى عَنْ وَطَنِي
أَفْرُ مِنْ وَجْدِي بِهِ فَحُبُّهُ هَيَمَنِي

ثم قالت : يا جُنَيْد تطوف بالبيت أم برَبِّ البيت ؟ فقلت : أطوف بالبيت ، فرفعت طَرَفَهَا^(٢) إلى السماء وقالت : سبحانك ، ما أعظمَ مشيئتك في خَلْقِكَ ! خَلَقَ كالأحجار يطوفون بالأحجار ، ثم أنشأت تقول :

يَطُوفُونَ بِالْأَحْجَارِ يَبْغُونَ قُرْبَةً إِلَيْكَ وَهُمْ أَقْسَى قُلُوبًا مِنَ الصَّخْرِ
وَتَاهُوا فَلَمْ يَذَرُوا مِنَ التِّيهِ مَنْ هُمْ وَحَلُّوْا مَحَلَّ الْقُرْبِ فِي بَاطِنِ الْفِكْرِ
فَلَوْ أَخْلَصُوا فِي الْوُدِّ غَابَتْ صِفَاتُهُمْ وَقَامَتْ صِفَاتُ الْوُدِّ لِلْحَقِّ بِالذِّكْرِ

(١) في المطبوعة : « نصر » والمثبت من : د ، والطبقات الوسطى .

(٢) في الطبقات الوسطى : « رأسها » .

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر ، بقراءتي عليه ، أخبرنا أحمد بن هبة الله بن عساكر ، بقراءتي عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل القاري ، إجازة ، أخبرنا هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري ، سمعا عليه إملاء ، قال : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت منصور بن عبد الله ، قال : سمعت أبا عمر الأنماطي ، قال : قال رجل للجنيدي : على ماذا يتأسف الحب من أوقاته ؟ فقال : على زمان بسط أورث قبضا ، أو زمان أنس أورث وحشة ، ثم أنشأ يقول :

قد كان لي مشربٌ يصفو بقرِّكم^(١) فكدرته يد الأيام حين صفا

وبه إلى هبة الرحمن القشيري ، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن ، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن هارون بن محمد ، وأبا بكر محمد بن أحمد المفيد ، يقولان : سمعنا أبا القاسم الجنيدي ابن محمد غير مرة يقول : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به .

وأخبرناه أيضا أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الخلاطي ، قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة ، أخبرنا نفيس الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن أبي القاسم ، أخبرنا والدي ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني البغدادي ، قراءة عليه في المحرم سنة سبع وخمسمائة ، قيل له : أخبركم أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله الحافظ الصقلي ، أخبرنا أبو الحسن علي بن هارون بن محمد ، وأبو بكر محمد بن أحمد المفيد ، قالوا : سمعنا أبا القاسم الجنيدي بن محمد رحمه الله يقول : تفقهت على مذهب أصحاب الحديث ، كأبي عبيد ، وأبي ثور ، وصحبت الحارث

(١) في طبقات الصوفية ١٦٣ « برويتكم » وفي الطبقات الوسطى « بذكركم » . والمثبت في المطبوعة ، د .

المُحَاسِبِيّ ، وَسَرِيّ بن المُعَلِّس رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ كَانَ سَبَبَ فَلَاحِي ، إِذْ عَلِمْنَا هَذَا مُضْبُوطًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ وَيَتَفَقَّهُ قَبْلَ سُلُوكِهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ .

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْوَالِدُ رَحِمَهُ اللهُ ، قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْلُوفِ بْنِ جَمَاعَةَ .

ح : وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ يَوْسُفَ الْمِصْرِيّ ، قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ ، قَالَا : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ زَافَرٍ بْنُ رَوَاجٍ ، قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ : سَمَاعًا ، وَقَالَ شَيْخُنَا : إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السُّلَمِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْعَلَّافُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْحَمَّامِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخُثُلِيُّ ، سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ بُكَيْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ يَقُولُ : يُبْنَى أَمْرُنَا هَذَا عَلَى أَرْبَعٍ : لَا نَتَكَلَّمُ إِلَّا عَنْ وَجُودٍ ، وَلَا نَأْكُلُ إِلَّا عَنْ فَاقَةٍ ، وَلَا نَنَامُ إِلَّا عَنْ غَلَبَةٍ ، وَلَا نَسْكُتُ إِلَّا عَنْ خَشْيَةٍ .

(ذَكَرَ نُحَيْبٌ وَفَوَائِدُ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللهُ)

● هل الأفضل للمحتاج أن يأخذ من الزكاة أو صدقة التطوع ؟

قال الغزاليّ في « الإحياء »^(١) : اختلف فيه السلف ، وكان الجنيد والخوَّاص وجماعة يقولون : الأخذ من الصدقة أفضل ؛ لئلا يُضَيَّقَ عَلَى الْأَصْنَافِ ، وَلِئَلَّا يُخْلَ بِشَرَطٍ مِنْ شُرُوطِهَا . وَقَالَ آخَرُونَ : الزكاة أفضل لأنها إعانة على واجب ، ولو ترك أهل الزكاة أخذها أثموا ؛ ولأن الزكاة لا مِثَّةَ فِيهَا .

قال الغزاليّ : والصواب أنه يختلف بالأشخاص ، فإن عَرَضَ لَهُ شَبْهَةٌ فِي اسْتِحْقَاقِهِ لَمْ يَأْخُذْ الزَّكَاةَ ، وَإِنْ قَطَعَ بِاسْتِحْقَاقِهِ يُنْظَرُ ؛ إِنْ كَانَ الْمُتَصَدِّقُ إِنْ لَمْ يَأْخُذْهَا هَذَا لَمْ يَتَصَدَّقْ

(١) ١ / ٢٠٦ والمصنف ينقل عن الغزالي بتصرف .

فليأخذ الصدقة ، فإن إخراج الزكاة لا بد منه ، وإن كان لا بد من إخراج تلك الصدقة يُخَيَّر ، قال : وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس .

٦١

الحارث بن أسد المُحَاسِبِيّ*

أبو عبد الله

عَلِمُ العارفين في زمانه ، وأستاذ السائرين ، الجامع بين عِلْمَي الباطن والظاهر ، شيخ الجُنَيْد .

ويقال : إنما سُمِّي المُحَاسِبِيّ لكثرة محاسبته لنفسه .

قال ابن الصَّلَاح : ذكره الأستاذ أبو منصور في الطبقة الأولى ، فيمن صَحِب الشافعي وقال : كان إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام ، وكتبه في هذه العلوم أصول مَنْ يصنّف فيها ، وإليه يُنسب أكثر متكلّمي الصّفاتية .. ثم قال : لو لم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه والكلام والأصول والقياس ، والزهد والورع والمعرفة إلا الحارث المُحَاسِبِيّ لكان مُعَبَّرًا في وجوه مخالفه ، والحمد لله على ذلك .

قال ابن الصَّلَاح : صُحِبَتْهُ للشافعي لم أر أحدا ذكرها سواه ، وليس أبو منصور من أهل هذا الفن فيُعْتَمَد فيما تفرّد به ، والقرائن شاهدة بانتفائها . قلت : إن كان أبو منصور صرّح بأنه صحب الشافعي فالاعتراض عليه لائح ، وإلا فقد يكون أراد بالطبقة الأولى مَنْ عاصر الشافعي ، وكان في طبقة الآخذين عنه ، وقد ذكره في الطبقة الأولى أيضا أبو عاصم العبادي ، وقال : كان ممّن عاصر الشافعي واختار مذهبه ، ولم يقل : كان ممّن صحبه . فلعلّ هذا القَدَر مُراد أبي منصور .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ٨ / ٢١١ ، تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٤ ، حلية الأولياء ١٠ / ٧٣ ، الرسالة القشيرية ١٥ ، شذرات الذهب ١ / ١٠٣ ، صفة الصفوة ٢ / ٢٠٧ ، طبقات الصوفية ٥٦ ، طبقات الشعراني ١ / ٦٤ ، العبر ١ / ٤٤٠ ، ميزان الاعتدال ١ / ١٩٩ ، وفيات الأعيان ١ / ٣٤٨ .

روى الحارث عن يزيد بن هارون ، وطبقته .

روى عنه أبو العباس بن مَسْرُوق ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ،
والشيخ الجُنَيْد ، وإسماعيل بن إسحاق السَّرَّاج ، وأبو على الحسين بن خَيْران الفقيه ،
وغيرهم .

قال الخطيب : له كتب كثيرة فى الزهد وأصول الديانة ، والرد على المعتزلة
والرافضة .

قلت : كتبه كثيرة الفوائد جمّة المنافع ، وقال جمع من الصوفية : إنها تبلغ مائتى
مصنّف .

قال الأستاذ أبو عبد الله بن خَفِيف : اقتدوا بخمسة من شيوخنا ، والباقون سَلَّمُوا
إليهم أحوالهم : الحارث بن أسد المُحَاسِبِى ، والجُنَيْد بن محمد ، وأبو محمد رُوَيْم ،
وأبو العباس بن عطاء ، وعمر بن عثمان المَكِّى ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .

وقال جعفر الخُلْدِى : سمعت الجُنَيْد يقول : كنت كثيرا أقول للحارث : عزلتى
أنسى . فيقول : كم تقول أنسى وعزلتى ! لو أن نصف الخلق تقربوا منى ما وجدت
بهم أنسا ، ولو أن نصف الخلق الآخر نأوا عنى ما استوحشت لبُعدهم .

قال : وسمعت الجُنَيْد يقول : كان الحارث كثير الضَّرِّ ، فاجتاز بى يوما وأنا
جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادة الضَّرِّ من الجوع ، فقلت له : يا عمّ ، لو
دخلت إلينا نلت من شىء من عندنا ! وعَمَدت إلى بيت عمى ، وكان أوسع من
بيتنا ، لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها فى بيتنا سريعا ، فجئت بأنواع كثيرة
من الطعام ، فوضعت بين يديه ، فمدّ يده فأخذ لقمة فرفعها إلى فيه ، فرأيت يعلُكها
ولا يَزْدَرِدُها ، ثم وثب وخرج وما كلّمنى ، فلما كان الغد لقيتُه فقلت له : يا عمّ
سررتنى ثم نَعَصْتَ عَنّى ! قال : يا بُنى ، أَمَا الفاقة فكانت شديدة ، وقد اجتهدت فى
أن أنال من الطعام الذى قدمته إلّى ، ولكنّ بينى وبين الله علامة ، إذا لم يكن الطعام
مَرْضِيًّا ارتفع إلى أنفى منه زَفرة فلم تقبله نفسى ، فقد رميت بتلك اللُقمة فى
دهليزكم .

وفي رواية أخرى : كان إذا مَدَّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرَّك له عِرْق في أصبعه ، فيمتنع منه .

وقال الجُنَيْد : مات أبو الحارث يوم مات وإن الحارث لمحتاج إلى دانيق فضة ، وخلف أبوه مالا كثيرا ، وما أخذ منه حبة واحدة ، وقال : أهل ملتين لا يتوارثان ، وكان أبوه رافضيا^(١) .

وقال أبو علي بن خيران الفقيه : رأيت الحارث بباب الطاق^(٢) ، في وسط الطريق ، متعلقا بأبيه ، والناس قد اجتمعوا عليه يقول : أُمِّي طَلَّقَهَا ؛ فإنك على دين وهي على دين غيره .

● وهذا من الحارث بناء على القول بتكفير القَدَرِيَّة ، فلعله كان يرى ذلك . وأما الحكاية المتقدمة في أنه لم يأخذ من ميراث أبيه ، فلعله ترك الأخذ من ميراثه ورعًا ، لأنه في محل الخلاف ، إذ في تكفير القَدَرِيَّة خلاف ، وفي نفى التوارث بناء على التكفير أيضا خلاف . وابن الصلاح جعل عدم أخذه من ميراث أبيه دليلا منه على أنه يقول بالتكفير . وفيه نظر ؛ لاحتمال أنه فعل ذلك ورعا . وقد صرح بعضهم بذلك ، وبأن الله عَوَّضه عن ذلك بأنه كان لا يدخل بطنه إلا الحلال المحض ، كما تقدم .

وأما حمله أباه على أن يطلق امرأته ، فصريح في أنه كان يرى التكفير ، إذ لا محل للورع هنا .

وقيل : أنشد قَوَال بين يدي الحارث هذه الأبيات :

أنا في العُرْبَةِ أبكى ما بكثُ عَيْنُ غريبٍ
لم أكن يومَ نُخْرُوجِي من بلادِي بمُصِيبِ
عجبًا لي ولتركي وطنًا فيه حبيبي

فقام يتواجد ويبكى ، حتى رحمه كل من حضره .

وروى الحسين بن إسماعيل المَحَامِلِي القاضي ، قال : قال أبو بكر بن هارون بن المُجَدَّر :

(١) في الطبقات الوسطى . « واقفيا » .

(٢) محلة كبيرة كانت ببغداد ، بالجانب الشرق . المراد ١٤٥ .

سمعت جعفر ابن أخى أبى ثور يقول : حضرت وفاة الحارث فقال : إن رأيت ما أحب تبسّمت إليكم ، وإن رأيت غير ذلك تنسّم في وجهى . قال : فتبسّم ثم مات .

قوله : « تنسّم في وجهى » بفتح التاء المثناة من فوق بعدها نون ثم سين ، ضبطناه لثلاثا يتصحّف .

توفى الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(ذكر البحث عما كان بينه وبين الإمام أحمد)

● أول ما نقدمه ، أنه ينبغي لك أيّها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قدّرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، وإلا فاضرب صفحا عمّا جرى بينهم ؛ فإنك لم تُخلق لهذا ، فاشتغل بما يعينك ودع مالا يعينك . ولا يزال طالب العلم عندى نبيلًا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ، ويقضى لبعضهم على بعض . فإنك ثم إياك أن تُصغى إلى ما اتفق بين أبى حنيفة وسُفيان الثوريّ ، أو بين مالك وابن أبى ذئب ، أو بين أحمد بن صالح والنسائيّ ، أو بين أحمد ابن حنبل والحارث المحاسبى ، وهلمّ جرّا ، إلى زمان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقى الدين بن الصّلاح ، فإنك إن اشتغلت بذلك خشيتُ عليك الهلاك . فالقوم أئمة أعلام ، ولأقوالهم محاميل ، ربما لم يُفهم بعضها ، فليس لنا إلا الترضى عنهم والسكوت عما جرى بينهم ، كما يُفعل فيما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الإمام أحمد رضى الله عنه ، كان شديد النكير على من يتكلم في علم الكلام ، خوفاً أن يجرّ ذلك إلى مالا ينبغي ، ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدعُ إليه الحاجة أولى ، والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة ، وكان الحارث قد تكلم في شيء من مسائل الكلام .

قال أبو القاسم النّصراباذى : بلغنى أن أحمد ابن حنبل هجره بهذا السبب .

قلت : والظن بالحارث أنه إنما تكلم حين دعت الحاجة ، ولكلِّ مقصِد ، والله يرحمهما .

وذكر الحاكم أبو عبد الله أن أبا بكر أحمد بن إسحاق الصَّبَّيَّ أخبره ، قال : سمعت إسماعيل بن إسحاق السَّراج يقول : قال لي أحمد بن حنبل : بلغني أن الحارث هذا يُكثر الكونَ عندك ، فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني ، فأسمع كلامه . فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة ، وأن يُحضر أصحابه ، فقال : فيهم كثرة ، فلا تَزِدْهم على الكُسْب^(١) والتمر . فأتيت أبا عبد الله فأعلمته ، فحضر إلى غرفة ، واجتهد في وِردِه ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم صلّوا العَتَمَةَ ، ولم يصلّوا بعدها ، وقعدوا بين يدي الحارث لا ينطقون إلى قريب نصف الليل ، ثم ابتدأ رجل منهم فسأل عن مسألة ، فأخذ الحارث في الكلام ، وأصحابه يستمعون كأن على رؤوسهم الطير ، فمنهم من يبكي ومنهم من يَجِنُّ ، ومنهم من يَزَعَقُ ، وهو في كلامه ، فصعدت الغرفة لأتعرّف حال أبي عبد الله ، فوجدته قد بكى حتى غُشِيَ عليه ، فانصرفت إليهم ، ولم تنزل تلك حالهم حتى أصبحوا وذهبوا . فصعدت إلى أبي عبد الله ، فقال : ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ! ومع هذا فلا أرى لك صُحبتهم . ثم قام وخرج . وفي رواية أخرى أن أحمد قال : لا أنكر من هذا شيئاً .

قلت : تأمل هذه الحكاية بعين البصيرة ، واعلم أن أحمد بن حنبل إنما لم ير لهذا الرجل صُحبتهُم ؛ لقصوره عن مقامهم ، فإنهم في مقام ضيق لا يسلكه كل أحد ، فيُخاف على سالكه ، وإلا فأحمد قد بكى وشكر الحارث هذا الشكر ، ولكلِّ رأيٍّ واجتهاد . حشرنا الله معهم أجمعين في زمرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم .

(١) الكسب ، بالضم : عصارة الدهن .

(ذكر شيء من الرواية عن الحارث)

أخبرنا الحافظ أبو العباس أحمد بن المظفر النابلسي ، بقراءتي عليه ، أخبرنا أقضى القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد بن السلم النابلسي ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا الشيخ تقي الدين أبو علي الحسن بن أحمد بن يوسف الأوقى ، سماعاً ، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، سماعاً عليه .

ح : وكتب إلي أحمد بن علي الجزري ، وفاطمة بنت إبراهيم ، وغيرهما ، عن محمد بن عبد الهادي ، عن السلفي ، أخبرني الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين ، فيما قرأت عليه من أصل سماعه ، بمدينة السلام ، في ذى القعدة سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، أخبرنا والدي أبو الحسن علي بن الحسين الطريشي^(١) الصوفي ، حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله الماليني ، لفظاً ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الشمشاطي^(٢) ، حدثنا أحمد بن القاسم بن نصر ، أخبرنا الحارث بن أسد المحاسبي العنزي^(٣) ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن عطاء الكيخاراني^(٤) أو الخراساني ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ » .

أخبرنا الشيخ المسند تاج الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر ، قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا جدّي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا عبد اللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد النيسابوري .

(١) نسبة إلى طريث - بضم أوله وفتح ثانية ثم ياء مثناة من تحت وطاء مثناة - ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور . ياقوت ٣ / ٥٣٤ .

(٢) نسبة إلى شمشاط - بكسر أوله وسكون ثانية وشين مثل الأولى وآخره طاء مهملة - مدينة بالروم على شاطئ الفرات . ياقوت ٣ / ٣١٩ .

(٣) في الأصول: « العزى » وأثبتنا ما في طبقات الصوفية ٥٦ . وانظر الباب ٢ / ١٥٦ .

(٤) بفتح أولها وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء وسكون الألفين بينهما راء مفتوحة وبعدها نون ، هذه النسبة إلى كيخاران ، وهي قرية من قرى اليمن . الباب ٣ / ٦٤ . وفيه : « قال أبو العباس المستغفري : كيخارا من قرى مرو . وليس بصحيح ، فإن هذه القرية لا تعرف بمرو ، وإنما هي من اليمن » .

ح : وأخبرنا أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر بن الحموي ، قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا ابن البخاري ، أخبرنا ابن طبرزد .

ح : وأخبرنا الوالد تغمده الله برحمته قراءة عليه ، أخبرنا أبو محمد الدميطي الحافظ ، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم الأزجي^(١) ، أخبرنا أبو طالب اليوسفي ، قال النيسابوري وابن طبرزد : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال : سمعت ، وقال اليوسفي : قال النيسابوري : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد بن عبيد العسكري يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن مسروق يقول : سمعت حارثا المحاسبي يقول : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة .

● أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر بقراءتي عليه ، أخبرنا ابن السلم ، أخبرنا الأوق ، أخبرنا السلفي ، أخبرني الشيخ أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا الصوفي ، فيما قرأت عليه ، أخبرنا والدي أبو الحسن علي بن الحسين الطريشي الصوفي ، حدثنا أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن خليل الهروي الماليني ، لفظا ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن بنت أبي حفص النسائي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الملقبي^(٢) ، أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي شيخ ، قال : قال لي أحمد بن الحسن الأنصاري : سألت الحارث المحاسبي عن العقل فقال : هو نور الغريزة مع التجارب ، يزيد ويقوى بالعلم والحلم .

قلت : هذا الذي قاله الحارث في العقل قريب مما نُقل عنه ، أنه غريزة يتأثى بها ذرك العلوم . وستكلم عن ذلك .

(١) في المطبوعة : « الأرجى » بالراء المهملة ، والتصويب من د ، الباب ١ / ٣٥ ، وهو بفتح الألف والراء وفي آخرها الجيم ، نسبة إلى باب الأزج ، وهي محلة كبيرة ببغداد .

(٢) بفتح الميم واللام وفي آخرها طاء مهملة . هذه النسبة إلى مدينة ملطية . قال ابن الأثير : وكانت من ثغور الروم ، وهي الآن في بلاد الإسلام . الباب ٣ / ١٧٦ .

(ومن كلمات الحارث والفوائد عنه)

أصل الطاعة الورعُ ، وأصل الورع التقوى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، وأصل محاسبة النفس الخوفُ والرجاء ، وأصل الخوف والرجاء معرفةُ الوعد والوعيد ، وأصل معرفة الوعد والوعيد داءٌ عظيمُ الجزاء^(١) ، وأصل ذلك الفكرةُ والعبرةُ ، وأصدق بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :
وما حَمَلْتُ من نَاقَةٍ فوق كُورِها أعزَّ وأوفى ذِمَّةً من محمدٍ^(٢)

قلت : وهذا حق . ونظير هذا البيت في الصدق قول حسان أيضا :

وما فقد الماضونَ مثلَ محمدٍ ولا مثله حتى القيامةُ يُفقدُ^(٣)
وقوله ﷺ : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ » قَالَهَا لَيْدٌ^(٤) :
* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ *

ذاك أصدق كلمات لبيد نفسه ، فلا ينافي هذا .

وقال الحارث : العلم يورث المخافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة ، وخيار هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ، ولا دنياهم عن آخرتهم ، ومن حسنت معاملته في ظاهره مع جهد باطنه ورثه الله الهداية إليه ؛ لقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٥) .

وقال : حُسْنُ الخلق احتمالُ الأذى ، وقلةُ الغضب ، وبسط الرحمة ، وطيب الكلام . ولكلِّ شيءٍ جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب في مطالعات الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح .

(١) في حلية الأولياء ١٠ / ٧٦ : « ومعرفة أصل معرفة الوعد والوعيد عظم الجزاء » .

(٢) البيت الأول ليس في ديوان حسان المطبوع . وينسب أيضا إلى أنس بن زميم ، وإلى ساهية ابن زميم أيضا . انظر الإصابة ٧٠ / ١ ، ٥٢ / ٣ ، أما البيت الثاني فهو في ديوان حسان ٨٥ .

(٣) ديوانه ٢٥٦ . وعجزه :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ *

(٤) الآية الأخيرة من سورة العنكبوت .

وقال : إذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب دعاه^(١) ! ومن استغنى بشيء دون الله جَهِلَ قَدْرَ الله ، والظالم نادم وإن مدحه الناس ، والمظلوم سالم وإن ذمّه الناس ، والقانع غنى وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملك ، ومن لم يشكر الله تعالى على النعمة فقد استدعى زوالها .

● قال إمام الحرمين في « البرهان » عند الكلام في تعريف العقل : وما حوّم عليه أحد من علمائنا غير الحارث المحاسبي ؛ فإنه قال : العقل غريزة يتأتى بها ذرّك العلوم ، وليست منها^(٢) . انتهى .

وقد ارتضى الإمام كلام الحارث هذا ، كما ترى ، وقال عقيبه : إنه صفة إذا ثبتت يتأتى بها التوصل إلى العلوم النظرية ، ومقدّماتها من الضروريات التي هي من مستند النظريات . انتهى .

وهو منه بناء على أن العقل ليس بعلم . والمعزّو إلى الشيخ أي الحسن الأشعري : أنه العلم .

وقال القاضي أبو بكر : إنه بعض العلوم الضرورية .

والإمام حكى في « الشامل » مقالة الحارث هذه التي استحسناها [هنا]^(٣) ، وقال : إنا لا نرضاها ، وننتهم فيها الثقل عنه .

ثم قال : ولو صح النقل عنه فمعناه أن العقل ليس بمعرفة الله تعالى ، وهو إذا أطلق المعرفة أراد بها معرفة الله فكأنه قال : ليس العقل بنفسه بمعرفة الله تعالى ، ولكنه غريزة ، وعنى بالغريزة أنه عالم لأمر جَبَلَ الله عليه العاقل ، ويُتوصّل به إلى معرفة الله . انتهى كلامه في « الشامل » .

والمنقول عن الحارث ثابت عنه . وقد نص عليه في كتاب « الرعاية » وكان إمام الحرمين نظر كلام الحارث بعد ذلك ، ثم لاحت له صحته بعدما كان لا يرضاه . واعلم أنه ليس في ارتضاء مذهب الحارث واعتقاده ما يُنتقد ، ولا يلزمه قول بالطبائع ، ولا شيء من مقالات الفلاسفة كما ظنه بعض شراح كتاب « البرهان » . وقد قررنا هذا

(١) في طبقات الصوفية ٦٠ : داعى الله .

(٢) البرهان ١ / ١١٢ .

(٣) من : د .

في غير هذا الموضع . وقول إمام الحرمين : « إنه أراد معرفة الله » ممنوع ، فقد قدّمنا عن الحارث بالإسناد قوله : « إنه نور الغريزة ، يقوى ويزيد بالتقوى » . نعم ، الحارث لا يريد بكونه نورا ما تدّعيه الفلاسفة .

٦٢

داود بن علي بن خَلَف

أبو سليمان البغداديّ الأصبهانيّ *

إمام أهل الظاهر .

ولد سنة مائتين ، وقيل سنة اثنتين ومائتين .

وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم . وله في فضائل الشافعيّ رحمه الله مصنّفات .

سمع سليمان بن حرب ، والقَعْنَبِيُّ ، وعمرو بن مرزوق ، ومحمد بن كثير العبديّ ، ومُسَدَّدًا ، وأبا ثور الفقيه ، وإسحاق بن راهويه ؛ رحل إليه إلى نيسابور ، فسمع منه المسند والتفسير ، وجالس الأئمة ، وصنّف الكتب .

قال أبو بكر الخطيب : كان إماما ورعا ناسكا زاهدا ، وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جدًّا . روى عنه ابنه محمد ، وزكريا السَّاجِيّ ، ويوسف بن يعقوب الدَّأُوْدِيّ^(١) الفقيه ، وعباس بن أحمد المذكَر^(٢) وغيرهم .

وقال أبو إسحاق الشَّيرَازِيّ . ولد سنة اثنتين ومائتين^(٣) وأخذ العلم عن إسحاق

* له ترجمة في : أنساب السمعاني ١٣٧٧ ، تاريخ بغداد ٣٦٩/٨ ، تذكرة الحفاظ ٥٧٢/٢ ، ٥٧٣ ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢ / ٤١٩ ، ذكر أخبار أصفهان ١ / ٣١٢ ، شذرات الذهب ٢ / ١٥٨ ، طبقات الشيرازي ٧٦ ، العبر ٢ / ٤٥ ، الفهرست لابن النديم ٣٠٣ ، لسان الميزان ٢ / ٤٢٢ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٢١ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢٦ .

(١) في المطبوعة : « الداودي » والمثبت من : د ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ .

(٢) في المطبوعة : « المذكور » ، والمثبت من : د ، والطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ .

(٣) بعده في طبقات الشيرازي : ومات سنة تسعين ومائتين .

وأبى ثور ، وكان زاهدا متقللا ، وقال أبو العباس ثعلب : كان داود عقله أكثر من علمه .

قال الشيخ أبو إسحاق : وقيل : كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيّلسان أخضر ، وكان من المتعصبين للشافعي . صنّف كتابين في فضائله والثناء عليه .
وقال أبو إسحاق : وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد . وأصله من أصفهان ، ومولده بالكوفة ، ومنشأه ببغداد وقبره بها^(١) .

وقال أبو عمرو أحمد بن المبارك المُستَملي^(٢) : رأيت داود بن عليّ يردّ على إسحاق بن راهويه ، وما رأيت أحدا قبله ولا بعده يردّ عليه ؛ هيبة له .

وقال عمر بن محمد بن بُجَيْر^(٣) : سمعت داود بن علي يقول : دخلت على إسحاق ابن راهويه وهو يحتجم ، فجلست فرأيت كتاب^(٤) الشافعي ، فأخذت أنظر ، فصاح : أيش تنظر ؟ فقلت : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ﴾^(٥) فجعل يضحك ويتبسّم .

● وقال سعيد البردعي : كنا عند أبي زُرعة ، فاختلف رجلان في أمر داود والمُزني . والرجلان فضلك الرازي وابن خراش . فقال ابن خراش : داود كافر ، وقال فضلك : المزني جاهل . فأقبل عليهما أبو زُرعة فوبّخهما وقال : ما واحد منكما له بصاحب ! ثم قال : نرى داود هذا لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم ، لظننت أنه يكمد أهل البدع بما عنده من البيان والأدلة ، ولكنه تعدّى . لقد قدم علينا من نيسابور فكتب إلى محمد بن رافع ،

(١) في طبقات الشيرازي : « وقبره في الشونيزية » .

(٢) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء ثالث الحروف وسكون الميم ، وفي آخرها لام . ويقال هذا لمن يستملي على العلماء .
الباب ٣ / ١٣٦ .

(٣) اضطربت الأصول فيه . وصححناه من سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٠٢ ، وحواشيه .

(٤) في المطبوعة والطبقات الوسطى « كتب » وأثبتنا ما في : د ، والنسخة رقم ١٦٣ تاريخ ، بدار الكتب المصرية من الطبقات الكبرى .

(٥) سورة يوسف ٧٩ .

ومحمد بن يحيى ، وعمر بن زُرارة ، وحسين بن منصور ، ومُشَيْخَة نيسابور بما أحدث هناك ، فكتبت ذلك لما خفت من عواقبه ، ولم أبدأ له شيئاً ، فقدم بغداد ، وكان بينه وبين صالح بن أحمد حُسن^(١) ، فكلّم صالحاً أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه ، فأثني^(٢) وقال : سألتني رجل أن يأتيك ، قال : ما اسمه ؟ قال : داود ، قال ابن مَن^(٣) ؟ قال : هو من أهل أصبهان ، وكان صالح يروغ عن تعريفه ، فما زال أبوه يفحص حتى فطن به ، فقال : هذا قد كتب إليّ محمد بن يحيى في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني ، قال : إنه يتنفى من هذا ويُنكره ، قال : محمد بن يحيى أصدق منه ، لا تأذن له .

قال الخَلّال : أخبرنا الحسين بن عبد الله قال : سألت المَرْوَزِيّ عن قصة داود الأصبهانيّ ، وما أنكر عليه أبو عبد الله ، فقال : كان داود خرج إلى خُراسان إلى ابن راهويه ، فتكلم بكلام شهد عليه أبو نصر بن عبد المجيد وآخر ؛ شهدا عليه أنه قال : إن القرآن محدث ، فقال لي أبو عبد الله بن داود بن علي : لا فرج الله عنه . قلت : هذا من غلمان أبي ثور ، قال : جاءني كتاب محمد بن يحيى النيسابوريّ أن داود الأصبهانيّ قال ببلدنا : إن القرآن محدث .

قال المَرْوَزِيّ : حدثني محمد بن إبراهيم النيسابوريّ أنَّ إسحاق بن راهويه لما سمع كلام داود في بيته ، وثب عليه إسحاق فضربه ، وأنكر عليه .

قال الخَلّال : سمعت أحمد بن محمد بن محمد بن صدّقة ، سمعت محمد بن الحسين بن صبيح ، سمعت داود الأصبهانيّ يقول : القرآن محدث ، ولفظي بالقرآن مخلوق .

أخبرنا سعيد بن أبي مُسلم ، سمعت محمد بن عبّدة يقول : دخلت إلى داود ، فغضب عليّ أحمد بن حنبل ، فدخلت عليه فلم يكلمني ، فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، إنه ردّ عليه مسألة ! قال : وما هي ؟

● قال ، قال : الخُثَنيّ إذا مات مَن يغسله ؟ فقال داود : يغسله الخدم ، فقال محمد بن عبّدة :

(١) في المطبوعة « وحشة » وأثبتنا ما في : د ، والنسخة ١٦٣ . وسير أعلام النبلاء ٩٩/١٣ .

(٢) في السّير : فأثني صالح أباه ...

(٣) الذي في السّير : من أين هو ؟

الخدم رجال ! ولكن يُيَمِّم ، فتبسم أحمد وقال : أصاب [أصاب]^(١) ما أجود ما أجابه !

قلت : ليس في جواب داود في مسألة الخُنْثَى ما هو بالغ في الثُّكْرة !
وفي مذهبننا وجه أنه يُيَمِّم ، وآخر أنه يُشْتَرَى من تركته جارية لتغسله ،
والصحيح أنه يُغسله الرجال والنساء جميعا ؛ للضرورة واستصحابا لحكم الصُّغَر .
فقول داود : « يغسله الخدم » ليس ببعيد في القياس أن يذهب إليه ذاهب ، ولا
واصل إلى أن يُجعل مما يُضحك منه !

وقد كان داود موصوفا بالدين المتين . قال القاضي المَحَامِلِيُّ : رأيت داود بن
على يصلى ، فما رأيت مسلما يشبهه في حسن تواضعه .
قال ابن كامل : توفي داود في رمضان سنة سبعين ومائتين .

(ذكر شيء من الرواية عنه)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذنا خاصا ، أنبأنا ابن سلامة ، عن اللَّبَّان ، عن
الشَّيْروِيٍّ^(٢) ، أخبرنا عبد الكريم بن محمد أبو نصر الشَّيْرازِيّ ، قراءةً عليه ، أخبرنا
عبد الرحمن بن أحمد بن حَمَكُويَه المفسر الرُّويَانِيّ بِأَمَل ، أخبرنا والدى ، أخبرنا أبو
ثُرَاب على بن عبد الله بن القاسم البصريّ بالدِّينُور ، حدثنا داود بن علي بن خلف
البغدادى المعروف بالأصبهانيّ ، حدثنا أبو حَيْثَمَة ، حدثنا بِشْر بن السَّرِيّ ، حدثنا
حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، عن ابن أبي ليلى ، عن صُهَيْب ، عن النبي ﷺ قال :
« إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٌ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ
أَنْ يُنْجِزَ كُمُوهُ . فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تَثْقُلْ مَوَازِينُنَا ؟ ... » الحديث .

● قلت : كذا أورد شيخنا الذهبيّ بعض الحديث على عادته في كثير من
الأوقات . وأنا لا أحب ذلك .

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) في المطبوعة « السروى » وفي د : « الشروى » ، وفي النسخة ١٦٣ : « الشيروى » ولعل ما أثبتناه أقرب لما
في الباب ٢ / ٤١ ، وهو بكسر الشين وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وسكون الواو ، وفي آخرها ياء
أخرى . نسبة إلى شيرويه .

وعندى أنه لا يجوز روايته بكماله ، وإنما يروى منه ما صرح به ، فلهذا اتبعته ، واقتصرت على القدر الذى ذكره منه . ولو قال لى علقمة : حدثنى عمر بن الخطاب بحديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » لما قلت إلا : قال لى علقمة حدثنى عمر بحديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ولم أقل : قال لى علقمة : حدثنى عمر أن النبى ﷺ قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَاجَرَ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » ولو قلت ذلك لكنت كاذبا على علقمة ؛ فإنه لم يقل لى ذلك ، بل لو قلت : إن علقمة حدثنى بحديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » والحالة هذه لكذبت عليه ، فإنه لم يحدثنى به . فافهم واحترز وراقب قوله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

فإن قلت : قد نقل الخطيب أن أبا بكر الإسماعيلى سئل عمن قرأ إسناد الحديث على الشيخ ثم قال : وذكر الحديث ، هل يجوز أن يحدث بجميعه ؟ فقال : أرجو أن يجوز . وذكر قريبا منه عن أبى على الزَّجَّاجِ الطُّبري .

قلت : أفنى الأستاذ أبو إسحاق فى « المسائل الحديثية » التى سألها عنها الحافظ أبو سعد بن^(١) عَلِيٍّ بأن هذا لا يجوز . وهذا هو الأرجح عندى .

(ومن حديث داود)

ما رواه أبو بكر محمد ابنه عنه قال : حدثنى سويد بن سعيد ، قال : حدثنى على ابن مُسْهِر عن أبى يحيى القَتَّات^(٢) عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكُنَّه فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

قال الحاكم أبو عبد الله : أنا أتعجب من هذا الحديث ! فإنه لم يحدث به عن سويد ابن سعيد ثقة ! وداود وابنه ثقتان .

(١) فى المطبوعة : « أبو سعدان عليك » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ . وانظر المشتبه ٤٦٩ .

(٢) انظر المشتبه ٥١٩ .

ومن حديث داود أيضاً « مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا حَصْمُهُ ، وَمَنْ كُنْتُ حَصْمُهُ حَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

رواه الخطيب في ترجمة داود ، والحمل فيه على الراوى عنه العباس بن أحمد بن المذكر^(١) .

(ذكر اختلاف العلماء في أن داود وأصحابه هل يُعتدُّ بخلافهم في الفروع)

الذى تحصل لى فيه من كلام العلماء ثلاثة أقوال :
أحدها : اعتباره مطلقا ، وهو ما ذكر الأستاذ أبو منصور البغدادى أنه الصحيح من مذهبنا . وقال ابن الصلاح : إنه الذى استقر عليه الأمر آخرا .
والثانى : عدم اعتباره مطلقا ، وهو رأى الأستاذ أبى إسحاق الإسفراينى ، ونقله عن الجمهور ، حيث قال : قال الجمهور : إنهم - يعنى نفاة القياس - لا يبلغون رتبة الاجتهاد ، ولا يجوز تقليدهم القضاء ، وإن ابن أبى هريرة وغيره من الشافعيين لا يعتدُّون بخلافهم في الفروع .

وهذا هو اختيار إمام الحرمين ، وعزاه إلى أهل التحقيق ، فقال : والمحققون من علماء الشريعة^(٢) لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا . وقال فى كتاب « أدب القضاء » من « النهاية » : كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين فالحكم بحسنه منصوص^(٣) .

قال : وبحقِّ قال خبر الأصول القاضى أبو بكر : إني لا أعدّهم من علماء الأمة ، ولا أبالى بخلافهم ولا وفاقهم .

وقال فى باب « قطع اليد والرجل » فى « السرقة » : كررنا فى مواضع فى الأصول والفروع أن أصحاب الظاهر ليسوا من علماء الشريعة ، وإنما هم ثقله إن ظهرت الثقة . انتهى .

(١) بعد هذا فى تاريخ بغداد ٨ / ٣٧٠ زيادة : « فإنه غير ثقة » .

(٢) فى المطبوعة « الشافعية » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٠٥ .

(٣) فى المطبوعة « فالحكم تحسبه منقوض » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

والثالث : أن قولهم معتبر إلا فيما خالف القياس الجلي .

قلت : وهو رأى الشيخ أبى عمرو بن الصلاح .

وسماعى من الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ، أن الذى صحّ عنده عن داود أنه لا ينكر القياس الجلي ، وإن نقل إنكاره عنه ناقلون ، قال : وإنما يُنكر الخفى فقط . قال : ومنكر القياس مطلقا ؛ جليّه وخفيّه طائفة من أصحابه ؛ زعيمهم ابن حزم . قلت : ووقفت لداود رحمه الله على رسالة ، أرسلها إلى أبى الوليد موسى بن أبى الجارود ، طويلة ، دلّت على عظيم معرفته بالجدل ، وكثرة صناعته فى المناظرة ، وقصدى من ذكرها الآن ، أن مضمونها الرد على أبى إسماعيل المزنّى رحمه الله ، فى رده على داود إنكار القياس ، وشّع فيه على المزنّى كثيرا ، ولم أجد فى هذا الكتاب لفظة تدل على أنه يقول بشيء من القياس ، بل ظاهر كلامه إنكاره جملة ، وإن لم يصرّح بذلك ؛ وهذه الرسالة التى عندى أصل صحيح قديم ، أعتقده كتب فى حدود سنة ثلاثمائة أو قبلها بكثير ، ثم وقفت لداود رحمه الله على أوراق يسيرة ، سماها « الأصول » نقلت منها ما نصه :

والحكم بالقياس لا يجب ، والقول بالاستحسان لا يجوز ، انتهى .

ثم قال : ولا يجوز أن يحرم النبى ﷺ ، فيحرم محرّم غير ما حرّم ؛ لأنه يشبهه ، إلا أن يوقفنا النبى ﷺ على علّة من أجلها وقع التحريم ، مثل أن يقول : حرّمت الحنطة بالحنطة ؛ لأنها مكيلة ، واغسل هذا الثوب ؛ لأن فيه دما ، أو اقتل هذا ؛ إنه أسود ، يُعلم بهذا أن الذى أوجب الحكم من أجله هو ما وقف عليه ، وما لم يكن ذلك فالبعيد واقع بظاهر^(١) التوقيف ، وما جاوز ذلك فمسكوت عنه داخل فى باب ما عُفى عنه . انتهى .

فكانه لا يسمّى منصوص العلة قياسا ، وهذا يؤيد منقول الشيخ الإمام ، وهو قريب من نقل الآمدى .

فالذى أراه الاعتبار بخلاف داود ووفاقه . نعم للظاهرية مسائل لا يُعتدّ بخلافه فيها ؛ لا من حيث إن داود غير أهل للنظر ، بل لخرقه فيها إجماعا تقدّمه ، وعذره أنه لم يبلغه ،

(١) فى المطبوعة : « ظاهر » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

[أو ^(١)] دليلا واضحا جدا ، وذلك كقوله في التغوط في الماء الراكد ، وقوله : لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها . وغير ذلك من مسائل وجَّهَتْ سِيَهَامَ الملام إليهم ، وأفاضت سبيل الإزراء عليهم .

ووقع في كلام القاضي الحسين شيء موهم ، نقله عنه ابن الرُّفعة في « الكفاية » بعبارة تزيد إيهاما ، ففهمه الطلبة عن ابن الرُّفعة فهما يزيد على مدلوله ، فصار غلطا على غلط ؛ وذلك أن ابن الرُّفعة ذكر في « الكفاية » في باب « صلاة المسافر » بعدما حكى أن إمام الحرمين ذكر أن المحققين لا تقيم لمذهب أهل الظاهر وزنا ، ما نصه : وفيه نظر ؛ فإن القاضي الحسين نقل عن الشافعي أنه قال في الكتابة : « وإنى لا أمتنع عن كتابة عيد جمع القوَّة والأمانة » وإنما استحبَّ للخروج من الخلاف ، فإن داود أوجب كتابة من جمع القوَّة على الكسب والأمانة من العبيد ، وداود من أهل الظاهر ، وقد أقام الشافعي لخلافه وزنا ، واستحب كتابة مَنْ ذكره لأجل خلافه ، انتهى .

ففهم الطلبة منه أن هذه الجملة كلها من نص الشافعي ، من قوله : « قال في الكتابة » إلى قوله : « من العبيد » وقرءوا « إنما أستحب للخروج » بفتح الهمزة وكسر الحاء ، فعل مضارع للمتكلم ^(٢) ، وليست هذه العبارة في النص ، ولا يمكن ذلك ؛ فإن داود بعد الشافعي !

ورأيت بخط الشيخ الوالد رحمه الله على حاشية « الكفاية » عند قوله « والأمانة » قبيل قوله « وإنما استحب » ما نصه : هنا انتهى كلام الشافعي ، وإنما استحبَّ القاضي الحسين ، وهو بفتح الحاء في « استحب » ، ولا يحسن أن يراد بالخلاف خلاف داود ؛ فإن داود بعد الشافعي ، ولعل مُراد القاضي الخلاف الذي داود موافق له ، فلا يلزم أن يكون الشافعي أقام لخلاف داود وحده وزنا . انتهى كلام الوالد .

وأقول : من قوله « قال في الكتابة » [إلى ^(٣)] « والأمانة » هو النص كما نبّه عليه

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ . ولعل المعنى : أو لم يبلغه ، حال كونه دليلا واضحا جدا .

(٢) في الأصول « للمخاطب » .

(٣) ساقط من : د ، والنسخة ١٦٣ .

الشيخ الإمام ؛ ومن قوله « وإنما استحب » إلى قوله « من العبيد » هو كلام القاضي حسين ، وهو بفتح حاء استحب ، كما نبّه عليه الوالد . ولا شك أنه توهم أن الشافعي راعى خلاف داود ، فأجاب الشيخ الإمام عنه بأنه راعى الخلاف الذي داود موافق له ، لا أنه نظر في خصوص ذلك ؛ لعدم إمكان ذلك ، فإن داود متأخر عنه ، ومن قوله « وداود » إلى قوله « لأجل خلافه » هو كلام ابن الرّفعة ، ذكره كما نرى ردّاً على الإمام في نقله أن المحققين لا يقيمون له^(١) وزناً ، فنقض عليه بأن إمام المحققين ، وهو الشافعي أقام لداود وزناً ، حيث اعتبر خلافه ، وأثبت لأجله حكماً شرعياً ، وهو استحباب الكتابة ؛ وهو أشدّ إيماء ، إذ يكاد يصرّح بأن الشافعي نظر خلاف داود بخصوصه !

ولابن الرّفعة عذر ، وعن كلامه جواب ، كلاهما نبّه عليه الشيخ الإمام في هذه الحاشية .

أمّا عذره فإن مراده الخلاف الذي داود موافق له ، فصحت نسبته لداود بهذا الاعتبار .

وأما جوابه فإنه لا يكون قد اعتبر مذهب داود لخصوصه ، بل إنما اعتبر مذهباً داوُد موافق له ، والله أعلم .

● وعلى هذا الحمل^(٢) قول ابن الرّفعة في « المطلب » في « المُصَرَّاة » : قال داود بإثبات الخيار في الإبل والغنم ؛ لأجل الخبر ، ولم يثبت في البقر ، لعدم ورود النص فيها . ومخالفته هي التي أحوجت الشافعي ... إلى آخر ما ذكره ، فالمراد به مخالفة المذهب الذي ذهب إليه داود .

ونظيره قول الإمام في « النهاية » في كتاب « اختلاف الحكم والشهادات » : لا يجب الإشهاد إلا على عقد النكاح ، وفي الرّجعة قولان ، وأوجب داود الإشهاد ، واستدل عليه الشافعي بأن قال : الله تعالى أثبت الإشهاد ، إلى آخر ما ذكره . وقد يوهم أن الشافعي

(١) في : د ، والنسخة ١٦٣ : « لهم » وأثبتنا ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « يحمل » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

احتج على داود نفسه ، وليس كذلك ، بل معناه أنه احتج على المذهب الذى ذهب إليه داود ، وإلا فإمام الحرمين لا يخفى عليه تأخر داود عن عصر الشافعى ، وقد قال فى « النهاية » فى « الظهار » فى باب « ما يُجزىء من العيون فى الرقاب » بعد ما حكى أن داود قال : يُجزىء كل رقبة : وقد قال الشافعى : لم أعلم أن أحدا ممن مضى من أهل العلم ، ولا ذكر لى ، ولا بقى أحد إلا يقسم العيوب ؛ يعنى إلى مجزىء وغير مجزىء . قال إمام الحرمين : وهذا داود نشأ بعده ، وعندى أنه لو عاصره لما عدّه من العلماء . انتهى .

(ومن مسائل داود التى خرّجها على أصولنا)

● قال أبو عاصم العبادى : من اختيار أبى سليمان أنه إذا قال رجل لامرأتين : إذا ولدتما ولدا فعبدى حر ، يجب أن تلد كل واحدة منهما ولدا ، وهو اختيار بعض أصحابنا . واختيار المزنى : أتيهما ولدت عتق . واختيار غيره أنه محال . قلت : قول المزنى غريب .

● قال أبو عاصم : ومن اختياره أن الجمعة تصلى فى مساجد العشائر ، كقول أبى ثور .

٦٣

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الإمام الجليل أبو داود السجستانى الأزدي صاحب السنن*

من سجستان ، الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند ، وهم ابن خلكان فقال : سجستان قرية من قرى البصرة^(١) .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١١ / ٥٤ ، تاريخ بغداد ٩ / ٥٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٥٢ ، تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١ / ٣١٦ ، شذرات الذهب ٢ / ١٦٧ ، طبقات الخنابلة ١ / ١٥٩ ، العبر ٢ / ٥٤ ، وفيات الأعيان ٢ / ١٣٨ . وقيل بدل « عمران » : عامر . الجرح والتعديل ٤ / ١٠١ . (١) إنما قال ابن خلكان : « والسجستانى - بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى سجستان ، الإقليم المشهور . وقيل : بل نسبته إلى سجستان أو سجستانه قرية من قرى البصرة ، والله أعلم » . انظر وفيات الأعيان ٢ / ١٤٠

ولد سنة ثنتين ومائتين .

سمع من سَعْدُوِيه ، وعاصم بن علي ، والقَعْنَبِيّ ، وسليمان بن حَرْب ، ومسلم بن إبراهيم وعبد الله بن رجاء ، وأبي الوليد ، وأبي سَلَمَةَ التَّبُودَكِيّ ، والحسن بن الرِّبِيع البُورَانِيّ^(١) ، وأحمد بن يونس اليَرْبُوعِيّ^(٢) ، وصفوان بن صالح ، وهشام بن عَمَّار ، وقُتَيْبَة بن سعيد ، وإسحاق بن راهُوِيه ، وأبي جعفر الثَّقَلِيّ ، وأحمد بن أبي شعيب ، ويزيد بن عبد ربّه ، وخلّق بالحجاز والعراق وخراسان والشام ومصر والثغور .

روى عنه التَّرمِذِيّ ، والنَّسَائِيّ ، وابنه أبو بكر بن أبي داود ، وأبو علي اللُّؤْلُؤِيّ ، وأبو بكر بن داسَة ، وأبو سعيد بن الأعرابيّ ، وعليّ بن الحسن بن العبد ، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك الرُّوَاس^(٣) ، وأبوسالم محمد بن سعيد الجُلُودِيّ ، وأبو عمرو أحمد بن علي ، وهؤلاء السبعة رَوَوْا عنه سننه ، ولابن الأعرابي فيه فَوْت . وأبو عَوَانَة الإسفرائينيّ الحافظ ، وأبو بكر الحَلَّال ، وأبو بشر الدُّولَابِيّ ، ومحمد بن مَحَلَّد ، وعَبْدَان الأَهْوَازِيّ ، وزكريا الساجيّ ، وإسماعيل الصَّقَّار ، ومحمد بن يحيى الصُّولِيّ ، وأبو بكر النُّعْجَاد ، وخلّق .

وكتب عنه الإمام أحمد حديث « العَتِيرَة »^(٤) ، وأحمد شيخه ، ويقال : إنه عرض عليه كتاب « السنن » فاستحسنه .

(١) بالباء الموحدة والراء المهملة والنون بعد الألف ، هذه النسبة إلى عمل البواري التي تبسط ويجلس عليها . ويقال بالعراق : البوراني أيضا . الباب ١ / ١٥٠ . ويقال فيه أيضا : البواري . انظر المشتبه ٩٩ ، القاموس (ب و ر) .

(٢) بفتح الياء وسكون الراء وضم الباء الموحدة وسكون الواو ، وفي آخرها عين مهملة ، نسبة إلى يربوع بن مالك ، بطن كبير من تميم . الباب ٣ / ٣٠٦ .

(٣) بفتح الراء وتشديد الواو وفي آخرها سين مهملة . هذه النسبة إلى بيع الرعوس المطبوخة . الباب ١ / ٤٥١ ، ٤٧٨ .

(٤) في المطبوعة : « العَشِيرَة » وهو خطأ ، صوابه من : د ، والنسخة ١٦٣ ، تاريخ بغداد والبداية والنهاية . والعتيرة : شاة كانوا يذبحونها في رجب لأهلهم ، وهي أول ما ينتج . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢١١ .

قال أبو بكر الصَّغَانِيّ : أُلَيْنَ لِأَبِي دَاوُدَ الْحَدِيثُ كَمَا أُلَيْنَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَدِيدُ ، وَكَذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ .

وقال موسى بن هارون الحافظ : خُلِقَ أَبُو دَاوُدَ فِي الدُّنْيَا لِلْحَدِيثِ ، وَفِي الْآخِرَةِ لِلْجَنَّةِ ، مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْهُ .

وقال أبو بكر بن داسَة : سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ يَقُولُ : كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَّنَتْهُ كِتَابُ « السُّنَنِ » ، جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةَ حَدِيثٍ ، ذَكَرْتُ الصَّحِيحَ وَمَا يَشْبَهُهُ وَيُقَارِبُهُ ، وَمَا كَانَ فِيهِ وَهْنٌ شَدِيدٌ بَيْنَتَهُ .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وَقَدْ وَفَّى بِذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُ بَيَّنَّ الضَّعْفَ الظَّاهِرَ ، وَسَكَتَ عَنِ الضَّعْفِ الْمُحْتَمَلِ ، فَمَا سَكَتَ [عَنْهُ] ^(١) لَا يَكُونُ حَسَنًا عِنْدَهُ وَلَا بُدَّ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مِمَّا فِيهِ ضَعْفٌ . انْتَهَى .

وقال زكريا الساجي : كِتَابُ اللَّهِ أَصْلُ الْإِسْلَامِ ، وَكِتَابُ أَبِي دَاوُدَ عَهْدُ الْإِسْلَامِ .

وقال أحمد بن محمد بن ياسين الهروي في « تاريخ هراة » : أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ ^(٢) . كَانَ أَحَدَ حُقَافِ الْإِسْلَامِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِلَلِهِ وَسَنَدِهِ ، فِي أَعْلَى دَرَجَةِ التُّسْكِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ ، مِنْ فُرْسَانَ الْحَدِيثِ .

وقال الحاكم أبو عبد الله : أَبُو دَاوُدَ إِمَامٌ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ بِلَا مُدَافَعَةٍ .

وقال أبو بكر الخَلَّالُ : أَبُو دَاوُدَ الْإِمَامُ الْمَقْدَّمُ فِي زَمَانِهِ ، لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِتَخْرِيجِ الْعُلُومِ ، وَبَصَرِهِ بِمَوَاضِعِهِ ، رَجُلٌ وَرِعٌ مُقَدَّمٌ .

وقال الخطَّابِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْكِيُّ ^(٣) ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ جَابِرٍ ، خَادِمُ أَبِي

(١) من د ، والنسخة ١٦٣ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢١٤ .

(٢) كذا في المطبوعة ، وفي د ، والنسخة ١٦٣ : « السجزي » وهو نسبة إلى سجستان على غير قياس . اللباب ١ / ٥٣٣ .

(٣) بكسر الميم وسكون السين وفي آخرها كاف ، نسبة إلى المسك وبيعه والتجارة فيه . اللباب ٣ / ١٣٨ . وهو في د ، والنسخة ١٦٣ : « المنسكي » وأثبتناه من المطبوعة .

داود قال : كنت مع أبى داود ببغداد فصلّيت المغرب ، فجاء الأمير أبو أحمد الموفق فدخل ، فأقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمر في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث . قال : وما هي ؟ قال : تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ؛ لترحل إليك طلباً العلم فتعمر بك ، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس ، لما جرى عليها من محنة الزّنج . قال : هذه واحدة . قال : وتروى لأولادى « السّنين » فقال : نعم ، هات الثالثة . قال : وثفرد لهم مجلساً ؛ فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامّة . قال : أمّا هذه فلا سبيل إليها ؛ لأنّ الناس في العلم سواء .

قال ابن جابر : فكانوا يحضرون ويقعدون ، وبينهم وبين العامّة ستر^(١) .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله : تفقه أبو داود بأحمد بن حنبل ولازمه مدة ؛ قال : وكان يُشَبَّه به ، كما كان أحمد يشبّه بشيخه وكيع ، وكان وكيع يُشَبَّه بشيخه سفيان ، وكان سفيان يشبّه بشيخه منصور ، وكان منصور يشبّه بشيخه إبراهيم ، وكان إبراهيم يشبّه بشيخه علقمة ، وكان علقمة يشبّه بشيخه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

قال شيخنا الذهبي : وروى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه كان يشبّه عبد الله بن مسعود بالنبي ﷺ في هذيه ودلّه^(٢) .

قلت : أمّا أنا فمن ابن مسعود أسكت ، ولا أستطيع أن أشبّه أحداً برسول الله ﷺ في شيء من الأشياء ، ولا أستحسنه ، ولا أجوّزه ، وغاية ما تسمح به نفسى أن أقول : وكان عبد الله يقتدى برسول الله ﷺ فيما تنتهى إليه قدرته ، وموهبته من الله عزّ وجل ، لا في كلّ ما كان عليه رسول الله ﷺ ، فإن ذلك ليس لابن مسعود ولا للصّدّيق ، ولا لمن اتخذ الله خليلاً ، حشرنا الله في زمرتهم .

توفى أبو داود في سادس عشر شوال ، سنة خمس وسبعين ومائتين^(٣) .

(١) معالم السنن (ضمن مختصر سنن أبى داود) ١ / ١٢ .

(٢) الدل : كاهدى ، وهما من السكينة والوقار ، وحسن النظر . وانظر السير ١٣ / ٢١٦ .

(٣) بعد هذا في الطبقات الوسطى زيادة : « بالبصرة » .

عَبْدَانِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى

الإمام الحافظ أبو محمد المَرْزِيُّ الزاهد الجُنُودِيُّ*

وَجُنُودٌ ، بضم الجيم والنون ثم واو ساكنة ثم جيم مكسورة ثم راء ساكنة ثم دال مهملة : قرية من قرى مَرُو .

كان إمام أصحاب الحديث في عصره بَمَرُو ، وهو الذي أظهر بها مذهب الشافعي ، وعليه تفقه أبو إسحاق المَرْزِيُّ .

سمع قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ ، وَأَبَا كُرَيْبٍ ، وَبُنْدَارٌ ، وَجُوَيْرِيَةُ ، وَالرَّبِيعُ الْمُرَادِيُّ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْعُودِ الْجَحْدَرِيِّ ، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ ، وَطَائِفَةٌ بِخُرَّاسَانَ وَالْعِرَاقَ وَالْحِجَازَ .

روى عنه عمر بن عَلَّكَ^(١) ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الدَّغُولِيُّ ، وَأَبُو حَامِدٍ بْنُ الشَّرْقِيِّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ ، وَآخَرُونَ .

رحل إلى مصر ، وتفقه على أصحاب الشافعي ، وبرع في المذهب ، وكان يُضْرَبُ المثل باسمه في الحفظ والزهد ، وكان مقيماً بَمَرُو ، وإليه مرجع الفتوى بها بعد أحمد بن سَيَّار .

صَنَّفَ « الموطأ » وغير ذلك .

قال فيه أبو بكر بن السَّعْمَانِيُّ والد الحافظ أبي سعد : إنه الإمام الزاهد الحافظ ، إمام أصحاب الحديث في عصره بَمَرُو ، وهو أول من حمل « مختصر المَرْزِيِّ » إلى مَرُو ، وقرأ علم الشافعي على المَرْزِيِّ والرَّبِيعِ ، وكان فقيهاً حافظاً للحديث .

وبسند أبي بكر بن السَّعْمَانِيِّ : أنه لما خرج إلى الحج وبلغ نَيْسَابُورَ ، أخذ محمدُ ابْنُ إِسْحَاقَ بن حُزَيْمَةَ يُنفِذُ إليه بِرِقَاعَ الْفَتَاوَى ويقول : أنا لا أفتي ببلدة أستاذي فيها .

* له ترجمة في : أنساب السَّعْمَانِيِّ ١٣٨ ب ، تاريخ بغداد ١١ / ١٣٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٣١ ، شذرات الذهب ٢ / ٢١٥ ، العبر ٢ / ٩٥ ، المنتظم ٦ / ٥٨ .

(١) بفتح العين واللام المشددة ، وقد يخففونها ، وفي آخرها كاف . اللباب ٢ / ١٤٨ .

قال أبو بكر بن السَّمعانيّ : وممن تخرَّج على عَبْدِان في الفقه من المَراوِرة ، أبو بكر ابن محمد بن محمود المحموديّ ، وأبو العباس السيَّاريّ ، وأبو إسحاق الخالِداباديّ^(١) المعروف بالمَروزيّ صاحب « الشرح »^(٢) .

وبإسناده عن بعض المشايخ : اجتمع في عَبْدِان أربعة أنواع من المناقب : الفقه ، والإسناد ، والورع ، والاجتهاد . انتهى .

قال الحاكم : سمعت أبا نُعيم عبد الرحمن بن محمد الغفاريّ^(٣) يَمرو يقول : سمعت عَبْدان بن محمد الحافظ يقول : وُلدت سنة عشرين ومائتين ، ليلة عرفة في ذي الحِجَّة .

قال أبو سعد بن السمعانيّ : اسم عَبْدان عُبيد الله^(٤) ، وإن عَبْدان لَقَب . قال : وعَبْدان هو الذي أظهر مذهب الشافعيّ يَمرو بعد أحمد بن سيَّار ؛ فإن أحمد بن سيَّار حمل كتب الشافعيّ إلى مرو ، وأعجب بها الناس ، فنظر في بعضها عَبْدان وأراد أن ينسخها فمنعها أحمد بن سيَّار عنه ، فباع ضيعةً له بجُنُجُرد ، وخرج إلى مصر ، وأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعيّ ، ونسخ كتبه ، وأدرك من المشايخ والفقهاء ما لم يدرك غيره ، وحمل عنهم ، ورحل إلى الشام والعراق ، وكتب عن أهل مصر ورجع إلى مرو ، وكان أحمد بن سيَّار في الأحياء ، فدخل عليه مسلماً ومهثماً بالقدوم ، فاعتذر أحمد بن سيَّار من منع الكتب عنه ، فقال عَبْدان : لا تعتذر فإن لك مِنَّةً عليّ في ذلك ؛ وذلك أنك لو دفعتَ إليّ الكتب كنتُ اقتصرْتُ على ذلك ، وما كنتُ أخرج إلى مصر ، ولا كنتُ أدرك أصحاب الشافعيّ . ففرح بذلك أحمد بن سيَّار .

قال أبو نُعيم : توفي عَبْدان ليلة عرفة [أيضا] ^(٥) ، في ذي الحِجَّة ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

قلت : صحَّح ، كذا مولده ليلة عرفة ووفاته ليلة عرفة .

(١) يفتح الحاء وي بعدها ألف ولام ودال مهمله مفتوحة وباء موحدة بين ألفين وفي آخرها ذال معجمة . هذه النسبة إلى خالداباد ، وهي قرية بمرو ، وقد خربت . اللباب ١ / ٣٣٨ . وانظر المراسد ٤٤٦ .

(٢) في المطبوعة : « السرح » . والمثبت من الطبقات الوسطى ، وهو شرح على مختصر المزني ، كما في اللباب ٣٣٨ / ١ .

(٣) بكسر الغين وفتح الفاء وبعد الألف راء . نسبة إلى غفار بن مليل ، من كنانة . اللباب ٢ / ١٧٦ .

(٤) في الأنساب « عبد الله » .

(٥) تكملة لازمة من سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٤ .

عبد الله بن سعيد . ويقال عبد الله بن محمد
أبو محمد بن كُلاب القَطَّان*

أحد أئمة المتكلمين ، وكُلاب مثل حُطَّاف لفظا ومعنى ، بضم الكاف وتشديد اللام ، لقَّب به ، لأنه كان لقوته في المناظرة يجتذب من ينظره ، كما يجتذب الكُلاب الشيء .

فإن قلت : كيف قيل ابن كُلاب ، وهو على هذا كُلاب لا ابن كُلاب ؟
قلت : كما يقال ابن بَجْدَة الشيء وأبو عُذْرته ، وأنحاء ذلك .
● ذكره أبو عاصم العَبَّادِي في طبقة أبي بكر الصَّيرَفِي ، ولم يزد على أنه من المتكلمين .

وذكره ابن النِّجَّار في « تاريخ بغداد » ذَكَرَ من لا يعرف حاله فقال : ذكره محمد ابن إسحاق النَّدِيم في كتاب « الفهرست » وقال : « إنه من أئمة ^(١) الحَشَوِيَّة » . وله مع عَبَّاد بن سليمان مناظرات ، وكان يقول : إن كلامَ الله هو الله ، وكان عَبَّاد يقول : إنه نصرانيٌّ بهذا القول . ثم ذكر كلاما قبيحا .

ثم ذكر ابن النِّجَّار بإسناده حكاية طويلة بين ابن كُلاب والشيخ الجُنَيْد رحمه الله ، زعم أنها اتفقت بينهما شبه المناظرة ، ورأيت بخط شيخنا الذهبي على حاشية كتاب ابن النِّجَّار بإزاء هذه الحكاية ما نصه : لا يصح ، فإن ابن كُلاب له ذِكر في زمان أحمد بن حنبل ، فكيف يتم له هذا مع الجُنَيْد ! انتهى ، والأمر كما قال .
ووفاة ابن كُلاب فيما يظهر بعد الأربعين ومائتين بقليل .

وليس ما ذكره ابن النجار من شأنه ، ولا هو من أهل هذه الصناعة فماله ولها !
وأما محمد بن إسحاق النَّدِيم فقد كان فيما أحسب معتزليا ، وله بعض المَسِيس بصناعة الكلام ، وعَبَّاد بن سليمان من رءوس الاعتزال ، فإنما يذكر ما ذكره تشنيعا على ابن

* له ترجمة في : الفهرست لابن النديم ٢٥٥ ، لسان الميزان ٣ / ٢٩٠ ، والوفاء بالوفيات ١٧ / ١٩٧ ، ٤٩٢ .
(١) في الفهرست « بابية » . ونظن أن ما عندنا في الطبقات ، وما في الفهرست خطأ ، وأن صوابه « نابتة » وهو اصطلاح معروف في كتب الفرق . وكذلك جاء في سير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٥ .

كُلاب ، وابن كُلاب على كل حال من أهل السُنَّة ، ولا يقول هو ولا غيره ممَّن له أدنى تمييز إن كلام الله هو الله . إنما ابن كُلاب مع أهل السُنَّة في أنَّ صفات الذات ليست هي الذات ولا غيرها ، ثم زاد هو وأبو العباس القلانسي على سائر أهل السُنَّة ، فذهبا إلى أن كلامه تعالى لا يتَّصف بالأمر والنهي والخبر^(١) في الأزل ؛ لحدوث هذه الأمور وقَدَم الكلام النَّفْسِي ، وإنما يتَّصف بذلك فيما لا يزال ، فألزمهما أثمتنا أن يكون القَدَر المشترك موجودا بغير واحد من خصوصياته .

فهذه هي مقالة ابن كُلاب التي ألزمه فيها أصحابنا وجودَ الجنس دون النوع ، وهو غير معقول ، وهي التي لعلَّ عبَّادا قال له فيها ما قال ، مع أن ما قاله عبَّاد لا يلزمه ، وإنما عبَّاد يقول ذلك كما يقول سائر المعتزلة للصِّفَاتِيَّة ، أعنى مُبْتَنِي الصفات : لقد كفرت النَّصَارَى بثلاث ، وكفرتم بسبع . وهو تشنيع من سفهاء المعتزلة على الصِّفَاتِيَّة ، ما كفرت الصِّفَاتِيَّة ، ولا أشركت ، وإنما وَحَّدَتْ وأثبتت صفات قديم واحد ، بخلاف النصارى ؛ فإنهم أثبتوا قَدَمًا ، فأثنى يستويان أو يتقاربان ؟

ورأيت الإمام ضياء الدين الخطيب والد الإمام فخر الدين الرازي قد ذكر عبد الله ابن سعيد في آخر كتابه « غاية المرام في علم الكلام » فقال : ومن متكلمى أهل السنة في أيام المأمون عبدُ الله بن سعيد التَّمِيمِي ، الذي دَمَّرَ المعتزلة في مجلس المأمون ، وفضحهم ببيانه ، وهو أخو يحيى بن سعيد القَطَّان ، وارث علم الحديث وصاحب « الجرح والتعديل » . انتهى .

وكشفت عن يحيى بن سعيد القَطَّان هل له أخ اسمه عبد الله ؟ فلم أتُحقق إلى الآن شيئا ، وإن تحققت شيئا ألحقته إن شاء الله .

(١) ذكره إمام الحرمين في الإرشاد ١١٩ ، ووصف ابن كُلاب بأنه « من أصحابنا » . ويعنى الشافعية . وانظر غاية المرام للآمدى ١٠٤ ، ١١٤ .

عثمان بن سعيد بن بشار
أبو القاسم الأنماطي الأحول*

صاحب المنزني والربيع .

وقد وَهَمَ الْعَبَادِي فِي كِتَابِهِ فَرَعَمَ أَنَّهُ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَنَّ لِأَصْحَابِنَا آخَرَ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، وَلَيْسَ بِأَبِي الْقَاسِمِ^(١) .

قال ابن الصَّلَاح : وَأَحْسِبُهُ مَرَّ بِهِ ذِكْرُ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ صَاحِبُنَا .

قال الخطيب : أَبُو الْقَاسِمِ الْأَحْوَلُ الْأَنْمَاطِيُّ ، كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَحَدَّثَ عَنِ الْمُنْزَنِ وَالرَّبِيعِ .

رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرِ الشَّافِعِيُّ ، وَرَوَى أَنَّ ابْنَ الْمُنَادِي قَالَ : كَانَ لِلنَّاسِ فِيهِ مَنْفَعَةٌ .
قلت : هُوَ الَّذِي اشْتَهَرَ بِهِ كَتَبَ الشَّافِعِيُّ بِبَغْدَادٍ ، وَعَلَيْهِ تَفَقَّهَ شَيْخُ الْمَذْهَبِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ .

قال أبو عاصم : الْأَنْمَاطِيُّ لِأَهْلِ بَغْدَادِ كَأَبِي بَكْرٍ بْنِ إِسْحَاقَ لِأَهْلِ نَيْسَابُورٍ ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ إِلَيْهَا عِلْمَ الْمُنْزَنِ .

قلت : كَأَنَّهُ أَرَادَ مُشَابَهَتَهُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْقَدْرِ ؛ وَإِلَّا فَابْنُ إِسْحَاقَ أَجَلُّ قَدْرًا ، وَأَرْفَعُ خَطَرًا ، وَأَوْسَعُ عِلْمًا فِيمَا يَظْهَرُ لَنَا ، نَعَمْ لِلْأَنْمَاطِيِّ جَلَالَةٌ بِمَنْ أَخَذَ عَنْهُ ؛ فَقَدْ حَمَلَ عَنْهُ الْعِلْمَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْإِصْطَخَرِيُّ ، وَأَبُو عَلِيٍّ ابْنُ خَيْرَانَ ، وَمَنْصُورُ التَّمِيمِيِّ ، وَأَبُو حَفْصِ بْنِ الْوَكِيلِ الْبَابِشَامِيُّ^(٢) ، وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا ، وَلَمْ يَحْصُلْ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ إِسْحَاقَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ التَّلَامِذَةِ .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١١ / ٢٩٢ ، شذرات الذهب ٢ / ١٩٨ ، العبر ٢ / ٨١ ، مرآة الجنان ٢ / ٢١٥ ، وفیات الأعيان ٢ / ٤٠٦ .

(١) كنية محمد بن بشار عند العبادي أبو القاسم .

(٢) في المطبوعة : « البارساني » . وفي د ، والنسخة ١٦٣ : « الباربياني » وأثبتنا الصواب من : طبقات الشيرازي ٩٠ وسيرتجم له المصنف في الطبقة الثالثة .

مات الأنماطى فى شَوال سنة ثمان وثمانين ومائتين .
● وحكى أن أبا سعيد الإصطخري سأل الأنماطى فقال له : النَّصَّ آكَدُ أم
الاجتهاد ؟

فقال : النَّصَّ .

فقال : أليس قد نصَّ النبى ﷺ على الشعير ولم ينصَّ على البرِّ ؛ أفرأيت لو كان
قوته بُرًّا أيجوز له إخراج الشعير ؟
فقال : لا يجوز ذلك .

فقال : قد قَدِّمْتَ الاجتهادَ على النَّصِّ .

فدخل ابن سُرَيْج فأخبره بما جرى ، فقال : إن النَّصَّ يُقَدَّم على اجتهادٍ مُحْتَمِل ،
فأما إذا كان ما وقع عليه النص تنبيها على ما هو أعلى قُدِّمَ عليه ؛ كالضرب مع
التأفيف ، كذلك قصد النبى ﷺ بذلك إلى بيان ما يلزمهم أن يُخرجوا فى يوم
الفطر ، وجعل ذلك قُوتًا ، فإذا اقتات الإنسان بُرًّا لم يَجْزَ له أن يُخرج شعيرا ،
بخلاف العكس ؛ لأنه أعلى منه .

٦٧

عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السُّجِسْتَانِيّ
الحافظ أبو سعيد الدَّارِمِيّ*

محدث هَرَاة ، وأحد الأعلام الثَّقَات ، ومَنْ ذكره العَبَادى فى « الطبقات » ،
قائلا : الإمام فى الحديث والفقه ، أخذ الأدب عن ابن الأعرابى والفقه عن البُويْطِىّ ،
والحديث عن يحيى بن مَعِين .
قلت : كان الدارِمِيّ واسع الرِّحْلَة ، طَوَّف الأقاليم ، ولقى الكِبار .

* له ترجمة فى : البداية والنهاية ١١ / ٦٩ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٧٧ ، شذرات الذهب ٢ / ١٧٦ ، طبقات
الحنابلة ١ / ٢٢١ ، العبر ٢ / ٦٤ ، مرآة الجنان ٢ / ١٩٣ . والدارمى ، بفتح الدال وسكون الألف وكسر
الراء وبعدها ميم ، نسبة إلى دارم بن مالك ، بطن كبير من تميم . الباب ١ / ٤٠٤ .

سمع أبا اليمان الحمصي ، ويحيى الوحاظي ، وخيوّة بن شريح . بجمّص .
وسعيد بن أبي مريم ، وعبد الغفار بن داود الحرّاني ، ونعيم بن حماد ، وطبقتهم
بمصر .

وسليمان بن حرب ، وموسى بن إسماعيل التّبوذكيّ ، وخلقا بالعراق .
وهشام بن عمّار ، وطائفة بدمشق .

روى عنه أبو عمرو أحمد بن محمد بن الحيري^(١) ، ومؤمل بن الحسن
الماسرجسي^(٢) ، وأحمد بن محمد الأزهرى ، وأبو النضر محمد بن محمد الطوسي
الفقيه ، وحامد الرّفا ، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفيّ ، وخلق .

ومن مشايخه في الحديث أحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينيّ ، وإسحاق بن
راهويه ، ويحيى بن ميعين ، وشيخه في الفقه البويطيّ .

قال أبو الفضل يعقوب الهرويّ القرّاب^(٣) : ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ، ولا
رأى هو مثل نفسه .

وعن عثمان الدارميّ : من لم يجمع حديث شعبة ، وسفيان ، ومالك ، وحمّاد بن
زيد ، وابن عُيَينة فهو مُفلس في الحديث ، يعنى أنه ما بلغ رتبة الحُفاظ في العلم .

قال شيخنا الذهبيّ : ولا ريب أن من حصل علم هؤلاء ، وأحاط بمروياتهم فقد
حصل على ثلثي السنة ، أو نحوها^(٤) .

توفي الدارميّ رحمه الله في ذى الحجة ، سنة ثمانين ومائتين .

قال الذهبيّ : ووهم من قال سنة اثنتين وثمانين .

(١) في : د ، والنسخة ١٦٣ : « الجيزى » بالمعجمة . وأثبتناه بالمهملة من المطبوعة ، والمشتبه ١٨٥ ، وهو نسبة
إلى حيرة نيسابور .

(٢) في المطبوعة : « الماسرخسي » بالخاء المعجمة . والمثبت من الطبقات الوسطى واللباب ٣ / ٨٣ . والماسرجي
بفتح الميم والسين المهمله وسكون الراء وكسر الجيم والسين الثانية ، نسبة إلى ماسرجس . وهو اسم جد .

(٣) في المطبوعة « الفرات » . والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ ، وانظر المشتبه ٥٠٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٢٣ .

وللدارمي « كتاب في الرد على الجهمية » ، و « كتاب في الرد على بشر المريسي » و « مُسنَد » كبير ، وهو الذي قام على محمد بن كَرَام ، الذي تنسب إليه الكرامية ، وطرده عن هَراة .

وكان من خبر ابن كَرَام هذا وهو شيخ سيجستانى مُجَسِّم ، أنه سمع يسيرا من الحديث ، ونشأ بسيجستان ثم دخل خراسان ، وأكثر الاختلاف إلى أحمد بن حرب الزاهد ، ثم جاور بمكة خمس سنين ، ثم ورد نيسابور ، وانصرف منها إلى سيجستان ، وباع ما كان يملكه وعاد إلى نيسابور ، وباح بالتجسيم وقال : إن الإيمان بالقول كاف ، وإن لم يكن معه معرفة بالقلب . وكان من إظهار التنسك والتأله والتعبد والتقشُّف على جانب عظيم ، فافترق الناس فيه على قولين : منهم المعتقد ، ومنهم المنتقد ؛ وعقدت له مجالسُ سئل فيها عما يقوله ، فكان جوابه أنه إلهام يُلهمه الله ، ثم إن الأمير محمد بن طاهر بن عبيد الله بن طاهر حبسه بنيسابور مدة .

قال الحاكم أبو عبد الله : فكان يغتسل كل يوم جمعة ، ويتأهب للخروج إلى الجامع ، ثم يقول للسنَّان : أتأذن لي في الخروج ؟ فيقول : لا . فيقول : اللهم إني بذلت مجهودي ، والمنع من غيري . ثم إنه أخرج من نيسابور في سنة إحدى وخمسين ومائتين ، بعد أن مكث بالسجن ثمان سنين ، وتوفى ببيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل توفى بزُعر^(١) ، وحمل إلى بيت المقدس .

قال الحاكم : لقد بلغني أنه كان معه جماعة من الفقراء ، وكان لباسه مسك^(٢) ضأن مدبوغ غير مَخِيط ، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء ، وقد نُصب له دُكان من لبن ، وكان يُطرح له قطعة فَرَو فيجلس عليها ، فيعظ ويذكر ويحدث ، قال : وقد أثنى عليه فيما بلغني ابن خزيمة ، واجتمع به غير مرة ، وكذلك أبو سعيد عبد الرحمن بن الحسين الحاكم ، وهما إماما الفريقين .

قلت : يعنى الشافعية والحنفية .

(١) زغ ، بوزن زفر : قرية بمشارف الشام . المراصد ٦٦٧ .

(٢) المسك : الجلد ، أو خاص بالسخلة . القاموس (م س ك) .

وقال أبو العباس السَّرَّاج : شهدت أبا عبد الله البخاري ، ودُفع إليه كتاب من محمد بن كَرَام سألَه عن أحاديث ، منها : الزُّهري ، عن سالم ، عن أبيه ، رَفَعَه : « الإِيْمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ » . فكتب على ظهر كتابه : مَنْ حَدَّثَ بهذا استوجب انضرب الشديد ، والحبس الطويل .

قلت : وصاحب سِجِسْتَان هو الذي نفاه ، ولم يكن قصد الساعين عليه إلا إراقة دمه ، وإنما صاحب سِجِسْتَان هاب قتله ، لِمَا رأى عليه من مَخَايل العبادة والتقشُّف ؛ ولقد افتنن به خَلْق كثير ، وهو عندنا في مكان المشيئة لله أن يغفر له وأن يؤاخذه ؛ فإنه مُبتَدِع لا محالة .

واعلم أن كَرَاما على ما هو المشهور بتشديد الراء ، ورأيَها كذلك مضبوطة بخط شيخنا الذهبي ، وكنت أسمع الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يحكى ، أن الشيخ صدر الدين ابن المُرَحَّل^(١) قرأ مرة بحضرة السلطان الملك الناصر جزءا ، وفيه ذكر محمد بن كرام ، فقال « كرام » وخَفَّفَ له الراء ، فرد عليه بعض الحاضرين ، فقال : لا ، إنما هو بالتخفيف ، فقد قال الشاعر :

الرأى رأى أوى حنيفة وحدهُ والدُّينُ دينُ محمد بن كَرَام

قال الوالد : فظن الحاضرون أن الشيخ صدر الدين وضع هذا البيت على البديهة ، وأنه لا أصل له . هذا ما كان يحكيه لنا الوالد ، ثم رأيت أنا بخط الشيخ تقى الدين ابن الصَّلَاح في مجاميعه ، أن محمد بن كرام بالتخفيف ، وأن أبا الفتح البُستِي أنشد :

إن الذين نُجِلُّهم لم يَقتدوا بمحمد بن كَرَام غيرُ كَرَام^(٢)
الرأى رأى أوى حنيفة وحده والدُّينُ دينُ محمد بن كَرَام

فأريت ذلك للوالد ، فأعجبه وسرَّ به سرورا كثيرا ، ثم رأيت هذين البيتين بعينهما منسويين إلى قائلهما البُستِي في كتاب « اليميني » في سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين .

(١) انظر تاج العروس (ر ح ل) ٧ / ٣٤٢ .

(٢) ملحق ديوانه ٣٧٠ . والوفى بالوفيات ٤ / ٢٧٦ .

(ومن غرائب أبي سعيد الدارمي وفوائده)

● قال أبو عاصم : إن أبا سعيد ذهب إلى أن الثعلب حرامٌ أكله ، وروى فيه خبراً .

● قال : وروى عن بُرَيْدَةَ بن سفيان أن أهل مكة والمدينة يسمون النبيذ حمرا ، وهكذا رواه علي بن عبد الله المديني . انتهى .

قلت : قوله بتحريم الثعلب غريب .

١١ [والخبر الذي أشار إليه أورده عثمان بن سعيد المذكور في كتاب « الأطعمة » من تأليفه ، ولفظه : عن عبد الرحمن السُّلَمِيِّ قال : قلت : يا رسول الله ، ما تقول في الذئب ؟ قال : « وَيَأْكُلُ ذَلِكَ أَحَدٌ ؟ » قلت : يا رسول الله ، ما تقول في الثعلب ؟ قال : « وَيَأْكُلُ ذَلِكَ أَحَدٌ ؟ » .

قال أبو سعيد : وهذا الإسناد ليس بذاك القوي ! غير أن الذئب والثعلب دخلا في نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع ، فلاجل ذلك لا يجوز أكلهما [١] .

٦٨

عسكر بن الحصين . وقيل عسكر بن محمد بن الحسين

الشيخ أبو ثراب النحشي*

بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وفي آخرها الباء الموحدة ، نسية إلى نَحْشَب ، بلدة من بلاد ما وراء النهر ، عُرِبَتْ فقليل لها : نَسَف .

كان شيخ عصره بلا مُدافعة ، جمع بين العلم والدين ، زاهدا ورعا متقشفا متقللا ، متوكلا متبتلا .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوعة ، وقد استكملناه من : د والنسخة ١٦٣ .

* له ترجمة في : تاريخ بغداد ١٢ / ٣١٥ ، حلية الأولياء : ١٠ / ٤٥ ، الرسالة القشيرية ٢٢ ، صفة الصفوة ٤ / ١٤٥ ، طبقات الحنابلة ١ / ٢٤٨ ، طبقات الشعرا ١ / ٧١ ، طبقات الصوفية ١٤٦ ، العبر ١ / ٤٤٥ . وفي المطبوعة ض « وقيل عسكر بن محمد الحصين » وهو خطأ صوابه من : د ، والنسخة ١٦٣ .

صحب حاتماً الأصمّ إلى أن مات ، وخرج إلى الشام وكتب الكثير من الحديث ، ونظر في كتب الشافعيّ ، وتفقه على مذهبه .

وحدّث عن محمد بن عبد الله بن ثُمَيْر ، وُثَيْم بن حَمَاد ، وأحمد بن نصر النّيسابوريّ ، وغيرهم .

روى عنه أحمد بن الجَلَاء ، وأبو بكر بن أبي عاصم ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وآخرون .

قال الدَّقَقِيّ^(١) فيما رواه الخطيب بإسناده : سمعت أبا عبد الله بن الجَلَاء يقول : لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة ، أولهم أبو ثُرَاب .

قال ابن الصلاح : والثلاثة الآخرون : أبوه يحيى الجَلَاء ، وأبو عُبيد البُسْرِيّ ، وذو النون المصريّ ، رضى الله عنهم أجمعين .

وروى الخطيب أن أبا ثُرَاب قال : ما تَمَنَّتْ عليّ نفسي قطّ إلا مرةً ، تَمَنَّتْ عليّ خبزاً وبيضاً وأنا في سَفَرَة ، فعدلت من^(٢) الطريق إلى قرية ، فلما دخلتُ^(٣) وثب إليّ رجل فتعلّق بي وقال : إن هذا كان مع اللصوص ، قال : فبطحوني فضربوني سبعين جلدة [فوقف علينا رجل ، فصرخ : هذا أبو ثُرَاب ! فأقاموني واعتذروا إليّ ، وأدخلني الرجل منزله ، وقَدَمَ إليّ خبزاً وبيضاً فقلت : كلهما بعد سبعين جلدة]^(٤) .

وروى بسنده إلى أبي عبد الله ابن الجَلَاء قال : قدم أبو ثُرَاب مرةً مكةً فقلت له : يا أستاذ أين أكلت ؟ فقال : جئتُ بفضولك ! أكلت أكلة بالبصرة ، وأكلت بالنّجاش^(٥) ، وأكلت عندكم .

(١) في الأصول : « الرق » بالراء ، وهو خطأ صوابه من الطبقات الوسطى ، وطبقات الصوفية ٤٤٨ ، واللباب ٤٢٢ / ١ ، وهو أبو بكر محمد بن داود .

(٢) في المطبوعة « عن » والمثبت من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد ١٢ / ٢١٧ .

(٣) في تاريخ بغداد : « دخلنا » .

(٤) تكملة من الطبقات الوسطى ، وتاريخ بغداد .

(٥) النجاش ، بكسر أوله وفي آخره جيم : قرية في بادية البصرة ، على النصف من طريق البصرة إلى مكة . المراصد ١٣٥٢ .

وروى بسنده أيضاً إلى أبي ثراب قال : وقفت خمسا وخمسين وقفة ، فلما كان من قابل رأيت الناس بعرفات ، ما رأيت قط أكثر منهم ، ولا أكثر خشوعا وتضرعا ، فأعجبني ذلك فقلت : اللهم من لم تتقبل حَجَّتِه من هذا الخلق فاجعل ثواب حَجَّتِي له . وأفضنا من عرفات ، وبتنا بجمع^(١) ، فرأيت في المنام هاتفا يهتف بي : تتسحى علينا وأنا أسخى الأسخياء ! وعزتي وجلالي ما وقف هذا الموقف أحد قط إلا غفرْتُ له . فانتبهت فرحا بهذه الرؤيا ، فرأيت يحيى بن معاذ الرازي وقصصت عليه الرؤيا ، فقال : إن صدقت رؤياك فإنك تعيش أربعين يوما .

قال الراوى : فلما كان يوم أحد وأربعين ، جاءوا إلى يحيى بن معاذ الرازي فقالوا : إن أبا تراب مات ، فغسله وكفنه^(٢) .

وعن يوسف بن الحسين : كنت مع أبي ثراب بمكة ، فقال : أحتاج إلى كيس دراهم . فإذا رجل قد صبَّ في حجره كيس دراهم ، فجعل يفرقها على من حوله ، وكان فيهم فقير يترأى له أن يعطيه شيئا فما أعطاه شيئا ، فنفدت الدراهم ، وبقيت أنا وأبو تراب والفقير ، فقال له : تراءيتُ لك غير مرة فلم تعطني شيئا ! فقال له : أنت لا تعرف المُعْطَى .

وعن يوسف بن الحسين : صحبت أبا ثراب النَّحْشَبِيَّ خمس سنين ، وحججت معه على غير طريق الجادة ، ورأيت منه في السفر عجائب يقصرُ لسانى عن شرح جميعها ، غير أنا كنا مازين ، فنظر إلى يومنا وأنا جائع وقد تورمت رجلاى ، وأنا أمشى بجهد ، فقال لى : مالك ؟ لعلك جعت ! قلت : نعم ، قال : ولعلك أسأت الظن بربك ! قلت : نعم ، قال : ارجع إلى ربك ، قلت : وأين هو ؟ قال : حيث خلفته ، فقلت : هو معى ، فقال : إن كنت صادقاً فما هذا الهم الذى أرى عليك ؟ قال : فرأيت الورم قد سَكَنَ ، والجوع قد ذهب ، ونَشِطْتُ حتى كدت أسبقه . قال أبو ثراب : اللهم إن عبدك قد أقر لك بالآفة فأطعمه ، ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق ، فانتبهنا إلى رابية ، فإذا كوز ماء ورغيف

(١) جمع ، بفتح الجيم : هو المزدلفة . سمي جمعا ، لأنه يجمع فيه بين صلاتى العشاءين . المراد ٣٤٦ .

(٢) مكان هذا في الطبقات الوسطى : « ودفنه » .

موضوع ، فقال لى أبو ثراب : دونك دونك . فجلست وأكلت وقلت له : ليش ما تأكل أنت ؟ قال : يأكل من اشتهاه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَبَّاز ، بقراءتى عليه ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن حمَّاد العَسْقَلَانِيّ ، وإبراهيم بن حَمْد^(١) بن كامل المَقْدِسِيّ سماعا ، قالا : أخبرنا عبد العزيز بن مَنِينا ، وابن سَكِينَة إجازة ، قالا : أخبرنا محمد ابن عبد الباقي الأنصارى القاضى ، أخبرنا الخطيب أبو بكر الحافظ ، أخبرنى عبید الله ابن أحمد الصَّيرَفِيّ ، حدثنا أبو الفضل الزُّهْرِيّ ، حدثنى أبو الطيب أحمد بن جعفر الحَدَّاء ، قال : سمعت أبا علىّ الحسين بن خيران الفقيه قال : مرّ أبو ثراب النُّحْشَبِيّ بمُزَيْنٍ فقال له : تخلّق رأسى لله عز وجل ؟ فقال له : اجلس . فجلس ، فبينما هو يخلّق رأسه مر به أمير من أهل بلده ، فسأل حاشيته ، فقال لهم : أليس هذا أبا ثراب ؟ فقالوا : نعم . فقال : أيش معكم من الدنانير ؟ فقال له رجل من خاصّته : معى خريطة فيها ألف دينار . فقال : إذا قام فأعطه إياها واعتذرْ إليه ، وقل له : لم يكن معنا غيرُ هذه . فجاء الغلام إليه وقال له : إن الأمير يقرأ عليك السلام ، وقال لك : ما حضر معنا غيرُ هذه ، فقال له : ادفعها إلى المُزَيْنِ ، فقال المُزَيْنُ : أيش أعمل بها ؟ فقال : خذها ، فقال : والله ، ولو أنها ألفا دينار ما أخذتها . فقال له أبو ثراب : مرّ إليه فقل له : إن المُزَيْنُ ما أخذها ، فخذها أنت فاصرفها فى مهمّاتك .

● قلت : سقنا هذه الحكاية بالسند ، لما فيها من جليل الفوائد ، فمنها حال هذا المزَيْنِ وعدم أخذه العِوض على عمل عمله لله تعالى ، فأرى الله أبا تراب خلّقا من خلقه ، مُزَيْنًا بهذه الصفة .

ومنها ردّ أبى تراب هذا الذهب على هذا الوجه ، فإن أبا ثراب إن كان عرف أن هذا المزَيْنُ لا يأخذها فلعله دفعها إليه ليردّها فإراه غلام ذلك الأمير ، ويعرف ويحكى لأستاذه أن مزَيْنٌ أبى تراب لا يرضى أن يأخذ ألف دينار على هذا العمل اليسير ، فما الظن بأبى تراب وإعراضه عن الدنيا ، وإن كان أبو تراب لم يعرف حال المزَيْنِ—وذلك بعيد عندنا—فيكون رد المزَيْنِ لها تعريفا من الله لأبى تراب بمقدار هذا المزَيْنِ، وتربيةً أيضا

(١) فى المطبوعة : « أحمد » وأثبتنا ما فى الطبقات الوسطى ، د ، النسخة ١٦٣ .

لهذا الأمير ، وسلوكا لأحسن طريق في رد ذهبه عليه ، وأنه أحوج من أى تُراب إليه ، فإنه لا يبذل مثله لمزِين ، ومزِين أى تُراب لا يرضى بِمِثْلِيهِ ، ولا بِأَمْثَالِهِ .
توفى أبو تُراب بالبادية . قيل : نَهَشْتَهُ السَّبَاع . وقد قَدَّمْنَا أن يحيى بن مُعَاذ تَوَلَّى غسله ، فلعله اطلَّع على مكانه .

وكانت وفاة أى تُراب سنة خمس وأربعين ومائتين ، قال أبو عمران الإصطخريّ : رأيته في البادية قائما ميتا لا يُمسكه شيء .

(ومن الفوائد عن أى تُراب رحمه الله تعالى)

● سئل أبو تُراب عن صفة العارف ، فقال : الذى لا يكدره شيء ، ويصفو به كلُّ شيء .

وقال أبو تُراب : الفقير قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث نزل .
وقال : إن الله يُنطق العلماء في كل زمان بما يُشاكل أعمال [أهل]^(١) ذلك الزمان .

وقال : مَنْ شغل مشغولا بالله [عن الله]^(٢) أدركه المَقْت من ساعته .

● وقال : شرط التوكّل طرح البدن في العبوديّة ، وتعلّق القلب بالرُّبوبيّة ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أُعْطِيَ شَكَر ، وإن مُنِعَ صَبَرَ ، وليس ينال الرضا مَنْ للدنيا في قلبه مقدارٌ .

وقال : صحبت مائة شيخ ، ما نفعنى مثل شدّ رأس الجِراب ، يعنى القناعة والتقلل من الدنيا .

وقال : إذا رأيت الصوفيّ سافر بلا رَكْوَة فاعلم أنه عزم على ترك الصلاة .

(١) من طبقات الصوفية ١٥١ .

(٢) من طبقات الصوفية ١٤٩ .

(حكاية تشتمل على تحقيق التجلّي)

● قال القاضي ناصر الدين بن المُنير المالكى في كتابه « المقتفى » : وفي الحكاية المدونة في كتب أهل الطريق أن أبا تُراب النُّحْشَبى كان له تلميذ ، وكان الشيخ يرفق به ويفترس فيه الخير ، وكان أبو تُراب كثيرا ما يذكر أبا يزيد البسطامى ، فقال له الفتى يوما : لقد أكثرت من ذكر أبى يزيد ! مَنْ يتجلّى له الحق في كلّ يوم مرّات ماذا يصنع بأبى يزيد ؟ فقال له أبو تُراب : ويحك يا فتى ! لو رأيت أبا يزيد لرأيت مرأى عظيما ، فلم يزل يشوقه إلى لقائه حتى عزم على ذلك في صحبة الشيخ أبى تُراب ، فارتحلا إلى أبى يزيد ، فقبل لهما : إنه في الغيضة ، وكانت له غيضة يأوى إليها مع السباع ، فقصدا الغيضة وجلسا على رُبوة على ممرّ أبى يزيد ، فلما خرج أبو يزيد من الغيضة قال أبو تُراب للفتى : هذا أبو يزيد ، فعندما وقع بصر الفتى على أبى يزيد خرّ ميتا ؛ فحدّث أبو تُراب أبا يزيد بقصته ، وعَجِب من ثبوته لتجلّى الحق سبحانه وتعالى ، وعدم تماسكه لرؤية أبى يزيد . فقال أبو يزيد لأبى تُراب : كان هذا الفتى صادقا ، وكان الحق يتجلّى له على قَدَر ما عنده ، فلما رآنى تجلّى له الحق على قدرى فلم يُطق .

قال الفقيه ناصر الدين : واصطلاح أهل الطريق معروف ، وحاصله رتبة من المعرفة جليّة ، وحالة من اليقظة والحضرة سرّية سنيّة ، والإيمان يزيد وينقص ، على الصحيح ؛ ولا تظنهم يعنون بالتجلّى رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ^(١) والتي قيل فيها على العموم : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٢) فإذا فهمت أن مُرادهم الذى أثبتوه غير المعنى الذى حصل الناس منه على الناس في الدنيا ، ووُعد به الخواص في الأخرى ، فلا ضير بعد ذلك عليك ، ولا طريق لِسَبْق ^(٣) الظن إليك ، والله يتولى السرائر .

(١) سورة الأعراف ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٠٣ .

(٣) في المطبوعة : « لسوء » وأثبتنا ما في : د ، والنسخة ١٦٣ .

قلت : وكلام ابن المُنيّر هذا في تفسير التجلّي يقرب من قول شيخ الإسلام وسلطان العلماء أبي محمد بن عبد السلام ، رحمه الله في كتاب « القواعد » : إن التجلي والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان .

واعلم أن القوم لا يقتصرون في تفسير التجلّي على العلم ، ولا يعنون به إياه ، ثم لا يفصحون بما يعنون إفصاحا ، وإنما يلوّحون تلويحا ، ثم يصرّحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن تصرّحا ؛ وقد ذكر سيد الطائفة أبو القاسم القشيري رحمه الله في « الرسالة » باب « السّر والتجلّي »^(١) ثم باب « المشاهدة »^(٢) ولم يفصح بتفسير التجلّي ، كأنه خشى على فهم من ليس من أهل الطريق ، وعرف أن السالك يفهمه ، فلم يحتج إلى كشفه له .

وحاصل ما يقوله متأخرو القوم أن التجلّي ضربان :

ضرب للعوام ، وهو أن يكشف صورة ، كما جاء جبريل عليه السلام في صورة دحية ، وكما في الحديث : « رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍ » قالوا : وهذا تجلّي الصفة ، ويضربون لذلك المرأة مثلا فيقولون : أنت تنظر وجهك في المرأة ، وليست المرأة محلا لوجهك ، ولا وجهك حالا فيها ، وإنما هناك مثاها ، تعالى الله عن أن يكون له مثال ! وإنما يذكرون هذا تقرّيا للأفهام .

وحديث « فِي صُورَةِ شَابٍ أَمَرَدَ » موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ . وضرب للخواص ، وهو تجلّي الذات نفسها ، ويذكرون هنا لتقريب الفهم الشمس ، قالوا : فإنك ترى ضوء النهار فتحكم بوجود الشمس وحضورها برؤيتك الضوء .

قالوا : وهذا تقريب أيضا ، وإلا فنور الباري لو سَطَعَ لأحرق الوجود بأسره إلا من ثبته الله .

وقد يعتضدون بحديث أبي ذر رضي الله عنه : سألت النبي ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال : « نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ » وفي لفظ قال « رَأَيْتُ نُورًا » .

(١) الرسالة ٥١ .

(٢) الرسالة ٥٢ .

أخرجه مسلم والترمذى^(١) ، ولكنه حديث مؤول باتفاق المسلمين .
هذا حاصل كلام القوم . وأنا معترف بالقصور عن فهمه ، وضيق المحل عن
بسط العبارة فيه .

وقد جالست في هذه المسألة الشيخ الإمام الصالح العارف قطب الدين بركة
المسلمين محمد بن اسفهدا الأزدبيلي ، أعاد الله من بركته وقلت له : أتقولون بأن
الذى يراه العارف في الدنيا هو الذى وعده الله في الآخرة ؟
قال : نعم .

قلت : فبم تتميز رؤية يوم القيامة ؟
قال : بالبصر ؛ فإن الرؤية في الدنيا في هذين الضربين إنما هي بالبصيرة دون
البصر .

قلت : فقد اختلف في جواز رؤية الله تعالى في الدنيا .
قال : الحق الجواز .
قلت : فلا فارق حينئذ ، وتجاوز الرؤية بالبصر في الدنيا .
قال : الفارق أنه في الآخرة معلوم الوقوع للمؤمنين كلهم ، وفي الدنيا لم يثبت
وقوعه إلا للنبي ﷺ ، وفي بعض ذوى المقامات العلية .
هكذا قال .

ومما قلت له ، وقد ضرب المرأة مثلاً : قد يقال إن هذا نوع من الحلول ،
والحلول كُفر .
قال : لا ، فإن الحلول معناه أن الذات تحل في ذات أخرى ، والمرأة لا تحل
الصورة فيها .
هذا كلامه .

قلت له : فما المشاهدة عن^(٢) التجلى ؟

(١) صحيح مسلم في (باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه . من كتاب الإيمان) ١ / ١٦١ . وجامع
الترمذى في (تفسير سورة النجم ، من كتاب التفسير) ٢ / ٢٢٣ . وقد اختار المصنف رواية مسلم .
(٢) في المطبوعة : « غير » والمثبت في د ، والنسخة ١٦٣ .

قال : المشاهدة دوام تجلّي الذات ، والتجلّي قد يكون معه مشاهدة ، وهو ما إذا دام ، وقد لا يكون . انتهى .

وأقول : إذا تبرأ القوم من تفسير التجلّي بما لا يمكن ولا يجوز وصف الربّ تعالى به فلا لوم عليهم بعد ذلك ، غير أنهم مصرّحون بأنه غير العلم والعرفان .

(حكاية ثانية يبحث فيها عن الكرامات)

قال أبو على الرُّوذباريّ : سمعت أبا العباس الرّقّي يقول : كنا مع أبي ثراب النّحشبيّ في طريق مكة ، فعدل عن الطريق إلى ناحية ، فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان . فضرب برجله فإذا عينٌ من ماء زلال ، فقال الفتى : أحب أن أشربه في قدح . فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقاني ، وما زال القدح معنا إلى مكة .

فقال لي أبو ثراب يوما : ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده ؟ فقلت : ما رأيت أحدا إلا وهو مؤمن بها . فقال : من لا يؤمن بها فلقد كفر ، إنما سألتك من طريق الأحوال ! فقلت : ما أعرف لهم قولا فيه . فقال : بلى ! قد زعم أصحابك أنها تحدّع من الحق ، وليس الأمر كذلك ، إنما الخدع في حال السكون إليها ، فأما من [لم]^(١) يقترح ذلك فتلك مرتبة الرّبانيّين .

قلت : قد اشتمل كلام أبي ثراب هذا على فصلين مهمّين .

● أحدهما : أن الكرامات والمكاشفات ليست تحدّعا إلّا لمن يقف عندها ويجعلها شوقه^(٢)

ومقصوده ، ولا شك في هذا ؛ وقد بالغ قوم في تعظيمها بحيث سلبوا بها المواهب ، وبالعجز آخرون في امتنانها ، بحيث لم يعدّوها شيئا ؛ والحق ما ذكره أبو ثراب من أن السكون إليها نقص . فمن الواضح الجليّ الذي لا ينكره عارف أن العارف لا يقف عندها ، وإنما مطلوبة وراءها ، وهي تقع في طريقه ، وليس للواقع في الطريق من الطريق

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) في : د ، والنسخة ١٦٣ : « سوجه » والمثبت من المطبوعة .

صفة ، ومن وقف عندها سقط في مَهَاوِي الهَلَكَات ، ومن كانت هي مطلوبه فهو مغرور ، ويعد وصوله إليها ، وإنما يصل إليها من لا يراها . فافهم ما يلقي إليك .
فإن قلت : فلأى معنى يُظهرها مظهروها ، وهي على ما تزعم أشياء لا يُلقون إليها بالا ؟

قلت : ظهورها يقع على أنحاء ربما لم يكن باختيار صاحبها ، وهو كثير ، بل صار بعض الأئمة كما نقل إمام الحرمين في « الشامل » إلى أن الكرامات لا تكون أبدا إلا على هذا الوجه . فعلى هذا الوجه لا سؤال ؛ ولكن هذا مذهب ضعيف غير مرضى عند المحصّلين ، ولا سؤال عليه ، وربما كان هو المظهر بها ؛ وإنما يكون ذلك لفائدة دينية ، من تربية أو بشاره ، أو نذارة ، أو غير ذلك حيث يؤذن فيه ، ولا يجوز إظهارها حيث لا فائدة ، فذلك عند القوم غير جائز له .

● والفصل الثاني : أن الكرامات حق ، وقول أبي ثراب « مَنْ لا يؤمن بها فقد كفر » بالغ في الخط من ^(١) منكرها ، وقد تُؤوّل لفظة الكفر في كلامه ، وتُحمّل على أنه لم يعن الكفر المخرج من الملة ، ولكنه كُفر دون كُفر .

وإني لأعجب أشدّ العجب من منكرها ، وأخشى عليه مقت الله ، ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة ! على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذب عليه ؛ والذي ذكره الرجل في مصنفاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة .

قال : وكلّ ما جاز تقديره معجزةً لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامةً لولي .

قال : وإنما بالغ الكرامات إجابة دعوة ، أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه ، أو مضاهي ذلك ، مما ينحط عن خرق العادة ، ثم مع هذا قال إمام الحرمين وغيره من أئمتنا : هذا المذهب متروك .

قلت : وليس بالغا في البشاعة مبلغ مذهب المنكرين للكرامات مطلقا ، بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة ، رأى أن ذلك التفصيل هو المميّز لها من المعجزات .

(١) في المطبوعة : « على » وأثبتنا ما في : د ، والنسخة ١٦٣ .

وقد قال الأستاذ الكبير أبو القاسم القُشَيْرِيّ في « الرسالة »^(١) : إن كثيرا من المَقْدورات يُعَلَم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن يظهر^(٢) كرامةً للأولياء ، لضرورة أو شبه^(٣) ضرورة يعلم ذلك ، فمنها حصول إنسان لا من أبوين ، وقلب جمادٍ بهيمةً أو حيوانا . وأمثال هذا يكثر . انتهى .

وهو حق لا ريب فيه ، وبه يتضح أن قول من قال : ما جاز أن يكون معجزةً لنبىٍّ جاز أن يكون كرامةً لولى . ليس على عمومهِ ، وأن قول من قال : لا فارق بين المعجزة والكرامة إلا التحدى . ليس على وجههِ ، ولعلنا نبحت عن هذا في آخر الفصل ؛ وسيلنا حيث انتهينا إلى هذا الفصل أن نستقصى شُبُه المنكرين للكرامات ، ونستأصل شأفتهم بتقرير الرد عليهم ، ثم نذكر البراهين الدالة على الإثبات ، ونختتمها بتتّمات .

(شُبُهة للقدريّة في منع الكرامات ، وذكر فسادها)

● قالوا : تجويز الكرامة يُفضى إلى السّفْسة ؛ لأنه يقتضى تجويز انقلاب الجبل ذهباً إبريزاً ، أو البحر دماً عبيطاً ، وانقلاب أوّلٍ يتركها الإنسان في بيته أئمةً فضلاء مدققين .

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : أنا لا نسلم بلوغ الكرامة إلى هذا المبلغ ، كما اقتضاه كلام القُشَيْرِيّ . والثاني : وهو ما اقتضاه كلام أئمتنا أن نجوّز بلوغها هذا المبلغ ، ولكن لا يقتضى ذلك سَفْسة ؛ لأن ما ذكرتم بعينه وارد عليكم في زمان النبوة ، فإنه يجوز ظهور المعجزة بذلك ، ولا يؤدي إلى سَفْسة .

والثالث : أن التجويزات العقلية لا تقدر في العلوم العادية ، وجواز تغييرها بسبب الكرامة تجويز عقليّ فلا يقدر فيها .

(١) صفحة ٢٠٨ .

(٢) في المطبوعة : « تظهر » والمثبت من الرسالة .

(٣) في المطبوعة : « شبهة » وأثبتنا ما في الرسالة ، د ، والنسخة ١٦٣ .

(شبهة ثانية لهم ، وتبيين الانفصال عنها)

● قالوا : لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة ، فلا تبقى للمعجزة دلالة على ثبوت النبوة .

والجواب : منع الاشتباه ؛ وهذا لأن المعجزة مقرونة بدعوى النبوة ، ولا كذلك الكرامة ، بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبي ﷺ ، وتصديقه ، والسير على طريقه . وقولهم : « إنما دلت المعجزة على تصديق النبي من حيث انخراق العادة ، فكذلك الكرامة » كلام ساقط ؛ فإن مجرد خرق العادة ليس المقتضي للنبوة ، ولو دلَّ خرق العادة على النبوة بمجرد^(١) لوجب أن تدلُّ أشراف الساعة وما سيظهر منها على ثبوت نبوة ، إذ العوائد تنخرق بها ، ومن أعظم البدائع فطرة السموات والنشأة الأولى ، ثم لم تقتض بدائع الفطرة في نشأة الخلق ثبوت نبي ! فاستبان أن مجرد خرق العادة لا يدل ؛ إذ لو دلَّ لا طرد ، بل لابد معه من التحدى ، فلا اشتباه للكرامة بالمعجزة ، وأيضا فالمعجزة ، يجب على صاحبها الإشهار ، بخلاف الكرامة ، فإن مبناها على الإخفاء ، ولا تظهر إلا على الندرة والخصوص ، لا على الكثرة والعموم ؛ وأيضا فالمعجزة تجوز أن تقع بجميع خوارق العادات ، والكرامات تختص ببعضها ، كما بيناه من كلام القشيري ، وهو الصحيح . ولسنا نجوز ولدا إلا من أبوين ، ولا نحو ذلك . كما سنستقصى القول فيه .

(شبهة ثالثة لهم ، ووجه الانفصال عنها)

● قالوا : لو ظهرت لولي كرامة لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حبة من الحنطة أو فلسا واحدا من الفلوس ، من غير بينة ؛ لظهور درجته عند الله تعالى المانعة من كذبه ، لا سيما في هذا التزوير اليسير ، لكنه باطل ؛ لإجماع المسلمين المؤيد بقول رسول رب العالمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين : « الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدْعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

(١) في : د ، والنسخة ١٦٣ : « مجردة » والمثبت في المطبوعة .

والجواب أن الكرامة لا توجب عصمة الولي ، ولا صِدْقَه في كل الأمور ؛ وقد سئل شيخ الطريقة ، ومقتدى الحقيقة أبو القاسم الجُنيد رحمه الله : أيزنى الولي ؟ فقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ ^(١) وهب أن الظن حاصل بصدقه فيما ادعاه إلا أن الشارع جعل لثبوت الدعوى طريقا مخصوصا ، ورابطا معروفا لا يجوز تعديّه ، ولا العدول عنه ، ألا ترى أن كثيرا من الظنون لا يجوز الحكم بها ؛ لخروجها عن الضوابط الشرعية .

(شبهة أخرى لهم ، وكشف عوارها)

● قالوا : لو جاز ظهور خوارق العادات على أيدي الصالحين لجاز سراً كما يجوز جهراً ، ولو جاز سراً لما أمكننا أن نستدل على نبوة الأنبياء بظهورها على أيديهم ، فثبت أن ظهورها على الصالحين سراً ممتنع ، وإذا لم يجز ظهورها عليهم سراً فأولى أن لا تجوز جهراً ؛ لأن كل من جَوَّز ظهورها عليهم لم يشترط أن تظهر علانية ، بل من أصول معظم جماعتكم أن الأولياء لا يُظهرون الكرامات ولا يَدْعُونَ بها ، وإنما تظهر سراً وراء سُتُور ، ويتخصص بالاطلاع عليها آحادُ الناس ، فثبت أنها لو جازت لجازت سراً ، إذ لا قائل بالفصل ^(٢) ، ولأنه أولى بالجواز من العلانية ، لكن جوازها سراً يُفْضَى إلى أن لا يُستدل بها على النبوة ، لأنه يجوز ظهورها متوالية على استمرار ، وإن كان ذلك مَحْفِيًّا مستترا ، وتكون موجودة مستمرة بحيث تلتحق بحكم المعتاد ، فإذا ظهر نبيّ وتحدى بمعجزة ، جاز أن تكون هي بعض ما اعتاده أولياء عصره من الكرامات ، ولا يتحقق في هذا النبيّ خرقُ العوائد ، فكيف السبيل إلى تصديقه ؟

هذا حاصل شبهتهم هذه، ثم حرروا عنها عبارة فقالوا: إذا تكرر ما يخرق العوائد على الأولياء أفضى ذلك إلى التحاق خوارق العادات في حقوقهم بالمعتادات، وصارت

(١) سورة الأحزاب ٣٨ .

(٢) في المطبوعة : « بالتفصيل » وأثبتنا ما في : د ، والنسخة ١٦٣ .

عاداتهم بخلاف العادات ، فلو ظهر نبىٌ في زمنهم كانت عوائدهم^(١) في انخراق العوائد في أحوالهم تصدُّهم عن تصحيح النظر في المعجزة .

ثم أخرجوا الشبهة على وجه آخر فقالوا : لو جاز إظهارها على صالح لجاز إظهارها على صالح آخر إكراماً له ، وهكذا إلى عدد كثير ، إذ ليس اختصاص عدد منهم بذلك أولى من عدد آخر ، وحينئذ يصير عادة فلا يبقى ظهورها دليلاً على النبوة ، ويُطوى بساط النبوة رأساً .

وجميع ما ذكره في هذه الشبهة تمويه ، لا حاصل تحته ، وقَعَقَة لا طائل فيها . ولأئمتنا في ردها وجهان :

فمن أئمتنا مَنْ منع توالى الكرامات واستمرارها حتى تصير في حكم العوائد ، وخلص بهذا المنع عن إلزامهم ، بل امتنع بعض المحققين من تصوّر^(٢) توالى المعجزات على الرسل المتعاقبين ، إذ كان يؤدي إلى أن تصير المعجزات معتادة . فهذه طريقة في الرد على هذه الشبهة ، حاصلها :

أنا إنما نجوّز ظهور الكرامات على وجه لا يصير عادة ، فاستبان أنه خاصٌّ بشبهتهم هذه ، وأنها لم تقدح في أصل الكرامات ، وإنما تضمنت منع كُرورها ، والتحاقها بالمعتاد .

ومن أئمتنا - وهم المُعْظَم - من جوّز توالى الكرامات على وجه الاختفاء ، بحيث لا تظهر ولا تُشيع ولا تلتحق بالمعتاد ؛ لئلا تخرج الكرامة عن كونها كرامةً عند عامّة الخلق . ثم قالوا : الكرامة وإن توالى على الوليّ حتى أُلِفها واعتادها فلا يخرج ذلك عن طريق الرشاد ، ووجه السداد في النظر إذا لاحت المعجزة ، إن وافقه التوفيق ، وإن تعدّاه التوفيق سُلِب الطريق ، ولم يكن بولّى على التحقيق ، والمعجزة تتميز عمّن تكررت عليه الكرامة بالإظهار والإشاعة والتحدّى ودعوى النبوة ؛ فإذا تميّزت الكرامة عن المعجزة لم ينسَد باب الطريق إلى معرفة النبىِّ .

(١) في المطبوعة : « عادتهم » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) في المطبوعة : « تصوير » والمثبت من : د ، والنسخة ١٦٣ .

ومن تمام الكلام فى ذلك أن أهل القبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على
الفَسَقَة الفَجْرة ، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عز وجل .

وبهذا لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا ينسَد ؛ فإن الوليَّ بتوفيق الله تعالى ينقاد
للنبيِّ إذا ظهرت المعجزة على يديه ، ويقول : معاشَر الناس ، هذا نبيُّ الله فأطيعوه .
ويكون أوَّل منقاد له ، ومؤمن به .

والقاضي أبو بكر ، وإن شَبَّ بمنع هذا الإجماع وقال : لو جَوَّز مجوِّز ظهور
بعض خوارق العادات على بعض الفَسَقَة استدراجا لكان مذهبا ، كما أنه لا يَبْعُد
ظهورها على الرُّهبان المتبتلين وأصحاب الصوامع على كُفْرهم . فهذا كما قال إمام
الحرمين فيه نظر ، ولسنا نثبت لراهبٍ كرامةً ، ولا كيد ولا كرامة . وحلَّ استيفاء
القول على ذلك لا يحتمله هذا المكان .

والحاصل : أن ما يظهر على يد الرهبان ليس من الكرامات ، وأما توقف القاضي
فى الفَسَقَة والفَجْرة فأنا معه ، لكن لا على الإطلاق ؛ بل أَفْصَلُ فأقول :

لو ذهب ذاهب إلى تجويز ظهور الكرامة على يد الفاسق إنقاذاً له مما هو فيه ، ثم
يتوب بعدها ويثبت لا محالة ، وينتقل إلى الهدى بعد الضلالة ، لكان مذهبا ، ويقرب
منه قصة أصحاب الكهف التى سنحكىها ؛ فقد كانوا عِبْدَة أصنام ثم حصل لهم ما
حصل ؛ إرشاداً وتبصرة ؛ ثم ما ذكره الخصوم من حديث اشتباه النبيِّ بغيره إذا
وافقت المعجزة الكرامة قد تبين الانفصال عنه .

وأنا أقول : مَعَاذَ الله أن يتحدَّى نبيُّ بكرامة تكررت على يد وليٍّ ! بل لابد أن
يأتى النبيُّ بما لا يوقعه الله على يد الوليِّ ؛ وإن جاز وقوعه فليس كل جائر فى قضايا
العقول واقعا . ولَمَّا كانت مرتبة النبيِّ أعلا وأرفع من مرتبة الوليِّ كان الوليُّ ممنوعا
مما يأتى به النبيُّ على وجه الإعجاز والتحدَّى ؛ أدباً مع النبيِّ .

ثم أقول : حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه ، إنما يقع البحث فيه حيث لم تُختم النبوة ،

أما مع مجيء خاتم النبيين الذى ثبتت نبوته بأوضح البراهين ، وإخباره بأنه لا نبي بعده ؛ فقد أمنا^(١) الاشتباه ، فلو صح ما ذكر من الاشتباه والانسداد لكان فى حكم الأولياء من الأمم السالفة ، لا فى [حكم]^(٢) الأولياء من هذه الأمة ؛ لأنهم من أنه لا نبي بعد نبيهم ﷺ ، هذا لو صح ، ولن يصح أبدا .

(شبهة خامسة لهم ، وتقرير بطلانها)

قالوا : لو كان للكرامات أصل لكان أولى الناس بها أهل الصدر الأول ، وهم صفوة الإسلام وقادة الأنام ، والمفضلون على الخليفة بعد الأنبياء عليهم السلام ، ولم يؤثر عنهم أمرٌ مُستقصى^(٣) .

وهذا الذى ذكروه تعلل بالأمانى ، وهو قول مردود ! فلو حاول مُستقصى استقصاء كرامات الصحابة رضى الله عنهم لأجهد نفسه ، ولم يصل إلى عُشر العُشر ، ولا بأس هنا بذكر يسير من كرامات الصحابة رضى الله عنهم ، والكلام على السرّ فى ظهورها ، وإظهارها على وجه الاختصار ؛ لئستفاد بكلامنا على ما نورده من القليل ما يستعان به على ما نُغفله من الكثير .

فنقول : اعلم أولا أن كل كرامة ظهرت على يد صحابى أو ولّى ، أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لربّ العالمين فإنها معجزة للنبي ﷺ ؛ لأن صاحبها إنما نالها بالافتداء به ﷺ ، وهو معترف له بأنه مقدّم خليفة الله ، وصفوتهم ، وسيد البشر الذى من بجره تُستخرج الدّرر ، ومن غيظه يُستنزل المطر ؛ وهذا المعنى يصلح أن يكون سببا إجماعيا^(٤) عامّا فى الإظهار ، لاسيما فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ؛ فإن

(١) فى المطبوعة : « أقمنا » والتصويب من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٣) فى المطبوعة : « مستفيض » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٤) فى المطبوعة : « إجماليا » وأثبتنا ما فى : د ، والنسخة ١٦٣ .

الكفار إذا رأوا ما يظهر على أيديهم من الخوارق آمنوا بنبِيِّهم ﷺ ، وعلموا أنهم على الحق ، فربما كان هذا سببا في الإظهار . إذا علمت ذلك :

(فمن الكرامات على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

ما صح من حديث عُروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان تَحَلَّها جَادًّا^(١) عَشْرِينَ وَسَقًا ، فلما حضرته الوفاة قال : والله يا بُنَيَّة ما مِنْ الناس أحد أَحَبَّ إِلَيَّ غَنَى بعدى منك ، ولا أَعَزَّ عَلَيَّ فَقْرًا بعدى منك ، وإنى كنت نَحْلُتُكَ جَادًّا عَشْرِينَ وَسَقًا ، فلو كنت [جددته]^(٢) وخزنته كان لك ، وإنما هو اليوم مَالٌ وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقسموه على كتاب الله . قالت عائشة : يا أبت ، والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هى أسماءُ فَمَنْ الأخرى ؟ فقال أبو بكر : ذو بطن ؛ بنت أراها جارية . فكان ذلك . قلت : فيه كرامتان لأبى بكر .

إحداهما : إخباره بأنه يموت فى ذلك المرض ، حيث قال : « وإنما هو اليومَ مَالٌ وارث » .

والثانية : إخباره بمولود يُولد له ، وهو جارية .

والسر فى إظهار ذلك ، استطابة قلب عائشة رضى الله عنها فى استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه ، وإعلامها بمقدار ما يَخْصُّها ؛ لتكون على ثقة منه ، فأخبرها بأنه مَالٌ وارث ، وأن معها أخوين وأختين لهذا ؛ ويدل على أنه قصد استطابة قلبها ، ما مَهَّدَه أولاً من أنه لا أحد أَحَبُّ إِلَيْهِ غَنَى بعده منها ، وقوله : « إنما هما أخواك وأختاك » . أى ليس ثَمَّ غريب ، ولا ذو قرابة نائية^(٣) ، وفى هذا من الترفُّق ما ليس يخفى ؛ فرضى الله عنه وأرضاه .

(١) الجاد : بمعنى المجدود ، أى نخل يجد منه ما يبلغ عشرين وسقا . النهاية ١ / ٢٤٤ .

(٢) ساقط من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٣) فى : د ، والنسخة ١٦٣ : « ثابتة » وأثبتنا ما فى المطبوعة .

ومنها : ما في البخاري^(١) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقول النبي ﷺ في أهل الصفة مرة : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةً فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ » ... الحديث^(٢) .

وفيه أن أبا بكر انطلق بثلاثة وغادرهم في بيته ، وتعشى عند النبي ﷺ ، ولبت حتى صلى العشاء مع رسول الله ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، فقالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال : أو ما عشيتهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء . ثم قال : كلوا . فقال قائلهم : وإيهم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها . حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ، فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ، ما هذا ؟ قالت : لا ، وفرة عيني لهي الآن أكثر مما كانت قبل بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر ... الحديث .

فنقول : السر فيه ، والعلم عند الله ، إن كان أبو بكر قصد تكثير الطعام احتياجه إلى إشباع الأضياف ، الذين أمره النبي ﷺ بهم ، وإن لم يكن قصد ذلك بل كثره الله ببركته ، فهي كرامة أظهرها الله على يديه من غير قصد منه ، فلا يُبحث عنها .

(ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه)

الذي قال فيه النبي ﷺ : « لَقَدْ كَانَ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ نَاسٌ مُّحَدِّثُونَ^(٣) ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » .

(قصة سارية بن زُئيم الخُلجّي^(٤))

كان عمر قد أمر سارية على جيش من جيوش المسلمين ، وجهّزه إلى بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند ، وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد

(١) صحيحه في (باب السمر مع الضيف والأهل ، من كتاب المواقيت) ١ / ١٥٦ ، وفي (باب علامات النبوة في الإسلام ، من كتاب المناقب) ٤ / ٢٣٦ .

(٢) إلى هنا انتهى سقط نسخة ج الذي بدأ في صفحة ٢٥٧ .

(٣) المحذونون - بفتح الدال المشددة - هم الملهمون . كأنهم حدثوا بشيء فقالوه . النهاية ١ / ٣٥١ .

(٤) هما اثنان ، جعلهما ابن السبكي واحداً : سارية بن زُئيم الكناني ، صاحب هذه القصة وسارية الخُلجّي . الإصابة ٣ / ٤ ، ٢٧٤ .

المسلمون يهزمون ، وعمر رضى الله عنه بالمدينة ، فصعد المنبر وخطب ، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلا صوته : يا ساريةُ الجبل ، يا ساريةُ الجبل ، مَنْ استرعى الذئبَ الغنمَ فقد ظلم . فأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين ، وهم على باب نهاوند صوت عمر ، فلدجأوا إلى الجبل ، وقالوا : هذا صوت أمير المؤمنين . فنَجَّوا وانتصروا .

هذا ملخصها . وسمعت الشيخ الإمام الوالدرحمه الله يزيد فيها : أن عليا رضى الله عنه كان حاضرا ، فقليل له : ما هذا الذى يقوله أمير المؤمنين ؟ وأين سارية منا الآن ؟ فقال كرم الله وجهه : دَعُوهُ ، فما دخل فى أمر إلا وخرج منه . ثم تبين الحال بالآخرة .

قلت : عمر رضى الله عنه لم يقصد إظهار هذه الكرامة ، وإنما كشف له ، ورأى القومَ غيانا ، وكان كمن هو بين أظهرهم ، أو طويت الأرض وصار بين أظهرهم حقيقة ، وغاب عن مجلسه بالمدينة ، واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بينها وند ، فخطب أميرهم خطابَ مَنْ هو معه ، إذ هو حقيقة ، أو كمن هو معه .

واعلم أن ما يُجرىه الله على لسان أوليائه من هذه الأمور يَحْتَمِلُ أن يُعرفوا بها ، وَيَحْتَمِلُ أن لا يُعرفوا بها ، وهى كرامة على كلا الحالين .

(ومنها قصة الزلزلة)

قال إمام الحرمين رحمه الله فى كتاب « الشامل » : إن الأرض زُلزِلت فى زمن عمر رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، والأرض تَرْجُف وتترجج ، ثم ضربها بالدرّة وقال : أَقْرَى أَلَمْ أَعِدْلك ؟ فاستقرّت من وقتها .

قلت : كان عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين على الحقيقة فى الظاهر والباطن ، وخليفة الله فى أرضه وفى ساكنى أرضه ، فهو يُعزّر الأرض ويؤدبها بما يصدر منها ، كما يُعزّر ساكنيها على خطيئاتهم .

فإن قلت : أيجب على الأرض تعزيرٌ وهى غير مكلفة ؟

قلت : هذا الآن جهل وقصور على ظواهر الفقه ! اعلم أن أمر الله وقضائه متصرّف فى

جميع مخلوقاته ، ثم منه ظاهر وباطن ، فالظاهر ما يبحث عنه الفقهاء من أحكام المكلفين ، والباطن ما استأثر الله بعلمه ، وقد يُطلع عليه بعض أصفياؤه ، ومنهم الفاروق سقى الله عهده ، فإذا ارتجت الأرض بين يدي من استوى عنده الظاهر والباطن عزَّرها ، كما إذا زلَّ المرء بين يدي الحاكم . وانظر خطابه لها وقوله « ألم أُعِدَلْ عليك ؟ » والمعنى ، والله أعلم أنها إذا وقع عليها جور الولاة جديرة بأن ترتج غير مَلُومة على التزلزل بما على ظهرها ، وأما إذا لم يكن جور ، بل كان الحكم بالقسط قائما فقيم الارتجاج ، وعلى مَ القلق ، ولم يأت الوقت المعلوم ؟ فما لها أن ترتج إلا في وقتين ؛ أحدهما الوقت المعلوم المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ فإن ذلك إليها ؛ وذلك إذا قال الإنسان : مآلها ؟ حدثت هي بأخبارها ، وذكرت أن الله أوحى لها ، على ما قال تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ ^(١) والثاني : وقت وقوع الجور عليها من الولاة ، فإنها تُعذَّر إذ ذاك ^(٢) .

فإن قلت : من أين لك هذا ؟

قلت : من قول عمر الذي أشرنا إليه ، ويدل عليه أيضا : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ لأنه دلَّت على الأرض : تكاد تنشق ، بالفجور الواقع عليها ، فلو لا يمسكها الله لكان .

واعلم أن هذا الذي تُخضنه بحر لا ساحل له ، والرأى أن تُمسك عِنان الكلام ، والموفق يؤمن بما نريد ، والشقيّ يجهل ولا يُجدى فيه البيان ، ولا يفيد . ومنهم شقيّ ومنهم سعيد .

ويقرب من قصة الزلزلة .

(١) سورة الزلزلة ١ - ٥ .

(٢) في هامش ج : « لما زلزلت المدينة في أيام عمر بن الخطاب قال : يا أهل المدينة ما أسرع ما أحدثتم ، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم . فخشى أن تصيبه العقوبة معهم . وهذا هو الصحيح عن عمر ، خلاف ما في كلام المؤلف » .

(قصة النيل)

وذلك أن النيل كان في الجاهلية لا يجري حتى تُلقَى فيه جاريةٌ عذراءٌ في كل عام ، فلما جاء الإسلام وجاء وقت جريان النيل فلم يجر ، أتى أهل مصر عمرو بن العاص فأخبروه أن لنيلهم سنة ، وهو أنه لا يجري حتى تُلقَى فيه جاريةٌ بكرٌ بين أبويها ، ويُجعل عليها من الحُلَى والثياب أفضل ما يكون . فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجري قليلا ولا كثيرا ، حتى همّوا بالجلّاء ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر : قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك بطاقةً ، فألقها في النيل . ففتح عمرو البطاقة قبل إلقائها ، فإذا فيها : من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد ؛ فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجريك . فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب ، وقد تهاى أهل مصر للجلّاء والخروج منها ، فأصبحوا وقد أجراه الله سنة عشر ذراعا في ليلة .

فانظر إلى عمر ، كيف يخاطب الماء ويكاتبه ، ويكلم الأرض ويؤدبها ، وإذا قال لك المغرور : أين أصل ذلك في السنة ؟ قل : أيها المتعثر في أذيال الجهالات ، أيطالب الفاروق بأصل ؟ وإن شئت أصلا فهاك أصولاً لا أصلا واحدا ، أليس قد حنّ الجذع إلى المصطفى ﷺ حتى ضمّه إليه ؛ أليس شكى إليه البعير مابه ؟ أليس في قصة الظبية حجة ؟ والأصول في هذا النوع لا تنحصر . وسنذكر مالك أن تضمّه إلى هذا في ترجمة الإمام فخر الدين^(١) ، في مسألة تسبيح الجمادات ، حيث نرد عليه ثم إنكاره لذلك .

(ومنها قصة النار الخارجة من الجبل)

كانت تخرج من كهف في جبل فتحرق ما أصابت ، فخرجت في زمن عمر ، فأمر أبا موسى الأشعري ، أو تميم الداري أن يدخلها الكهف ، فجعل يحبسها بردائه حتى أدخلها الكهف ، فلم تخرج بعد . قلت : ولعله قصد بذلك منع أذاها .

(١) في الجزء الثامن ٩٤ .

ومنها أنه عرض جيشا يبعثه إلى الشام ، فعرضت له طائفة ، فأعرض عنهم ، ثم عُرِضَتْ عليه^(١) ثانيا ، فأعرض عنهم ، ثم عرضت ثالثا ، فأعرض ، فتبين بالآخرة أنه كان فيهم قاتل عثمان وقاتل على .

(ومنها على يد عثمان ذى النورين رضى الله عنه)

دخل إليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها ، فقال له عثمان رضى الله عنه : يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا ! فقال الرجل : أَوْحَى بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، ولكنها فِرَاسَة .

قلت : إنما أظهر عثمان هذا تأديبا لهذا الرجل ، وزجرا له عن سوء صنيعه . واعلم أن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله ، فلا يقع بصره على كَدِرٍ أو صَافٍ إلا عرفه ، ثم تختلف المقامات ؛ فمنهم من يعرف أن هناك كدرا ولا يدرى ما أصله ، ومنهم من يكون أعلا من هذا المقام فيدرى أصله ، كما اتفق لعثمان رضى الله عنه ، فإن تأمل الرجل للمرأة أورثه كدرا ، فأبصره عثمان ، وفهم سببه .

وهنا دقيقة : وهو أن كل معصية لها كَدَرٌ وتورث نُكْتَةً سوداء في القلب بَقْدَرها ، فتكون رَيْنًا ؛ على ما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢) إلى أن يستحكم والعياذ بالله ، فيظلم القلب ، وتُغْلَقُ أبواب النور فيُطْبَعُ عليه ، فلا يبقى سبيل إلى توبته ، على ما قال تعالى : ﴿ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٣) وقد أوضحنا هذا في كتاب « رفع الحوبة بوضع التوبة » في باب « أن المطبوع لا توبة له » .

إذا عرفت هذا فالصغيرة من المعاصي تورث كَدْرًا صغيرا بَقْدَرها ، قريب المحو بالاستغفار وغيره من المكفرات ، ولا يدركه إلا ذو بصر حاد ، كعثمان رضى الله عنه ، حيث أدرك هذا الكَدْر اليسير ، فإن تأمل المرأة من أيسر الذنوب ، وأدركه عثمان وعرف أصله ، وهذا

(١) في المطبوعة : « أعرضت ثانيا » والمثبت من : ج ، د .

(٢) سورة المطففين ١٤ .

(٣) سورة التوبة ٨٧ .

مقام عال يخضع له كثير من المقامات . وإذا انضم إلى الصغيرة صغيرة أخرى ازداد الكدر ، وإذا تكاثرت الذنوب بحيث وصلت والعياذ بالله إلى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كل ذي بصر ، فمن رأى متضمخا بالمعاصي قد أظلم قلبه ولم يتفرس فيه ذلك ، فليعلم أنه إنما لم يُبصره لما عنده أيضا من العمى المانع للإبصار ، وإلا فلو كان بصيرا لأبصر هذا الظلام الداجي ، فبقدر بصره يُبصر ، فافهم ما نُتحفك به .

(ومنها على يد علي المرتضى أمير المؤمنين رضى الله عنه)

رُوى أن عليا وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم سمعوا قائلا يقول في جوف الليل :

يا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلُمِ	يا كاشِفَ الضُّرِّ والبَلْوَى مع السَّقَمِ
قد نام وفدك حَوْلَ البيتِ وانتَبهوا	وعينُ جودِكَ يا قَيُّومُ لم تَنمِ
هَبْ لِي بِجودِكَ فَضْلَ العَفْوِ عن رَلِّي	يا مَنْ إِلَيْهِ رجاءُ الخَلْقِ في الحَرَمِ
إن كان عَفْوُكَ لا يرجوه ذو خَطِيئٍ	فَمَنْ يَجُودُ . على العاصين بالتَّعَمِ

فقال علي رضى الله عنه لولده : اطلب لى هذا القائل . فأتاه فقال : أَجِبَ أمير المؤمنين . فأقبل يجر شِقَّه حتى وقف بين يديه ، فقال : قد سمعت خطابك ، فما قصتك ؟ فقال : إني كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان ، وكان والدى يعظنى ويقول : إن الله سَطَوَاتٍ وَتَقِمَاتٍ ، وما هى من الظالمين ببعيد . فلما ألح في الموعظة ضربته ، فحلف ليدعُونَّ عَلَى ، ويأتى مكة مستغيثا إلى الله ، ففعل ودعا ، فلم يتم دعاؤه حتى جف شِقِّي الأيمن ، فندمت على ما كان منى ، وداريته وأرضيته إلى أن ضَمِنَ لى أنه يدعو لى حيث دعا عَلَى ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ ناقة ، فأركبته فنَفَرَتِ الناقة ورمت به بين صخرتين ، فمات [هناك] ^(١) . فقال [له] ^(٢) على رضى الله عنه : رضى الله عنك إن كان أبوك رضى عنك . فقال : الله كذلك . فقام على كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرها إلى الله عز وجل ، ثم قال : يا مبارك

(١) زيادة من : ج .

قُمْ . فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان ، ثم قال : لولا أنك حلفت أن أباك رضى
عنك ما دعوت لك .

قلت : أما الدعاء فلا إشكال فيه ، إذ ليس فيه إظهار كرامة ، ولكننا نبحت في
هذا الأمر في موضعين : أحدهما فيما نحن بصدد من السر في إظهاره كرم الله وجهه
الكرامة في قوله : « قم » .

فنقول : لعله لما دعا أذن له أن يقول ذلك ، أو رأى أن قيامه موقوف بإذن الله
تعالى على هذا المقال ، فلم يكن من ذكره بُد .

والثاني : كونه صلى ركعات ، ولم يقتصر على ركعتين^(١) .

فنقول : ينبغي للداعي أن يبدأ بعمل صالح يتنور به قلبه ليعقبه الدعاء ، ولذلك
كان الدعاء عقيب المكتوبات أقرب إلى الإجابات ، ومن أفضل الأعمال الصلاة ،
وقد جاء في أحاديث كثيرة الأمر بتقديمها على الدعاء عند الحاجات ، وأقل الصلاة
ركعتان ، فإن حصل نور بها ، وأشرقت علامم القبول فالأولى الدعاء عقيبها ، وإلا
فليُصل المرء إلى أن تلوح أمارات القبول ، فيعرض إذ ذاك عن الصلاة ، ويفتح
الدعاء ؛ فإنه أقرب إلى الإجابة . وللكلام في هذا المقام سبح طويل لسنا له الآن .

(ومنها على يد العباس عم النبي ﷺ)

في استسقاء عام الرّمادة . وذلك أن الأرض أجذبت في زمان عمر رضى الله عنه ، وكانت
الريح تدرى ترابا كالرماد لشدة الجذب ، فسمي عام الرّمادة لذلك . وقيل إنما سمي بذلك
لكثرة من هلك فيه . والرّمْد : الهلاك . فخرج عمر بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما
يستسقى ، فأخذ بضبعيه^(٢) وأشخصه قائما ، ثم أشخص إلى السماء وقال : اللهم

(١) في المطبوعة : « الدعاء » وأثبتنا ما في : ج ، د .

(٢) الضبع ، بسكون الباء : وسط العضد ، وقيل : هو ما تحت الإبط . النهاية ٣ / ٧٣ .

إنا نتقرب إليك بعم نبيك وقفية^(١) آبائه ، وكبر^(٢) رجاله ، فإنك تقول وقولك الحق : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾^(٣) فحفظتهما الصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دلونا^(٤) به إليك مستشفعين ومستغفرين . ثم أقبل على الناس فقال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ أَنهَارًا ﴾^(٥) والعباس قد طال عمر^(٦) وعينه تنضحان^(٧) ، وسبابة^(٨) تجول على صدره ، وهو يقول : اللهم أنت الراعي ، لا تُهمِلِ الضالَّة ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع^(٩) الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغيائك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا يأس من رَوْحِكَ إلا القوم الكافرون ، اللهم فأغثهم بغيائك ، فقد تقرب إلى القوم لمكاني من نبيك عليه السلام . فنشأت طريرة^(١٠) من سحاب ، وقال الناس : تروون

(١) في الأصول : « وبقية » وأثبتنا ما في الفائق ٢ / ٣٦٦ ، والنهاية . قال الزمخشري : « قفية آبائه : تلوهم وتابعهم ، ذهب إلى استسقاء أبيه عبد المطلب لأهل الحرم ، وسقى الله إياهم به . وقيل : هو المختار ، من القفى ، وهو ما يؤثر به الضيف من الطعام . واقفاه : اختاره . »

(٢) قال الزمخشري : يقال : « هو كبر قومه ، بالضم : إذا كان أقعدهم في النسب ، وهو أن ينتسب إلى جده الأكبر بآباء قليل . »

(٣) سورة الكهف ٨٢ .

(٤) في الأصول : « دنونا » والمثبت من الفائق ٢ / ٣٦٦ ، والنهاية ٢ / ١٣٢ . وقال ابن الأثير : « أى توسلنا ، وهو من الدلو ؛ لأنه يتوصل به إلى الماء . وقيل : أراد به أقبلنا وسقنا ، من الدلو ، وهو السوق الرفيق . »

(٥) سورة نوح ١٠ - ١٢ .

(٦) في الأصول : « قد طال عمره » والمثبت من الفائق ٢ / ٦٦٦ ، والنهاية ٢ / ٣٣٠ . وقد أشار ابن الأثير إلى رواية « وقد طال عمره » ورجع عليها الرواية الأخرى . ثم قال : « طال عمر » أى كان أطول منه .

(٧) هكذا في الأصول ، والفائق . ونضحت العين : فارت بالدمع . والذى في النهاية ٢ / ٣٣٠ : « تنضمان » . وهناك رواية ثالثة : « تبصان » انظر حواشى النهاية .

(٨) هكذا في الأصول . والذى في الفائق ، والنهاية « وسبائه » . قال الزمخشري : « ولو روى : « سبائه » لكانت أوقع مما نحن بصده من ذكر الدعاء ؛ لأن الداعي من شأنه أن يشير بالسبابة ؛ ولذلك سميت الدعاء » .

(٩) ضرع ، بالكسر والفتح ضراعة : إذا خضع وذل . الفائق ٢ / ٣٦٨ .

(١٠) طريرة ؛ تصغير طرة ؛ وهى القطعة المستطيلة من السحاب ، شبهت بطرة الثوب . الفائق ٢ / ٣٦٨ .

تَرَوْنَ ؟ ثم تَلَامَت واستَمَت ، ومشت فيها رِيح ، ثم هَدَّت^(١) ودَرَّت . فما برح القوم حتى اعتلقوا الحِذاء وقلَّصوا المَآزِر ، وخاضوا الماء إلى الرُّكَب ، ولاذ الناس بالعباس يمسحون أُرْدَانَهُ ويقولون : هنيئًا لك ساقِي الحَرَمين . فأمرع^(٢) الله الحَبَاب ، وأخصب البلاد ، ورحم العباد .

قلت : فهذه دعوة مستجابة ببركة نبينا محمد ﷺ ، ولم يكن فيها قصد إلى إظهار كرامة ، بل استسقاء عند احتياج الخلق .
وهي مثل ما ظهر على يد :

(سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)

وذلك أنه كان يوم القَادِسِيَّة متألمًا من دُمْل لم يستطع الركوب لأجله فجلس في قصر يُشرف على الناس ، فقال في ذلك بعض الشعراء مقالا بَلَّغَهُ رضى الله عنه ، فقال : اللهم اكفنا لسانه ويده . فحَرَسَ لسانه وشَلَّتْ يده . وكان سعد رضى الله عنه مُجَاب الدعوة ؛ لأن رسول الله ﷺ دعا له بذلك ، فقال : « اللَّهُمَّ سَدِّدْ سَهْمَهُ ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ » . فكان لا يدعو بشيء إلا أجاب الله عز وجل دعاءه فيه ، وكان الصحابة يعرفون ذلك منه ، ولما عزله عمر رضى الله عنه من الكوفة بشكوى أهلها ، وكان عمر رضى الله عنه قد قال : لا يشكو إلى أهل موضع عاملهم إلا عزلته . وذلك والله أعلم ، لمعنيين :

أحدهما لأنه رأى أن الصحابة رضى الله عنهم كلهم عُذُول ، والاستبدال ممكن .
والثاني أنه لم يكن للأوّلين رغبة في الولاية ، وإنما كانوا يفعلونها امتثالًا لأمر أمير المؤمنين ، وانقيادًا لطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ ، ورجاء ثواب الله في إقامة الحق ، فإذا عزل أحدهم كان العزل أحبّ إليه من الولاية ، فلا يؤلم ذلك قلبه ؛ فلذلك كان عمر رضى الله عنه ، والله أعلم ، يختار عزل المشكّو على الإطلاق بمجرد الشكوى ، وإن كان عنده

(١) هدت ، من الهدى : صوت ما يقع من السماء . والهدأة - مهموزة : صوت الحبل . وروى : « هدأت » على تشبيه الرعد بصرخة الحبل . الفائق ٢ / ٣٦٨ .

(٢) في المطبوعة « فأترع » والمثبت من : ج ، د .

عَدَلًا وَرِعًا مَنَزَّهَا عَمَّا قِيلَ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَعْزَلَهُ بَيْنَ إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِقَالَةِ ، وَعَلَى الشَّاكِينَ بِقَطْعِ النِّزَاعِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُغْفَلُ الْبَحْثُ عَنْ أَحْوَالِ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ ، حَتَّى يَطَّلَعَ عَلَى صَدَقِ الشَّاكِي مِنْ غَيْرِهِ ، فَلَمَّا عَزَلَ سَعْدًا وَوَلَّى مَكَانَهُ عَمَّارَ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بَعَثَ مَعَ سَعْدٍ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ فَيُثْنُونَ خَيْرًا ، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبْنِي عَبَّسٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ ، وَيُكْنَى أَبُو سَعْدَةَ ، فَقَالَ : أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنْ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوِّيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ . فَقَالَ سَعْدٌ : أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ ثَلَاثَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا ، قَامَ رِيَاءً وَسَمْعَةً ، فَأُطِّلْ عَمْرَهُ ، وَأُطِّلْ فَقْرَهُ ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ : فَأَنَا رَأَيْتُهُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرِيقِ يَغْمِزُهُنَّ ؛ وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ .

وَأَرَادَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَرُدَّ سَعْدًا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْكُوفَةِ فَاْمْتَنَعَ . وَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَوْمًا بِرَجُلٍ يَسِبُ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهَاهُ ، فَكَأَنَّمَا زَادَهُ إِغْرَاءً فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ؛ مَا تَرِيدُ إِلَى أَقْوَامٍ خَيْرٍ مِنْكَ ! لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَدْعُونَ عَلَيْكَ . فَقَالَ : هَاهُ ! فَكَأَنَّمَا تَخَوَّفَنِي ، يَعْنِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ! فَدَخَلَ سَعْدٌ دَارًا ، فَتَوَضَّأَ ، وَدَخَلَ مَسْجِدًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ [كَانَ] ^(١) عَبْدُكَ هَذَا يَسِبُ أَقْوَامًا قَدْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى حَتَّى أَسْخَطَكَ بِسَبِّهِ إِيَاهُمْ ، فَأَرْنِي فِيهِ الْيَوْمَ آيَةً تَكُونُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَتْ بُحْتِيتُ ^(٢) مِنْ دَارِ قَوْمٍ ، وَأَقْبَلَتْ لَا يَصُدُّ صَدْرُهَا شَيْءًا حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، فَجَعَلَتْهُ بَيْنَ قَوَائِمِهَا . وَوُطِّئَتْهُ حَتَّى طَفَى .

(وَمِنْهَا عَلَى يَدِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

حَيْثُ قَالَ لِلْأَسَدِ الَّذِي مَنَعَ النَّاسَ الطَّرِيقَ : تَنَحَّ ، فَبَصْبَصَ بِذَنْبِهِ وَذَهَبَ .

(١) مِنْ : ج ، د .

(٢) الْبُحْتِيَّةُ : الْأُنْثَى مِنَ الْجَمَالِ الْبَحْتِ ، وَهِيَ جَمَالٌ طَوَالَ الْأَعْنَاقَ . وَاللَّفْظَةُ مَعْرَبَةٌ . النِّهَايَةُ ١ / ١٠١ .

(وعلى يد العلاء بن الحَضَرَمِيِّ رضى الله عنه)

وقد بعثه النبى ﷺ فى غَزَاةٍ بِجَيْشٍ ، فحال بينهم وبين الموضع البحرُ ، فدعا الله ،
ومشوا على الماء .
وما جاء أنه كان بين يديّ :

(سَلْمَانُ وَأَبَى الدَّرْدَاءِ)

رضى الله عنهما قَصْعَةً ، فسَبَّحت حتى سمعا التسبيح .
وما اشتهر أن :

(عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ)

رضى الله عنه كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى ، فانحبس ذلك عنه ، ثم
أعاده الله عليه .
وما اشتهر من قصة :

(خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضى الله عنه)

وهى أنه شرب السمّ ولم يضرّه .
● فإن قلت : ما بال الكرامات فى زمن الصحابة وإن كثرت فى نفسها قليلة
بالنسبة إلى ما يُروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء ؟
فالجواب أولاً : ما أجاب به الإمام الجليل أحمد ابن حنبل رضى الله عنه ، حيث
سُئِلَ عن ذلك فقال : أولئك كان إيمانهم قويًا ، فما احتاجوا إلى زيادة يقوى بها
إيمانهم ، وغيرهم ضعيف الإيمان فى عصره ، فاحتيج إلى تقويته بإظهار الكرامة .
ونظيره قول الشيخ السُّهْرَوَرْدِيّ رحمه الله حيث قال : وَخَرَقَ الْعَادَةَ إِنَّمَا يُكَاشِفُ
به لموضع ضعف يقين المكاشف ، رحمةً من الله تعالى لعباده العُبَاد ثواباً معجلاً .
وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحُجُب عن قلوبهم فما احتاجوا إلى ذلك .

وثانياً : أن يقال : ما يظهر على يدهم ربما استُغنى عنه اكتفاءً بعظيم مقدارهم ، ورؤيتهم طلعة المصطفى ﷺ ، ولزومهم طريق الاستقامة الذى هو أعظم الكرامة ، مع ما فتح على يديهم من الدنيا ، ولا اشرأبوا لها ، ولا جَنَحُوا نحوها ، ولا استزلَّت واحداً . فرضى الله عنهم ، كانت الدنيا فى أيديهم أضعاف ما هى فى أيدي أهل دنيانا ، وكان إعراضهم عنها أشدَّ إعراض ، وهذا من أعظم الكرامات ، ولم يكن شوقهم إلَّا إعلاء كلمة الله تعالى ، والدعاء إلى جنابه جلَّ وعلا .

● فإن قلت : هب أنكم دفعتم شبه المنكرين للكرامات ، فما دليلكم أنتم على إثباتها ؟ فإن القول فى الدِّين نفياً وإثباتاً محتاج إلى الدليل .

قلت : إذا اندفع ما استدلل به الخصوم على المنع وبطلت الاستحالة لم يبق بعدها إلا الجواز ؛ إذ لا واسطة بين المنع والاستحالة ، ثم فيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مَقْنَع لمن له أدنى بصيرة ؛ ثم إن أُبَيِّنَ إلَّا دليلاً خاصاً ليكون أقطع للشَّعْب وأنفى للشُّبْه .

فنقول : الدليل على ثبوت الكرامات وجوه :

أحدها ، وهو أوحدها ، ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين ، الجارى مجرى شجاعة عليّ ، وسخاء حاتم ، بل إنكار الكرامات أعظم مُباهتة ؛ فإنه أشهر وأظهر ، ولا يعاند فيه إلا من طُمِس قلبه والعياذ بالله .

والثانى : قصة مريم من جهة حَبْلِها من غير ذَكَر ، وحصول الرُّطْب الطَّرِيّ من الجذع اليابس ، وحصول الرزق عندها فى غير أوانه ومن غير حضور أسبابه ، على ما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(١) وهى لم تكن نبيّة ، لا عندنا ولا عند الخصوم .

أما عندنا فلا دَلَّة ، منها قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ ^(٢) ومنها الإجماع ، على ما نقل بعضهم .

(١) سورة آل عمران ٣٧ .

(٢) سورة المائدة ٧٥ .

وأما عند الخصم فلا أنه يشترط أن يكون النبي ذكراً . ونحن لا نخالفه في ذلك ، بل نشترط الذكورة في الإمامة والقضاء ، فضلا عن النبوة . هكذا ذكر بعض أئمتنا ، فقال القاضي : لم يقم عندى من أدلة السمع في أمر مريم وجه قاطع في نفى نبوتها أو إثباتها .

● فإن قلت : لم لا يجوز أن تكون معجزة لزكريا ، أو يكون إرهابا لولدها عيسى عليهم^(١) السلام ؟

قلت : لأن المعجزة تجب أن تكون بمشهد من الرسول والقوم حتى يقيم الدلالة عليهم . وما حكيناه من كراماتها نحو قول جبريل لها : ﴿ وَهْزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾^(٢) لم يكن بحضور أحد ، بدليل قوله : ﴿ فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾^(٣) . وأيضا فالمعجزة تكون بالتماسي الرسول ، وزكريا ما كان يعلم بحصول ذلك ، لقوله : ﴿ أَنَّى لَكَ هَذَا ﴾^(٤) . وأيضا فهذه الخوارق إنما ذكرت لتعظيم شأن مريم ، فيمتنع وقوعها كرامة لغيرها . ولا يجوز أن تكون إرهابا لعيسى عليه السلام ؛ لأن الإرهاب أن يختص الرسول قبل رسالته بالكرامات ، فأما ما يحصل به كرامة الغير لأجل أنه سيجيء بعد ذلك ، فذلك هو الكرامة التي يدعيها ، ولأنه لو جاز ذلك لجاز في كل معجزة ظهرت على يد مدعى الرسالة أن تكون إرهابا لنبي آخر ، يجيء بعد ذلك ، وتجويز هذا يؤدي إلى سد باب الاستدلال بالمعجزة على النبوة .

وقريب من قصة مريم قصة أم موسى عليه السلام ، وما كان من إلهام الله تعالى إياها حتى طابت نفسها بإلقاء ولدها في اليم ، إلى غير ذلك مما خُصت به . أفترى ذلك سُدَى ؟

قال إمام الحرمين : ولم يصِرْ أحدٌ من أهل التواريخ ونَقْلَةِ الأفاصيص إلى أنها كانت نَبِيَّةً ، صاحبة معجزة .

(١) في المطبوعة ، د : « عليه » والمثبت من : ج .

(٢) سورة مريم ٢٥ .

(٣) سورة مريم ٢٦ .

(٤) سورة آل عمران ٣٧ .

والثالث : التمسك بقصة أصحاب الكهف ؛ فإن لُبَّتهم ثلاث مائة سِنين وأزِيد ،
نِيامًا أحياء من غير آفة ، مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب ، من جملة
الخوارق ، ولم يكونوا أنبياء ، فلم تكن معجزة فتعين كونها كرامة .

وَادَّعى إمام الحرمين اتفاق المسلمين على أنهم لم يكونوا أنبياء^(١) ، وإنما كانوا على دين
مِلْك في زمانهم يعبد الأوثان ، فأراد الله أن يَهْدِيَهُمْ فشرح صدورهم للإسلام ، ولم
يكن ذلك عن دعوة داخ دعاهم ، ولكنهم لما وقفوا تفكروا وتدبَّروا ونظروا ،
فاستبان لهم ضلال صاحبهم ، ورأوا أن يؤمنوا بفاطر السموات والأرضين ، ومُبدِع
الخلائق أجمعين .

ولا يمكن أن يُجعل ذلك معجزة لنبي آخر .

أما أولا ؛ فلأنهم أخَفَوْهُ حيث قالوا : ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾^(٢) والمعجزة لا
يمكن إخفاؤها .

وأما ثانيا ؛ فلأن المعجزة يجب العلم بها ، وبقاءهم هذه المدة لا يمكن عِلْم الخلق
به ؛ لأن الخلق لم يشاهدوه ، فلا يُعلم ذلك إلا بإخبارهم لو صح أنهم يعلمون
ذلك ، وإخبارهم بذلك إنما يفيد إذا ثُبِت صدقهم بدليل آخر ، وهو غير حاصل ؛
وأما إثبات صدقهم بهذا الأمر فدَوْرٌ ممتنع ؛ لأنه إنما يثبت هذا الأمر إذا ثبت
صدقهم ، فلو توقَّف صدقهم عليه لَدَارَ .

وأما ثالثا ؛ فإنه ليس لذلك النبي ذكر ، ولا دليل يدل عليه ، فإثبات المعجزة له
لا فائدة فيه ؛ لأن فائدة المعجزة التصديق ، وتصديق واحد غير معيَّن محال .

الرابع : التمسك بقصص شتى ؛ مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في
حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتد إليه طَرَفُه ، على قول أكثر المفسرين بأنه المراد بالذي عنده
عِلْم من الكتاب ، وما قدَّمناه عن الصحابة ، وما تواتر عن بعدهم من الصالحين ، وخرج
عن حد الحَصْر ، ولو أراد المرء استيعابه لما كَفَتْهُ أَوْساق أحمال ولا أوقار جمال . وما زال
الناس في الأعصار السابقة ، وهم بحمد الله إلى الآن في الأزمان اللاحقة ، ولكننا نستدل
بما كانوا عليه ، فقد كانوا من قبل ما تَبَعَ النابغون ، ونشأ الزائغون ، يتفاوضون

(١) الإرشاد ، لإمام الحرمين ٣٢٠ .

(٢) سورة الكهف ١٩ .

في كرامات الصالحين ، وينقلون ما جرى من ذلك لُعْبَادِ بنى إسرائيل ، فَمَنْ بعدهم ، وكانت الصحابة رضى الله عنهم من أكثر الناس خوضًا في ذلك .

الخامس : ما أعطاه الله تعالى لعلماء هذه الأمة وأوليائها من العلوم ، حتى صَنَّفُوا كتبًا كثيرة ، لا يمكن غيرهم نسخُها في مدة عُمْرِ مصَنِّفِها ، مع التوفيق لدقائق تخرج عن حد الحَصْر ، واستنباطات تُطرب ذوى النُّهى ، واستخراجات لمعانٍ شتى من الكتاب والسنة تُطَبَّقُ طَبَقَ الأرض ، وتحقيق للحَقِّ ، وإبطال للباطل ، وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات ، والدعوى إلى الحق والصبر على أنواع الأذى ، وغُزُوف أنفسهم عن لذات الدنيا ، مع نهاية عقولهم وذكائهم وفطنتهم ، وما حُبِّبَ إليهم من الدَّأْبِ في العلوم ، وكَدَّ النفس في تحصيلها ، بحيث إذا تأمَّل المتأمل ما أعطاهم الله منه عَرَفَ أنه أعظم من إعطائه بعض عبده كِسْرَةَ خبز في أرض منقطعة ، وشُرْبَةَ ماء في مَفَازة ، ونحوهما مما يُعَدُّ كرامة .

فإن قلت : قد أكثرتم القول في الكرامات ، وما أفصحتم بالاختار عندكم من الأقوال المنقولات !

قلت : هذا مقامٌ معضِلٌ خَطِرٌ ، والاحتجار على مواهب الله لأوليائه عظيمٌ عسيرٌ ، والاتساع في التجويز آيل إلى فتح باب على المعجزات مسدود .

والذى يترجَّح عندى القول بتجويز الكرامات على الإطلاق إذا لم تُخرِقْ عادة ، وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض ؛ فلا أَمْنَعُ كثيرًا من الخوارق ، وأَمْنَعُ كثيرًا . ولى في ذلك قدوة ، وهو أبو القاسم القُشَيْرِى رحمه الله تعالى .

فإن قلت : عَرَّفْنِي ما تمنعه وما لا تمنعه ليتبيّن مذهبك .

قلت : أَمْنَعُ ولدا من غير أبوين ، وقلب جماد بهيمَةً ، ونحو ذلك . وسيتضح لك ذلك عند ذكر الأنواع التى أبديها على الأثر إن شاء الله تعالى .

وأما جمهور أئمتنا فعَمَّمُوا التجويز ، وأطلقوا القول إطلاقًا . وأخذ بعض المتأخرين يعدّد

أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة ، وهى أكثر من ذلك ، وأنا أذكر ما
عندى فيها :

النوع الأول : إحياء الموتى . واستشهد لذلك بقصة أبى عُبيد البُسْرِى ؛ فقد صح
أنه غزا ومعه دابة فمات فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بُسْر ، فقامت الدابة
تنفض أذنيها ، فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى بُسْر أمر خادمه أن يأخذ السَّرَج عن
الدابة ، فلما أخذه سقطت ميتة .

والحكايات فى هذا الباب كثيرة . ومن أواخرها أن مُفَرِّجاً الدَّمَامِينِ^(١) وكان من
أولياء الله من أهل الصعيد ذكر أنه أُحضرت عنده فِراخ مشوية فقال لها : طيرى
فطارت أحياء بإذن الله تعالى .

وأن الشيخ الأهدل كانت له هِرّة ضربها خادمه فمات فرمى بها فى خرابة ، فسأل
عنها الشيخ بعد ليلتين أو ثلاث ، فقال الخادم : لا أدرى ؛ فقال الشيخ : أما تدرى ؟
ثم ناداها فجاءت إليه تجرى .

وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه ووضعه يده على عِظام دجاجة
كان قد أكلها ، وقوله لها : قومى بإذن الله الذى يُحيى العِظام وهى رَمِيم ، فقامت
دجاجةً سويةً ، حكاية مشهورة .

وذكروا أن الشيخ أباً يوسف الدُّهْمَانِى^(٢) مات له صاحب فَجَزِعَ عليه أهله ،
فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له : قم بإذن الله ، فقام وعَاشَ
بعد ذلك زمناً طويلاً .

وحكاية زين الدين الفارِقَى الشافعى مدرّس الشامية ، شهيرة ، وقد سمعتها من
لفظ ولده وَلَّى الله الشيخ فتح الدين يحيى ؛ فحكى لنا ما سنحكيه فى ترجمة والده ،
مما حاصله أنه وقع فى داره طفل صغير من سطح فمات ، فدعى الله فأحياه .

(١) انظر الطالع السعيد ٣٦٩ .

(٢) بضم الدال وسكون الهاء وفتح الميم وبعد الألف نون . انظر اللباب ١ / ٤٣٤ .

ولا سبيل إلى استقصاء ما يُحكى من هذا النوع لكثرتة ، وأنا أومن به ، غير أنى أقول :

لم يثبت عندى أن وليا حَيَّيَ له ميت مات من أزمان كثيرة بعدما صار عظما رَمِيمًا ثم عاش بعد ما حَيَّيَ له زمانا كثيرا ؛ هذا القدر لم يبلغنا ، ولا أعتقد وقوع لأحد من الأولياء ولا شك فى وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام ، مثل هذا يكون معجزة ، ولا تنتهى إليه الكرامة ، فيجوز أن يجيئ نبيّ قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدهور ، ثم إذا عاشوا استمروا فى قيد الحياة أزمانا ، ولا أعتقد الآن أن ولياً يُحَيِّى لنا الشافعى وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمانا طويلا ، كما عمّرا قبل الوفاة ، بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهما قبل الوفاة .

النوع الثانى : كلام الموتى ، وهو أكثر من النوع قبله ، وروى مثله عن أبى سعيد الخُرَّاز رضى الله عنه ، ثم عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه ، وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ولست أسميه .

النوع الثالث : انفلاق البحر وجفافه ، والمشى على الماء ، وكل ذلك كثير ، وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام وسيد المتأخرين تقى الدين بن دقيق العيد .

الرابع : انقلاب الأعيان ، كما حُكى أن الشيخ عيسى الهتَّار^(١) اليمنى أرسل إليه شخص مستهزئا به إناءين ممتلئين خمرا ، فصبَّ أحدهما فى الآخر وقال : بسم الله كُلُوا ، فأكلوا فإذا هو سَمْنٌ لم يُر مثل لونه وريحه . وقد أكثروا فى ذكر نظير هذه الحكاية .

الخامس : انزواء الأرض لهم ، بحيث حكوا أن بعض الأولياء كان فى جامع طَرَسُوس فاشتاق إلى زيارة الحرم ، فأدخل رأسه فى جُبَّتِهِ ثم أخرجه وهو فى الحرم . والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغٌ مَبْلَغ التواتر ، ولا ينكره إلا مُباهت .

السادس : كلام الجمادات والحيوانات . ولا شك فيه ، وفى كثرتة . ومنه ما حُكى أن إبراهيم بن أدهم جلس فى طريق بيت المقدس تحت شجرة رَمَّان ، فقالت له : يا أبا إسحاق أكرمنى بأن تأكل منى شيئا ، قالت ذلك ثلاثا ، وكانت شجرة قصيرة ،

(١) الهتَّار ككتاب . تاج العروس (ه ت ر) .

ورمّانها حامضًا ، فأكل منها رمانة ، فطالت وحلا رمّانها وحملت في العام مرتين ،
وسمّيت رمانة العابدين .

وقال الشَّيْبَلِيُّ : عقدت أنى لا آكل إلا من حلال ، فكنت أدور في البرارى فرأيت
شجرة تين ، فمددت يدى لآكل منها فنادتنى الشجرة : احفظ عليك عقدك ولا
تأكل منى ، فإنى ليهودى ، فكففت يدى .

السابع : إبراء العليل ، كما روى عن السرى في حكاية الرجل الذى لقيه ببعض
الجال يورى الزمنى والعيمان والمرضى .

وكما حكى عن الشيخ عبد القادر أنه قال لصبى مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم
بإذن الله ، فقام لا عاهة به .

الثامن : طاعة الحيوانات لهم ، كما فى حكاية الأسد مع أبى سعيد بن أبى الخير
الميهنى^(١) ، وقبله إبراهيم الخواص . بل وطاعة الجمادات ، كما فى حكاية سلطان
العلماء شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وقوله فى واقعة الفرنج : يا ريحُ
خذيهم ، فأخذتهم .

التاسع : طئ الزمان .

العاشر : نشر الزمان . وفى تقرير هذين القسمين عُسر على الأفهام ، وتسليمه
لأهله أولى بذى الإيمان . والحكايات فىهما كثيرة .

الحادى عشر : استجابة الدعاء . وهو كثير جدا ، وشاهدناه من جماعة .

الثانى عشر : إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه .

الثالث عشر : جذب بعض القلوب فى مجلس كانت فيه فى غاية التُّفرة .

الرابع عشر : الإخبار ببعض المغيبات والكشف . وهو درجات تخرج عن حد
الحصر .

(١) بكسر الميم وسكون الباء وفتح الهاء وفى آخرها نون ، نسبة إلى مدينة مينة ، بين سرخس وأبيورد . اللباب
٢٠٣ / ٣ .

الخامس عشر : الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة .

السادس عشر : مقام التَّصْرِيف . فقد حُكِيَ عن جماعة منه^(١) الشيء الكثير .
وذكر أن بعضهم كان يبيع المطر ، وكان من المتأخرين الشيخ أبو العباس الشاطر يبيع
الأشغال^(٢) بالدرهم . وكثرت الحكايات عنه في هذا الباب ، بحيث لم يبق للذهن
مَسَاغٌ في إنكارها .

السابع عشر : القُدرة على تناول الكثير من الغذاء .

الثامن عشر : الحفظ عن أكل الحرام ، كما حُكِيَ عن الحارث المُحَاسِبِيِّ أنه كان
يرتفع إلى أنفه زُفُورَةٌ من المأكَل الحرام فلا يأكله . وقيل : كان يتحرك له عِرْق .
وحُكِيَ نظيره عن الشيخ أبي العباس المُرْسِيِّ . وقيل : إن بعض الناس امتحنه
وأحضر له مأكلا حراما ، فبمجرّد ما وضعه بين يديه قال : إن كان المُحَاسِبِيُّ
يتحرك منه عِرْق فأنا يتحرك مني عند حضور الحرام سبعون عِرْقا ، ونهض من ساعته
وانصرف .

التاسع عشر : رؤية المكان البعيد من وراء الحُجُب ، كما قيل إن الشيخ أبا إسحاق
الشَّيرَازِيّ كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد .

العشرون : الهيبة التي لبعضهم ، بحيث مات مَنْ شاهده بمجرّد رؤيته ، كصاحب
أبي يزيد البَسْطَامِيِّ الذي قدمنا حكايته^(٣) ، أو بحيث أُفحم بين يديه أو اعترف بما
لعله كتمه عنه ، أو غير ذلك . وهو كثير .

الحادى والعشرون : كفاية الله إياهم شرٌّ مَنْ يريد بهم سوءا وانقلابه خيرا ؛ كما
اتفق للشافعيّ رضي الله عنه مع هارون الرشيد رحمه الله^(٤) .

● الثاني والعشرون : التطوُّر بأطوار مختلفة . وهذا الذي تسميه الصوفية بعالم المُثُل ،
ويثبتون عالما متوسّطا بين عالمي الأجسام والأرواح ، سمّوه عالم المِثَال ، وقالوا : هو أَلطف

(١) في المطبوعة « منهم » وأثبتنا ما في ج ، د .

(٢) في المطبوعة « الأسعار » وأثبتنا ما في : ج ، د .

(٣) صفحة ٣١١ .

(٤) صفحة ١٥٢ .

من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح ، وبنوا عليه تجسّد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المِثال ، واستأنسوا له بقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ^(١) ومنه ما حُكي عن قَضِيبِ البان الموصلي ، وكان من الأبدال ، أنه اتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدّد النكير عليه ، فتمثّل له على الفور في صور مختلفة ، وقال : في أيّ هذه الصور رأيتني ما أصلي ؟ ولهم من هذا النوع حكايات كثيرة ^(٢) .

ومما اتفق لبعض المتأخرين أنه وجد فقيرا شيخا كبيرا يتوضأ بالقاهرة في المدرسة الشرفية من غير ترتيب ، فقال له : يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب ؟ فقال له : ما توضأت إلا مرتباً ، ولكن أنت ما تبصر ! لو أبصرت لأبصرت هكذا ؛ وأخذ بيده وأراه الكعبة ، ثم مرّ به ^(٣) إلى مكة ، فوجد نفسه في مكة ، وأقام بها سنين ، في حكاية يطول شرحها .

الثالث والعشرون : إطلاع الله إياهم على ذخائر الأرض ، كما قدمناه في حكاية أبي ثراب ، لما ضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال ^(٤) .

وعن بعضهم أنه عطش أيضا في طريق الحج فلم يجد ماء عند أحد ، فوجد فقيرا قد ركّز عُكَّازَه في موضع والماء ينبع من تحت عُكَّازَه ، فملا قربه ودلّ الحجاج عليه . فجاءوا فملأوا أوانهم من ذلك الماء .

الرابع والعشرون : ما سهّل لكثير من العلماء من التصانيف في الزمن اليسير ، بحيث وُزّع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا فوجد لا يفي به نسحا ، فضلا عن التصنيف . وهذا قسم من نشر الزمان الذي قدمناه ، فقد اتفق الثّقلة على أن عمر الشافعي رحمه الله لا يفي بعشر ما أبرزه من التصانيف ، مع ما يثبت ^(٥) عنه من تلاوة القرآن كل يوم تحمة بالتدبر ، وفي رمضان كلّ يوم تحمتين كذلك ، واشتغاله بالدرس

(١) سورة مريم ١٧ .

(٢) ساقط من : ج ، د .

(٣) في المطبوعة : « فر » وأثبتنا ما في : ج ، د .

(٤) صفحة ٣١٤ .

(٥) في المطبوعة : « ثبت » والمثبت من : ج ، د .

والفتاوى والذكر والفكر ، والأمراض التى كانت تعتورها^(١) ، بحيث لم يخل رضى الله عنه من علة أو عِلتين أو أكثر ، وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا .

وكذلك إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى رحمه الله حُسِبَ عمره وما صَنَفَه ، مع ما كان يلقيه على الطلبة ويذكر به فى مجالس التذكير فوجد لا يفى به .

وقرأ بعضهم ثمانى ختمات فى اليوم الواحد . وأمثال هذا كثير .

وهذا الإمام الربانى الشيخ محيى الدين التَّوَوَّى رحمه الله وُزِعَ عمره على تصانيفه فوجد أنه لو كان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر ؛ فضلا عن كونه يصنّفها ، فضلا عما كان يضمّه إليها من أنواع العبادات وغيرها .

وهذا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله إذا حُسِبَ ما كتبه من التصانيف ، مع ما كان يواظبه من العبادات ، ويمليه من الفوائد ، ويذكره فى الدروس من العلوم ، ويكتبه على الفتاوى ، ويتلوه من القرآن ، ويشغل به من المحاكمات عُرف أن عمره قطعاً لا يفى بثلث ذلك ، فسبحان مَنْ يبارك لهم وَيَطْوِي لهم وَيَنْشُر .

الخامس والعشرون : عدم تأثير السمومات وأنواع المتلفات فيهم ، كما اتفق ذلك للشيخ الذى قال له بعض الملوك : إِمَّا أَنْ تُظْهَرَ لِي آيَةٌ ، وَإِلَّا قَتَلْتُ الْفُقَرَاءَ ، وَكَانَ بِقُرْبِهِ بَغْرُ جَمَالٍ ، فقال : انظر ، فإذا هى ذهب ، وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به فى الهواء فأخذه وردّه ممتلئاً ماءً وهو منكس لم يخرج منه قطرة . فقال الملك : هذا سِحْرٌ ، وأوقد ناراً عظيمة ثم أمرهم^(٢) بالسَّماع ، فلما دار فيهم الوجد دخل الشيخ والفقراء فى النار ثم خرج ، فخطف ابناً صغيراً للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده ثم خرج به وفى إحدى يدي الصبى تفاحة ، وفى الأخرى رمانة . فقال له أبوه : أين كنت ؟ قال : فى بستان . فقال جلساء الملك : هذا صنعة ، لا حقيقة له . فقال له الملك : إن شربت هذا القدح من السم صدقتك ، فشربه وتمزقت ثيابه عليه ، ثم ألقوا عليه غيرها فتمزقت ، ثم هكذا

(١) فى المطبوعة : « تعتريه » والمثبت من : ج ، د .

(٢) فى المطبوعة : « أمر » وأثبتنا ما فى : ج ، د .

مرارا إلى أن ثبتت عليه الثياب ، وانقطع عنه عرق كان أصابه ، ولم يؤثر فيه السم ضررا .

وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة ، وفيما أوردته دلالة على ما أهملته ، ومَقْنَع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته . وما من نوع من هذه الأنواع إلا وقد كثرت فيه الأفاصيص والروايات ، وشاعت فيه الأخبار والحكايات ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولا بعد بيان الهدى إلا المحال ، وليس للموفق غير التسليم ، وسؤال ربه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين ، فإنهم على صراط مستقيم . ولو حاولنا حصر ماجراياتهم لضيقنا الأنفاس وضيقنا^(١) القِرطاس .

٦٩

القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار
مولى الوليد بن عبد الملك . أبو محمد الأندلسيّ القرطبيّ *

أحد أعلام الأمة .

أخذ الفقه عن المُزَنِّي ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عبد الله^(٢) بن عبد الحكم ، وإبراهيم بن محمد الشافعيّ ، وإبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، والحارث بن مسكين . وروى عنهم .

روى عنه أحمد بن خالد الجبّاب^(٣) ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، وابنه محمد بن قاسم ، وسعيد بن عثمان الأعناقى ، وغيرهم .

(١) في المطبوعة : « لضيقنا الأنفاس وضيقنا القِرطاس » وأثبتنا ما في : ج ، د .
* له ترجمة في : بغية المتلمس ٤٣١ ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١ / ٣٩٧ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ١٩٩ ، جذوة المتيسر ٣١٠ ، وفيه « مولى هشام بن عبد الملك » ، الديباج المذهب ٢٢١ شذرات الذهب ٢ / ١٧٠ ، العبر ٢ / ٥٧ .

(٢) من هنا سقط في نسخة ج ، ينتهى بنهاية هذه الطبقة .

(٣) في المطبوعة : « الحجاب » بالخاء المهملة ثم الباء الموحدة ، وفي د ، والنسخة ١٦٣ : « الجناب » بالجيم المعجمة ثم النون . والتصحيح من ترجمته في تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١ / ٤٢ . واللباب ١ / ٢٠٦ ، والمشتبه ٢٠٥ .

وصنّف كتاب « الإيضاح » في الردّ على المقلّدين ، مع ميله إلى مذهب الشافعيّ .

قال أحمد بن خالد : ما رأيت مثل قاسم في الفقه ممن دخل الأندلس من أهل الرّحل . وله « مصنّف جليل في خبر الواحد » .

توفي سنة ست وسبعين ومائتين ، وقيل : سنة سبع وسبعين .

٧٠

موسى بن إسحاق بن موسى الأنصاريّ

القاضي أبو بكر الخطميّ*

نسبة إلى بطن من الأنصار يقال له : خطمة ، بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة ساكنة ثم ميم ، بن جُشم ، بضم الجيم ثم شين معجمة مفتوحة ثم ميم . ولد سنة عشر ومائتين .

وكان قاضيا مهيبا فصيحاً [مصمماً ^(١)] قيل : لم يُر متبسماً قط . وهو الذي قالت له امرأة : أيها القاضي لا يحلّ لك أن تحكم بين الناس ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لَا يَقْضِي الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ » وأنت عُمَرُكَ غضبان ! فتبسّم ، وسيرد نظير الحكاية في ترجمة القاضي أبي بكر الشامي في الطبقة الرابعة . سمع أباه ^(٢) .

٧١

كُنْزٌ**

بضم الكاف وفتح النون وإسكان آخر الحروف آخره زاي معجمة .

كان خادماً للمتتصر بالله بن المتوكل .

* له ترجمة في : أنساب السمعاني ٢٠٣ ، البداية والنهاية ١١ / ١١١ ، تاريخ بغداد ١٣ / ٥٢ ، الجرح والتعديل ، القسم الأول من المجلد الرابع ١٣٥ ، شذرات الذهب ٢ / ٢٢٦ . طبقات القراء لابن الجزري ٢ / ٣١٧ ، العبر ٢ / ١٠٩ .

(١) من : د ، والنسخة ١٦٣ .

(٢) وغيره ، كما في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٠ ، وذكر وفاته سنة (٢٩٧) .

** له ترجمة موجزة في : تاج العروس (ك ن ز) ، المشتبه ٥٤٥ ، حسن المحاضرة ٢ / ٣٩٩ .

لما مات مولاه خرج إلى مصر .

وسمع من حَزْمَلَة ، والربيع بن سليمان ، والزَّعْفَرَانِيّ .

وروى عنه أبو القاسم الطَّبْرَانِيّ وغيره .

وكان يقرئ الفقه بجامع دمشق على مذهب الشافعيّ بعد أن أقام بمصر مدة يُذْبُ
عن مذهبه وينظر المالكيين حتى سَعَوْا به إلى أحمد بن طولون ، وقالوا إنه جاسوس
قدم من بغداد ، فحبسه فلم يزل في الحبس إلى مضىّ سبع سنين ، ومات ابن طولون
فأُخْرِجَ ومضى إلى الأسكندرية ، وأقام بها سبع سنين يُعيد كل صلاة صلاها في
الحبس ، لأنه كان محبوبا في مكان قِدر . ثم ورد الشام .

٧٢

نوح بن منصور بن مُرداس

أبو مسلم السُّلَمِيّ

سمع الحسن بن عَرَفَة ، والحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزَّعْفَرَانِيّ ، وغيرهما .

ورحل إلى مصر ، وكتب بها عن يونس بن عبد الأعلى ، والربيع بن سليمان ، ثم
استوطن بالآخرة شيراز ، إلى حين وفاته .

وروى عنه أبو القاسم الطَّبْرَانِيّ ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن
حَيَّان ، الملقب أبا الشيخ ، وغيرهما .

وكتب كُتُب الشافعيّ عن يونس والربيع بمصر . ومات بشيراز سنة خمس
وتسعين ومائتين .

أبو الفضل البتاني*

وبُتَان ، بضم الباء المنقوطة بواحدة وفتح التاء المثناة من فوق المخففة وفي آخرها النون : من قرى طُرَيْثِث ، من نواحي نَيْسابور .

قال ابن ماكولا : أحد الزهاد والفضلاء من أصحاب الشافعي ، يحدث عن علي ابن إبراهيم البتاني من أصحاب عبد الله بن المبارك .

روى عنه محمد بن عبد الرحمن البتاني^(١) .

قلت : وتبع ابن السمعاني ابن ماكولا فلم يزد في ترجمة الرجل على ما ذكره ، ثم تبعهما شيخنا الذهبي فذكره في كتاب « المشتبه » مختصرا . والرجل في هذه الطبقة .

[آخر الطبقة الثانية]

* له ترجمة في : الإكمال ٤٤٦/١ ، أنساب السمعاني ١٦٥ ، المشتبه ٩٢ ، معجم البلدان ٤٨٨/١ .

(١) هذا النقل عن ابن ماكولا فيه خلط . والذي في الإكمال ٤٤٦ / ١ :

« وأما البتاني ، بضم الباء وتخفيف التاء فهو علي بن إبراهيم البتاني ، من أصحاب ابن المبارك ، روى عنه محمد ابن عبد الرحمن البتاني . ومحمد بن عبد الرحمن البتاني من آل يحيى بن أكرم روى عن علي بن إبراهيم البتاني ، روى عنه عبد الله بن محمود . وأبو الفضل البتاني ساكن طريثين ، أحد الزهاد الفضلاء من فقهاء أصحاب الشافعي . وبتان : قرية من أعمال طريثيث ، يحدث عن » انتهى ما في الإكمال . وبعد كلمة « عن » بياض .

فهرس التراجم

رقم الترجمة

رقم الصفحة

الطبقة الأولى :

- ١ - أحمد بن خالد الخلال ، أبو جعفر البغدادي العسكري ٥
- ٢ - أحمد بن سنان القطان ، أبو جعفر الواسطي الحافظ ٥ ، ٦
- ٣ - أحمد بن صالح المصري ، أبو جعفر الطبري الحافظ ٦ - ٢٥
قاعدة في الجرح والتعديل . ٩ - ٢٢
قاعدة في المؤرخين ٢٢ - ٢٥
- ٤ - أحمد بن أبي سريح النهشلي ، أبو جعفر الرازي البغدادي ٢٥
- ٥ - أحمد بن عبد الرحمن القرشي ، أبو عبد الله المصري ،
الملقب ببَحْشَل ٢٦
- ٦ - أحمد بن عمرو بن عبد الله القرشي الأموي ، أبو الطاهر
المصري الفقيه ٢٦
- ٧ - أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني المروزي البغدادي ٢٧ - ٦٣
ذكر الداهية الدهياء والمصيبة الصماء ، وهي محنة خلق
القرآن ٣٧ - ٦١
مناظرة بين الشافعي وأحمد بن حنبل ٦١
- ٨ - أحمد بن محمد بن جبلة ، أبو عبد الله الصيرفي البغدادي ٦٣
- ٩ - أحمد بن محمد بن الوليد الأزرق القوّاس ، أبو الوليد ٦٤
- ١٠ - أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي ، أبو عبد الرحمن ٦٤ - ٦٦
- ١١ - أحمد بن يحيى بن الوزير التّجيّبي ، أبو عبد الله المصري الحافظ ٦٦ ، ٦٧
- ١٢ - أحمد بن أبي شريح الرازي ٦٧
- ١٣ - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو عبد الله المصري ٦٧ - ٧١
- ١٤ - محمد بن الشافعي ، أبو عثمان القاضي ٧٤ - ٧١
- ١٥ - إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان ، أبو ثور الكلبي البغدادي ٧٤ - ٨٠
ومن المسائل عن أبي ثور والفوائد ٧٧ - ٨٠
- ١٦ - إبراهيم بن محمد بن العباس ، ابن عم الشافعي ٨٠ ، ٨١

رقم الترجمة	رقم الصفحة
١٧ -	إبراهيم بن محمد بن هرم ٨١
١٨ -	إبراهيم بن المنذر بن عبد الله الحزامي المدني ٨٢، ٨٣
١٩ -	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب المروزي ، ابن راهوييه ٨٣ - ٩٣
	مناظرة بين الشافعي وإسحاق ٨٩، ٩٠
	مناظرة أخرى بينهما ٩١، ٩٢
	مسائل غريبة عن إسحاق ٩٢، ٩٣
	إسحاق بن بهلول بن حسان ، أبو يعقوب التتوخي الأنباري(*) ٩٣
٢٠ -	إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو إبراهيم المزني - ٩٣ - ١٠٩
	ومن الرواية عن أبي إبراهيم ٩٥، ٩٦
	ومن مستغرب روايات أبي إبراهيم عن الشافعي ومستظرفها ٩٧-١٠١
	النظر في النجوم وما يؤثر عن الشافعي في ذلك ١٠١، ١٠٢
	ذكر البحث عن تخريجات المزني وآرائه ، هل تلتحق بالمذهب ؟ ١٠٢-١٠٤
	ومن المسائل عن أبي إبراهيم ١٠٤، ١٠٥
	ومن غرائب « العقارب » ١٠٥-١٠٧
	ومن دقيق مستدركات أبي إبراهيم ١٠٧، ١٠٨
	ومن مستدركات الأصحاب على أبي إبراهيم ١٠٩
٢١ -	بحر بن نصر بن سابق الخولاني ، أبو عبد الله المصري ١١٠-١١٢
٢٢ -	الحارث بن سريج النقال ، أبو عمرو الخوارزمي البغدادي ١١٢، ١١٣
٢٣ -	الحارث بن مسكين بن محمد الأموي ، أبو عمرو المصري ١١٣، ١١٤
٢٤ -	الحسن بن محمد بن الصباح البغدادي ، أبو علي الزعفراني ١١٤-١١٧
	ومن الرواية والفوائد والمسائل عن الزعفراني ١١٦، ١١٧
٢٥ -	الحسين بن علي بن يزيد ، أبو علي الكرابيسي ١١٧-١٢٦
	ومن الفوائد عنه ١٢٠-١٢٥

(*) كل ما قرن بنجمة فهو من الطبقات الوسطى .

رقم الترجمة	رقم الصفحة
ومن المسائل عن الحسين	١٢٦، ١٢٥
٢٦ - الحسين القلاس ، الفقيه البغدادي	١٢٧
٢٧ - حرملة بن يحيى بن عبد الله التَّجِيبِيَّ	١٢٧-١٣١
ومن الرواية عن حرملة	١٢٨
ومن الفوائد عن حرملة	١٢٩، ١٣٠
ومن المسائل عن حرملة	١٣٠، ١٣١
٢٨ - الربيع بن سليمان بن داود الجيزي ، أبو محمد الأزدي المصري	١٣٢
٢٩ - الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي ، أبو محمد المؤذن	١٣٢-١٣٩
وهذه نخب وفوائد عن الربيع ، رحمه الله	١٣٥-١٣٩
٣٠ - سليمان بن داود بن داود القرشي الهاشمي ، أبو أيوب البغدادي	١٣٩
٣١ - عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي المكي ، أبو بكر الحميدي	١٤٠-١٤٣
ومن الفوائد عن الحميدي	١٤١
المناظرة الشهيرة بين محمد بن الحسن والشافعي	١٤١-١٤٣
عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة ، أبو زيد المصري	١٤٣
النحو(*)	١٤٣
٣٢ - عبد العزيز بن عمزان بن أيوب ، أبو علي الخُزاعي	١٤٣، ١٤٤
المصري الفقيه	١٤٣، ١٤٤
ومن المسائل عنه	١٤٣، ١٤٤
٣٣ - عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي	١٤٤، ١٤٥
٣٤ - علي بن عبد الله بن جعفر السعدي ، أبو الحسن المديني الحافظ	١٤٥-١٥٠
ومن الفوائد عن علي	١٤٨-١٥٠
٣٥ - الفضل بن الربيع بن يونس ، أبو العباس	١٥٠-١٥٣
٣٦ - القاسم بن سلام ، أبو عُبَيْد	١٥٣-١٦٠
ومن الفوائد عنه	١٥٦-١٥٩
ذكر أن الشافعي وأبا عبيد تناظرا في القُرء	١٥٩، ١٦٠
٣٧ - قَحْزَم بن عبد الله بن قحزم ، أبو حنيفة الأسواني	١٦٠، ١٦١

رقم الترجمة	رقم الصفحة
٣٨ -	موسى بن أبى الجارود ، أبو الوليد المكي ١٦٢، ١٦١
٣٩ -	يوسف بن يحيى ، أبو يعقوب البويطى المصرى ١٧٠-١٦٢
	ومن الفوائد عن أبى يعقوب ١٦٦
	وهذه غرائب استخراجها النووى «من مختصر البويطى» ١٦٧، ١٦٦
	وهذه غرائب استخراجها الشيخ الإمام الوالد من «مختصر البويطى» ١٦٧
	وهذه غرائب استخراجها أنا ١٦٧-١٦٩
	أولاد الموالى وموالى الموالى ، هل يدخلون فى الوقف على الموالى ١٧٠، ١٦٩
٤٠ -	يونس بن عبد الأعلى بن موسى ، أبو موسى الصدقى المصرى المقرئ ١٨٠-١٧٠
	ومن الفوائد والمسائل عن يونس خاتمة لهذه الطبقة الأولى ١٨٠-١٧٤
	الطبقة الثانية : ١٨٠
٤١ -	أحمد بن سيار بن أيوب ، أبو الحسن المروزى ١٨٣
٤٢ -	أحمد بن عبد الله بن سيف ، أبو بكر السجستانى ١٨٤
٤٣ -	أحمد بن الحسن بن سهل ، أبو بكر الفارسى ١٨٦-١٨٤
٤٤ -	أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو محمد ابن بنت الشافعى ١٨٦
٤٥ -	أحمد بن نصر بن زياد ، أبو عبد الله القرشى النيسابورى ١٨٧، ١٨٦
	أحمد بن الحسن بن سهل الفارسى ، أبو بكر ١٨٧
٤٦ -	محمد بن أحمد بن نصر ، أبو جعفر الترمذى ١٨٨، ١٨٧
٤٧ -	محمد بن أحمد بن على الخلالى ، أبو بكر ١٨٩
٤٨ -	محمد بن إبراهيم بن سعيد ، أبو عبد الله البوشنجى العبدى ٢٠٧-١٨٩
	ومن الرواية عنه ١٩٤-١٩٢
	ومن شعره ١٩٥، ١٩٤
	وهذه فوائد ونخب عن أبى عبد الله ٢٠٧-١٩٥
٤٩ -	محمد بن إدريس بن المنذر، الغطفانى الحنظلى، أبو حاتم الرازى ٢١١-٢٠٧

- ومن الفوائد عنه
٢١١
٥٠ - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، أبو عبد الله الجعفي ٢٤١-٢١٢
قصته مع محمد بن يحيى الذهلي ٢٣١-٢٢٨
ذكر النبأ عن وفاته ٢٣٤-٢٣٢
ذكر نخب وفوائد ولطائف عن أبي عبد الله ٢٤٠-٢٣٥
فرع غريب ٢٤١، ٢٤٠
٥١ - محمد بن عاصم بن يحيى ، أبو عبد الله الأصبهاني ، كاتب القاضي ٢٤١
٥٢ - محمد بن عبد الله بن مَحَلَّد ، أبو الحسين الأصبهاني ٢٤٢
٥٣ - محمد بن علي البجلي القيرواني ٢٤٢
٥٤ - محمد بن عقيل الفريابي ، أبو سعيد ٢٤٥-٢٤٣
٥٥ - محمد بن علي بن الحسن ، أبو عبد الله الحكيم الترمذي ٢٤٦، ٢٤٥
٥٦ - محمد بن نصر المروزي ، أبو عبد الله ٢٥٥-٢٤٦
حكاية إملاق المحدثين بمصر ٢٥٢-٢٥٠
ومن غرائب ٢٥٣، ٢٥٢
حديث « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ٢٥٥-٢٥٣
٥٧ - إبراهيم بن محمد البلدي ٢٥٥
٥٨ - إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو إسحاق الحرابي ٢٥٧، ٢٥٦
٥٩ - إسحاق بن موسى بن عمران الإسفرائيني ، أبو يعقوب ٢٥٩، ٢٥٨
٦٠ - الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم النهاوندي البغدادي
القواريري الخزاز ٢٧٥-٢٦٠
ومن كلام الجنيد ٢٦٧-٢٦٣
ذكر شيء من الرواية عنه ٢٧٤-٢٦٧
ذكر نخب وفوائد عن أبي القاسم ٢٧٥، ٢٧٤
٦١ - الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله ٢٨٤-٢٧٥
ذكر البحث عما كان بينه وبين الإمام أحمد ٢٧٩، ٢٧٨

- ٢٨١، ٢٨٠ ذكر شيء من الرواية عن الحارث
- ٢٨٤-٢٨٢ ومن كلمات الحارث والفوائد عنه
- ٦٢- ٢٩٣-٢٨٤ داود بن علي بن خَلَف ، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني
- ٢٨٨، ٢٨٧ ذكر شيء من الرواية عنه
- ٢٨٩، ٢٨٨ ومن حديث داود
- ذكر اختلاف العلماء في أن داود وأصحابه هل يعتد
- ٢٩٣-٢٨٩ بخلافهم في الفروع
- ٢٩٣ ومن مسائل داود التي خرَّجها على أصولنا
- ٦٣- سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، أبو داود السجستاني
- الأزدی
- ٢٩٦-٢٩٣
- ٦٤- عبدان بن محمد بن عيسى ، أبو محمد المروزي الجُوزجُردی
- ٢٩٨، ٢٩٧
- ٦٥- عبد الله بن سعيد أو ابن محمد ، أبو محمد بن كلاب
- القَطَّان
- ٣٠٠، ٢٩٩
- ٦٦- عثمان بن سعيد بن بشار ، أبو القاسم الأنماطي الأحول
- ٣٠٢، ٣٠١
- ٦٧- عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني ، أبو سعيد الدارمي
- ٣٠٦-٣٠٢
- ٣٠٦ ومن غرائب أبي سعيد الدارمي وفوائده
- ٦٨- عسكر بن الحصين أو ابن محمد بن الحسين ، أبو تراب
- النَّخْشَبِيّ
- ٣٤٤-٣٠٦
- ٣١٠ ومن الفوائد عن أبي تراب
- ٣١٤-٣١١ حكاية تشتمل على تحقيق التجلي
- ٣١٦-٣١٤ حكاية ثانية يبحث فيها عن الكرامات
- ٣١٦ شبهة للقَدَرية في منع الكرامات وذكر فسادها
- ٣١٧ شبهة ثانية لهم ، وتبين الانفصال عنها
- ٣١٨، ٣١٧ شبهة ثالثة لهم ووجه الانفصال عنها
- ٣٢١-٣٢١ شبهة أخرى لهم ، وكشف عوارها
- ٣٢٢، ٣٢١ شبهة خامسة لهم ، وتقرير بطلانها
- ٣٢٣، ٣٢٢ فمن الكرامات على يد أبي بكر الصديق
- ٣٢٣ ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق

٣٢٤، ٣٢٣	قصة سارية بن زعيم الخلجي	
٣٢٥، ٣٢٤	ومنها قصة الزلزلة	
٣٢٦	قصة النيل	
٣٢٦	ومنها قصة النار الخارجة من الجبل	
٣٢٨، ٣٢٧	ومنها على يد عثمان ذى النورين	
٣٢٩، ٣٢٨	ومنها على يد علي المرتضى	
٣٣١-٣٢٩	ومنها على يد العباس عم النبي ﷺ	
٣٣٢، ٣٣١	ومنها على يد سعد بن أبي وقاص	
٣٣٢	ومنها على يد ابن عمر	
٣٣٣	وعلى يد العلاء بن الحضرمي	
٣٣٣	وعلى يد سلمان وأبي الدرداء	
٣٣٣	وعلى يد عمران بن حصين	
٣٣٣	وعلى يد خالد بن الوليد	
٣٤٤-٣٣٨	أنواع الكرامات	
٣٤٥، ٣٤٤	القاسم بن محمد بن قاسم ، أبو محمد الأندلسي القرطبي	٦٩ -
٣٤٥	موسى بن إسحاق بن موسى الأنصاري ، أبو بكر الخطمي	٧٠ -
٣٤٦، ٣٤٥	كُنَيْز ، خادم المنتصر بالله	٧١ -
٣٤٦	نوح بن منصور بن مرداس ، أبو مسلم السلمي	٧٢ -
٣٤٧	أبو الفضل البتاني	٧٣ -

رقم الإيداع ٥٨٠٨/١٩٩٢ م
I.S.B.N:977 - 256 - 078 - X

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع مولانا

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة